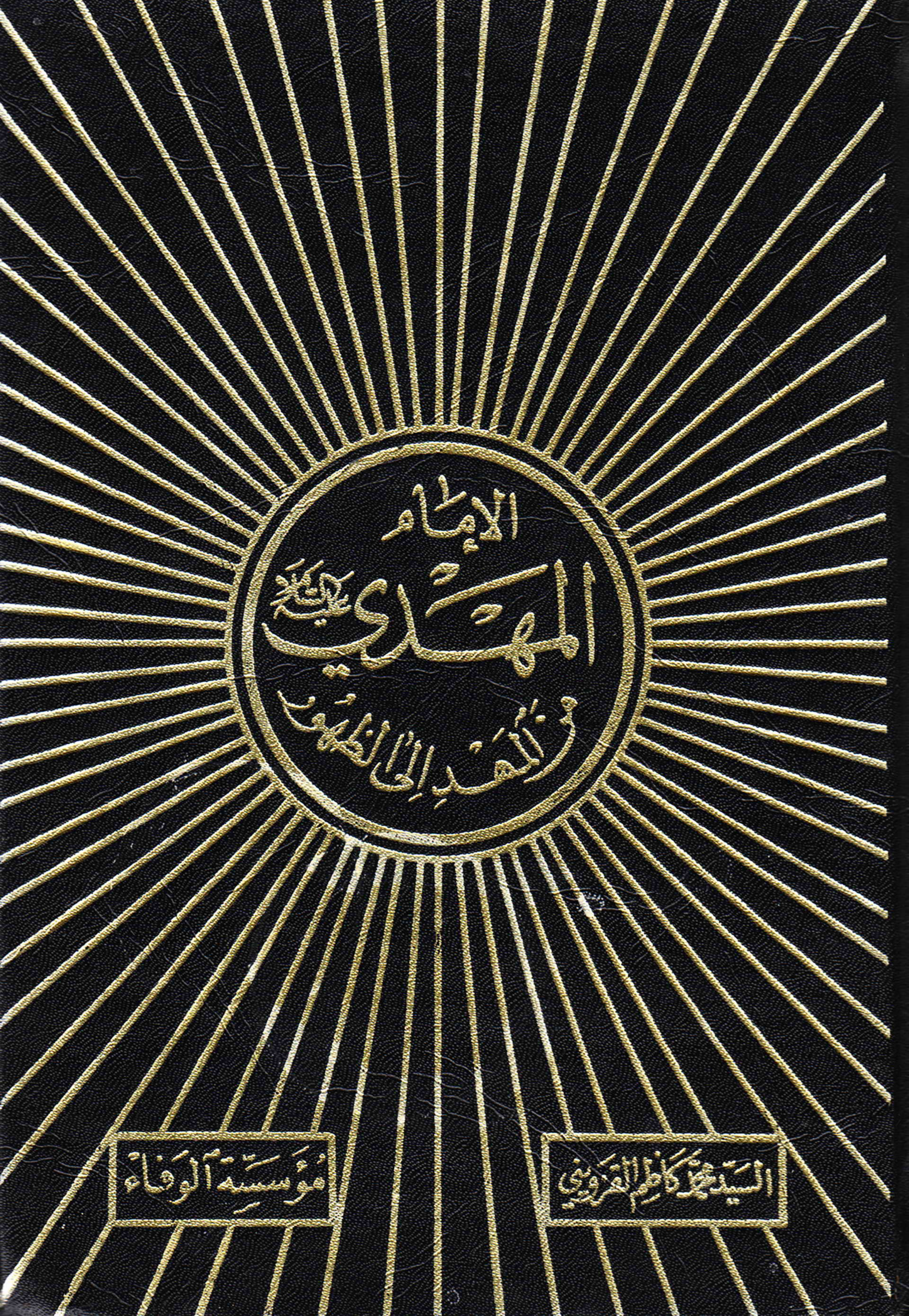

الإمام
المهدي عليه السلام
من المهد إلى الظهور
السيد محمد كاظم القزويني
مؤسسة الوفاء



الكتاب: الامام المهدي من المهد إلى الظهور

المؤلف: السيد محمد كاظم الموسوي القزويني

الناشر: مؤسسة الوفاء

الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور

طبع بسطبعة أمير

طبع بإشراف

مؤسسة الوفاء فرع مدينة قم المقدسة

ص ب ٤٢١

الإمام المهدي
عليه السلام
من المهد إلى الظهور

الطَّبْعَة الأُولى

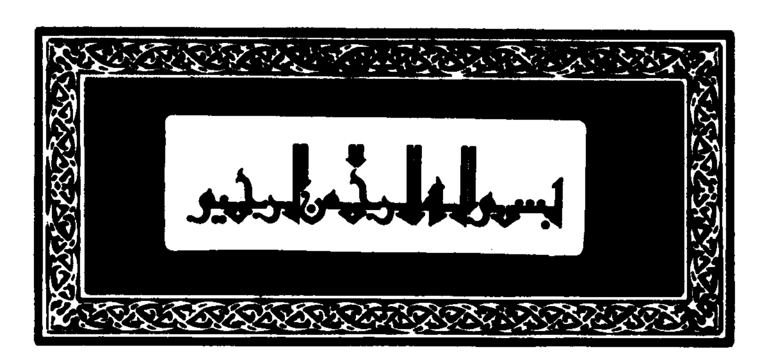
١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

مؤسسة الوفاء

تلفون: ٣٨٦٨٦٨ - ص.ب: ١٤٧٥ - بيروت - لبنان



السيّد محمّد كاظم القزويني


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة النَّاشِر

مُـلأت الأرض فساداً وظلماً ، وضـاقت البشريـة ذرعاً بهـما ، وباتت تنتظر ذلك المصلح بفارغ الصبر ، وتـدعو الله سبحـانه وتعـالى كي يعجّل بـظهوره ليـزرع في كل ركن وزاويـة شجرة قسط وعـدل ذات افانـين حبلى بثمار دانية القطاف ، تسر الناظرين ، ولا اعذب او الذ منها تذوقاً .

ذلك المصلح لا خلاف بين سائر الفرق والـطوائف على مبـدأ وجوده وظهوره في يوماً ما ، بل الخلاف بارز في تحديد شخصيته ونسبـه ، وبالتـالي مكان وجوده .

لكننـا تلقينا من نبينـا محمد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) والائمـة (عليهم السـلام) بشائـر حـوتهـا جملة من الاحـاديث والـروايـات الـواردة عنهم ، حددت لنا شخصية وهوية ذلك المصلح بالامام الثـاني عشر الحجـة بن الحسن العسكـري (عجل الله تعـالى فرجـه الشريف) كـما حددت لنـا كيفية ظهوره والعـلامات الـدالة عليـه ، اضافـة الى انها رسمت لنا صـورة جلية عن مرحلة ما بعد الظهور وعلائمها ومميزاتها .

وهم عليهم السـلام بهذه البشـائر مهـدوا السبيل لعلمـائنـا الاجـلاء ليبحثوا هذا الموضوع بشكل مفصل ووافٍ ، وباساليب متنوعة ، فتركوا لنـا مؤلفـات كثيرة اثبتت لنـا وجود الامـام المهدي (عجـل الله تعالى فـرجـه)

علمياً وفلسفياً ومنطقياً ، وردت على الناكرين لهذا الامر بالحجج الوافية .

ومن هذه المؤلفات الكتاب القيم الذي بين يديك لمؤلفه العلامة الحجة السيد محمد كاظم القزويني الذي يمتاز بشموليته وبحثه المفصل لحياة الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ابتداءاً بولادته وحتىٰ ظهوره ، اضافة الى بحثه لمرحلة ما بعد الظهور مسلطاً الضوء على مميزاتها وخصائصها وحياة الانسان فيها ، فنأمل ان تجدوا فيه المنفعة والاستفادة ونسأله جل وعلا ان يمدد علينا وافر خيراته وبركاته ويأخذ بايدينا لما يحب ويرضى انه ولي المؤمنين .

٣/ جماد الاول / ١٤٠٥
٢٤ / كانون الثاني/ ١٩٨٥

مؤسسة الوفاء
بيروت ـ لبنان

الإهـداء

سيدنا ومولانا أيها الإمام المهدي المنتظر .

سـلام الله عليك وعـلى آبائـك الـطاهـرين أئمـة الهـدى ومصـابيـح الدجى

هذه وريقات تشرَّفت بالتحدّث عنكم ، وهي منكم واليكم

أضَعُها بين يديك فأنت أحقّ بها وأهلها

ويا حبّذا لو حظيت هذه الصفحات بالقبول

عسى الله أن ينفعني بها يوم لا ينفع مال ولا بنون

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على محمد رسول الله ، وعلى آله المصطفين الأخيار .

وبعد : لقد شاء الله تعالى أن أفتح عيني في بيت يتجلّى فيه الدين والعلم والتقوى ، ومنذ نعومة أظفاري كنت أعيش في جوٍّ ملطَّف بالصلاح والإعتدال ، حتى شعرت بالإندماج والإنسجام مع المعتقدات الصحيحة التي صارت عندي كالقضايا البديهية التي لا تقبل الشك ، ولا تحتاج الى كثير من الأدلة والبراهين ، وذلك لِوُضوحها .

ومِن جملة تلك المعتقدات التي تلقَّيتها فصارت جزءاً مِنِّي هو الإعتقاد بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) .

كنت أقرأ الكتب التي تتحدَّث عن هذا الإمام ، وأستمع الى المواضيع والمحاضرات التي تدور حول هذه الشخصية فيزداد قلبي تَعلّقاً بهذا الإمام ، وأزداد وَلَعاً وشوقاً الى المزيد من هذه المواضيع .

وحينما كنت أقرأ عن الشخصيات العلمية والدينية التي ساعدها الحظ والتوفيق ففازت بلقاء هذا الإمام العظيم ، كنت أُدرك أنَّ باب الأمل والرجاء مفتوح ، وأنَّ اللقاء بالإمام المهدي (عليه السلام) ممكن وليس مستحيلاً .

وكان هذا الموضوع قد شَغَـلَ قلبي وأطال فكري ، وذلـك لما يتمتّـع به مِن أهمية عظمى .

فـالإمـام المهـدي (عليـه السـلام) الـذي سمعتُ وقـرأتُ عنـه ، شخصية لا تُقاس بها شخصيات عالَم اليوم من ملوك ورؤساء وغيرهم .

فهو أقرب الكائنات الى الله تعالى وأكرمهم عنده .

إنه أفضل أهل زمانه ، قد منحه الله قدرة الإتصـال بالعـالَم الأعلى ، والإحاطة بالكون ، قد إدّخره ليـوم عظيم ، ليقـوم بأعـظم حَمْلة تطْهـير في سبيل إصلاح المجتمع البشَري ، على جميع أنحاء الكرة الأرضية .

ويـرفع رايـة السِلْم والسلام ، والأمن والأمـان ، على كـل بقعـة من بقـاع الأرض ، الى غير ذلـك من الأُمـور التي ستَعـرف بعضهـا من خـلال هذا الكتاب .

وهكـذا مـرّت الأيـام والأعـوام ، وإذا بي أقـرأ في بعض الكتب ـ القديمة منهـا والحديثة ـ ، أنـواعاً من التهجُّم عـلى هذه العقيـدة ومحاولـة تزييفها وتفنيدها على حدِّ زعمهم .

ففي الوقت الذي كنت أستاء من تلك التهريجات القاسيـة ضدّ هـذا الإعتقـاد ، كنت أتعجَّب مِن أُولئـك المهـاجـين والمهـرِّجـين ، وأستغـرب الدوافع التي دفعتهم الى تكذيب هذه الحقيقة الثابتة عند جميع المسلمين .

فإذا كان الشيعة يعتقدون بالإمام المهـدي (عليه السـلام) حسب ما ورد في تفـاسيرهم وأحـاديثهم المعتبرة المتـواترة ، فـإنّ كُتُب أهل السُنّـة قد

تطرّقت الى هذه الحقيقة أكثر وأكثر مِن كُتُب الشيعة ، بل إنَّ عدداً مِن علماء السُنَّة القُدامىٰ ألَّفوا كُتُباً حول الإمام المهدي (عليه السلام) ومَلَؤُها بالأحاديث الصحيحة الواردة في صحاحهم بأسانيد معتبرة لديهم .

وإليك بعض تلك المصادر والمدارك الموثوقة التي صرّحت بهذه الحقيقة الثابتة عند الأُمة الإسلامية ، نذكرها ولا ندّعي أننا إستوعبنا جميع المصادر .

اسم المؤلف	اسم الكتاب
١ ـ الشيخ ابراهيم الذهبي الجُويني الشافعي	فرائد السمطين
٢ ـ الشيخ سليمان القندوزي الحَنَفي	ينابيع المودَّة
٣ ـ موفق بن أحمد الخوارزمي الحَنَفي	مقتل الحسين ، والمناقب
٤ ـ إبن حَجَر الهيثمي الشافعي	الصواعق المحرقة
٥ ـ الشبلنجي الشافعي	نور الأبصار
٦ ـ إبن الصبّاغ المالكي	الفصول المهمة
٧ ـ الحافظ ابو نعيم الاصفهاني	الأربعين
٨ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني	المعجم الكبير
٩ ـ الكنجي الشافعي	البيان في أخبار صاحب الزمان
١٠ ـ محمد بن عيسى الترمذي	السُنن
١١ ـ الشيخ عبد الله الأمر تسري الحنفي	أرجح المطالب
١٢ ـ جلال الدين السيوطي الشافعي	العرف الوردي في أخبار المهدي و (علامات المهدي) و (الجامع الصغير)

١٣ ـ البغوي الشافعي	مصابيح السنة
١٤ ـ الحاكم النيسابوري	مستدرك الصحيحين
١٥ ـ شيرويه الديلمي	الفردوس
١٦ ـ علي المتقي الحنفي في (البرهـان في علامـات مهديٍّ آخـر الزمـان) و (كنز العمّال)	
١٧ ـ أحمد بن حنبل	في مسنده
١٨ ـ الحافظ ابن ماجة القزويني	في سننه
١٩ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي	دلائل النبوة
٢٠ ـ أبو اسحاق الثعلبي	في تفسيره
٢١ ـ الدارقطني	في سننه وكتاب مسند فاطمة الزهراء
٢٢ ـ محب الدين الطبري الشافعي	ذخائر العقبى
٢٣ ـ الهيثمي الشافعي	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
٢٤ ـ الحميدي	الجمع بين الصحاح الستة
٢٥ ـ أبو داود السجستاني	السُنن
٢٦ ـ نُعيم بن حمّاد ، أُستاذ البخاري	الفِتن والملاحِم
٢٧ ـ إبن الصبان الحَنَفي	اسعاف الراغبين
٢٨ ـ إبن خلدون	في مقدمته
٢٩ ـ الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد
٣٠ ـ أبو المظفر السمعاني	فضائل الصحابة
٣١ ـ المناوي المصري	كنوز الحقائق
٣٢ ـ السمهودي الشافعي	جواهر العقدين
٣٣ ـ ابن قتيبة الدينوري	غريب الحديث

٣٤ ـ محي الدين إبن العربي	الفتوحات المكية
٣٥ ـ ابن عبد البر	الإستيعاب
٣٦ ـ الكسائي	المبتدأ
٣٧ ـ البخاري	في صحيحه
٣٨ ـ يوسف بن يحيى الشافعي	عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر
٣٩ ـ ابن حجر الهيثمي الشافعي	القول المختصر في علامات المهدي المنتظر
٤٠ ـ سبط ابن الجوزي	تذكرة الخواص
٤١ ـ ابن خلّكان	وفيات الأعيان
٤٢ ـ ابن طولون الدمشقي	الأئمة الاثني عشر
٤٣ ـ محمد بن طلحة الحلبي الشافعي	مطالب السؤول
٤٤ ـ عبد الله بن محمد الشبراوي الشافعي	الإتحاف بحب الأشراف
٤٥ ـ عبد الوهاب الشعراني	اليواقيت والجواهر ، والطبقات الكبرى
٤٦ ـ ابن المغازلي	المناقب
٤٧ ـ ابن أبي الحديد	شرح نهج البلاغة
٤٨ ـ القُرْطُبي الانذَلُسي الحَنْبَلي	التَذْكرة
٤٩ ـ ابن الأثير	الكامل
٥٠ ـ ابن حجر العسقلاني	الإصابة

هـذه بعض المصادر والمـدارك أو الـوثـائق التـاريخيّـة التي كَتب فيهـا المحدِّثون من علماء السنة حول الإمام المهدي (عليه السلام) .

أما تكفي هذه المصادر أيها المَتَطرِّفون ؟! .

وهل هؤلاء العلماء والمحدِّثون كذّابون عندكم ؟! .

وهل هذا الجمّ الغفير والجمع الكثير غير موثوقين لدَيكم ؟! .

فما هي ـ إذَنْ ـ المصادر الموثوقة عندكم ؟ وعلى مَنْ تعتمدون ؟ وممن تأخذون ؟! .

فإذا كانت هذه الحقيقة ثابتة فكيف كان طريق ثبوتها ؟! .

فهل تتوقَّعون أنْ ينزل جبرئيل على كل فردٍ فردٍ منكم ليقول له : إنَّ الإمام المهدي حق ؟! .

أو تنتظرون الوحي ينزل عليكم مِن رب السماء حول الإمام المهدي ؟! .

أليس هذا هو الجُحُود ؟ لماذا تُحاربون الحق وتقتلونه ؟ إلى مَنْ تَتقرَّبون بهذا العمل ؟! .

وهل يجتمع الإيمان بالله مع تكذيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟! .

وهل لكم عذر عند الله يوم يسألكم عمّا قلتم وكتبتم ؟! .

ولماذا هذا التَهريج والتَشْنيع ضدّ هذه الحقيقة ،وضدّ مَن يَعتقد بها ؟!

ولماذا الإلحاح والإصرار على إنكار هذا الموضوع ؟! .

هل لأنَّه ينافي العقل أو القرآن أو الشرع أو الفطرة ؟! .

كلّا ، كل ذلك لم يكن ، بل العقل والشرع والفِطْرة تُساعد على

ذلك كما ستعرف ذلك من خلال هذا الكتاب ؟! .

إنني أعتقد أنَّ السبب الرئيسي لهذا الإنكار المستمر ، وجميع المناقشات حول عُمْرِ الإمام المهدي وغيبته ، وجميع التشكيكات في الاحاديث التي تتحدَّث عن الإمام المهدي وظهوره ، سبب هذه الأمور كلّها هو شيء واحد وهو :

أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) ـ الذي بشَّرَ به القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة ـ هو عَلَويُّ النَسَب ، وهو مِنْ أئمة الشيعة . . لا غير .

فلو كان الإمام المهدي أموي النَزْعَة أو أموي النَسَب لما كان هذا التَهْريج والتشكيك والمناقشات تدور حوله .

وكم تَشْبه هذه التهريجاتُ ضد الإمام المهدي التهريجات التي يقوم بها اليهود والنصارى ضدّ نبيِّنا محمد (صلى الله عليه وآله) مع العلم أنَّ الكتب المقدَّسة عندهم بشَّرت بظهور نبيِّنا (صلى الله عليه وآله) وذَكَرَتْ علائمه وعلائم بِعْثَته ونبوَّته .

نعم ، ما أشبهَ الليلة بالبارحة .

ومنذ مدة طويلة كنتُ أجد عدداً كثيراً مِن الناس (شِيباً وشُبّاناً) يَتساءلون عن الإمام المهدي ، ويناقشون حول الموضوع تثبيتاً لعقائدهم ، وتَسلُّحاً لصدِّ هجمات المستهزئين المتطرّفين ، فكنتُ أجعل بعض تلك الكتب (التي تتحدَّث عن الإمام المهدي) تحت تصرّفهم ، فكانوا يتزوَّدون منها ، ويُروون غَليلَهم بها .

وهنا أرى لزاماً عليَّ أنْ أبوح بما في صدري مِن الوجد والألم ، وأبثّ آلامي مِن هذه المأساة التي طالما كنت ولا أزال أشعر بها .

وقد حانَ الوقت ، وجاءت الفرصة لأشكو بَثّي وحُزْني الى مَن يشاركني في العقيدة والمبدأ ، ولَعَلّي أكون معذوراً غير مَلوم إذا قَسَوتُ في البيان ، وأسرفتُ في التعبير وقلت : إنَّ موقف الكثيرين مِنْ علماء الشيعة ومِنْ حَمَلَة الأقلام ومُفكّريهم موقف غير مشرِّف تجاه هذا الواجب العقائدي ، وهو التحدُّث عن الإمام المهدي (عليه السلام) ، وتأليف الكتب المناسبة لهذه الشخصية ، الملائمة لهذا الموضوع الأسمىٰ .

فإنَّ المؤلفات التي تُدوَّن حول شخصية الإمام المهدي (بصورة مستقلة) وتنزل الى المطابع ومنها الى الأسواق هي أقل مِنْ ١/١٠٠،٠٠٠ بالنسبة الى الكتب المطبوعة .

أُنظر الى الكتب والمؤلَّفات التي تنزل الى الأسواق في كل أسبوع حتى الكتب الدينيَّة منها ، فإنَّ نسبة الكتب التي تتحدثّ عن الإمام المهدي ضئيلة جدّاً .

وإن كنتَ لا تصدِّق هذا فَخُذْ القَلمَ بيدك واكتب أسماء الكتب العربية التي قد أُلِّفتْ حول الإمام المهدي وطُبعَتْ خلال هذا القَرْن فإنَّك لا تجد عدد تلك الكتب يتجاوز مائة كتاب .

ولا بأس أنْ تَقيس هذا العدد الى الآلاف المؤلَّفة مِن الكتب التي صدرت وتصدر الى الأسواق في شتّى المواضيع حتى تعرف مدى تقصيرنا تجاه هذا الواجب الديني .

مع العلم أنَّ التأليف حول الإمام المهدي (عليه السلام) اولى وأوجب من التأليف حول بقية الأئمة (عليهم السلام) لأن الناس كلهم ـ على إختلاف أدْيانهم ومَذاهبهم ـ متَّفِقون على أُولئك الأئمة وعلى انَّهم قد وُلِدوا وعاشوا وماتوا .

فمثلاً : المسلمون واليهود والنصارى وكل مَنْ قرأ تاريخ العرب أو تاريخ الإسلام قد إطَّلع على حياة رجل إسمه : (علي بن أبي طالب) .

إلّا أنَّ هناك مَن يعتقد بأنه الخليفة الأول للرسول (صلى الله عليه وآله)وهم الشيعة. وبعض المسلمين يَعتبره الخليفة الرابع وهم أهل السُنَّة .

وبعض الناس يَعتقد به إلهاً مِن دون الله وهم الغُلاة الهالكون[١] .

وبعض الطوائف لهم نَظْرة شاذَّة في حق الإمام وهم الخوارج الضالّون[٢] .

فالمقصود أنَّه لا يوجد في العالَم مَنْ يُنكر الإمام علي بن أبي طالب تاريخياً ، أو يقول عنه : إنَّه خُرافَة أو : إنَّه لم يُولَد بَعْدُ أو : لم يكن في التاريخ رجل إسمه علي بن أبي طالب .

ونفس هذا الكلام يأتي بالنسبة الى سائر أئمة أهل البيت (عليهم

---

(١) ـ (٢) قد ثبت في الصحيح قول علي (عليه السلام) : « هلك فيَّ اثنان : محبٌّ غالٍ وعدوٌّ قال » .

السلام) مع إختلاف آراء الناس ومعتقداتهم في أُولئك الأئمة .

ولكن الإمام المهدي (عليه السلام) تختلف حياته وترجمته عن بقية الأئمة من حيث الخصوصيات المحيطة بِحياته ، فترى بعض المسلمين الشُّواذ يعتبره خُرافة ، وأنَّه لا وجود له ، مُتحدِّياً بذلك العَشرات بل المئات مِن الأحاديث المدوَّنة في كتب الحديث والتفسير . أو يقول عنه : إنَّه لم يولد بعد ، أو : إنَّه كيف يعيش هذه القرون ؟ ولماذا غاب ؟ ومتى يَظهر ؟ الى غير ذلك مِنْ أنواع الأسئلة والتَشْكيكات التي يُثيرونَها حول شخصية الإمام المهدي (عليه السلام) .

ولنفرض ـ جَدَلاً ـ أنَّ الكتب التي قد أُلِّفت حول الإمام المهدي في هذا القَرْن قد بَلَغت أو تجاوزت مائة كتاب ، فكم نسخة طبعت مِنْ كل كتاب ؟! .

مع الأسف إنَّ الكتاب الواحد لا يُطبَع منه ـ على الأكثر ـ سوى ألف نسخة أو ألفين ، فكيف يملأ هذا العدد الفراغَ الموجود عند المسلمين ؟! ويسدّ الحاجة الماسَّة إلى أمثال هذه الكتب العقائديَّة ؟! .

ومما يَحُزُّ في الصَدْر أنَّ الأموال التي جعلها الله تعالى مِن سهم الإمام المهدي (عليه السلام) المستخلصة مِن أخماس الأرباح ، هي مِلك للإمام وحقّه الشرعي ، وهي موجودة في أيدي الأثرياء ، تتجاوز مئات الملايين من الدنانير .

أمَا يستحق صاحبُ هـذه الأموال أنْ يُكتَب عنـه في كل سَنـةٍ كتاب واحد على أقلِّ التقاديـر ، مِن مالـه الشخصي ، ويُتَرجَم الى اللغـات الحيَّة الـدارجـة في البـلاد الإسـلاميـة كي يعـرفـه المسلمـون ويـطّلع عليـه المؤمنون ؟!.

أمَا يستحق الإمامُ المهـدي أنْ يـوجِّـه العلماء قلوبَ النـاس إليـه ؟! ويُكوِّنوا العلاقات الوُدِّية المفروضة بين الناس وبين إمامهم المهدي ؟!.

إنَّ الإحصـائيات تـدل على أنَّ نفـوس العرب حـوالي مائـة وخمسين مليـون ، وأنَّ عدد المسلمين حوالي ثمـانمائـة مليون ، ومعنى ذلـك أنَّ مِن كل ربع مليون مسلم عربي لا يصل اليه كتاب واحد .

ويا ليت تلك الكتب ـ مع قلَّة عددها ـ كـانت تنتشر بـين القرّاء كي تكـثر الفائـدة ويَعمّ النفع ، ولكن المشكلة أنَّ أفـراداً يقتنـونها في مكتبـاتهم الخاصة وهم في غنى عنـها ، كأنّ هوايتهم جَمْع الكتب وحَبْسها فقط !!

إحفظ هـذه الأرقـام الضئيلة ثم أنـظُر الى الصحف والمجـلّات التي تنتشـر يوميـاً وأُسبوعيـاً وشهريـاً بأعـداد تتجـاوز عشـرات الآلاف . . بـل عشرات الملايين .

إنّي أعـرفُ بعضَ المجلات الأُسبـوعيَّـة في بعض البـلاد الإسـلاميـة تنتشر منها في كـل اسبوع ٣٠٠,٠٠٠ نسخـة ، ومجلة (لايـف) تنتشر منهـا في كـل أُسبـوع ٨,٠٠٠,٠٠٠ نسخـة ، ومجلة (المختـار مـن ريـدرز دايجست) تنتشـر منها في كـل شهر ستـة وثلاثـون مليـون نسخـة بـإحـدى عشرة لغة .

وفي طوكيو تنتشر ثلاث جرائد يومية في إثني عشر مليون نسخة .

نعم !! الناس هكذا يكتبون ، وهكذا يَطبعون ، وهكذا يَنشرون ، مع العلم أنَّ قيمة الجريدة الواحدة متعلّقة بتاريخ يومٍ صدورها ، فالجريدة الصادرة اليوم قيمتها دراهم معدودة ، ولكن غداً وبعد غد لا قيمة لهذه الجريدة ، بل تلفُّ فيها البضائع ثم تُطرَح في سَلَّةِ القمامة ، وليست الكتب هكذا ، بل الكتاب له قيمة علمية ثقافية لا تزول ، وقد تبلغ قيمة الكتاب الواحد آلاف الدنانير .

هذا . . والكلام طويل ، والقصة مفصَّلة ، وما الفائدة مِن سَرْدِ هذه القضايا المؤلمة سوى تسجيل مسؤولياتنا على هذه الصفحات ، ولعل الله تعالى يشحذ عزائم ذوي الهِمَمِ العالية والنفوس الغَيورة فيتداركوا هذه الخسائر العلميَّة والفكريَّة .

وقد قمتُ بتأليف هذا الكتاب المتواضع ، وضمَّنْتُه بعضَ المواضيع المتعلّقة بالإمام المهدي (عليه السلام) معترفاً بالعَجز والقصور تجاه هذا العبأ الثقيل ، وأحببتُ أنْ أكون ضِمن الذين كتبوا عن هذا الإمام العظيم قربة الى الله تعالى، وأداءاً لأقل الواجب الإسلامي الديني ، وخِدمة للعقيدة الإسلامية ، ولعل الله تعالى ينفع بهذه الأوراق مَن إلتَبَست عليه الأُمور ، وخَفيت عنه الحقائق ، والله مِن وراء القصد ، وهو الهادي الى الصراط المستقيم .

محمد كاظم القزويني الموسوي

١٢ صَفَر ١٣٩٧ هـ

المَدْخَل

التحدّث عن الإمام المهدي (عليه السلام) في هذا الكتاب يشتمل على المواضيع الآتية :

١ ـ مَنْ هو الإمام المهدي ؟ .

٢ ـ إسمه ونَسَبُه .

٣ ـ البشائر في القرآن بالإمام المهدي .

٤ ـ البشائر في السُنَّة النبوية .

٥ ـ البشائر في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

٦ ـ هل وُلِد الإمام المهدي ؟

٧ ـ كيفَ غابَ عن الأبصار ؟

٨ ـ الغَيْبَةُ الصُغْرى .

٩ ـ النُوّاب الأربعة .

١٠ ـ مَن الذي رآه في الغيبة الصغرى ؟

١١ ـ الغيبة الكبرى .

١٢ ـ مَن الذي رآه في الغيبة الكبرى ؟

١٣ ـ كيفَ عاش الى هذا اليوم ؟

١٤ ـ متى يَظْهَر ؟

١٥ ـ أوصاف الإمام المهدي وعلائمه .

١٦ ـ علائم ظهوره .

١٧ ـ الذين إدَّعَوا المهدَوِيَّة كذْباً وزوراً .

١٨ ـ كيفَ يَظهر ومِنْ أين يَبدأ ؟؟

١٩ ـ كيفَ يَحكم إذا ظَهَر ؟

٢٠ ـ كيفَ تَخَضَع له الدول والحكومات ؟ .

٢١ ـ حياة المجتمع في عصره .

٢٢ ـ كم سَنة يَحكم ؟

٢٣ ـ كيفَ تَنْتَهي حياته ؟ .

٢٤ ـ ثم ماذا يكون بعده ؟ .

وهناك بحوث أُخرى تَندمج ضِمن هذه المواضيع .

الفصل الأول

مَنْ هُوَ الإمامُ المَهْدِيّ «عليه السلام» ؟

إنَّ التحدُّث عن الإمام المهدي (عليه السلام) يكون تحدّثاً عن موضوع ديني عقائدي له غاية الأهمية ، وله الصِلة الكاملة بالإسلام والمسلمين .

إنَّ شخصية الإمام المهدي تُعتَبر حقيقة إسلامية ، ومسألة مِن أهمِّ المسائل الدينية ، وتُعتَبر مِن صميم الدين الحنيف .

وليست أُسطورة كَتَبها الشيعة تسليةً لأنفسهم المُضْطَهَدة ، وتَرويحاً عن قلوبهم المجروحة مِنْ جرّاء المصائب التي إنصبَّت عليهم طيلة قرون طويلة ، كما زَعَمَها بعضُ الكُتّاب المنحرِفين .

وليست نَظَرية أو فِكْرة إختمرتْ في بعض الأذهان تخفيفاً أو تخديراً للآلام التي كانت الشيعة تَشعر بها مِن سوء تَصرُّفات الحاكمين ، كما ذَكَرَها بعض المتفلسفين .

وليست خرافة إختلقها القصّاصون وأَلْصَقوها بالإسلام ، كما تصوَّرها بعضُ الجُهّال ممَّن يدَّعي العلم والثقافة .

وليست مَهزلة تاريخية كي يستهزيء بها المعاندون المستهترون .

بل إنها حقيقة إسلامية واقعية ، تليق بالإهتمام ، وتَجدر بالدراسة والوعي ، وتستحق كل تقدير وإنتباه .

إنها إمتداد للإسلام والقرآن ، إنها مسألة جوهَريَّة مهمَّة بشَّر بها القرآن الكريم ، وتحدَّث عنها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في مَواطن كثيرة ومناسبات عديدة ، وبَشَّر بها أئمة المسلمين (عليهم السلام) شيعتَهم ، بل بشَّروا بها الأُمَّة الإسلامية جمعاء .

وكتب عنها العلماء والمحدِّثون والمفسِّرون والمؤرِّخون على مَرِّ القرون ، وألَّفوا الكتب المفصَّلة حول الموضوع بالذات .

إذن ، فالموضوع إستراتيجي جدّاً ، فريد مِن نوعه ، وحيد في ذاته ، يَمتاز بمزايا كثيرة خاصة ، كَثُرَ حولَه النِقاش ، وتَضارَبَتْ في رِحابه الآراء ، وطاشَت الأقلام ، وطَغَتْ عليه الأقوال ، فآمَنَ به قوم ، وتَحيَّر قوم ، وسَكت آخرون ، وسَخِرتْ طائفة مِن طائفة ، كلُّ ذلك حول شخصية الإمام المهدي (عليه السلام) .

فالإمام المهدي ليس مِن الذين قد أكَلَ الدَهرُ عليهم وشَرِب وصار نسياً مَنسيّاً ، بل هو نداء الملايين ، ومَهْوى أفئدة الأجيال ، ومَحطُّ أنْظار الأُمَم ، ومَعْقد آمال الشعوب .

الإمام المهدي إنسان ولِدَ قبل الف ومائة واثنتين وأربعين سنة بالضبط الى حين تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٩٧ هـ .

ولا يزال حيا ، ويعيش الى الآن على وجه الأرض ، يأكل ويشرب ، ويَعبد الله وينتظر الأمر له بالخروج والظهور .

غائب عن الأبصار ، وقد يَراه الناس ولا يَعرفونه ، وهو لا يُعرِّف نفسَه ، ويَحضر في كل مكان أراد .

وله إشراف على العالَم ، وإحاطة بالعباد والبلاد .

يَعلم ـ بإذن الله ـ كلَّ ما يَجري في العالَم .

وسيظهر في يومٍ معلومٍ عند الله ـ مجهول عندنا ـ .

وتَحدثُ علائم حتميَّة قبل ظهوره .

إذا ظهر يحكم على الكرة الأرضية جميعها .

ويَنزل عيسى بن مريم (عليه السلام) مِن السماء ويُصلّي خَلْفَه .

تَخضع له جميع الدول والشعوب في العالَم .

وتَنقاد له كافةُ الأديان والمِلَل .

يأتي بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هذه بعض رؤوس الأقلام مما يتعلَّق بشخصية الإمام المهدي ، وهي بمنزلة الفهرست لهذا الكتاب .

الفصل الثاني

إسْمُهُ وَنَسَبُهُ

هو الإمام محمد المهدي المنتظر .

إبن الإمام الحسن العَسْكري .

إبن الإمام علي الهادي .

إبن الإمام محمد الجواد .

إبن الإمام علي الرضا .

إبن الإمام موسى الكاظم .

إبن الإمام جعفر الصادق .

إبن الإمام محمد الباقر .

إبن الإمام علي زين العابدين .

إبن الإمام الحسين الشهيد .

إبن الإمام علي بن أبي طالب .

وإبن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين .

وما أجملَ قولَ الفرزدق الشاعر حيث يقول :

أُولئكَ آبائي فَجِئْني بِمِثْلِهم إذا جمعَتْنا يا جَرير المجامِعُ

هذا نَسَبه الشريف الأرفع ، كما صرَّحت بذلك أحاديث متواترة ، ستطَّلع عليها إنْ شاء الله .

وأمّا أُمُّه فهي السيدة الجليلة السعيدة المعظَّمة المكرَّمة المسمّاة بـ (نَرجس) أو صقيل أو ريحانَة أو سَوْسَن .

وإختلاف أسمائها أو تعدُّدها لا يقتضي تعدُّد المسمّى أو الإختلاف في المسمّى . فقد كانت للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أسماء عديدة لمناسبات او أسباب . وقد ذكرنا شيئاً منها في كتاب (فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد) .

وسنذكر في المستقبل بعض ما يتعلق بالسيدة نرجس بالمناسبة إنْ شاء الله .

التحريف في بعض الاحاديث :

إن كل من يراجع الأحاديث التي تتحدث عن نَسَب الإمام المهدي (عليه السلام) يجد ـ بكل وضوح ـ أن الإمام المهدي هو إبن الإمام الحسن العسكري (عليهما السلام) بلا أي شك ورَيب .

ولكنَّك تجد ـ في بعض كتب اهل السُنَّة ـ حديثاً إمتدّت إليه يد التحريف والتزوير فأضافت اليه كلمة اجنبية ، محاولةً لتشويه الحديث وصَرْفِه عن الإمام المهدي (عليه السلام) وبذلك سَقَط هذا الحديث عن أصالته وقيمته الواقعية .

هذا . . بالاضافة إلى أن الحديث ـ مع الزيادة الموجودة فيه ـ

ضعيف من حيث السَنَد ومن حيث المَتْن ، ولا اعتبار به عند المحقِّقين والعلماء ، والعجيب ان بعض الشواذ تركوا مئات الأحاديث الصحيحة ، وتمسّكوا بهذا الحديث السقيم ، تجاوباً مع ميولهم ونفوسهم المريضة ! .

والحديث هو : عن أبي داود ، عن زائدة ، عن عاصم عن زُر ، عن عبد الله ، عن النبي (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) انه قال : لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد ، لَطوَّل الله ذلك اليوم ، حتى يبعث الله رجلاً منّي ـ أو : من اهل بيتي ـ يُواطيء إسمه اسمي [وإسم أبيه إسم أبي] يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلئت ظلماً وجوراً » .

هذا الحديث ـ مع الزيادة الموجودة فيه ـ يختلف عن بقية الاحاديث الواردة حول الإمام المهدي (عليه السلام) من حيث السَنَد ومن حيث المَتْن :

أمّا السَنَد : فالحديث يُروىٰ عن (زائدة) ، وقد ذكر علماء الدراية في عِلْم الرجال ـ في ترجمة (زائدة) ـ : أنه كان يزيد في الاحاديث .

وأمّا المتْن : فقد رُوي هذا الحديث عن (زر) بطُرق عديدة وكثيرة ، وليس فيه : [واسم ابيه اسم أبي] مما يدل على أن هذه الزيادة جاءت من تصرّفات الراوي الذي اسمه (زائدة) [1] .

---

(١) ذكر الحافظ الكنجي الشافعي في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) ما لفظه : الأحاديث الواردة عن النبي (صلّى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) جميعها خالية من جُملة « واسم ابيه اسم ابي » ـ ثم ذَكَر الحديث المروي عن زائدة وقال ـ بعد ذِكر الحديث ـ ما نَصُّه : قلت : وقد ذكر الترمذي الحديث ، ولم يذكر قوله « واسم ابيه اسم أبي » . . . وفي معظم

ثم إن جميع الاحاديث المرويّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الإمام المهدي (عليه السلام) ليس فيها كلمة « واسم ابيه اسم ابي » وخاصة بعد اجماع المسلمين على أن الإمام المهدي هو ابن الإمام العسكري (عليهما السلام) .

إذن : فالحديث المروي عن (زائدة) ساقط عن الاعتبار ، مرفوض عند العلماء ، لمخالفته سائر الأحاديث الصحيحة ، ولأن (زائدة) رجلٌ مُتَّهم بالتلاعب بالأحاديث التي يرويها .

أمّا سبب التلاعب بهذا الحديث فهو أن سَماسرة الأحاديث كانوا يختلقون الاحاديث وينسبونها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تقرُّباً إلى السلطات ، وطمعاً في الأموال ، وتقوية للباطل . فإن اختلاق الأحاديث المزوَّرة كان في بعض الأزمنة مِهنةً وتجارة يعيش مِن ورائها الوضّاعون الكذّابون ، أمثال : أبي هريرة وسمرة بن جندب والمغيرة بن شُعبة ، وزملائهم ونظرائهم ، ومنهم راوي هذا الحديث ، وهو (زائدة) .

والسؤال الآن : ما هو الهدف من إضافة « واسم ابيه اسم ابي » في هذا الحديث ؟

= روايات الحفّاظ والثقاة من نَقَلة الأخبار : « اسمه اسمي » فقط . . . والقول الفصْل في ذلك : أن الإمام احمد ـ بن حنبل ـ مع ضبْطه وإتقانه ، روى الحديث في مُسْنده ، في عدّة مواضع : « اسمه اسمي » . البيان في اخبار صاحب الزمان ص ٩٣ ـ ٩٤ طبع بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .

الجواب : احتمالان :

١ ـ ان يكون تأييداً لأحد الحكام العباسيين ، المسمّى بـ « محمد بن عبد الله المنصور » والملقّب بـ « المهدي » .

٢ ـ ان يكون تأييداً لـ « محمد بن عبد الله بن الحسن » الملقّب بـ « النفس الزكية » والذي ثار ضد العباسيّين[1] ـ كما ذكره العلامة المعاصر الشيخ الصافي في كتابه منتخب الأثر ـ .

ولبعض علمائنا (رحمهم الله) توجيهات في تصحيح الحديث ، وكلها تَكلُّف ، ولا حاجة إليها .

وخلاصة القول : ان حديث (زائدة) ـ الذي يتضمّن كلمة « واسم ابيه اسم ابي » ـ غير صحيح عند علماء الحديث ، وضعيف في غاية الضعف ، وسقيم في منتهى السُقم ، وتوجيه الغَلط غَلَط آخر .

---

(١) لا يخفى ان هذا الشخص الملقّب بالنفس الزكية ، غير الذي يخرج في آخر الزمان ، قبل ظهور الإمام المهدي ، بالرغم من تشابه اللقب .

اسماء الإمام المهدي "عليه السلام"

للإمام المهدي (عليه السلام) اسماء متعددة وردتْ لمناسبات عديدة ، وهذا شأن العظماء ، حيث تتعدد اسماؤهم لتعدد صفاتهم وكثرةِ جوانب عظمتهم ، فمثلاً : تجد تعدد الاسماء لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) في القرآن الكريم والانجيل ، مثل : محمد ، احمد ، طَه ، يٰس ، البَشير ، النذير . وفي الانجيل : فارقليطا ـ باللغة السريانية ـ وبركلوطوس ـ باللغة اليونانية ـ .

كما تجد تعدد الأسماء لبطل الإسلام الخالد الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) مثل : علي ، حيدر ، المرتضى ، و « ايليا » باللغة السريانية . . وغيرها من الأسماء

وكذلك بالنسبة الى سيدة نساء العالَمين (عليها السلام) مثل : فاطمة ، الزهراء ، البتول ، المباركة ، المحدَّثة ، الطاهرة ، الصِدّيقة . . وغيرها .

وبالنسبة إلى الإمام المهدي (عليه السلام) وردتْ احاديث متعددة عن الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) تُعبِّر عنه بـ « المهدي » و « الحجة » و « القائم » و « المُنْتَظَر » و « الخَلَف الصالح » و « صاحب الأمر » و « السيّد » و « الإمام الثاني عشر » وغيرها . . وتُصرِّح بأن اسمه اسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : محمد ، وكُنْيته : ابو القاسم .

وفيما يلي نُشير إلى بعض هذه الأسماء ، مع بعض الأحاديث الواردة فيها :

١ ـ المهدي

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : إسبم المهدي اسمي .

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : اسم المهدي : محمد .[١]

وسُمِّي بالمهدي ، لأن الله تعالى يهديه ويرشده الى الأمور الخفيّة التي لا يطّلع عليها احد، وإليك الحديث التالي :

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : إذا قام مَهْديُّنا اهل البيت ، قَسَّم بالسويّة ، وعَدَل في الرعيَّة ، فمن أطاعه فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصىٰ الله ، وإنما سُمّي المهدي لأنه يُهدىٰ إلى أمْرٍ خفي .[٢]

٢ ـ القائم

يُسمّىٰ بالقائم ، لأنه يقوم بأعظم قيامٍ عَرَفَه التاريخ البشري ، ويقوم بالحق الذي لا يشوبه باطل ابداً ، وهذا مما يمتاز به قيامه (عليه السلام) لأن التاريخ قد سجَّل قيام بعض الأفراد بثورات ونهضات ، ولكن قيامهم ونهضتهم لم تكن على الصراط المستقيم ، إلا أن الإمام المهدي (عليه السلام) يقوم بالحق . . لا غير ، واليك الحديث التالي :

---

(١) كتاب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ، للمتقي الهندي الحَنفي ، الباب الثالث ، حديث ٨ و ٩ .

(٢) كتاب عقد الدُرَر الباب الثالث ص ٤٠ .

عن أبي حمزة الثمالي قال : سألتُ الباقر (صلوات الله عليه) : يا بن رسول الله ألسْتُم كلكم قائمين بالحق ؟

قال : بلىٰ .

قلت : فَلِمَ سُمّي القائم قائماً ؟

قال : لما قُتل جدّي الحسين (صلى الله عليه) ضجَّت الملائكة إلى الله عزَّ وجل بالبكاء والنحيب . . . ـ إلى أن قال : ـ ثم كَشَفَ الله عزّ وجل عن الأئمة مِن وُلد الحسين (عليه السلام) للملائكة ، فَسرَّت الملائكة بذلك ، فإذا احدهم قائم يُصلّي ، فقال عزّ وجل : بذلك القائم أنتقم منهم . اي من قَتَلة الحسين عليه السلام .[1]

وقال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : سُمّي « القائم » لِقيامه بالحق[2] .

٣ ـ المنتظر

يُسمّى بالمنتَظَر ، لأن الناس كانوا ولا يزالون ينتظرون ظهوره وخروجه ، لتطهير الكرة الأرضية من كل ظلم وجور ، وإليك الحديث التالي:

سُئل الإمام محمد الجواد (عليه السلام) : يا بن رسول الله وَلِمَ سُمّي : القائم ؟

قال : لأنه يقوم بعد موتِ ذِكْره ، وارتدادِ اكثر القائلين بامامته .

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥١ ص ٢٨ ـ ٢٩ ، طبع طهران عام ١٣٩٣ هـ ، وعلل الشرائع للشيخ الصدوق .

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠ طبع طهران عام ١٣٩٣ هـ ، والارشاد للشيخ المفيد .

فقيلَ له : ولِمَ سُمّي : المنتظر ؟

قال : لأن له غيبة تكثر أيّامها ، ويطول أَمَدُها ، فينتظر خروجَه المخلصون ، ويُنكرهُ المرتابون . . . الى آخر الحديث[1]

٤ ـ صاحب الامر

يُسمّى بصاحب الأمر ، لأنه الإمام الحق الذي فَرَضَ الله طاعتَه على العباد ، في قوله تعالىٰ : ﴿ **اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم** ﴾[2] حيث صرّحت الأحاديث الصحيحة ان « اولي الأمر » هم أئمة اهل البيت (عليهم السلام) .

٥ ـ الحجة

ويُسمّى بالحجة ، لأنه حجة الله علىٰ العالَمين، وبه يحتجّ الله تعالىٰ على خلقه .

أمّا بقية اسمائه والقابه (عليه السلام) فهي واضحة ، لا تحتاج الى الشرح والتفصيل .

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠ طبع طهران عام ١٣٩٣ هـ ، وإكمال الدين للشيخ الصدوق

(٢) سورة النساء / الآية ٥٩ .

الدّخولُ في صَمِيمِ البَحْثِ

لعلَّ أفضل طريق نسلكه للدخول في صميم البحث عن الإمام المهدي (عليه السلام) هو ذِكْرُ الأحاديث الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الامام المهدي بصورة عامة أو بصورة خاصة ، وبعبارة اخرى : بصورة إجماليَّة أو تفصيليَّة [1] .

أمّا الأحاديث الواردة في كتب الشيعة ومؤلَّفاتهم فلا نذكرها ـ هنا ـ لأنَّ الإعتقاد بالإمامة يُعْتَبَرُ أصْلاً ثابتاً مِن أُصول الدين أو المذهب عند الشيعة الإماميَّة .

وكلُّ مَنْ يَعتقد بالإمامة لا محيص له إلاّ أنْ يعتقد بالإمام المهدي (عليه السلام) لأنَّ الأحاديث التي تَتَطَرَّق الى الإمامة والى عدد الأئمة تُصرِّح بالإمام الثاني عشر وهو الإمام المهدي .

فالإعتقاد بالإمام المهدي لا يَنفكُّ ولا ينفصل عن الإعتقاد بالإمامة بصورة عامة ، وهو جزء لا يَتجزَّأ عن الموضوع .

وأمّا الأحاديث الواردة في كتب أهل السنة حول الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) فهي تختلف مِنْ حيث الإجمال والتفصيل ، فهناك الأحاديث

---

(١) كما إنتهج ذلك كثير من المؤلفين حول الإمام المهدي (عليه السلام) .

التي تكتفي بذِكْر العدد فقط بدون ذِكْر أسماء الأئمة وتعيين أشخاصهم ، وهناك الأحاديث التي تصرِّح بالعدد والأسماء ، وبعض تلك الاحاديث تصرِّح بالإمام المهدي وأنَّه الإمام الثاني عشر مِن أئمة أهلِ البيت (عليهم السلام) . وخلاصة القول : إنَّ تلك الأحاديث يفسِّر بعضُها بعضاً .

ومِن الحقِّ والصواب أنْ أقول : إنَّ تلك الأحاديث قد تجاوزتْ حدَّ التواتر بحيث لا يَبقى ـ هناك ـ مجال ولا موضع للمناقشة .

ولو أردنا سرد جميع تلك الأحاديث لطال بنا الكلام الى حدِّ المَلَل والسَأم بما في ذلك مِن تضييع العُمْر، ولكن لأجل أنْ لا يكون الكتاب خالياً عن هذا البحث نذكر بعض تلك الاحاديث والمصادر ، تسهيلاً للباحث الذي يُفَتِّش عن الحق والحقيقة :

١ ـ أحمد بن حنبل في مسنده : يروي هذا الحديث عن جابر بن سمرة مِن أربع وثلاثين طريقاً ، وهو : عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : يكون لهذه الأمة إثنا عشر خليفة[1] ، ويرويه مسلم في صحيحه[2] .

ويروي البخاري في صحيحه ج ٤ عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : يكون إثنا عشر أميراً ، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي : إنَّه قال : كلُّهم مِن قريش[3] .

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٥ ص ١٠٦ طبع (المطبعة الميمنية) في مصر ١٣١٣ هـ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، طبع (مطبعة بولاق) في تركيا ١٢٩٢ هـ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الاحكام طبع المطبعة الخيرية في مصر سنة ١٣٢٠ هـ . ورواه =

ويرويه الترمذي في صحيحه[1] ، وتجد الحديث في :

المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ٢٥٠١ طبع الهند ١٣٢٤ هـ .

تيسير الوصول الى جامع الأُصول ج ٢

منتخب كنز العمّال

تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٥٣ .

تاريخ الخلفاء ص ٧

ينابيع المودَّة ص ٤٤٤ .

ويُرْوىٰ هذا الحديث عن الإمام الحسن وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وواثلة بن الأسقع وأبي قتادة وغيرهم .

إنك تجد هذه الأحاديث تُصرِّح بالأئمة الاثني عشر وأنَّهم مِن قريش ـ بصورة مجملة ـ وتأتي طائفة أُخرى مِن الأحاديث تَضَع النقاط على الحروف كما يلي :

١ ـ أخرج الجُوَيني في فرائد السمطين قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنا سيد النبيّين ، وعلي بن أبي طالب سيد الوصيّين ، وإنَّ أوصيائي بعدي إثنا عشر ، أوَّلُهم علي بن أبي طالب وآخرهم

= أيضاً احمد بن حنبل في مسنده ج٥ ص ٩٠ ـ ٩٢ طبع مصر ١٣١٣ هـ .

(١) صحيح الترمذي ج٢ ص ٣٥ ، طبع (مطبعة بولاق) في تركيا ١٢٩٢ هـ .

المهدي[١] .

٢ ـ أخرج سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنَّ خلفائي وأوصيائي وحُجج الله على الخلق بعدي لإثنا عشر : أوَّلهم عليّ وآخرهم ولدي المهدي ، فينزل روح الله عيسى بن مريم ، فيصلّي خَلفَ المهدي[٢] وتُشرق الأرض بنور ربّها ، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب[٣] .

٣ ـ وروي ـ ايضاً ـ عن ابن عباس قال : قدم يهودي يقال له نعثل فقال : يا محمد أسألك عن أشياء تُلَجْلج في صدري منذ حين . . . الى أنْ قال : فأخبرني عن وصيِّك مَنْ هو ؟ فما مِن نبيٍّ إلاّ وله وصي ، وإنَّ نبينا موسى إبن عمران أوصى الى يوشع بن نون .

فقال : « إنَّ وصيّي علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاى الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة مِنْ صُلْب الحسين » .

قال : يا محمد فَسَمِّهم لي ؟

قال : « إذا مضى الحسين فابنه علي فإذا مضى عليّ فابنه محمد فإذا

(١) فرائد السمطين للجويني الشافعي ج٢ ص ٣١٣ طبع لبنان ١٤٠٠ هـ . ورواه ايضاً القندوزي الحَنَفي في كتابه (ينابيع المودّة ص ٤٤٥).

(٢) هكذا وَجدْنا في المصدر ، ولعلّ هناك كلمات كانت قبل قوله « فينزل عيسى بن مريم » ولكنّها سقطتْ مِن أيدي النُسّاخ .

(٣) ينابيع المودَّة للقندوزي الحنفي ص ٤٤٧ طبع إستانبول ١٣٠٢ هـ .

مضى محمد فابنه جعفر فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي فإذا مضى علي فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه علي ، فإذا مضى علي فإبنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي ، فهؤلاء إثنا عشر . . . » إلى آخر الحديث[١] .

إنَّ الذي فَهِمَه المسلمون المعتدِلون مِن هذه الأحاديث هو أنَّ المقصود بالأئمة الإثني عشر هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لا غيرهم ، كما صرّحت بذلك الأحاديث المتواترة .

ولكنَّ المصابين بِداء العِناد ، والمغتادين بإماتة الحق وإحياء الباطل لا يُعجبهم الخضوع لهذه الحقيقة ، وجَحَدوا بها واستيقَنتها أنفسهم .

فتراهم كالغَريق يَتَشَبَّث بكلِّ حَشِيش ، يُحاولون صَرْفَ هذه الأحاديث عن ظواهرها ، وتَطبيقها على غير أئمة أهل البيت ، وهم يعلمون (عِلْم اليقين) أنَّ هذا العدد (الإثني عشر) لا ينطبق على الأمويين ولا على العباسيين على كل حال ، ولكن التَعَصُّب يَفعل كلَّ شيء ، والمتعصِّب يعمى ويصمّ ، ولا يُهِمُّه الكذب والتزوير ، ولا يُبالي بالغش والدَجَل .

لأنَّ الدين هو الرادع الوحيد للإنسان عن الإنحراف ، فاذا فقد الرادع صار مطلق العنان ومطلق اللسان ، يَفعل ما يشاء ، ويقول ما يريد بلا حياء ولا

---

(١) ينابيع المودَّة ص ٤٤١ طبع تركيا سنة ١٣٠٢ هـ .

خجل ، ولا شعور بالمسؤولية أمام الله وبلا خوف مِن العِقاب .

وإذا أردنا أنْ نزيِّف هذه النظريَّة التائهة ونُبطِل هذا الإدِّعاء المزعوم والإفتراء المكشوف والدَجَل المقصود ، لكان علينا أنْ نُقدِّم قائمة سوداء بأسماء الجُناة والمجرمين مِن حُكّام بَني أُمية وبَني العباس ، مِن قاسِطٍ الى مُلْحِدٍ إلى إباحي سَفّاك الى خمّار الى زنّاء الى سابحٍ في حوض الخَمر الى ممزِّقٍ للقرآن الى ناهٍ عن المعروف الى أسير شَهَواته ونَزَواته وهكذا وهلم جرّا ، ضَعْ يَدَكَ على مَنْ شِئتَ منهم فلا ترى إلاّ فاسِقاً أو فاجراً أو مهتوكاً أو طَليقاً أو دَعيّاً ، إذن لَخرج هذا الكتاب عن موضوعه وتبدَّل الى مَلفّات سوداء مظلمة بحياة الأشرار اعداء الإسلام والإنسانية .

أهؤلاء الأئمة الإثنا عشر الذين أخْبَرَ عنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ .

الف كلاّ ، ومليون حاشا ، حاشا الرسول الأقدس الأطهر أنْ يُمثِّلَه هؤلاء الأرجاس الأقذار ، أو يَخْلُفَه هؤلاء الخَوَنَة المجرمون الفَسَقة الفَجَرة .

إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أجلُّ شأناً وأعظم قَدْراً مِن أنْ يكون هؤلاء خلفاءه .

إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يُمثِّله إلاّ الذين أذْهَب الله عنهم الرجسَ وطَهَّرهم تَطْهيراً ، ولا يَخلفُه إلاّ الطاهِرون المطهَّرون الذين هم

أطهر مِن ماء السماء ، وأشرف مَن على وجه الثرى ، الصالحون الذين حياتهم مشـرقة ومتـلألِأة بكل فضيلة ، ليس لأحدٍ فيهم مَهْمَز ، ولا لقائل فيهم مَغْمَز ، الذين كانوا صورة طبقِ الأصل ، الذين كانوا يمثّلون رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عِلْمه وحِكْمته ووَرَعِه وتَقْواه وزُهْده وعبادَته وبقية صفاته ومكارمه .

الذين كانوا يَسْتَقون مِن منابع علمه ، ويرتَشِفون مِن نمير حكمته ، ويَتّبعونه في هَدْيه وسُلوكه ، وهم أولى الناس به وأقربهم إليه وأعزّهم عليه .

هم عترته الطاهِرة وأهل بيته الأكرمون ، وقد أثنى عليهم القرآن في آيات كثيرة ، وعرَّفَهم الرسولُ في مَواطِن عديدة .

ولكن ما نَصنع بالمصابين بالشذوذ الفِكري ، الذين لا يَعترفون بالمنطق ، ولا يَنفع فيهم الدليل ، ولا يَقبلون البرهان لموت ضمائرهم ، وإنحراف نفوسهم ؟ ولو جِئتَهم بكل آية لا يؤمنوا .

وهذه الفئة الشاذَّة لا يَخلو منهم زمان أو مكان ، وفي نفس الوقت تجد الكثير الكثير مِن الذين لم تَتَلَوَّث ضمائرهم ولم تَتحجَّرْ عقولُهم ولم تَتعَطَّل مَشاعِرُهم يَخضَعون للحق إذا ظهر لهم الحق ، وينبذون الأنانية والتجبّر ، وليسوا مِن الذين ينطَبق عليهم قوله تعالى : ﴿ أخذتْه العزَّة بالإثم ﴾ .

ولكن المصيبة مصيبة المتعصِّب للباطل ، المعاند للحق ، وهي ما ابتُليتْ به الأمة الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً .

أعود الى حديثي عن الأئمة الإثني عشر الذين ذَكَرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقول : إننا في غنى عن تأويل هذه الأحاديث لأنَّ الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) كشف النقاب وأوضح الحق وصرَّح بما يلزم ، وليس من المعقول من نبيٍّ الحِكْمَة أنَ يُخبر عن أئمة المسلمين بعده بصورة مبهمة موجزة لأنه خلاف البلاغة ، لأن الكلام هنا يتطلَّب الشرح والتفصيل ، ولا يقتضي الإجمال والإبهام ، لأن الموضوع إستراتيجي مهم غاية الأهمية ، له كل الصِلة بالإسلام والمسلمين والقيادة الإسلامية .

أمّا وقد وصل الكلام إلى هنا فمن اللازم ذِكْر بعض الأحاديث النبوية حول الإمام المهدي بصورة أوضح ، مع العلم أن الأحاديث الواردة في كُتُب الشيعة والسنَّة المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن إستيعابها ويصعب إحصاؤ ها بسبب كثرتها وغزارتها، فقد روى شيخنا العلاّمة المعاصر البحّاثة الجليل الشيخ لطف الله الصافي (دام علاه) أكثر من ثمانين حديثاً مروياً عن كتب الفريقين الشيعة والسنّة ،وهو يعترف بأنه لم يَذكر إلاّ القليل ،وهذه الأحاديث تصرِّح بما ذكرناه في هذا الفصل ،وإليك بعضها :

في كتاب (كفاية الأثر لأبي القاسم علي بن محمد الرازي القمي) عن سهل بن سعد الأنصاري قال : سألت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الائمة ؟ فقالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين مِن أنفسهم فإذا مضيتَ فإبنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فاذا مضى الحسن فإبنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فاذا مضى الحسين فإبنه علي بن

الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى علي فإبنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فإبنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فاذا مضى جعفر فإبنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى موسى فإبنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى علي فإبنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى محمد فإبنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى علي فإبنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، يفتح الله به مشارق الأرض ومَغاربها ، فَهُم أئمة الحق ، وألسِنَةُ الصِدْق ، منصور مَن نَصَرهم ، ومخذول مَن خَذَلهم .

ويُروىٰ هذا الحديث ـ بتغيير يسير ـ عن الإمام الحسين (عليه السلام) .

وفي (كفاية الأثر) أيضاً عن سلمان الفارسي : قال : خَطَبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : معاشرَ الناس إني راحل عنكم عن قريب ، ومنطلق الى المغيب ، أُوصيكم في عِترتي خيراً ، وإيّاكم والبِدَع ، فإن كل بِدْعَة ضَلالة ، وكل ضلالةٍ وأهلها في النار .

معاشر الناس : مَن إفتَقَد الشمس فليتمسَّك بالقمر ، ومَن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين ، ومَن افتقد الفرقدين فليتمسَّك بالنجوم الزاهرة بعدي ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال ـ سلمان ـ : فلما نزل عن منبره تَبعتُه حتى دخل بيت عائشة فدخلت عليه وقلت : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ! سَمعتُك تقول : إذا إفتقدتم الشمس فتمسّكوا بالقمر وإذا افتقدتم القمر فتمسّكوا بالفرقدين وإذا إفتقدتم

الفرقدين فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة ، فما الشمس وما القمر وما الفرقدان ، وما النجوم الزاهرة ؟ .

قال : أمّا الشمس فأنا ، وأمّا القمر فعليٌّ (عليه السلام) ، وإذا افتقدتموني فتمسَّكوا به بعدي ، وأما الفرقدان فالحسن والحسين (عليهما السلام) فإذا افتقدتم القمر فتمسَّكوا بهما ، وأما النجوم الزاهرة فَهُم الأئمة التسعة مِن صُلب الحسين (عليهم السلام) والتاسع مهديّهم .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي ، أئمة أبرار عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى ، قلتُ : فَسمِّهم لي يا رسول الله . قال : أوَّلهم وسيِّدهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وسبطاي ، وبعدهما زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) وبعده محمد بن علي باقر علم النبيِّين ، والصادق جعفر بن محمد ، وإبنه الكاظم سَمِيُّ موسى بن عمران ، والذي يُقتل بأرض خراسان إبنه علي ، ثم إبنه محمد ، والصادقان علي والحسن ، والحجة القائم ، المنتظر في غيبته ، فإنهم عترتي من دمي ولحمي ، عِلْمهم علمي ، وحُكْمهم حُكمي ، مَن آذاني فيهم فلا أَنالَهُ الله تعالى شفاعتي »[١] .

---

(١) ورَوىٰ الحديث ايضاً ـ مع اختلاف يسير في بعض الفاظه ـ الجويني الشافعي في كتابه (فرائد السمطين) ج٢ ص ٢١٧ طبع لبنان سنة ١٤٠٠ هـ .
ورواه الحاكم الحسكاني الحَنَفي في (شواهد التنزيل) ج١ ص ٥٩ ، و ج٢ ص ٢١١ . طبع لبنان ١٣٩٣ هـ .
ورواه الشيخ الصدوق في معاني الاخبار ص ١١٤ ، طبع النجف ، ورواه ايضاً الشيخ الطوسي في المجلد الثاني من (الامالي) ص ١٣١ .

وبعد هذه الأحاديث التي يصعب إحصاؤ ها ستعرف التفاصيل الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الإمام المهدي (عليه السلام) وأنَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يُركِّز على هذا الموضوع في مناسبات عديدة ، إتماماً للحجَّة ولئلاّ يكون للناس على الله حُجَّة ، واهتماماً منه بِضرورة هذا الإعتقاد .

البشائر في القرآن بالإمام المهدي «عليه السلام»

القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فيه تبيان كلِّ شيء ، لا رطْبٍ ولا يابس إلاّ في كتاب مبين ، ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ، وهو آخر الكتب السماوية ، كما أنَّ الإسلام آخر الأديان .

أترى القرآن يسكت عن هذا الحادث الجلل الذي يُعتبر تبدُّلاً عظيماً في الحياة ؟!.

القرآن الذي أخبر عن غَلَبَة الرُوم على الفُرْس ، وعن قيام دولة اليهود بالتَعاوُن مع الدول الكبرى[1] .

القرآن الذي أخبر عن يأجوج ومأجوج ومصيرهما في المستقبل .

القرآن الذي أخبر عن إمكانية غزو الفضاء بقوله تعالى : ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسُلطان** ﴾[2]

أترى القرآن لا يخبر عن ظهور الإمام المهدي واستيلائه على الحُكم ؟

---

(١) ضربت عليهم الذلّة أينما ثقفوا إلا بحبلٍ مِن الله وحبلٍ من الناس .سورة آل عمران ١١٢

(٢) سورة الرحمن الآية ٣٣ .

كلّا ، إنَّ القرآن الحكيم أخبر عن الامام المهدي (عليه السلام) وقيام حكومته في مواضع عديدة وآيات متعدِّدة .

وهذه الآيات مأوَّلة **بالإمام** المهدي وظهوره كما صرَّح بذلك أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أُنزل القرآن في بيوتهم ، وأهل البيت أدرى بما في البيت .

وإليك بعض تلك الآيات :

الآية الأُولى: **﴿ ونُريد أنْ نَمنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، ونمكِّنَ لهم في الأرض ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾**[1] .

في نهج البلاغة ج ٣ قال علي (عليه السلام) : لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شِماسِها عَطْفَ الضَرُوس على ولدها ، **وتلا** (عليه السلام) ـ عقيب ذلك ـ قوله تعالى : **﴿ ونريد أنْ نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين﴾** .

قال ابن أبي الحديد في شرحه : إن أصحابنا يقولون : إنه وَعَد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك .

أقول : هذا الحديث مروي بِطُرق عديدة عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولعلّ الحديث يحتاج الى شيء مِن الشرح : « لتعطفن » يُقال : عَطَفَت الناقةُ على ولدها أي حنَّتْ عليه ودرَّ لَبَنُها ، « شماسها » يُقال : شَمَسَ

---

(١) سورة القصص آية ٥ و ٦ .

الفَرَس يشمس: أي إستعصى على راكبه و مَنَع ظهره مِن الركوب ، « الضروس » : الناقة السيئة الخُلق ، تعضُّ حالبَها [١] .

ومعنى كلامه (عليه السلام) : ان الدنيا تُقبِل على أهل البيت (عليهم السلام) بعد الجفاء الطويل والمكاره الكثيرة ، والمقصود : قيام حكومة أهل البيت وإنتصاراتهم على أعدائهم ، وتَذلُّل جميع الصعوبات التي وقفت حَجَر عَثْرة في طريق نهضتهم المقدَّسة ، وتَسهل لهم الدنيا بعد صعوبتها ، وتحلو بعد مرارتها ، ، وتخضع بعد تمرُّدها ، وتنقاد بعد عصيانها .

وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : قال : المستضعَفون في الأرض ، المذكورون في الكتاب ، الذين يَجعلهم الله أئمة : نحن أهل البيت ، يَبعث الله مهديهّم فيعزُّهم ويذلُّ عدوّهم [٢] .

والآن ـ بعد أن وصل الكلام الى الآيات المأوَّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) ـ أرى مِن الأفضل أن أذكر كلمة موجزة عن التأْويل ، ليكون القارئ النبيه على مزيد مِن الإِطّلاع ، والمعرفة بمعنى التأويل :

التأويل : إرجاعُ الكلام وصَرْفه عن معناه الظاهري الى معنى أخفى منه [٣] ، وهكذا تأويل الرؤ يا والأحلام أي الشيء الذي ترجع اليه الرؤ يا ، فمثلاً : رأى يوسف (عليه السلام) أحد عشر كوكباً والشمسَ والقمر رآهم له

---

(١) « مجمع البحرين » للطريحي .

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٥١ ص ٦٣ ، باب الآيات المأوّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) .

(٣) المصدر : « مجمع البحرين » للطريحي ، مادة ، أوّلَ .

ساجدين ، وبعد سنين طويلة لما ذهب يعقوب وأولاده الى مصر، قال تعالى: **﴿ورَفَعَ أبويه على العَرش وخرُّوا له سُجَّداً ،وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي مِن قَبْل ، قد جَعَلَها ربّي حقاً ﴾**[١] . ونفس هذا الكلام يأتي في تأويل الأحلام والمنامات ، فقد قال يوسف (عليه السلام) للشابَّين الـذَين رأىٰ كل منهما رؤ يا ، قال لهما : **﴿ لا يأتيكما طعامٌ تُرْزَقانِه إلاَّ نبأتُكما بتأويله ﴾**[٢] . وقال علي (عليه السلام) . في حديثه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعلُّمِه العلومَ منه ـ : « ما مِن آيةٍ إلاّ وعلَّمني تأويلها » أي معناها الخفي .

أعود الى حديثي عن الآية الشريفة ـ التي سبقتْها آية تتحدَّث عن فرعون وجرائمه ـ فقال عزَّ وجل : **﴿ ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ﴾** . فالمعنى الظاهري هو أن الله تعالى يُعيد لبَني إسرائيل عزَّهم وكرامتهم ويُهلك فرعونَ ووزيره هامان وجنودَهما .

ولكن تأويل الآية ـ أي معناها الخفي غير المعنى الواضح الجليّ ـ هو أن المقصود مِن المستضعَفين في هذه الآية: هم آل محمد (عليهم السلام) فقد استضعفَهم الناسُ وظلموهم وقَتَلوهم وشرَّدوهم وصنعوا بهم ما صنعوا ، وقد قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنتم المستَضعَفون بعدي » ، ولا أراني بحاجة إلى إثبات هذه الحقيقة ، فالتاريخ الإسلامي يَشهد ويُصرِّح بل ويَصرخ بأعلى صوته بأنَّ آل محمد (عليهم السلام) إستضعفهم الناس مِن يوم فارَقَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الحياة ، ولو

---

(١) سورة يوسف / آية ١٠٠ .
(٢) سورة يوسف / آية ٣٧ .

راجعتَ كتاب (مَقاتِل الطالبيّين) وغيره مِن الكتب لَوَجدت ـ هناك ـ أنواع المصائب والمآسي والنوائب التي انصبَّتْ على آل رسول الله (عليهم السلام) ، لأن أصحاب السلطة والقدرة استضعفوا هذه الذُرِّية الطاهرة فصنعوا بهم ما شاءتْ نفوسهم الممتلئة بالحِقد والجبروت ، حتى وصَلَ الأمر إلى أن الناس كانوا يُهدون رؤوس آل محمد إلى الحكّام تقرّباً اليهم وتفريحاً لِقلوبهم ، كما فعل ذلك جعفر البرمكي وغيره ، وأيّ إستضعاف أشد من هذا ؟! .

ولكنَّ الله تعالى قد تعلَّقتْ ارادَتُه أن يتفضَّل على هذه الذرية الطاهرة المظلومة ـ عَبر التاريخ ـ وعلى أتباعهم وشيعتهم المضطهَدين الذين كانوا ولا يزالون يعيشون تحت الضغط والكَبْت والذُلِّ والهوان ، المحرومين من أبسط حقوق البشر ، الذين سلبتهم السلطات كل حرية وكل كرامة ، أن يتفضَّل عليهم بحكومة تشمل الكرة الأرضية ومَن عليها وما عليها .

حكومة حدودها القُطْبان المنجَمِدان الشِمالي والجنوبي ، وجميع المحيطات المترامية الأطراف ، وهي الحكومة الوحيدة التي تحكم الأرض ومَن عليها ، بلا مزاحم أو منافس ، وتكون لهم السلطة التامة والقدرة الكاملة ، وسيأتيك التفصيل . . بل التفاصيل قريباً إن شاء الله .

وختاماً للبحث والتحدّث عن هذه الآية يمكن أن نقول : مِن الممكن أن يُستفاد هذا التأويل من نفس ظاهِر الآية ، ومن قوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمنَّ ﴾ بلفظ المستقبل ، لأنَّ نزول الآية كان بعد آلاف السنين من عصر موسى (عليه السلام) وفرعون ، وكان من الممكن أن يقول سبحانه : وأردنا أن نمنَّ . أو : مننّا على الذين استضعفوا . كما

قال في مكان آخر ، بل في أمكنة أُخرىٰ : ﴿ **لقـد مَنَّت الله على المؤمنـين إذ بعَثَ فيهم رسولاً** ﴾[١] .

﴿ **كذلك كنتم مِن قَبْل فمنَّ الله عليكم** ﴾[٢] .

﴿ **ولقد مَنَنّا عليك مرة أُخرىٰ** ﴾[٣] .

﴿ **ولقد مَنّنا على موسىٰ وهارون** ﴾[٤] .

ذكـرَ الله تعـالى هـذه الآيـات بلفظ المـاضي ، وهنـا ذكـرهـا بلفظ المستقبل فقال : ونريد أنْ نمنَّ .

وهكـذا قولـه تعالىٰ : ﴿ **ونُـريَ فرعـونَ وهامـان وجنودَهمـا منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ فإنَّه تعالىٰ لم يَقُل : وأرينا فرعون وهامان .

وهكذا قولـه سبحانـه : ﴿ **نريـد** ﴾ و ﴿ **نجعلهم** ﴾ و ﴿ **نجعلهم** ﴾ أيضـاً ، و﴿ **نمكِّن** ﴾ و ﴿ **نُريَ** ﴾ حيث جـاءت جميع هـذه الألفـاظ السِتّـة بصيغة المستقبل لا الماضي .

ولعلَّ قائـلاً يقول : إنَّ فـرعون وهـامان وجنـودَهما كـانوا قـد هلكوا قبل نزول الآية بالآف السنين ، فكيف يمكن تأويل الآية الى المستقبل ؟

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٤ .
(٢) سورة النساء آية ٩٤ .
(٣) سورة طه آية ٣٧ .
(٤) سورة الصافات آية ١١٤ .

الجواب : لقد صار إسم (فرعون) رَمْزاً لِكلِّ سُلطان مُتَجبِّر جائرٍ يَتجاوَز في ظُلْمه ، فلِكلِّ عَصْرٍ فرعون ، ولكلّ أُمَّةٍ فراعنة .

وقد رُويَ عن الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق (عليهما السلام) ـ في تأويل هذه الآية ـ أنَّ المراد مِن ﴿ فرعون وهامان ﴾ ـ في هذه الآية ـ هما رجلان مِن جَبابرة قريش ، يُحييهما الله تعالىٰ عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ـ في آخر الزمان ـ فيَنتَقم منهما بما أسْلفا[1] .

﴿ وجنودهما ﴾ أتباع الرجلين ، الذين تعاونوا معهما ، وساروا على خطِّهما ، وأحيوا ذِكرهما .

الآية الثانية : ﴿ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنَّهم في الأرض كما استخلَفَ الذين مِن قَبْلهم ، وَليُمكِّنَنَّ لهم دِينَهم الذي ارتضى لهم ، وليبدِّلنَّهم مِن بعد خوفهم أمناً يَعبدونني لا يُشركون بي شيئاً ، ومَن كفر بعد ذلك فأُولئك هم الفاسقون ﴾[2] .

هذه الآية من جملة الآيات المأوَّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) ، ومعنى الآية ـ على الظاهر ـ : أنَّ الله تعالى وَعَدَ المؤمنين من هذه الأُمَّة ، الصالحين بأن يجعلهم يخلفون مَن قبلهم ، أي يجعلهم مكان مَن كان قبلهم في الأرض ، ومن الطبيعي أنَّ البشر لا يعيش إلّا في الأرض أي في الكرة الأرضية

---

(١) كتاب البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني . في تفسير الآية .

(٢) سورة النور / آية ٥٦ .

بَرّاً أو بحراً ، أي يورثهم الله أرض الكُفّار من العرب والعجم ، ويجعلهم الله تعالى يتصرَّفون في الأرض ويحكمون فيها كما استخلف الله تعالى بعضَ أوليائه من قبل ، وأعطاهم السلطة والإمكانيات والقدرة في تطبيق دين الله الذي ارتضاه لهم ، وتتبدَّل حالة خوفهم الى حالة الأمن والأمان ، لا يخافون أحداً إلّا الله ، ولا يقدر عليهم أحد من أصحاب القدرة والسلطة ، يعبدون الله تعالى بلا خوف ولا تَقيَّة من أحد ، ويتجاهرون بالحق بكل وضوح .

وخلاصة البحث : أنَّ الله تعالى وعد المؤمنين الصالحين من هذه الأُمَّة بمجتمع طاهر مِن كل رجس ، وحياة طيبة مقدسة فاضلة ، هذا هو المعنى الظاهري للآية الكريمة .

أقول : إنَّ هذا الوعْد الإلهي ـ المؤكَّد بلام القَسَم ثلاث مرات ؟ وبنون التأكيد ثلاث مرات ايضاً ـ لم يتحقق الى يومنا هذا ، ومتى كان المؤمنون الصالحون يتمكَّنون من الحُكم على الناس وتطبيق الإسلام بكل حرية ، وبلا خوف من أحد ؟! .

ومَن هم المؤمنون الذين عملوا الصالحات الذين وعَدَهم الله تعالى بهذا الوعد العظيم ؟!.

ولو راجعتَ تاريخ الإسلام والمسلمين منذ طلوع فَجْر الإسلام الى يومنا هذا لعلمتَ عِلْم اليقين أنَّ وعد الله تعالى لم يَتحقَّق خلال ألف وأربعمائة سنة .

إنني لا أظن أنَّ مسلماً مُنْصِفاً يقبل ضميره بأنْ يكون المقصود من الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الأمويون ، أو العباسيون ، لأن التاريخ المتفَق عليه

بين المسلمين ـ بل وغير المسلمين ـ يشهد بأنَّ الأمويين والعباسيين إرتكبوا أعظم الجرائم ، وأراقوا دماء أولياء الله ، وهتكوا حرمات الله ، وكانت قصورهم مليئة بأنواع الفجور والمنكرات،ولو أردنا تفصيل تلك الجرائم ووضع النقاط على الحروف لخرج الكتاب عن أُسلوبه المقصود وموضوعه المطلوب.

وبعد هذا . . . متى تمكَّن دين الله ـ الذي ارتضاه لعباده ـ في الأرض ؟ حتى يتحقق قوله تعالى : ﴿ وليمكّننّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم ﴾ .

إنَّ الدين الإسلامي كان ولا يزال مهجوراً ضعيفاً يُحاربه كل مَن يستطيع محاربته ، إذهب الى بلاد الصين أو الإتحاد السوفيـتي أو بعض البلاد الإفريقية والأوروبية حتى تعرف الخوف المستولي على البقيَّة الباقية من المسلمين ، والإضطهاد الذي شملهم من جميع جوانب حياتهم ، وفي بعض البلاد اللاّدينية يُعتَبر إقتناء القرآن أعظم جريمة يستحق الإنسان عليها أعظم العقوبات وأشد أنواع التعذيب ، ولا تسأل عن عشرات الملايين من المسلمين الذين قُتلوا لأنّهم مسلمون وهذا ذنبهم الوحيد ، ففي بلاد الصين والإتحاد السوفيـتي ، ويوغوسلافيا أُقيمت المذابح والمجازر الرهيبة وسالت دماء المسلمين ، وحتى اليوم يعاني المسلمون في الفيليبين أنواع الضغط والكبت والحرمان ، وفي فيتنام لا يعلم أحد إلاّ الله عدد المسلمين الذين قتلهم الشيوعيون ، ولا تسأل عن عشرات الآلاف من المساجد التي انقلبت الى اصطبلات ومخازن ومسارح وكنائس ، فمتى تحقَّق وعدُ الله ؟!

مِن الممكن أن يقول قائل : بأن الإسلام تمكَّن في الجزيرة العربية وبلاد الشرق الأوسط وكثير من البلاد وخاصة في عهد الفتوحات الإسلامية .

نجيب على هذا السؤال بما يلي :

نحن لا ننكر ذلك ، فالإسلام كان يحكم على المدينة المُنَوَّرَة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذن فما معنى هذا الوعد الإلهي الذي يقول : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات** ﴾ الى آخر الآية ؟ .

إن معنى هذا الوعد أنّ الإسلام يحكم على الأرض أي على الكرة الأرضية ، والمسلمون يُقيمون الطقوس والشعائر الدينية بلا خوف ولا تقية ، وأنَّ جميع المناطق المعمورة والمسكونة يسودها الإسلام فقط ولا غير ، وهذا لم يتحقق الى هذا اليوم .

إن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ذكروا في تأويل هذه الآية الكريمة أنّ الوعد الإلهي يتحقق عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ، وستعرف في هذا الكتاب أن الأحاديث المتواترة تصرِّح بأنَّ هذه الآية ستنطبق على عصر الإمام المهدي (عليه السلام) ، واليك بعض تلك الأحاديث .

في تفسير مجمع البيان للطبرسي وتفسير العَيّاشي وغيرهما عن الإمام علي إبن الحسين (عليه السلام) : أنَّه قرأ الآية وقال : هم والله شيعتُنا أهل البيت ، يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منّا ، وهو مهديُّ هذه الأُمّة ، وهو الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو لم يبقَ مِن الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي ، إسمه إسمي ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[1] .

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ج ٧ ، ص ١٥٢ .

ورُويَ نفس هذه الكلام عن الإمامين : الباقر والصادق (عليهما السلام) .

ثم قال الطبرسي : فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات : النبي وأهل بيته (صلوات الرحمن عليهم) .وتَضمَّنَتْ الآية البشارة لهم بالإستخلاف ، والتمكّن في البلاد ، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي (عليه السلام) .

وأضاف قائلاً : وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة ، وإجْماعُهم حُجَّة ، لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إني تارك فيكم الثقلين : كتابَ الله وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض » ، وأيضاً فإن التمكن في الأرض على الإطلاق لم يَتَّفِق فيما مضى ، فهو منتظَر ، لأنَّ الله (عزَّ إسمه) لا يخلف وعده[١] .

الآية الثالثة : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور مِن بعد الذِكْر أنَّ الأرضَ يَرِثُها عبادي الصالحون** ﴾[٢] . انْ كان المفسِّرون قد اختلفوا في معنى الزبور ، ومعنى الذِكر في هذه الآية ، فليس الإختلاف جوْهَرِيّاً ، سواء كان المقصود من الزبور ـ هنا ـ هو الكتاب السماوي المنزَّل على نبي الله داود (عليه السلام) ، أو كان المقصود من الزبور هو جنس ما أنزل الله على الأنبياء من الكتب ، وسواءاً كان المقصود من الذكر في هذه الآية التوراة أو القرآن أو اللوح المحفوظ ، فالمعنى ـ

---

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ١٥٢ .
(٢) سورة الأنبياء / آية ١٠٦ .

على حدّ قول المُفَسِّرين ـ : ولقد كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء أو في الزبور الذي نزل على داود (عليه السلام) من بعد كتابته في الذكر ـ أي في أمِّ الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ أو التوراة أو القرآن ـ : أنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون .

وقد روى الطبرسي وغيره في تفسير الآية عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنه قال : هم اصحاب المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان .

أقول : إنَّ الموضوع الذي كتبه الله تعالى في الزبور ـ بجميع معانيه ـ وفي الذِكر ينبغي أن يكون موضوعاً له غاية الأهمية، وخاصة بعد الإنتباه الى كلمة (لقد) و (أنّ) المستعملة للتحقيق والتأكيد، فإنْ كان المُفَسِّرون ذكروا أنّ المقصود من (الأرض) في هذه الآية أرض الجنة ليكون المعنى : أنّ عباد الله الصالحين يرثون أرض الجنة ، أو المقصود هي الأرض المعروفة ترثها الأمة الاسلامية بالفتوحات فهذا معنى التنزيل .

وأما التأويل ـ وقد ذكرنا معناه ـ فيكون المعنى أن عباد الله الصالحين يحكمون الأرض كلها ، وقد روى الشيخ الطوسي (عليه الرحمة) في التبيان في تفسير الآية عن الإمام الباقر (عليه السلام) : أن ذلك وعْد الله للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض[1] .

(١) تفسير التبيان ج ٧ ص ٢٥٢ .

وهذه الآية تشبه الآية السابقة من حيث المعنى ، حيث يقول تعالى : ﴿ لَيستخلفنَّهم في الأرض﴾وما أجمل التعبير بالإرث والإستخلاف في هاتين الآيتين ، فالإرث إنتقال المال من الميت الى الحي ، والإستخلاف جعْل هذا مكان ذاك عوضاً منه وبدلاً عنه .

الآية الرابعة : ﴿ هو الذي أرسَلَ رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحق ليُظهرهُ على الدين كلِّه ولو كَرِه المشركون﴾ (١) .

لقد تكرّرت هذه الآية في القرآن ثلاث مرات ، مما يدلّ على أهمية الموضوع .

ولقد تكرّر منّا الكلام حول التنزيل والتأويل ، وهذه الآية أيضاً لها تنزيل وتأويل ، فالتفسير أو التنزيل للآية : أنَّ الله تعالى أرسل رسوله محمداً « بالهدىٰ » من التوحيد وإخلاص العبادة ، « ودين الحق » وهو دين الإسلام « ليظهره » الظهور ـ هنا ـ : العلو بالغلبة بكل وضوح ، قال تعالى : **﴿ كيف وإنْ يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمَّة ﴾**(٢) أي يغلبوكم ويظفروا بكم .

فمعنى : « ليظهره على الدين كلّه » أي يعلو ويغلب دين الحق على جميع الأديان ، فإنْ كان هذا الكلام قد تحقق وكانت الإرادة الإلهية قد تنجزَّت فالمعنى

(١) سورة التوبة / آية ٣٣

(٢) سورة التوبة / آية ٨ .

أنَّ الله تعالى قد أدحض وزيَّف جميع الأديان الباطلة والمِلَل والشرائع المنحرفة ، زيَّفها بالقرآن وبالإسلام ، وبعبارة أوضح : إنَّ الإسلام قد أبطل ونسخ جميع الأديان ، وردَّ على كل مُلحد أو زنديق وعلى كل مَن يعبد شيئاً غير الله .

أمّا إذا أردنا أن نتحدث عن الآية على ضوء التأويل ، فإنّ هذا الهدف الإلهي لم يتحقق بعد ، فالمسلمون عددهم أقل من ربع سكّان الأرض ، والبلاد الإسلامية تحكمها قوانين غير إسلامية ، والأديان الباطلة تنبض بالحياة والنشاط ، وتتمتع بالحرية ، بل تجد المسلمين في بعض البلاد أقلية مستضعَفة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرّاً، إذَن فأين غلبة الحق على الباطل، واين قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ وفي ايّ زمان تحقق هذا المعنى ؟ .

إنَّ أئمةَ أهل البيت (عليهم السلام) ذكروا في تأويل الآية أنها تتعلق بعصر الإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره .

وأما الأحاديث الواردة في تأويل الآية فإليك بعضها :

في كتاب مجمع البيان ـ في تفسير الآية ـ عن عباية أنه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه** ﴾ أظَهَرَ ذلك بعد ؟ قالوا : نعم . قال (عليه السلام) : كلّا ، فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلّا ويُنادى فيها بشهادة أنْ لا إله إلا الله بُكرةً وعشياً[1] . وفي تفسير البرهان : فلا ، والذي نفسي بيده حتى لا تبقى

---

(١) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٨٠ .

قرية إلّا ونودي فيها : بشهادة أنْ لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله بكرةً وعشياً[١] .

وفي تفسير البرهان ـ أيضاً ـ عن ابن عباس في قوله (عزَّ وجل) : ﴿ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون﴾ قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب مِلَّة[٢] إلّا صار الى الإسلام، حتى تأمن الشاة والذئب[٣] والبقرة والأسد ، والإنسان والحيَّة ، حتى لا تقرض فارة جراباً[٤] وحتى توضَع الجزية[٥] ويُكسَر الصليب[٦] ويقتل الخنزير ، وهو قوله تعالى :

---

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٢٩ .

(٢) المِلّة : الشريعة أو الدين . كما في القاموس ، ومجمع البحرين .

(٣) أي تأتلف بعضها مع بعض ، فلا الذئب يبطش ويأكل الشاة ، ولا الشاة تخاف من الذئب ، ونفس هذا الكلام في البقرة والأسد والإنسان والحيَّة ؛ وسيأتي بيان وشرح ذلك في فصل (حياة المجتمع في عصره) من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٤) الجراب : كيس من جِلْد ، توضَع فيه الحبوب والدقيق ، وما أشبه ، ولعل قوله (عليه السلام) إشارة إلى عدم وقوع أيّ نوع من أنواع الفساد والإفساد والخراب .

(٥) وضْع الجزية : إلغاؤها ، والجزية : مبلغ من المال يدفعه اليهود والنصارى والمجوس ـ في كل سنة ـ إلى الدولة الإسلامية إزاء منحها إياهم الصيانة لأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وذلك بشروط خاصة مذكورة في الكتب الفقهية ، وعند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) يدخل الذين تجب عليهم الجزية في دين الإسلام فتلغىٰ عنهم الجزية نهائياً .

(٦) الصليب : شيء معروف ، وهو شعار النصارى ، ينصبونه على كنائسهم ومدارسهم ومستشفياتهم ، ويعلّقونه على صدورهم . والصليب يرمز الى صلب المسيح وقتله ، مع العلم أنّ الله تعالى يقول في القرآن الكريم : ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ وكلام الله حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فالصليب يناقض كلام الله ويُعتبر رمزاً لتكذيب القرآن ،

﴿**ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون**﴾ وذلك يكون عند **قيام** القائم (عليه السلام)[١] .

وفي تفسير البرهان عن كتاب الكافي عن أبي الفضيل عن الإمام أبي الحسن الكاظم (عليه السلام) ، قلتُ : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه** ﴾ ؟ قال (عليه السلام) ؛ هو أمر الله رسوله بالولاية والوصية ، والولاية : هي دين الحق . قلت : ﴿ **ليظهره على الدين كلّه**﴾ ؟ قال (عليه السلام) : يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم (عليه السلام)[٢] .

وروى القندوزي الحنفي في كتابه (ينابيع المودَّة) وشيخنا المجلسي (رضوان الله عليه) في كتابه (بحار الأنوار) عن الإمام الصادق (عليه السلام)في تفسير الآية حديثاً ، أما ما ذكره القندوزي فهو كما يلي :

قال (عليه السلام) : والله ما يجيء تأويلها حتى يخرج القائم المهدي (عليه السلام) فإذا خرج لم يبقَ مشرك إلاّ كره خروجه ، ولا يبقى كافر إلاّ قُتل . . . الى آخر الحديث[٣] .

= فعندما يظهر الإمام المهدي يكسر كل صليب ، وخاصة بعد نزول المسيح عيسى (عليه السلام) من السماء وانضوائه تحت لواء الإمام المهدي وحكومته فإنّ عقيدة صلب المسيح تتبخّر وتزول .

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٢٩ .

(٢) تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٣٠

(٣) المهدي في القرآن ص ٦٢ .

وأما ما ذكره المجلسي : فعن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله ـ الصادق ـ (عليه السلام) عن قوله تعالى في كتابه: ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون** ﴾ فقال (عليه السلام) : والله ما أُنزل تأويلها بعدُ . قلت : جُعِلتُ فِداك ومتى ينزل ؟ قال : حتى يقوم القائم إن شاء الله فإذا خرج القائم لم يبقَ مشرك . . . إلى آخر الحديث[١] .

أقول : نكتفي بهذا المقدار من الآيات البِّينات المأوَّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) والأحاديث الواردة حول تلك الآيات ، ومن اللازم أن أقول : بأني لم أذْكر من الآيات إلاّ القليل الأقل منها ، فإنّ الآيات المأوَّلة بالإمام المهدي ـ حسب ما ورد في الأحاديث ـ كثيرة جدّاً وقد جَمَعَ بعضَها العلاّمة المعاصِر السيد صادق الشيرازي في كتابٍ سمّاه : (المهدي في القرآن) فإنه ذكر (١٠٦) من الآيات المأولة بالإمام المهدي (عليه السلام) وقد نقلها عن مصادر أهل السنّة فقط ، ولو أردنا إستعراض تلك الآيات والأحاديث الواردة في تأويلها لطال بنا الكلام ، وفي هذا المقدار كفاية إنْ شاء الله .

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٠ .

الفصل الرابع

البَشَائِرُ في الأحَادِيثِ النَبَوِيَّةِ بالإمَامِ المَهْدِيّ « عَلَيهِ السَّلَام »

إنَّ الأحاديث المرويه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الإمام المهدي (عليه السلام) تُشكِّل أكبر طائفة وأكثر كميَّة مِن مجموع الأحاديث والبشائر بالإمام المهدي (عليه السلام) وقد ذكرنا بعضها ـ فيما مضى ـ ونذكر بعضها في المستقبل .

ومن العجيب أنّ أكثر الأحاديث الموجودة في كتب أهل السنَّة حول الإمام المهدي (عليه السلام) مرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسانيد متعدِّدة ومضامين متنوِّعة

فتارةً يبشِّر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين بالإمام المهدي (عليه السلام) في ضمن الأئمة الإثني عشر ، وأنه هو الثاني عشر ، وتارةً أخرى يُخبر عنه أنه من وُلد فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ، وأنه مِن صُلْب الحسين ، وأنه الإمام التاسع من وُلْد الحسين (عليه السلام) .

وستعرف في هذا الفصل والفصول الآتية أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخبر عن الإمام المهدي (عليه السلام) في مناسبات عديدة ومواقف كثيرة ومواطن حسّاسة جداً ، ممايدل على أهمية الموضوع غاية الأهمية ، وإلاّ فما الداعي الى هذا الإهتمام والى هذه العناية بالموضوع، والإلحاح والتكرار والتركيز في الإخبار عن الإمام المهدي (عليه السلام) .

الأحاديث المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الإمام كثيرة جداً ، ونقتطف بعضها رعاية لأسلوب الكتاب :

١ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنَّ خُلفائي وأوصيائي وحُجج الله على الخلق بعدي لإثنا عشر ، أوَّلهم أخي وآخرهم ولدي . قيل : يا رسول الله ومَن أخوك ؟ قال : علي بن أبي طالب . قيل : وَمَن وَلَدك ؟ قال : المهدي الذي يملؤها ـ أي يملأ الأرض ـ قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لَطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي ، فينزل روحُ الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، وتُشرق الأرض بنور ربها ، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب(١) .

٢ ـ عن حذيفة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : المهدي رجل من وُلْدي ، وجهه كالكوكب الدُرِّي(٢) .

٣ ـ عن حذيفة أيضاً قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المهدي رجل مِن وُلدي ، وجهه كالكوكب الدُرِّي ، اللون لون عربي ، والجسم جسم إسرائيلي ، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، يرضى في خلافته أهلُ السماء ، والطير في الجو ، يَملك عشرين سنة(٣) .

---

(١) فرائد السمطين للجويني ج ٢ ؛ وكذلك في كتاب بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧١ .
(٢) كنز العمال ج ٧ . الكوكب الدُرِّي . هو الثاقب المضيء الشديد الإنارة ، نُسب إلى الدُرّ لبياضه وشدة توقُده وتلألأه ، قال تعالى : ﴿ الزُجاجَة كأنها كوكب دُرِّي﴾ .
(٣) المصدر : عِقْد الدُرر ، في الباب الثالث .

٤ ـ عن الإمام محمد بن علي الباقر عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم اجمعين) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : المهدي من وُلدي ، يكون له غيبة ، وحيرة تضل فيها الأُمم ، يأتي بذخيرة الأنبياء (عليهم السلام) فيملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً[1] .

٥ ـ روى القندوزي الحنفي عن أبي بصير عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : المهدي من وُلدي ، إسمه إسمي ، وكنيته كنيتي ، وهو أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً ، يكون له غيبة وحيرة في الأُمم حتى تَضِل الخلق عن أديانهم ، فعند ذلك يُقبل كالشهاب الثاقب ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[2] .

٦ ـ روى المجلسي عن الشيخ المفيد عن أبي أيوب الانصاري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ لفاطمة ـ (في مرضه) : والذي نفسي بيده لا بدَّ لهذه الأُمة مِن مهدي ، وهو والله مِن وُلدكِ[3] .

٧ ـ عن مكحول عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : قلت يا رسول الله أمِنَّا ـ آل محمد ـ المهدي أم مِن غيرنا ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا ، بل مِنّا ، بنا يختم الله الدين كما فتح الله بنا ، وبنا

---

(١) فرائد السمطين .

(٢) ينابيع المودَّة .

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٧ .

يُنقَذون عن الفتنة كما أُنقذوا مِنْ الشِرك،وبنا يؤلِّف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخواناً كما ألَّف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك ، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً كما اصبحوا بعد عداوة الشِرك إخواناً[١] .

إنَّ سؤال الإمام أمير المؤمنين من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبيل تجاهل العارف ، فهو يسأل عما يَعلم وكأنَّه لا يعَلم وذلك لغرض يقصده ، وهذا النوع من الكلام وارد في القرآن والأحاديث بل وفي العُرف أيضاً قال تعالى : ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى** ﴾ .

٨ ـ عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدِّه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : القائم من وُلدي ، إسمه إسمي ، وكنيته كنيتي ، وشمائله شمائلي[٢] ، وسُنَّته سُنَّتي ، يقيم الناس على مِلَّتي وشريعتي ، ويدعوهم الى كتاب الله عزَّ وجل ، مَن أطاعه أطاعني ، ومَن عصاه عصاني ، ومَن أنكره في غيبته فقد أنكرني ، ومَن كذَّبه فقد كذَّبني ، ومَن صدَّقه فقد صدقني ، الى الله أشكو المكذِّبين لي في أمره ، والجاحدين لقولي في شأنه ، والمضلّين لأُمتَّي عن طريقته ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون[٣] .

٩ ـ عن إبن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : علي بن أبي طالب إمام أُمتَّي ، وخليفتي عليهم بعدي ، ومِن وُلده

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ، رواه عن إكمال الدين للشيخ الصدوق .
(٢) الشمائل : الأخلاق والطبائع .
(٣) بحار الأنوار ج ٥١ .

القائم المنتظر الذي يملأ الله (عزَّ وجل) به الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيراً : إنَّ الثابتين على القول به ـ في زمان غيبته ـ لأعزَّ ـ أيّ أقلّ وأندر ـ من الكبريت الأحمر . فقام اليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وللقائم من وُلدك غيبة ؟ فقال : إي وربيّ ﴿ و ليمحِّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ يا جابر إنّ هذا لأمر من أمر الله ، وسِرٌّ من سرِّ الله ، مَطوي ـ أي مستور ـ عن عباده ، فإياك والشك في أمر الله فهو كفر[1] .

١٠ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ في حديث طويل ـ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ لفاطمة ـ: يا بُنَيَّة: إنا أُعطينا ـ أهل البيت ـ سبعاً لم يُعطها أحد قبلنا :

١ـ نبيُّنا خير الأنبياء ، وهو أبوك .

٢ـ ووصيُّنا خير الأوصياء وهو بعلك .

٣ـ وشهيدنا خير الشهداء وهو عمُّ أبيكِ حمزة .

٤ـ ومِنا مَن له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة وهو إبن عمِّك جعفر .

٥ و ٦ ـ ومِنّا سبطا هذه الأُمة وهما إبناك الحسن والحسين.

٧ ـ ومنّا ـ والله الذي لا إله إلّا هو ـ مهدي هذه الأُمة ، الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم ، ثم ضرب بيده على منكب الحسين (عليه السلام) فقال : مِن هذا ، ثلاثاً[2] . أي قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من هذا » ثلاث

(١) ، (٢) بحار الانوار ج ٥١ .

مرات . وفي كتاب (البيان) للشافعي الكُنجي ، : قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : مِن هذا مهدي هذه الأُمَّة .

١١ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ينزل عيسى بن مريم (عليه السلام) فيقول أميرهم المهدي : تعال صَلِّ بنا ، فيقول : ألا : إن بعضكم على بعض أُمراء تكرمةً من الله عزَّ وجلَّ لهذه الأُمَّة(١) .

١٢ ـ في كتاب فرائد السمطين ، عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « مَن أحبَّ أنْ يتمسَّك بديني ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتدِ بعلي بن أبي طالب ، وليُعادِ عدوَّه ، وليوالِ وليَّه ، فإنه وصيِّي وخليفتي على أُمتَّي ، في حياتي وبعد وفاتي ، وهو إمام كل مسلم ، وأمير كل مؤمن بعدي ، قولُه قولي ، وأمرُه أمري ، ونهيُه نهيي ، وتابعُه تابعي ، وناصرُه ناصري ، وخاذِلُه خاذِلي ؛

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : مَن فارق علياً بعدي لم يرني ولم أرَه يوم القيامة ، ومَن خَالَف عَلياً حرَّم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار ، ومَن خَذَل علياً خذلَه الله يوم يُعرض عليه ، ومَن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ، ولقَّنه حجَّته عند المسألة .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الحسن والحسين إماما أُمتَّي بعد أبيهما ،وسيّدا شباب أهل الجنة ، أُمُّهما سيدة نساء العالمين ، وأَبوهما سيد

(١) الأربعين للحافظ أبي نعيم .

الوصيِّين ، ومِن وُلد الحسين تسعة أئمة ، تاسعهم القائم من ولُدي ، طاعتهم طاعتي ، ومعصيتهم معصيتي ،

الى الله أشكو المنكرين لِفَضْلهم ، والمضيِّعين لحُرْمتهم بعدي ، وكفى بالله ولياً وناصراً لعترتي وأئمة أُمتي ، ومنتقماً من الجاحدين حقّهم ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون » .

١٣ ـ وقال (صلى الله عليه وآله وسلّم) ـ في خُطْبة يوم الغدير وبحضور ١٢٠ ألف مسلم ـ : « . . . مَعاشِرَ الناس : النور مِن الله عز وجل ، فيَّ مَسلوك ، ثمّ في علي ، ثم في النَسْل منه الى القائم المهدي ، الذي يأخذ بحقّ الله وبكلِّ حقٍ هو لنا . . . الى آخر الخطبة الشريفة[١] .

لقد مرَّ عليك ـ في الأحاديث النبوية ـ أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحلف بالله ، ويقول : « والذي بعثني بالحق بشيراً » أو « والذي نفسي بيده » أو « مِنّا ـ والله الذي لا إله إلاّ هو ـ مهدي هذه الأُمّة » كل ذلك تأكيداً لهذه الحقيقة ، وتثبيتاً للموضوع ، ولا يكتفي الرسول الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا حتى يقول : لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد . . . ويقصد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ هذا الأمر كائن قطعاً وبلا شك ، وحتى إذا طالت الأزمنة ، بل وحتى لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد فلا بدّ وأنْ يظهر الإمام المهدي (عليه السلام) وهذا منتهى المبالغة في التأكيد

---

(١) كتاب الاحتجاج للطبرسي .

والتحقيق .

وقد سمعتَ وقرأت أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتحدَّث عن الإمام المهدي بأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً . ولهذه الكلمة تحقيق وشرح يأتيك في المستقبل القريب .

وأما ذِكر الظلم والجور معاً ، والقسط والعدل معاً ـ كما مرَّ عليك في الأحاديث ـ فمن الممكن أن يكون المقصود من قوله : « تملأ ظلماً وجوراً » إنتشار الظلم مِن عامة الناس ، وإنتشار الجور من الحُكّام . وأنْ يكون المقصود من قوله : « يملؤها قسطاً وعدلاً » القسط من الحُكّام والعدل من عامة الناس ، وسيأتيك مزيد من التفصيَل في فصل : حياة المجتمع في عصره .

وقد مرَّ عليك كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الإمام المهدي (عليه السلام) : « اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي » أي أنه مثل بَني إسرائيل في طول القامة ، فإن الكثير من الساكنين في بلاد الأردن وفلسطين طوال القامة وهم من بقايا بني إسرائيل، أي من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن (عليهم السلام) وليس جسمه (عليه السلام) كأجسام اليابانيين أو أهل الصين أو ساكني بلاد شرق آسيا ، فإنّ أجسامهم ـ على الأغلب ـ قصيرة أو متوسطة .

الفصل الخامس

البشائر في أحاديث الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» بالإمام المهدي «عليه السلام»

تجد في موسوعات الأحاديث (كالكافي والبحار وغيرهما) طائفة كثيرة من البشائر التي رُويت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالإمام المهدي (عليه السلام) في شتّى المناسبات مما يدل على إهتمام الأئمة (عليهم السلام) بهذا الموضوع ، بل على أهمية الموضوع .

ولا نريد ـ هنا ـ البحث عن عِلْم الإمام وكيفيةإخباره عن المستقبل ، ولكنَّنا نكتفي ـ هنا ـ بكلمة واحدة وفيها الكفاية :

أقول : الأحاديث المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الإمام المهدي (عليه السلام) المذكورة في كتب الشيعة والسُنَّة تبلغ المئات ، وكذلك الأخبار والأحاديث المرويَّة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حول المستقبل ، القريب مِن عهده أو البعيد عنه ، وحول آخر الزمان وتبدُّل الأحوال ، فقد أخبر (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حكومة الأمويين والعباسيين وغيرهما مِن الحوادث .

أقول : كل ما تقوله في تلك الأحاديث ـ أي في مصدر هذه الإخبارات عن المستقبل ـ نقوله نحن في الإخبارات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول الملاحم والفِتَن بصورة عامة وحول الإمام المهدي (عليه

السلام) بصورةخاصة ، فإن كان مُسْتقىٰ عِلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الوحي فكذلك الأئمة علومهم عن جدِّهم عن جبرئيل عن الله تعالى ، وليس معنى ذلك عِلم الغيب فإنه خاص بالله تعالى .

وقد ألَّف علماؤنا المتقدِّمون (رحمهم الله) وبعض المعاصِرين كُتُباً كثيرة حول عِلم الإمام ، وذكرنا بعض تلك الأحاديث في الجزء الأول من كتابنا شرح نهج البلاغة ، وكتاب : (فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد) في البحث عن مصحف فاطمة عليها السلام .

وخلاصة البحث : أنّ مصادر علومهم ومنابع معلوماتهم متنوِّعة ومتعدِّدة ، فمنها: المسموعة والمرويَّة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومنها : ما هو مذكور في كتاب علي ومصحف فاطمة (عليها السلام) ومنها : ما هو مذكور في الجَفر الأحمر ، ومنها : ما هو مِن خصائص الإمام ، والبحث يحتاج الى شيء من الشرح والتفصيل ، ونرجو الله تعالى أن يوفِّقنا لتأليف كتاب حول الموضوع يتضمَّن شيئاً من التفصيل والتحليل.

أعود الى حديثي حول البشائر الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول الإمام المهدي (عليه السلام) فأقول :

حينما نراجع موسوعات الأحاديث الواردة عن أهل بيت النبوة (عليهم السلام) نجد فيها البشائر الواردة عن جميع الأئمة الأحَدَعشر (عليهم السلام) بالإمام المهدي ، وهذا أيضاً مما يدل على مدى إهتمام الأئمة الطاهرين وشدَّة عنايتهم بهذا الموضوع ، وخاصة بعد الإنتباه الى المواطن الحسّاسة والمواقف الفريدة التي نوَّه الأئمة (عليهم السلام) بالإمام المهدي (عليه

السلام) وأشادوا بذِكْره وإسمه ، ومِن الطبيعي أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ـ بالرغم من ظروفهم الخاصة ـ كانوا يبذلون ما أمكنهم من الجهود في تثبيت هذه الحقيقة على الصعيد العقائدي .

ولا عجب إذا كانت كميات الأحاديث الواردة عن الأئـمة تختلف مِن حيث القِلَّة والكثرة ، والإجمال والتفصيل ، فالـظروف كانت تختلف ، والحريات كانت تتفاوت حسب تبدّل الظروف السياسية التي كانت لا تسمح لنشر هذه الحقيقة بصورة مكشوفة ، أو التحدُّث عنها بصورة مفصَّلة ، واليك نبذة مِن تلك الأحاديث المرويَّة عن أئمة أهل البيت الصادقين (عليهم السلام) :

الإمامُ أميرُ المؤمنين « عليه السلام »
يُبَشِّرُ بالإمامِ المهديِّ « عليه السلام »

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) باب مدينة عِلم الرسول ، وهو أبو الأئمة وسيِّد العِترة ، وقد إشتهر بيَن جميع المسلمين قوله (عليه السلام) : « علَّمني رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم ، يُفتح لي من كل باب ألف باب » وقد أخبر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حوادث جَمَّة وقضايا كثيرة جدَّاً ، فقد أخبر (عليه السلام) عن إستيلاء معاوية بعده على البلاد الإسلامية[1] وأخبر ـ أكثر من مرة ـ عن شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ، وخاصة حين مرَّ بكربلاء قبل شهادة الحسين بأكثر من عشرين عاماً[2] وأخبر عن الحُكّام العباسيين ، وبناء بغداد ، ثم إنقراض العباسيين على أيدي المغول بقوله (عليه السلام) : « الزوراء ! وما أدراك ما الزوراء ؟ أرض ذات أثل ، يُشيَّد فيها البنيان ، وتكثر فيها السُكّان ، ويكون فيها مخادم وخزّان ، يَتخذها وُلد العباس موطناً ، ولزخرفهم مسكناً ، تكون لهم دار لهو ولعب ، يكون بها الجَور

(١) قال (عليه السلام) : « أما إنَّه سيظهر عليكم بعدي رجل رَحْبُ البُلعوم ، مُندَحِقُ البطن ، يأكل ما يَجد ، ويَطلب ما لا يَجد ، فاقتلوه ، ولن تقتلوه ، ألا : وإنّه سيأمركم بسَبِّي والبراءة مِنّي . . . إلى آخر الحديث » . راجع نهج البلاغة ص ١٠٥ ، وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٣١٧ .

(٢) راجع كتاب بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨٦ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٧ .

الجائر ، والخوف المخيف ، والأئمة الفَجَرة ، والأُمراء الفَسَقة ، والوزراء الخَوَنة ، تخدمهم أبناء فارس والروم ، لا يأتمرون بمعروفٍ إذا عرفوه ، ولا يتناهون عن منكرٍ إذا نكروه ، تكفي الرجال منهم بالرجال ، والنساء بالنساء ، فعند ذلك الغَمُّ العَميم ، والبكاء الطويل ، والويل والعويل لأهل الزوراء مِن سَطوات التُرك ، وهم قوم صغار الحَدَق ،وجوههم كالمجانِّ المطوَّقة[1] ، لباسهم الحرير ، جُرْدٌ مُرْدٌ ، يَقدمهم مَلِك يأتي مِن حيث بدا مُلكهم ، جَهْوَريُّ الصوت ، قويُّ الصَولة ، عالي الهِمَّة ، لا يَمُرُّ بمدينة إلاّ فتحها ، ولا تُرفَع عليه راية إلاّ نكَّسها ، والويل الويل لمن ناواه ، فلا يزال كذلك حتى يَظفر »[2] .

لا أراني بحاجة إلى شرح هذه الخطبة ، وخاصة وأنّها ليست مقصودة بالذات ، بل ذكرتُها كَمِثال وشاهد لما نحن فيه ، ولكن في الخطبة نكتة لطيفة و هي أنّ حكومة العباسيين إبتدأت من خراسان على يد أبي مسلم الخراساني ، وكان زَحف المغول من خراسان أيضاً ، يقول (عليه السلام) : « يأتي من حيث بدا مُلكهم » وقد تحقَّق كل هذا وهذا كلُّه ، فالزوراء ـ وهي مدينة بغداد ـ كانت ولا تزال كما وصفها الإمام (عليه السلام) والمغول صنعوا ما صنعوا في البلاد الإسلامية ، تجد التفاصيل في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد .

وخلاصة البحث: إنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أخبر عن

(١) وفي نسخة « المجان المطرقة » . المجان ـ جَمْعُ مِجَنّ ـ : وهو الترس . والترس: صفحة مِنَ الفولاذ ـ مستديرة الشكل غالباً ـ تُحمل في الحرب للوقاية من السيف .

(٢) كتاب (سفينة البحار) للمحدِّث القميّ . ج ١ ص ٥٦٨ .

حوادث كثيرة وكوارث عديدة قد تحقَّقَ مُعظمها [١] .

ومن جملة تلك الإخبارات هو الإخبار عن الإمام المهدي (عليه السلام) وقد ذكرنا كلامه في تفسير الآيات المأوَّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) وإليك بعض تلك الأحاديث :

روى الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) بسنده عن أبي جعفر الثاني (الإمام محمد الجواد) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : للقائم مِنّا غيبة ، أمَدُها طويل ، كأني بالشيعة يَجولون جَولان النعم في غَيبته ، يطلبون المرعى فلا يجدونه ؛

ألا : فمن ثَبَتَ منهم على دينه ولم يقسُ قلبه لطول أمَد إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ، ثم قال : إن القائم مِنّا إذا قام لم يكن لأحَد في عنقه بيعة ، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه .

وروى الصدوق أيضاً عن الإمام الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) أنه قال ـ للحسين (عليه السلام) ـ : التاسع مِن وُلْدك يا حسين هو القائم بالحق ، المُظهر للدين ، الباسط للعدل ، قال الحسين (عليه السلام) : فقلت يا أمير المؤمنين وإنَّ ذلك لَكائن ؟ ... فقال : إي والذي بَعَث محمداً بالنبوة واصطفاه على جميع البرية ، ولكن بعد غيبة وحيرة ، لا يَثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين ، الذين أخذ الله ميثاقهم

(١) الجدير بالذِكر أن الشيخ المجلسي (رضوان الله عليه) قد خصَّص ـ في كتابه بحار الأنوار فصلاً خاصاً بعنوان (باب إخباره عن الغائبات وعِلْمه باللغات) وقد جمع فيه ٦٤ حديثاً مروياً عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول المستقبل ، راجع بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨٣ الى ٣٦٠

بولايتنا ، وكتب في قلوبهم الإيمان ، وأيَّدهم برُوح منه .

وفي كتاب نهج البلاغة : قال (عليه السلام) : فأنظروا أهلَ بيت نبيِّكم فَلَئن لَبَدَوا فألبدوا[١] وإنْ استنصروكم فانصروهم . فليفرّجنّ الله الفتنة برجُلٍ مِنّا أهل البيت ، بأبي ابن خيرة الإماء ، لا يُعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً[٢] موضوعاً على عاتقه ثمانية اشهر ، حتى تقول قريش : لو كان هذا مِن وُلد فاطمة لرَحِمَنا ؛

يُغريه الله ببني أُميَّة - أي يُسلِّطه الله عليهم - حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً ، ملعونين أينما ثُقفوا أُخذوا وقُتِّلوا تقتيلاً ، سُنَّة الله في الذين خَلَوْا مِن قبل ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً .

وفي كتاب (ينابيع المودَّة) للقندوزي الحنفي ص ٥١٢ قال : خَطَب علي بعد إنقضاء أمر النهروان ، فذَكَرَ طرفاً من الملاحم ، وقال : ذاك أمر الله ، وهو كائن ، وقتاً مريحاً ، فيا ابن خيرة الإماء متى تنتظر ؟[٣] أبْشِر بنصرٍ قريب مِن ربٍّ رحيم . فبأبي وأُمي عدة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة .

وفي (ينابيع المودَّة) أيضاً (ص ٤٦٧) عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : سيأتي الله بقومٍ يحبُّهم الله ويحبُّونه ، ويملك مَن هو بينهم غريب ، فهو المهدي ، أحمر الوجه ، بِشَعْره صُهوبة[٤] يملأ الأرض عدلاً بلا

(١) لبَد في المكان : أي أقام فيه .

(٢) لعل المراد : قتلاً قتلاً .

(٣) هكذا وجدنا في المتن ، ولعل الأصح «الى متى تنتظر» ويحتمل أن يكون «متى تنتصر» .

(٤) الصُهْبَة : الشقرة في شعر الرأس ، والشقرة : اللون الأشقر ، وهي في الانسان حُمْرةٌ تعلو بياضاً كما في كتب اللغة ،

صعوبة ، يعتزل في صِغره عن أُمّه وأبيه ، ويكون عزيزاً في مُربّاه ، فَيملك بلاد المسلمين بأمان ، ويصفو له الزمان ، ويُسمَع كلامه ، ويطيعه الشيوخ والفتيان ، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، فعند ذلك كملت إمامته وتقرّرت خلافته ، والله يبعث مَن في القبور [١] فأصبحوا لا ترى إلّا مساكنهم ، وتعمر الأرض وتصفو وتزهو بمهديِّها ، وتجري به أنهارها ، وتعدم الفِتَن والغارات ، ويكثر الخير والبركات .

وفي كتاب (منتخب الأثر) عن كتاب تذكرة الخواص ، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة في مدح النبي والأئمة (عليهم السلام) قال : فنحن أنوار السماوات والأرض ، وسُفُن النجاة ، وفينا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأُمور ، وبمهديِّنا تُقطع الحُجَج ، فهو خاتم الأئمة ، ومنقذ الأُمَّة ، ومنتهى النور ، وغامض السِرّ ، فليَهنأ مَن استمسك بعُروَتنا وحُشِر على محبَّتنا .

وأيضاً في كتاب (منتخب الأثر) عن (ينابيع المودَّة) للقندوزي الحنفي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : يظهر صاحب الراية المحمديَّة ، والدولة الأحمديَّة ، القائم بالسيف والحال[٢] الصادق في المقال ، يمهِّد الأرض ، ويحيي السنَّة والفَرض[٣] .

---

(١) إشارة الى الرجعة ويأتي التفصيل في أواخر الكتاب .

(٢) هكذا وجدنا في المصدر ، ولعل الصحيح « الخال »كما صرّحت الأحاديث أن على خده الايمن خالاً .

(٣) السُنَّة : المُستَحب ، الفَرْض : الواجب .

وفي كتاب عِقْد الدرر : قال علي بن أبي طالب : إذا نادىٰ مُنادٍ من السماء : انّ الحق في آل محمد . فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس[١] يشربون ذِكْره ، فلا يكون لهم ذِكر غيره .

في كتاب (إكمال الدين) للشيخ الصدوق بأسناده عن أبي جعفر (الإمام محمد الباقر) عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ وهو علىٰ المنبر ـ . يخرج رجل من وُلْدي في آخر الزمان ، أبيض اللون ، مُشَرَّبٌ بالحمرة[٢] مُبدَّح البطن[٣] عريض الفخذين ، عظيم مشاش المنكبين ، بِظَهره شامتان : شامة على لون جلده ، وشامة على شبه شامة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

له إسمان : إسم يخفى وإسم يعلن : فأما الذي يخفى فأحمد ، وأما الذي يُعلن : محمد . فإذا هَزَّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب ، ويوضع[٤] يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلّا صار قلبه أشدّ مِن زُبَرِ الحديد ، وأعطاه الله قوة أربعين رجلاً ، ولا يبقى ميت من المؤمنين إلّا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وهو في قبره ، وهم يتزاورون في قبورهم ، يتباشرون بقيام القائم (عليه السلام) .

وروىٰ القندوزي في (ينابيع المودَّة) هذه الأبيات لأمير المؤمنين (عليه

(١) أن يكون ظهوره حديث الساعة ، وأهمَّ الأخبار في جميع المجالس والإجتماعات .

(٢) أبيض مشرب بالحُمْرة : أي إختلط أحد اللونين بالآخر ، إذ قد يكون بياض فقط في اللون ، وقد يكون البياض مختلطاً باللون الأحمر .

(٣) مبدح البطن : واسع البطن . والمشاش : رؤوس العِظام .

(٤) هكذا وجدنا في المتن ولعل الأصح أن يكون هكذا : يضع يده .

السلام) :

حســينُ إذا كنتَ في بلدةٍ غـريبـاً فعـاشِـر بـآدابهـا

إلى أن يقول :

سقى الله قـائمنـا صـاحـب القيـامـة ، والنـاس في دابهـا

هو المُدركُ الثار لي يا حسـ ـين بل لك ، فاصبر لأتعابها

أقول : الأحاديث المرويَّة عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الإمام المهدي كثيرة جداً ، ولعلنا نتطرَّق إلى ذِكر بعضها في الفصول القادمة من هذا الكتاب إنْ شاء الله .

وأختم هذا الفصل بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الإمام المهدي (عليه السلام) ، في أواخر لحظات حياته المشرقة وأثناء وصيته لإبنه الإمام الحسن (عليه السلام) حيث قال : ثم تقدَّم ـ يا أبا محمد ـ وصَلِّ عليَّ ـ يا بُني يا حسن ـ وكَبرِّ عليَّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحلُّ ذلك على أحد غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزمان إسمه : القائم المهدي ، مِن وُلد اخيك الحسين يُقيم إعوجاج الحق[1] .

---

(١) الصلاة على الميت خمس تكبيرات ، ولا تجوز الزيادة على الخمس إلاّ لافراد مخصوصين .

الإمام الحسن «عليه السلام» يبشّر بالإمام المهدي «عليه السلام»

الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة والسبط الأكبر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أحد الأئمة المبشّرين والمخبرين بالإمام المهدي (عليه السلام) .

ولا عجب إذا كانت الأحاديث المروية عنه ـ بصورة عامة ـ وحول الإمام المهدي ـ بصورة خاصة ـ قليلة ، فمن اللازم أنْ لا ننسى أن أيام خلافته وهي حوالي عشر سنوات (ابتداءاً من شهادة أبيه امير المؤمنين (عليه السلام) وانتهاءاً إلى وفاته) إنقضت في جوٍّ من المآسي والمحن والإضطرابات والتوتّر .

فقد تربّع إبن آكلة الأكباد (معاوية بن أبي سفيان) على منصّة الحُكم وساعدته الظروف لمحاربة آل محمد (عليهم السلام) محاربة شعواء بلا هوادة ، وفتح بيوت أموال المسلمين ليشتري بها الضمائر ، ويستأجر المرتزقة ليختلقوا الأحاديث المزوَّرة ليشوِّهوا سُمعة آل البيت النبوي الطاهر ، ويحطِّموا معنوياتهم ، و يدنّسوا قداستهم ، وفي نفس الوقت يضعوا الأحاديث المزيَّفة في فَضْل الشجرة الملعونة ليلبسوها حُلَّة النزاهة والمجد ؛ والأموال لها كل الأثر في تشويه الحقائق ونشر الأباطيل في كل زمان ، وخاصة إذا كانت مصحوبة بالقذرة والسلطة الغاشمة .

فكان التشيُّع والشيعة في أقسى أزمنة الإضطهاد والكبت والقلق ، وكانت أعاصير السياسة تبلبل الأفكار والأهواء .

ظروف عجيبة ، ومشاكل رهيبة ، ومآسي ومصائب جمَّة عاشها الإمام الحسن السبط ، فكيف يجد الزمان المناسب لنشر الحقائق ؟ وأين الإمكانيات التي تتيح له الفرصة للتحدُّث عن الأُمور العظيمة التي لا تتقبَّلها إلاّ القلوب المطمئنة لا المضطربة ، ولا تنسجم معها إلاّ الأفكار السليمة لا المذبذبة .

وبالرغم من أنّ تلك الفترة من ذلك العصر لم يكن للناس فيها إقبال على الحديث وضبطه ولا اهتمام بأخذ العلم عن المصادر النزيهة والمنابع العذبة ، مع ذلك كله لم يُهمل الإمام الحسن (عليه السلام) التنويه والإشادة بالإمام المهدي (عليه السلام) .

فحينما كان يتحدث عن ظروفه الصعبة إنتهز الفرصة ليقول :

.... أما علمتم أنَّه ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة[1] لطاغية زمانه إلاّ القائم الذي يُصلِّي روح الله عيسى بن مريم خلفه ، فإنّ الله عز وجل يخفي ولادته ، ويُغيّب شخصه لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذاك التاسع من وُلد أخي الحسين ، ابن سيدة الإماء ، يطيل الله عمره في غيبته ، ثم يُظهره بقدرته في صورة شابٍ إبن دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير[2] .

---

(١) لا شك أنه ليس المراد من « البيعة » في قوله « عليه السلام» : «بيعة لطاغية زمانه » البيعة بالخلافة والتعهُّد بالطاعة ، بل المراد ما يكون نتيجة البيعة وهو العيش ـ مقهورين ـ تحت سلطة وحكومة أُولئك الطغاة .

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٢ . نقلاً عن إكمال الدين للشيخ الصدوق .

الإمامُ الحُسَين «عليه السلام» يُبَشِّرُ بالإمامِ المهدِي «عليه السلام»

لقد مرَّ الإمام الحسين (عليه السنلام) بنفس الظروف الصعبة والملابَسات المؤلمة التي مرَّ بها الإمام الحسن (عليه السلام) وزيادة ، فلقد عاش الإمام الحسين بعد أخيه الإمام الحسن حوالي عشر سنوات إشتَدَّتْ فيها المِحْنَة وكثر فيها البلاء ، وطالت المدَّة ، ومع ذلك كلِّه لم يترك الإمام الحسين (عليه السلام) الفرصة أن تفوته ، بل كان ينتهزها بالإخبار عن الإمام المهدي (عليه السلام) والإشادة به والتحدُّث عنه ، فمثلاً : يقول (عليه السلام) لعبد الله بن عمر :

« لو لم يَبق مِن الدنيا إلَّا يومٌ واحد لطوَّل الله (عزَّ وجل) ذلك اليوم حتى يخرج رجل مِن وُلدي يملأُها عدلاً وقِسْطاً كما مُلئت جوراً وظلماً ، كذلك سمعتُ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول .»[1] .

ويقول (عليه السلام) ـ لرجلٍ مِن هَمْدان[2] ـ : قائمُ هذهِ الأُمَّة هو التاسع مِن وُلْدي ، وهو صاحب الغَيبة ، وهو الذي يُقسَّم ميراثُه وهو حيٌّ[3].

---

(١) «كذلك سمعتُ رسول الله» أي هكذا سمعتِ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٣ نقلاً عن إكمال الدين للشيخ الصدوق .

(٢) هَمْدان : اسم قبيلة في اليمن .

(٣) نفس المصدر . قوله (عليه السلام) : « وهو الذي يُقسَّم ميراثه وهو حيّ » : يمكن أن يكون =

وفي كتاب (عِقد الدُرَر) بسنده عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال : لو قام المهدي لأنكرَه الناس ، لأنه يرجع اليهم شاباً وهم يحسَبونه شيخاً كبيراً .

وروىٰ الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) بأسناده عن عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) : مِنّا إثنا عشر مهديّاً ، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع من وُلدي[1] ، وهو الإمام القائم بالحق ، يُحيي الله به الأرضَ بعد موتها ، ويُظهر به دينَ الحق على الدين كلِّه ولو كره المشركون ، له غَيبة يَرتدّ فيها أقوام ، وَيَثبت فيها على الدين آخرون ، فَيُؤْذَوْن ويقال لهم : « متىٰ هذا الوَعْد إنْ كنتم صادقين » .

أمَا إنَّ الصابر ـ في غيبته ـ على الأذىٰ والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدَيْ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] .

وروىٰ الصدوق أيضاً عن عيسى الخشّاب قال : قلت للحسين بن علي (عليهما السلام) : أنت صاحب هذا الأمر ؟ .

= إشارة الى ما حَدَثَ بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ـ والد الإمام المهدي ـ ، فإن أخاه جعفر ـ بسبب إنحرافه ـ أنكر أن يكون للإمام العسكري وَلَد ، وأعتبر نفسه الوارث الوحيد لأخيه ، فاستولى على ما تركه أخوه .

(١) ليس المقصود من قوله (عليه السلام) : « منّا إثنا عشر مهديّاً » أن « المهدي » إسمٌ لكل واحدٍ من الأئمة الإثني عشر ، بل المقصود وصْفُهم بالهداية وأنهم جميعاً مهديّون .

(٢) (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣١٧ .

قال : لا ... ولكنَّ صاحَبَ الأمر الطريدُ الشريد ، الموتور بأبيه ، المكنىٰ بِعَمِّه[1] يضع سيفَه على عاتقه ثمانية أشهر .

(١) المستفاد من هذا الحديث ومن الحديث الذي سيأتي في فصل (الإمام الباقر عليه السلام يُبشِّر بالإمام المهدي عليه السلام) أن « أبا جعفر » كنيةٌ للإمام المهدي (عليه السلام) ، وانْ كانت هذه الكُنية غير مشهورة .

الإمام زين العابدين «عليه السلام»
يُبشِّر بالإمام المهدي «عليه السلام»

ومِن المبشِّرين بالإمام المهدي (عليه السلام) هو زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ، ومما يجدر الإنتباه إليه هو أن الإمام أشار الى هذه الحقيقة في ساعة يعجز القلم عن وصْفها ، فلقد عاش الإمام زين العابدين (عليه السلام) واقعة كربلاء الدامية ، وفَقَدَ في يوم كربلاء (عاشوراء) أباه الإمام الحسين (عليه السلام) وعشيرته وأغصانَ الشجرة الطيِّبة في غضون يوم واحد ، وأْنصبَّتْ عليه الفجائع ، الواحدة تلو الأُخرى في خلال ساعات ، وحكموا عليه بالإعدام ثلاث مرات :

الأُولى : في كربلاء بعد شهادة أبيه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)

الثانية : في الكوفة ، وفي مجلس عُبيد الله بن زياد ، حين أمر إبن زياد بقتل الإمام .

الثالثة : في الشام ، لما عزم يزيدُ على قتْله ، وحتى أنه أمر أن يُحفَر قبرٌ للإمام ليُدفن فيه بعد تنفيذ حكم الإعدام عليه .

ولكن الله تعالى كفاه شرَّهم ، ودفع عنه السوء ، وحفَظه من القتل ؛ وفي يوم جُمُعَةٍ من تلك الأيام حضر يزيدُ بن معاوية ليَؤُمَّ الناس في أداء صلاة الجمعة في الجامع الأموي بدمشق ، وأمر يزيد خطيباً أن يتولّىٰ خطبة صلاة الجمعة ، إذ أنه كان عارياً عن الثقافة الدينية ، وبمعزل عن وعظ الناس وإرشادهم ، ولكنَّه أعطىٰ للخطيب رؤ وس الأقلام التي تدور عليها الخطبة .

أمر يزيدُ الخطيبَ أن يَمدح بَني أُمية وعلى رأسهم معاوية ويزيد ، وأن يذْكر آلَ رسول الله (صلوات الله عليهم) بكل سوء ، ونفَّذ الخطيب المأجور هذه الخُطَّة القذرة .

كل هذا والإمام زين العابدين (عليه السلام) حاضرٌ يسمع تلك الترّهات والأباطيل ، فينهض الإمام ليكسر أقفال الصمت ، وليصرخ في وجه الخطيب صرخةً يُدوِّي صَداها على مسامع الجماهير المتجمهرة في الجامع الأموي لأداء صلاة الجمعة قائلاً : « ويلك أيها الخاطب !! إشتريتَ مَرْضاة المخلوق بسخط الخالق فتَبَوَّأْ مَقْعَدَك من النار » ثم يَستأذن الإمام زين العابدين (عليه السلام) من يزيد ليأذن له ليرقىٰ المنبر ، وبعد محاولات كثيرة وإلحاح من الحاضرين أذِنَ له يزيد مُكرَهاً ، وصعد الإمام المنبر ، وبعد مقدّمات وكلمات في المواعظ جَلَبَ إنتباه الحاضرين ومَلَكَ قلوبهم وَمَشاعِرَهم ، فقال : ـ في ضمن خطبته ـ :

« أيها الناس : أُعطِينا سِتّاً ، وفُضِّلْنا بِسَبع : أُعطينا العِلم ، والحِلم ، والسَماحَة ، والفصاحة ، والشجاعة ، والمحبَّة في قلوب المؤمنين ؛ وفُضِّلنا : بأن مِنّا النبيَّ المختار ، ومِنّا الصِّدِّيق ، ومنّا الطَيّار ، ومنّا أسد الله وأسد

رسوله ، ومنّا سِبطي هذه الأُمَّة ، ومنّا مهديُّ هذه الأُمة ... إلى آخر الخطبة »[١] .

٢ ـ في كتاب (إكمال الدين) : قال الإمام علي بن الحسين سيّد العابدين (عليه السلام) : القائم مِنّا تخفىٰ ولادته على الناس حتى يقولوا : لم يُولدَ بـعدُ ، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة[٢] .

٣ ـ وأيضاً في (إكمال الدين)عن ابي خالد الكابلي ـ وهو مِن أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ـ :... قال أبو خالد : فقلت : يأْ بن رسول الله إن ذلك لكَائن ؟ .

فقال : إي وربيِّ ، إنَّ ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذِكْر المِحَن التي تجري علينا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال أبو خالد : فقلت يا بن رسول الله ثم يكون ماذا ؟

قال (عليه السلام) : ثم تمتدُّ الغيبة بِوَليِّ الله (عزَّ وجل) الثاني عشر من أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة بعده .

يا أبا خالد : إنَّ أهلَ زمان غَيبته ، القائلين بإمامته ، والمنتظِرين ظهورَه أفضل مِن أهل كل زمان ، لأنَّ الله تبارك وتعالىٰ أعطاهم مِن العقول والأفهام

---

(١) معالي السبطين نقلاً عن مُنتخَب الطريحي . الصِّدِّيق : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، والطيّار : أخوه جعفر بن أبي طالب ، وأسد الله وأسد رسوله : هو عمُّه حمزة بن عبد المطلب .

(٢) (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٢٣ .

والمعرفة ما صارت به الغَيبة عندهم بمنزلة المشاهَدة ، وجَعَلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يَدَيْ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف ، أُولئك المخلصون حقّاً ، وشيعتُنا صِدْقاً ، والدُعاة الى الله (عزَّ وجل) سِرّاً وجَهْراً .

٤ ـ وفي كتاب (إكمال الدين) بإسناده عن سعيد بن جُبير قال : سمعتُ سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول :

في القائم مِنّا سُنَنٌ من الأنبياء ، سُنَّة مِن أبينا آدم (عليه السلام) وسُنَّة مِن نوح ، وسُنَّة من إبراهيم ، وسُنَّة من موسى ، وسُنَّة مِن عيسى ، وسُنَّة مِن أيّوب ، وسُنَّة من محمد (صلوات الله عليهم)

فأمّا مِن آدم ونوح : فطول العُمْر .

وأمّا مِن إبراهيم : فَخفاء الولادة واعتزال الناس[1].

وأمّا مِن موسى : فالخوف والتقيَّة[2] .

وأمّا من عيسى : فاختلاف الناس فيه[3] .

---

(١) قال الله تعالى في القرآن ـ حِكايةً لكلام النبي إبراهيم (عليه السلام) ـ : ﴿ وأعْتَزِلكم وما تدْعون مِن دون الله ،وأدعو ربي عسى ألاّ أكونَ بدُعاء ربي شقيّاً ، فلما اعْتَزَلهم وما يعبدون من دون الله وَهَبْنا له إسحاق ويعقوب﴾ سورة مريم / آية ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) قال الله تعالى في القرآن الكريم ـ في ذِكْر قصة النبي موسى (عليه السلام) ـ : ﴿ فأَصْبَحَ في المدينةِ خائفاً يَترَقَّبْ﴾ . سورة القصص / آية ١٨ . ﴿ فَخَرَجَ منها خائفاً يَترَقَّب﴾ سورة القصص / آية ٢١ .

(٣) قال تعالى : ﴿ لقد كَفَرَ الذين قالوا إنَّ الله هو المسيحُ ابن مريم﴾ سورة المائدة / آية ١٧ .

وأمّا من أيوب : فالفَرَج بعد البلوىٰ .

وأمّا مِن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : فالخروج بالسيف[1] .

نكتفي بهذا العدَد ، ولعلّنا نذكر في المستقبل بعض الأحاديث الأُخرىٰ المرويَّة عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) .

=﴿ لقد كَفَرَ الذين قالوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثة﴾ سورة المائدة / آية ٧٣ .﴿ وقالت النصارى : المسيحُ أبنُ الله﴾ سورة التوبة / آية ٣٠

(١) سيأتي معنى هذه الجملة في فصل (كيف تَخْضَع له الدول والحكومات ؟) من هذا الكتاب إنشاء الله .

الإمام الباقر « عليه السلام »
يُبشِّرُ بالإمام المهدي « عليه السلام »

يُستفاد مِن مَطاوي كُتُب التواريخ أن عصْر الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) كان نقطة تحوُّلٍ وتطوُّرٍ في الثقافة الإسلامية ، فقد تولَّد في الناس الوعي ، والرغبة الى طَلَب العِلم ، وشدِّ الرحال الى المراكز الدينية لتحصيل العلوم ، وخاصة الفقه والتفسير والحديث ، وحَصَل شيء من النُضْج الفِكري ، فكان الناس لا يكتفون بسماع الأحاديث ، إلاّ بعد التحقيق والبحث عن التحليل والتعليل .

فلا عجب إذا كان الناس يقصدون المدينة المنوَّرة للتزوُّد مِن التابعين الذين أدركوا أصحابَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذوا منهم العلوم .

فكمْ مِن الفقهاء الذين هاجروا من الكوفة أو غيرها الى المدينة المنوَّرة وإتصلوا بالإمام الباقر (عليه السلام) يرتشفون من نمير عِلمه ، ويُرَوُّون غليلَهم من بحار معرفته وينابيع حِكْمته ، فكانت العلوم والمعارف تتفجَّر لهم من ناحية الإمام الباقر (عليه السلام) وتنكشف لهم الأدلَّة والبراهين في المسائل العقائدية كالتوحيد والعدل والنبوّة ، والإمامة بصورة خاصةوغيرها .

ومِن البديهي ان تكون الأحاديث المرويَّة عن الإمام الباقر (عليه السلام) حول الإمام المهدي (عليه السلام) غزيرة المادَّة ، كثيرة العَدَدَ ، قد

سجّلتها أقلام الفقهاء الذين تلمّذوا على الإمام الباقر، ولا يسع هذا الكتاب إستيعاب تلك الأحاديث بأجمعها ، بل نكتفي ببعضها ، مع العلم أننا سنذكر بعض تلك الأحاديث ، في الأبواب والفصول القادمة بالمناسبة إنشاء الله تعالى ، وقد ذكرنا شيئاً منها في الفصول السابقـة :

١ ـ في كتاب (بحار الأنوار) نقلاً عن كتاب (الغيبة) للنعماني بأسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : كنتُ عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ذاتَ يوم ، فلما تفرَّق مَن كان عنده قال لي : يا أبا حمزة مِن المحتوم الذي حتمَه الله قيامُ قائمنا ، فمَن شكَّ فيما أقول لقىٰ الله وهو به كافر ، ثم قال : بأبي وأُمي المسمّىٰ بإسمي ، والمُكنّىٰ بِكُنْيَتي ، السابع من بعدي[1] ، بأبي مَنْ يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، يا أبا حمزة مَن أدركه فيسلِّم له ما سَلَّم لمحمد وعلي فقد وَجَبَتْ له الجنة ، ومَن لم يُسلِّم فقد حرَّم الله عليه الجنة ، ومأْواه النار ، وبئسَ مثوىٰ الظالمين .

٢ ـ وفي (إكمال الدين) للشيخ الصدوق (عليه الرحمة) بأسناده عن أُمِّ هانىء الثقفية قالت : غدوتُ علىٰ سيدي محمد بن علي الباقر (عليه السلام) فقلت له : يا سيدي ! آيةٌ في كتاب الله عزَّ وجل عرضتْ بقلبي فأقلقتْني وأسهرتني . قال : فأسألي يا أُمَّ هانىء . . قالت : قلتُ : قول الله عزَّ وجل : « ﴿ فلا أُقْسِم بالخُنَّس الجوار الكُنَّس[2] ﴾ قال : نِعْمَ المسألة سألْتِيني يا أُمَّ

(١) الإمام الباقر (عليه السلام) هو الإمام الخامس ، والإمام المهدي (عليه السلام) هو الإمام الثاني عشر ، فيكون الإمام المهدي (عليه السلام) سابع إمامٍ بعد الإمام الباقر (عليه السلام .) .

(٢) لا يخفى أنَّ لهذه الآية تفسيراً وتأْويلاً ، أمّا التأْويل : فهو ما صرَّح به الإمام (عليه السلام) =

هانىء ، هذا مولودٌ في آخر الزمان ، هو المهدي مِن هذه العِترة ، تكون له حيرة وغَيبة يضلُّ فيها أقوام ، ويهتدي فيها أقوام ، فيا طوبىٰ لكِ إنْ أدْرَكتيه ، ويا طوبىٰ لمن أدرَكه[1]» .

٣ـ وأيضاً في (إكمال الدين) عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : قال لي : يا أبا الجارود إذا دار الفلك وقال الناس : مات القائم أو هلكَ ، بأيِّ وادٍ سَلَكَ ، وقال الطالب : أنّىٰ يكون ذلك وقد بُليتْ عظامُه فعند ذلك فأرجوه ، فإذا سمعتم به فأْتوه ولو حَبْواً[2] على الثلج[3] .

نكتفي ـ هنا ـ بهذا المقدار من الأحاديث ، ولنا في المستقبل مجال واسع لذِكْر بعض الأحاديث الأُخرى المرويَّة عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) .

= في هذا الحديث ، وأمّا التفسير : فهو قَسَم بالنجوم الذي تخنس ـ أي تختفي ـ بالنهار ، وتكنس ـ أي تظهر ـ بالليل . ووجه الشَبَه بين التفسير والتأويل واضح ، فكما أن النجوم تظهر بعد خفاء وغياب ، كذلك الامام المهدي يظهر بعد خفاء وغيبة . وقد ذكر القندوزي الحنفي ـ في كتابه ينابيع المودة ص ٥١٥ ـ : ان هذه الآية نزلت في الإمام المهدي (عليه السلام)

(١) إكمال الدين ج ١ ص ٣٣٠ ، بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٧ .

(٢) الحَبْو : هو المشي على اليدين والرجلين ، يُقال : حَبا الصبي : أي زحف على يديه وبطنه .

(٣) (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ج ١ ص ٣٢٦ .

الإمام الصادق «عليه السلام» يُبشّر بالإمام المهدي «عليه السلام»

إن التحدُّث عن عصر الإمام الصادق جعفر بن محمد (صلوات الله عليه) وإنتشار العلم وإزدهاره يحتاج الى تأْليف خاص ، وربما يحتاج الى موسوعة لمن يُريد الإحاطة بجميع جوانب عصر الإمام من الناحية السياسيَّة والعلميَّة والظروف الخاصة التي إندمجت مع عصره .

ونستطيع ـ هنا ـ أن نُلخِّص الكلام فنقول :

إن الحكومة الأموية الغاشمة كانت في طريقها الى الزوال والأضمحلال في أواسط حياة الإمام الصادق (عليه السلام) ، ثم تأسَّست الحكومة العباسية وقبل أن تشتَدَّ أركانها ويقوىٰ نفوذُها في البلاد الإسلامية وخاصة في المدينة المنَّورة وَجَدَ الإمام الصادق (عليه السلام) المجال المناسب لنشر العلوم على أوسع صورة ممكنة ، فلقد إستطاع الإمام أن يرقىٰ منبر جده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، ذلك المنبر الطاهر بعد أن كان البعض يَنزون عليه نَزْوَ القِردة كما رأىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك في المنام وساءَه ذلك فنزَل عليه قوله تعالى : **﴿ وما جَعَلْنا الرؤيا التي أريناكَ إلاّ فِتْنَةً للناس والشَجَرَةَ المَلْعُونَةَ في القرآن﴾**[1] . فقد تقوَّضت تلك

---

(١) سورة الإسراء / آية ٦٠ ؛ ومصادر هذا الحديث ونزول الآية بهذه المناسبة كثيرة جداً ، راجع التفاسير كتفسير إبن جرير الطبري ، والسيوطي في (الدرّ المنثور) وغيرهما .

الشجرة الملْعونة بإنقراض الحكومة الأموية ، وأُتيحت الفرصة للشجرة الطيِّبة ـ وإن كانت الفرصة قصيرة ـ أن تؤْتي أُكُلَها، وَوَجَدَ الإمام الصادق (عليه السلام) شيئاً من حريَّة التكلُّم ، وساعدتْه الظروف أن يرقىٰ منبر جَدِّه في مسجد جدِّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويُدرِّس الفقه والتفسير والعقائد وغيرها ، فكان يحضر مجلس درسه أربعة آلاف بين فقيه ومحدِّث ومفسِّر وغيرهم .

وممن كان يحظىٰ بشرف التَلَمُّذ عند الإمام هو أبو حنيفة نعمان بن ثابت حيث قال : « لولا السَنتان لَهَلَك نعمان »[١] . إشارة الى السنتين اللتين حضر فيهما مجلس درس الإمام الصادق (عليه السلام) .

وتخرَّج من تلك المدرسة المباركة عظماء أبرار يفتخر بهم الدهر ، وتعتزُّ بهم البشرية أمثال : جابر بن حيان أول كيماوي في الإسلام والعرب ، وهشام بن الحكم وغيرهما ممن يطول الكلام بذِكْر أسمائهم ، حتى بلغ الأمر أن تسعمائة متكلِّم كانوا يخطبون في مسجد الكوفة وكل منهم يقول : حدَّثَني جعفر بن محمد[٢] .

ومع هذا التجاوب وتوفُّر الأهلية والمؤهِّلات في الأصحاب وَجَدَ الإمام الصادق (عليه السلام) الفرصة المناسبة ليضع النقاط على الحروف ، ويتحدَّث عن الإمام المهدي (عليه السلام) ويُبشِّر به كلَّ مَن يَعتقد بالإمام المهدي ، ويكون التحدُّث عنه متنوّعاً ، فتراه يتحدَّث عن إسمه ، ونَسَبه ،

(١) التحفة الاثنا عشرية للدهلوي ص ٨ .
(٢) المجالس السَنيَّة للسيد الأمين ج ٥ ص ٣٠٩ .

وعلائم ظهوره ، ومدَّةِ حكومته ، وغير ذلك مما يدور في هذا الفَلَك .

ومِن الصدق والصواب أن أقول : إن الأحاديث المرويَّة عن الإمام الصادق (عليه السلام) حول الإمام المهدي (عليه السلام) أكثر من الأحاديث المرويَّة عن بقية الأئمة (عليهم السلام) .

وبعبارة أُخرى : لم يُروَ عن إمامٍ مِن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول الإمام المهدي بمقدار ما رُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) وذلك لما تقدَّم الكلام عنه وهو مساعدة الظروف المواتية للإمام الصادق (عليه السلام) .

ومِن الواضح أننا لا نستطيع أنْ نذْكر - هنا - جميع الأحاديث المرويَّة عن الإمام الصادق حول الإمام المهدي (عليهما السلام) بسبب غزارة المادَّة ، وإْرتفاع النسبة ، والكتاب يفرض علينا أن نوزِّع بعض تلك الأحاديث على فصول الكتاب رعاية للمناسبة ، ونكتفي - هنا - بما تيسَّر رعاية لإسلوب الكتاب :

١ - في كتاب (بحار الأنوار) نقلاً عن كتاب (أمالي الصدوق) بأسناده عن إبن أبي عُمير عمَّن سمع أبا عبد الله - الصادق - (عليه السلام) يقول :

لِكلِّ أُناسٍ دولةٌ يَرْقبُونها ودولتُنا في آخرِ الدَهْرِ تَظْهَرُ

٢ - في كتاب (إكمال الدين) بأسناده عن صفوان بن مهران عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال : مَن أقرَّ بجميع الأئمة (عليهم السلام) وجَحَدَ المهدي كان كمن أقرَّ بجميع الأنبياء وجحد محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) نبوَّته ،

فقيل له : يا بن رسول الله فمَن المهدي[1] ؟ مِن وُلدك ؟ .

قالِ (عليه السلام) : الخامس مِن وُلد السابع[2] ، يغيب عنكم شخصه ، ولا يحلُّ لكم تسمِيَتُه[3] .

٣ ـ وأيضاً في (إكمال الدين) عن أبي بصير قال : سمعتُ أبا عبد الله ـ الصادق ـ (عليه السلام) يقول : « إنَّ سُنَنَ الأنبياء (عليهما السلام) وما وقع عليهم من الغيبات جارية ـ وفي نسخةٍ: حادثة ـ في القائم منّا أهل البيت ، حَذْوَ النعلِ بالنعل ، والقُذَّةِ **بالقُذَّة**»[4]

قال أبو بصير : فقلت له : يا بن رسول الله ! ومَن القائم منكم أهل البيت ؟ .

فقال : يا أبا بصير هو الخامس مِن وُلد إبني موسى ، ذلك إبن سيدة الإماء ، يغيب غَيبة يرتاب فيها المبطلون ، ثم يُظْهره الله عزَّ وجل ، فيفتح على يديه مَشارقَ الأرض ومَغاربها ، وينزل روحُ الله عيسى بن مريم (عليه السلام) فيُصلّي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربِّها ، ولا تبقى في الأرض بقعةٌ

---

(١) وفي نسخة « ممَن المهدي » .

(٢) الامام السابع هو موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) والامام المهدي هو الابن الخامس للامام السابع ، هكذا : الامام المهدي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) .

(٣) إكمال الدين ج ١ ص ٣٣٣ .

(٤) أي أن الشَبَه موجود ١٠٠٪ ، وقوله (عليه السلام) : « حذو النعل بالنعل ، والقُذَّة بالقُذَّة » : مَثَلٌ مشهور يُضرب للشيئين المتساويين اللّذين لا تفاوت بينهما .

عُبِدَ فيها غير الله عزَّ وجلَّ إلّا عُبِد الله فيها ، ويكون الدين كلّه لِلهِ ولو كره المشركون[١]

(١) (إكمال الدين) ج ٢ ص ٣٣٥ .

الإمامُ الكاظمُ «عليه السلام»
يُبشّرُ بالإمامِ المهديّ «عليه السلام»

لقد كانت ظروف الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) تختلف عن ظروف أبيه الإمام الصادق (عليه السلام) فقد قضى الإمام الكاظم (عليه السلام) سنوات طويلة مِن حياته المباركة في سجون بغداد ، بعيداً عن الناس ، ومنقطعاً عن المجتمع ، يَعبُد الله تعالى في قَعْرِ السجون ، وظُلَمِ المطامير[1] وأطْلقوا سراحه مرةً أو أكثر ، فكان تحت المراقبة الشديدة ، ثم سَجَنوه وقَتَلوه بالسُمِّ ، وعلى هذا فقد كانت إمكانيّاته وحُرِّيته محدودة ، ولم يستطع الشرح والتحليل لموضوع الإمام المهدي (عليه السلام) . ومع ذلك كلِّه لم تَخْلُ موسوعات الأحاديث عن كلمات الإمام الكاظم (عليه السلام) حول الإمام المهدي (عليه السلام) وفيما يلي نذْكر بعضها :

١ ـ في كتاب (إكمال الدين) بإسناده عن محمد بن زياد الأزدي ، قال : سألتُ سيدي موسى بن جعفر ـ الكاظم ـ (عليهما السلام) عن قول الله (عزَّ وجل) : ﴿ وأسْبَغَ عليكم نِعَمَة ظاهرةً وباطنة ﴾ ؟ فقال : النعمة الظاهرة : الإمامُ الظاهر ، والباطنة : الإمام الغائب ،

فقلت : ويكون في الأئمة مَن يَغيب ؟ .

---

(١) المطامير ـ جَمْعُ مَطْمُورَة ـ : هي السجون المظلمة تحت الأرض .

قال : نعم ، يَغيبُ عن أبصار الناس شخصُه ، ولا يَغيب عن قلوب المؤمنين ذِكْرُه ، وهو الثاني عشر منّا ، يُسهِّل الله له كلَّ عسير ، ويُذلِّل له كلَّ صَعْب ، ويُظهِر له كنوز الأرض ، ويُقرِّب له كلَّ بعيد ، ويُبير ـ أي يُهْلِك ـ به كلَّ جَبّارٍ عنيد ، ويُهْلِك على يده كلَّ شيطانٍ مريد ،

ذلك إبن سيدة الإماء الذي تخفىٰ على الناس ولادتُه ، ولا يحلّ لهم تسميته حتى يُظهره الله (عزّ وجل) فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً .

٢ ـ وأيضاً في (إكمال الدين) بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن قال : دخلتُ على موسى بن جعفر ـ الكاظم ـ (عليه السلام) فقلتُ له : يأْ بن رسول الله أنتَ القائم بالحق ؟ .

فقال : أنا القائم بالحق ، ولكنَّ القائم الذي يُطهِّر الأرضَ مِن أعداء الله ويملأُها عدلاً كما مُلئت جوراً هو الخامس مِن وُلْدي ، له غَيبة يَطولُ أمَدُها خوفاً على نفسه ، يرتدُّ فيها أقوامٌ ويَثبتُ فيها آخرون .

ثم قال (عليه السلام) : طوبىٰ لشِيعتنا المتمسِّكين بِحَبْلنا ـ وفي نسخة : بِحَبِّنا ـ في غيبة قائمنا ، الثابتين على موالاتِنا والبراءَةِ مِن أعدائنا ، أُولئك مِنّا ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمةً ورضينا بهم شيعة ، وطوبىٰ لهم ، هُمْ ـ واللهِ ـ معنا في دَرَجتِنا يوم القيامة .

الإمام الرّضا «عليه السلام»
يُبشّر بالإمام المهديّ «عليه السلام»

لقد إمتاز عصْر الإمام الرضا (عليه السلام) بمزايا كثيرة متنوِّعة ، والتحدُّث عن ذلك العصر يحتاج الى مجال واسع أو تأْليف آخر ، فلا أَقول : إنه وجَدَ الحرية التامَّة الكاملة ، بمعنى أن يفعل ما يشاء ويقول ما يريد ، ولا أَقول : إنه كان مُضيَّقاً عليه ، ولا يستطيع أن يتكلَّم بكلمة واحدة .

لما مات الطاغية هارون الرشيد ، وقام إبنه المأمون مَقامه ، تظاهَر بحبِّه للعلويِّين وعلى رأسهم الإمام الرضا (عليه السلام) ، فتلطَّف الجوُّ السياسي الذي كان سائداً ضدَّهم ، وفرضَتْ السياسة على المأمون أنْ يجعل الإمامَ الرضا (عليه السلام) وليَّ عهده ، وأنْ يضرب الدراهم والدنانير بإْسمه ، ويبذل العطايا للشعراء الذين يمدحون الإمام (عليه السلام) .

وكانت هذه فرصة إنتَهَزَها الإمامُ الرضا (عليه السلام) للتحدُّث عن الإمام المهدي (عليه السلام) فمثلاً : عندما دخل عليه دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت وأنشَدَهُ قصيدَتَه التائيَّة المعروفة ، وَوَصَلَ الى هذين البيتين :

خُـروجُ إمامٍ لا محـالةَ خـارجٌ   يقومُ علىٰ اْسم الله والبَـرَكاتِ
يُمَيِّـزُ فينـا كـلَّ حقٍّ وبـاطِـلٍ   ويجـزي على النعـماء والنقماتِ

بكىٰ الإمام الرضا (عليه السلام) بكاءاً شديداً ، ثم رفع رأسه الى دعبل ، وقال له : يا خزاعيْ . . . نَطَقَ روحُ القُدس على لسانك بهذين

البيتين .. فهل تدري مَن هذا الإمام ؟ ومتى يقوم ؟ .

فقال : لا يا مولاي .. إلّا أني سمعتُ بخروجِ إمامٍ منكم يُطهِّرُ الأرضَ مِن الفساد و يملأها عدلاً كما مُلئَت جوراً .

فقال الإمام : يا دعبل .. الإمامُ بعدي : محمد إبني ، وبعد محمدٍ : إبنهُ علي ، وبعد علي : إبنه الحسن ، وبعد الحسن : إبنه الحُجَّة القائم المنتظَر في غيبته ، المُطاع في ظهوره ، لو لم يبق من الدنيا إلَّا يومٌ واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يَخرج فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً .

وأضاف (عليه السلام) قائلاً :

وأمّا متى . . . فإخبارٌ عن الوقت ، ولقد حدَّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي (عليه السلام) : أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قيل له : يا رسول الله متى يخرج القائم مِن ذُرِيَّتك ؟ .

فقال : مَثَلُهُ مَثَل الساعة (القيامة) لا يُجلّيها لِوَقْتها إلّا هو ، ثَقُلَتْ في السماوات والأرض ، لا يأْتيكم إلّا بغتة [(١)][(٢)] .

وفي إكمال الدين عن أبي الصَلت الهروي قال : قلت للرضا (عليه السلام) : ما عَلامَةُ القائم منكم إذا خَرَج ؟ .

---

(١) وجدنا في المصدَر « يأتيكم » مع العِلم أن في الآية « تأتيكم » ولعل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أدْمَجَ حديثَه مع الآية فقال : « يأْتيكم » أي : المهديُ يـأتيكم .

(٢) إكمال الدين ج٢ ص ٣٧٢ . ورواه ـ ايضاً ـ الجويني الشافعي في (فرائد السمطين) ج٣ ص ٣٣٧ .

فقال : علامته أنْ يكون شيخ السِن[1] شابَّ المَنْظَر ، حتى أنَّ الناظر اليه لَيَحْسَبُه إبن أربعينِ سنة أو دونها ، وإنَّ مِن علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتيه اَجَلُهُ .

(١) «شيخ السِن» : أي كبير مِن حيث العُمْر ، وشابٌ مِن حيث المنظَر كالنضارة ، والطراوة ، ولون الشَعْر ، وعدم التجاعيد في الوجه .

الإمام الجواد «عليه السلام»
يبشر بالإمام المهدي «عليه السلام»

مِن الواضح أنَّ الحِكْمة الإلهية تقتضي أنْ تكون البشائر المرويَّة عن الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) بالإمام المهدي (عليه السلام) كثيرة وغزيرة ، وذلك بسبب قُرْب الزمان ، لأنَّ عصْر الإمام الجواد (عليه السلام) كان قبل ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بما يُقارب الخمسين عاماً ، وكان مِن المتوقَّع والمقتضي أنْ تكون البشائر بإْقتراب مولد الإمامِ - الذي بشَّرَ به القرآن الكريم والنبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) - على أوسع نطاق ، تنبيهاً للغافلين ، وتشجيعاً وترويحاً وتفريحاً لقلوب المؤمنين ، ولكن .

ولكنَّ يدَ الغَدْر والخيانة حالتْ دون ذلك ،فقتلت الإمامَ الجواد في رَيعان شبابه ، ونَضارة حياته ، وقضى (عليه السلام) نحْبَه مسموماً وهو إبنُ أربع وعشرين أو خمس وعشرين سنة ، وعاصَرَ في حياته ثلاثة مِن طواغيت بَني العباس ، وقد كان كلٌّ منهم ممتلئاً غيظاً وحِقْداً على الإمام الجواد ، وكانوا يُضايقونه في كل خطوة مِن خطواته ، ويبذلون المحاولات في تشويه سُمْعَته وإطفاء نوره .

وبالرغم مِن هذه العَقَبات والمشاكل التي إعترَضَتْ طريقَ الإمام الجواد (عليه السلام) فإن موسوعات الأحاديث لا تَخلو عن البشائر المرويَّة عنه

(عليه السلام) بالإمام المهدي (عليه السلام) وإليك بعضَها :

١ ـ في كتاب (بحار الأنوار) ج ٥١ نقلاً عن (إكمال الدين) بسَنَدَه عن السيد عبد العظيم الحَسَني قال : دخلت علىٰ سيدي محمد بن علي ـ الجواد ـ (عليهما السلام) وأنا أُريد أنْ أسأله عن القائم أهو المهدي أم غيره ؟ .

فابتدأني ـ عليه السلام ـ فقال : يا أبا القاسم إنَّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظَر في غَيبته ، ويُطاع في ظهوره ، وهو الثالث مِن وُلْدي

والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوَّة ، وخَصَّنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ، فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً ، وإنَّ الله تبارك وتعالى يُصْلح له أمره في ليلة ، كما أصْلح أَمْرَ كَلِيمِهِ موسى (عليه السلام) إذْ ذهبَ ليقتبس لأَهْله ناراً فرجَعَ وهو رسول نبيٌّ ؛

ثم قال (عليه السلام) : أفضل أعمال شيعتنا إنتظار الفَرَج .

٢ ـ وفي (بحار الأنوار) أيضاً عن عبد العظيم الحَسَني قال : قلتُ لمحمد بن علي بن موسى (عليهم السلام) : إني لأَرجو أنْ تكون القائم مِن أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظُلماً .

فقال (عليه السلام) : ما منّا إلَّا وهو قائم بأَمْر الله ، وهادٍ الى دين الله ، ولكنَّ القائم الذي يُطَهِّرُ الله (عزّ وجل) به الأرض من أهل الكُفر والجحود ، ويملأُها عدلاً وقسطاً : هو الذي تخفى عن الناس ولادته ، ويغيب عنهم

شخصُه ، ويحرم عليهم تسميته ، وهو سَمِيٌّ رسولِ الله وكَنِيُّه ، وهو الذي تُطوىٰ له الأرض ، ويذلّ له كلّ صَعْب . . . الى آخر الحديث[1] .

(١) (بحار الأنوار) للمجلسي ج ٥١ / ص ١٥٧ ، (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ج ٢ / ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

الإمام الهادي «عليه السلام» يُبشّر بالإمام المهدي «عليه السلام»

الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) هو جدُّ الإمام المهدي (عليه السلام) ، وإنْ كان الله تعالى لم يُقدِّر للإمام الهادي أنّ يَرىٰ حفيدَه الإمام المهدي (عليهما السلام) لأن ولادة الإمام المهدي كانت بعد وفاة جدِّه الإمام الهادي (عليه السلام)[1]، ولكنَّه (عليه السلام) كان يُهيِّىء الجوّ ويمهِّد المقدمات للإمام المهدي بسبب إقتراب الموعِد ، وستَعرفُ ـ قريباً ـ أنّ زواج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بالسيدة نرجس كان تحت إشراف الإمام الهادي (عليه السلام) ومشفوعاً بالبشائر والإخبار بأنَّ السيدة نرجس هي التي سوف تُنْجِب الإمام المهدي (عليه السلام) .

فلا عجبَ إذا كان الإمام الهادي (عليه السلام) يُقلِّل إجتماعاته بالناس ، ولا يخرج إليهم كالعادة ، كأنَّه يُريد أن يعوِّدهم تدريجياً على غَيبة الإمام وأخْتفائه عنهم تمهيداً لغَيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ؛ فتراه يُعيِّنُ الوكلاء في بغداد ليكونوا همزةَ وَصْلٍ بينه وبين الشيعة في مراجعاتهم ومسائلهم ، ويأْمر الشيعة بمراجعة الوكلاء في قضاياهم المالية والفقهية وغيرها .

---

(١) الإمام الهادي (عليه السلام) قُتل مسموماً في الثالث من شهر رجب سنة ٢٥٤ هجرية ، والإمام المهدي (عليه السلام) وُلد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية .

وهنا أسأل الله تعالى أن يُوفِّقني لتأْليف كتابٍ يتضمَّن شيئاً من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) . . . بل أتضَرَّع الى الله تعالى أنْ يتفضَّلَ عليَّ - بمحمدٍ وآله عليهم السلام - بالتوفيق للتأْليف عن جميع أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين) .

ونذْكر - هنا - حديثاً واحداً ونُرجىء الباقي الى الفصول القادمة إنشاء الله

روىٰ الشيخ الصدوق - رضوان الله عليه - في كتاب (إكمال الدين) باسناده عن أبي دلف قال : سمعتُ علي بن محمد - الهادي - (عليه السلام) يقول : إن الإمامَ بَعْدي : الحسنُ ابْني ، وبعد الحسن إبنه القائم الذي يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً .

الإمام الحسن العسكري «عليه السلام»
يُبشّرُ بالإمام المهديّ «عليه السلام»

الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) هو والد الإمام المهدي (عليه السلام) ومن الطبيعي أنّ أكبر عدَدٍ مِن البشائر يتحقق على يديه ، وينطلق من لسانه ، فقد إقترب موعدُ ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وينبغي ان يكون الإعلام بولادته على أوسع نطاق ، ولكن . . . هل يمكن ذلك ؟ .

وكيف يمكن ذلك ؟ وهناك الموانع والحواجز والعقَبات التي تحول دون ذلك ، فالإعتقاد بظهور الإمام المهدي كان سائداً في الأُمة الإسلامية في تلك العصور ، ومشهوراً عند المسلمين مع اْختلاف بعض الطوائف الإسلامية في شخصية ذلك الإنسان المسمّىٰ بالمهدي الذي بشّر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (سلام الله عليهم) وستعرف في الفصول القادمة أن الذين إدَّعوا المهْدَويَّة كذباً وزوراً إنَّما كانوا يعتمدون على الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي ،وكانوا يطبِّقون تلك الأحاديث على أنفسهم إفتراءاً وخُداعاً .

إذن . . . فالإعتقاد والقول بظهور الإمام المهدي كان من الأُمور القطعيَّة عند المسلمين في ذلك الزمان ، وخاصة بعد التركيز على أنه يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً ، وأنه يقضي على الطواغيت والجبابرَة الظالمين ، ومن الواضح أنَّ الحُكّام العباسيين كانوا في طليعة المُعادين والمناوئين لهذه الشخصية المبشّر بها ،

لانهم يظنُّون أنَّ حكوماتهم سوف تنهار على يديه ودماؤهم تُسفَك بسيفه .

بعد الإنتباه الى هذه الظروف والملابَسات ... هل يستطيع الإمام العسكري (عليه السلام) أنْ يُعلن عن ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بصورة واسعة ؟ .

أليسَ معنى ذلك أنَّ الإمام العسكري يُسبِّب قتْلَ وَلَده الإمام المهدي جرْياً على العادة ؟ فما الذي يمنع الأعداء من أنْ يَهجموا عليه الدار ويقتلوا أهلَ الدار كلهم ؟ وما المانع من ذلك ؟ .

ثم ... هل يَسكت الإمام العسكري (عليه السلام) ويُخفي ولادة ولده المهدي عن كل أحد ؛ فلا يَدَعَ أحَداً يعرفُ ذلك أبداً ؟ فكيف يَعلم الشيعة بولادة إمامهم ، وخاصة وأنَّ الإمام العسكري كان يرىٰ أنَّ حياته شخصيّاً في مَعرض الخَطَر ، ويَعلم ـ بعِلْم الإمامة ـ أنَّه سوف يُقتَل مسموماً وهو إبن ثمانٍ وعشرين سنة ؟ والأوامر الإلٰهيَّة تَفرض عليه أنْ يُعرِّفَ الإمامَ الذي بعده وينصَّ عليه، حِفظاً للأُمة الإسلامية مِن الضياع والضلال، فقد ورد في الحديث الصحيح ـ المتّفَق عليه بين جميع المسلمين ـ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : « مَنْ ماتَ ولم يَعْرِفْ إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيْتَةً جاهِلِيةً »[1] .

---

(١) مصادر هذا الحديث كثيرة جداً ، وقد رُوي بألفاظ مختلفة ، ومن المصادر : شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ٢٧٥ ، صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢ ، سُنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٦ ، مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٤٦ ، وغيرها .

مشكلةٌ وأيَّة مشكلة ، لا يحلّها إلاَّ عَقْلُ الإمام ، ذلك العقل الذي تتجلّىٰ فيه الحِكْمة بأجمل الصُّوَر ، وتَظْهر فيه الحنكة بأبهىٰ مَنْظر ، وتبرز حقيقة عِلم الإمام ومدىٰ تدبيره للأُمور وكيفية تصرُّفاته في تحقيق الأهداف مع رعاية جميع الجوانب والأطراف .

الحَلُّ الذي اْختاره الإمام العسكري (عليه السلام) في هذا المجال : هو الحَدُّ الوَسَط ، فلا إعلام عام ، ولا كتمان وإخفاء مُطلق ، والأفضل أنْ يكون تمام الحديث في الفصل القادم إنشاء الله ، ونكتفي ـ هنا ـ بذِكْر حديثين رعاية لإسلوب الكتاب :

١ ـ في كتاب (بحار الأنوار) نقلاً عن كتاب (الخرائج) بسنده عن عيسى بن صبيح قال : دخل الحسن العسكري (عليه السلام) الحَبْس ، وكنتُ به عارفاً ، فقال لي : لك خمس وستون سنة وشهر ويومان . وكان معي كتابُ دعاءٍ عليه تاريخُ مَوْلدي ، وإني نظرتُ فيه فكان كما قال .

وقال (عليه السلام) : هل رُزِقتَ ولداً ؟ .

فقلت : لا . . فقال : اللهم أرْزُقْه ولداً يكون له عَضُداً ، فنِعْمَ العَضُد الوَلَد . ثم تمثَّل (عليه السلام) :

مَـن كـان ذا ولـدٍ يُـدرك ظـلامـتـه
إنَّ الـذلـيـل اْلـذي لـيـسـت لـه عَـضُـدُ

قلت : ألك ولد ؟ قال ـ عليه السلام ـ : إي واللهِ سيكون لي ولد يملأُ الأَرضَ قسطاً ، فأمّا الآن فلا ـ أي فليس لي ولد ـ ثم تمثَّلَ :

لعلَّك يوماً أن تراني كأنّما بَنيَّ حَواليَّ الأُسُودُ اللوابِدُ
فإنَّ تميماً قبل أنْ يلد الحصا أقامَ زماناً وهو في الناسِ واحدُ

٢ ـ عن كتاب (إكمال الدين) : بسَنده عن احمد بن إسحاق قال : سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) يقول : الحمدُ لله الذي لم يُخرجْني من الدنيا حتى أراني الخَلَف مِن بعدي ، أشْبَه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خَلَقاً وخُلقاً ، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ، ثم يُظْهره فيملأُ الأَرَضَ عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً .

الكُتبُ السَّماويّة تُبشِّر بالإمامِ المَهْدِي « عليه السلام »

لقد وردت بشائر كثيرة بالإمام المهدي (عليه السلام) في الكتب السماوية ، وإخبارات المُتَنَبِّئين ، والكُهّان ، توجد طائفة منها في كتاب (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي ، وكتاب (يوم الخلاص) للكاتب المعاصر كامل سليمان ، وكتاب (أنيس الأعلام) للقِسِّ المسيحي الذي أسْلَمَ وصار من علماء المسلمين ، وغير هؤلاء ، وقد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب في تفسير الآية الثالثة بعض ما يتعلَّق بالموضوع ؛ وقد أعرضْنا ـ هنا ـ عن ذِكْر تلك البشائر رعايةً للإختصار ، ومَن أراد المزيد مِن الإيضاح والتفصيل فعليه بمراجعة الكتب المذكورة[1]

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج ٥١ ص ١٦٢ ، وكتاب (يوم الخلاص) ص ٢٥٤ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، وكتاب (أنيس الأعلام) ج ٧ ص ٣٨٦ . من الطبعة الجديدة .

الفصل السادس

هل وُلِدَ الإمامُ المَهْدِيّ «عليه السلام» ؟

كان كلامنا مِن أوّل الكتاب الى هنا حول الآيات المأوَّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) والأحاديث المبشِّرة به وبظهوره ونَسَبه ، وذَكَرْنا بعض ما يَلزم حول هذه المواضيع .

ولا يخفى أنَّ الأحاديث المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) صَدَرَتْ عنهم قبل ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وكانت تلك الأحاديث بمنزلة البشائر والإخبارات عن المستقبل .

والآن وَصَلَ كلامنا الى ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ، أي وَصَلْنا الى ولادة ذلك الإمام الذي بشَّر به القرآنُ الكريم وبشَّر به النبيُّ العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبشَّر به ائمة أهل البيت الصادقون (عليهم السلام) .

وهنا نقطة الخِلاف والإختلاف ، ومُعْتَرَك الآراء ، وتضارب الحق والباطل ، وصراع الحقيقة مع الدَجَل . . . وما دُمْنا مُسَلَّحين بالأدلَّة الكافية والبَراهين القطعيَّة فلا مانع مِن أنْ نتحدَّث على ضوء العقل والمنطق في حدود الإمكان ، ثم نترك القارىء وضميره وعقله وفِكره ، ولَسْنا مسؤ ولين عن أكثر مِن هذا ، والله الهادي الى سواء السبيل ، فنقول :

كلُّ مَن آمن بالأحاديث المتواترة الصحيحة المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول الإمام

المهدي (عليه السلام) فمِن الواجب عليه أنْ يؤمن ويَعْترف بولادته ، إذْ مِن المستحيل ـ عَقْلاً وعُرْفاً ـ أنْ تكون هذه الأخبار والأحاديث صحيحة وأنْ يكون الإمام المهدي لم يولَد بَعْدُ ، وإليك تفصيل وتوضيح هذا المعنىٰ :

إنَّ الأحاديث الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حول الإمام المهدي (عليه السلام) **تُصرِّح بنَسَبهِ الشريف ، وأنه التاسع من أولاد الامام الحسين (عليه السلام) بمعنى : أنْ يكون الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) هو الولد الأول للحسين ، ويكون الإمام الباقر محمد** بن علي : الولد الثاني للحسين (عليه السلام) أي يكون إبن إبنهِ ، وعلى هذا : يكون الإمام الحسن العسكري هو الولد الثامن للحسين (عليه السلام) ومن الطبيعي ان يكون الإمام المهدي إبنَ الحسن العسكري هو الولد التاسع للإمام الحسين (عليه السلام) .

وقد ثَبَتَ أن الإمام الحسن العسكري قد فارَقَ الحياة مسموماً ، وحَضَرَ تشييعَ جنازته الآلاف من الناس ، ودُفِنَ في ضريحه بمرأىٰ من الناس ، فلا محيصَ لنا مِن القول بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) إذ لا يمكن أن يموت أبوه وهو غير موجود ، فإمّا أنْ يكون قد وُلِدَ في حياة أبيه وهو الصحيح الثابت ـ لما سَتَعرف ـ ، وإمّا أن يكون جنيناً في بطن اُمِّه ثم وُلِدَ بعد وفاة أبيه بفترة ، إذْ لا يمكن أن يموت الرجل ويولَد إبنُه ـ الذي من صُلْبه ـ بعد عشرات أو مئات السِنين .

إذَنْ . . فالإمام المهدي (عليه السلام) قد وُلِد قطعاً ، وبلا أيِّ شك أو

ريب ، وهو حيٌّ موجود قطعاً ، **لأنّه** لا يمكن أن يفارق الحياة قبل أن يظهر[1]، ومن الواضح أنه لم **يظْهَرْ** بَعدُ ، لأنه **إذا ظَهَرَ يملأُ الأرضَ** قسطاً وعدلاً كما **صرّحت** بذلك مئات الأحاديث ، ومن البديهي **أن** الأرض قد **إنتَشَر** فيها **الظُلم** والجور ، ولا أقول قد **مُلئت** ظلماً وجوراً ، لأنها اذا **إمتلأت** ظلماً وجوراً فإن الإمام المهدي (عليه السلام) **يَظهر** عند ذلك .

وبعد هذه المقدمة نقول : إنَّ الأحاديث التي تتحدَّث عن ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) كثيرة بحيث يصعب إحصاؤها ، ويتعسَّر أو يتعذَّر إستيعابُها ، وهذه الأحاديث مرويَّة في كتب الشيعة والسُنَّة .

أمّا الشيعة فيعتقدون بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) كما يعتقدون بولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يَدْخُلهم في ذلك شك ولا رَيْب ، ومنذ مئات السِنين تحتفل الشيعة في بلادها في النصف من شهر شعبان من كل سنة بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وتُقام آلاف الإحتفالات في المساجد ، والمدارس العِلميَّة ، وبيوت العلماء ، وتوزَّع الحلويّات ، وتُلقىٰ القصائد بالمناسبة ، ويرقىٰ الخطباءُ المنابرَ ، ويتحدَّثون حول الإمام المهدي (عليه السلام) وولادته ، وما يدور في هذا المجال .

---

(١) وقد شاهده المئات من الناس ـ على اْختلاف مذاهِبهم ـ خلال الغَيبة الصغرى ، والغيبة الكبرىٰ ، وحتى في زماننا هذا ، وقد ذَكر أسماءَ بعضهم الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) والشيخ النوري في (جَنَّة المأوىٰ) و (النجم الثاقب) .

وأمّا أحاديث الشيعة ومؤلّفاتهم فإنها تَعتبر ولادة الإمـام المهدي (عليه السلام) من الأُمور القَطْعيَّة الثابتة التي لا تَقبل الشك والجَدَل .

وأمّا الأحاديث الواردة ـ عن كُتُب أهل السُنَّة ـ حول ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) فكثيرة جداً ، ثابتة عند أكابر العلماء ، وقُدَماء المحدِّثين منهم ، وإليك بعض تلك الأقوال :

عُلماءُ السُّنّةِ المُعْتَرِفون
بولادةِ الإمامِ المَهْديّ «عليه السلام»

لقد ذكَرَ المرحوم الشيخ نجم الدين العسكري في الجزء الأول مِن كتابه (المهدي الموعود المنتظر) أسماء أربعين من علماء السُّنَّة الذين اعْترَفوا بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) كما ذَكَرَ العلّامة المعاصِر الشيخ لطف الله الصافي في كتابه (مُنْتَخَب الأثَر) جماعةً أُخرىٰ يبلغ عددهم ستة وعشرين عالِماً من علماء السُّنَّة الذين صرَّحوا بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ونحن نَنْتَخِب من هذين الكتابين ثمانية عشر مصدراً رعايةً للإختصار ، ومَن أرادَ المزيد من التفصيل فليراجع هذين الكتابين وغيرهما مِن الكُتُب التي تتحدَّث حول الموضوع :

١ ـ محمد بن طلحة الحلبي الشافعي في كتابه (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)[١] قال : الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمد بن الحسن . . . المهدي الحُجَّة الخَلَف الصالح المنتظر . . . فأمّا مولده فبِسرّ مَن رأىٰ[٢] . . . الى آخر كلامه .

وقال أيضاً : المهدي هو إبن أبي محمد الحسن العَسْكري ، ومولده بسامراء . . . الى آخر كلامه .

---

(١) صفحة ٨٨ ، طبْع إيران سنة (١٢٨٧) هـ

(٢) (سُرَّ مَنْ رأىٰ) : إسم لمدينة سامَرّاء .

٢ـ محمد بن يوسف الكُنْجي الشافعي في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) ص ٣٣٦ قال : إن المهدي ولد الحسن العسكري ، فهو حيٌّ موجود ، باقٍ منذ غَيبته الى الآن .

٣ ـ محمد بن أحمد المالكي المعروف بابْن الصبّاغ في (الفُصول المهمَّة) ص ٢٧٣ في الباب الثاني عشر قال : وُلِدَ أبو القاسم محمد الحجَّة ابن الحسن الخالص[1] بسرّ من رأىٰ في النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهِجْرة ... الى آخر كلامه ...

٤ ـ سبطُ إبن الجوزي الحنفي في كتابه (تذكرة الخواص)[2] قال : وأولاده (أي وأولاد الإمام الحسن العسكري) : محمد الإمام . ثم قال ـ تحت عنوان (فصل في ذِكْر الحجَّة المهدي) ـ : هو محمد بن الحسن بن علي ... وكنيته : أبو القاسم ، وهو الخَلَف الحجَّة ، صاحب الزمان ، القائم ، والمنتظر ، وهو آخر الأئمة ... الى آخر كلامه .

٥ ـ أحمد بن حَجَر في كتابه (الصواعق المحرقة)[3] عند ذِكْره للإمام الحسن العسكري قال : ولم يُخلِّف غير ولده : أبي القاسم محمد الحجَّة ، وعُمْره عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحِكْمة ... الى آخر كلامه .

---

(١) الخالص : من ألقاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .
(٢) صفحة ٨٨ من الطبعة القديمة وهي طبعة ايران سنة ١٢٨٧ هـ ، وفي صفحة ٣٦٣ من الطبعة الحديثة المتداولة في الأسواق .
(٣) صفحة ١٢٧ ، طبع مصر ١٣٠٨ هـ .

٦ ـ الشبراوي الشافعي في (الإتحاف بحُبِّ الأشراف)[١] قال : الحادي عشر من الأئمة: الحسن الخالص ويُلَقَّب بالعسكري . . . ويكفيه شَرَفاً أنَّ الإمام المهدي المنتظَر من أولاده . . . ثم قال : وُلِدَ الإمام محمد الحُجَّة إبن الإمام الحسن الخالص بِسُرَّ مَنْ رأى ، ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ . . . الى آخر كلامه .

٧ ـ عبد الوهّاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر)[٢] ذَكَرَ أشْراطَ الساعة[٣] فقال : كخروج المهدي ، ثم قال : وهـو مِن أولاد الإمام حسن العسكري ، ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وهو باقٍ الى أن يجتمع بعيسى بن مريم (عليه السلام) . . . إلى آخر كلامه .

٨ ـ عبد الله بن محمد المطيري الشافعي في (الرياض الزاهرة) ـ بعد ذِكْر الأئمة والإمام العسكري ـ قال : إن إبنه الإمام الثاني عشر ، إسمه : محمد القائم المهدي . . . الى آخر كلامه .

٩ ـ سراج الدين الرفاعي في (صحاح الأخبار) قال : . . . أمّا الإمام الحسن العسكري فأَعْقَبَ صاحبَ السرداب[٤] ، الحجَّة المنتظَر ، وليّ الله ، الإمام المهدي .

---

(١) صفحة ١٧٨ طبع مصر سنة ١٣١٦ هـ .
(٢) صفحة ١٤٥ ، طبع مصر سنة ١٣٠٧ هـ .
(٣) أشراط الساعة : أي العلامات التي تدلّ علىٰ قُرْب يوم القيامة .
(٤) « صاحب السرداب » سيأتي بيان معنىٰ هذه الجملة .

١٠ ـ الأُستاذ بهجت افندي في (كتاب المحاكمة) قال ـ في ذِكْر ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ : وُلدَ في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥، وإن إسم أُمّه نَرْجِسْ . . . إلى آخر كلامه .

١١ ـ الحافظ محمد بن محمد الحنفي النقشبندي في (فَصْل الخطاب) قال : وأبو محمد الحسن العسكري ولده م ح م د (رضي الله عنهما) معلوم عند خاصَّة أصحابه ، ثم ذَكَرَ ولادته في النصف من شعبان سنة٢٥٥ على رواية السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد (عليه السلام) .

١٢ ـ سليمان القندوزي الحَنَفي في كتابه (ينابيع المودَّة)[١] ، ذَكَرَ ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) كما هي مرويَّة في كُتُب الشيعة عن السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد (عليه السلام)[٢] ثم قال : الخبر المعلوم المحقَّق عند الثِقات : أنَّ ولادة القائم كانت ليلة الخامس عشر من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، في بلدة سامَرّاء .

١٣ ـ الشبلنجي الشافعي في كتابه (نـور الأبصـار)[٣] قال : وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خلون ـ أي مضين ـ من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين ، وخَلَّفَ مِن الولد : محمداً . . . الى آخر كلامه .

---

(١) صفحة ٤٤٩ ـ ٤٥٢ ـ طبع ايران سنة ١٣٨٥ هجرية .
(٢) ننبِّه القارىء بأننا سنذكر بالتفصيل حديث الميلاد المرويَّة عن السيدة حكيمة (عليها السلام) .
(٣) صفحة ١٨٥ . طبع بيروت ، سنة ١٣٩٨ هجرية .

١٤ ـ إبنُ خِلّكان في (وفيات الأعيان) قال : كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولما توفي أبوه ـ وقد سَبَقَ ذِكْرُه ـ كان عمره خمس سنين ، وإسمُ أُمِّه خَمْط ، وقيل نَرْجِس .

١٥ ـ إبن الخشاب في كتابه (تاريخ مواليد الأئمة) : الخَلَف الصالح مِن وُلد أبي محمد الحسن بن علي ، وهو صاحب الزمان ، وهو المهدي .

١٦ ـ عبد الحق الدهلوي في رسالته في أحوال الأئمة قال : وأبو محمد الحسن العسكري ولده م ح م د (رضي الله عنهما) معلومٌ عند خواصِّ أصحابه وثقاته . . ثم قال : الخَلَف الصالح من وُلد أبي محمد الحسن بن علي ، وهو صاحب الزمان .

١٧ ـ محمد أمين البغدادي السويدي في كتابه (سَبائك الذهب) قال : محمد المهدي ، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين . . . الى آخر كلامه . . .

١٨ ـ المؤرِّخ إبن الوردي قال في (تاريخه) : وُلد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين .

هذه نبذة من المصادر غير الشِيعيَّة التي صرَّحتْ بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) في النصف من شهر شعبان سنة ٢٥٥ ، وصرَّحت أنه إبن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ولو أردنا جَمْعَ الأقوال في هذا الكتاب لطال الكلام الى حَدِّ المَلَل والسأم .

ترجمة حياة السيّدة نرجس « عليها السلام »

وهنا يُناسب أنْ نذكر شيئاً من ترجمة حياة السيدة نَرْجِسْ والدة الإمام المهدي (عليه السلام) وقد ذَكَرْنا ـ فيما مضىٰ ـ بعض كلمات الأئمة (عليهم السلام) التي عبَّرَتْ عن السيدة نرجس بـ (خيرة الإماء) أو (سيدة الإماء) .

والآن ـ وقبل كلِّ شيء ـ نذكر أسماءَها ، فقد ذَكَرَ المحدِّثون لها ثمانية أسماء : نَرْجِس ، سَوْسَن ، صَيْقل أو صقيل ، حديثة ، حكيمة ، مَليكة ، ريحانة ، وخَمْط .

وأشْهَرُ أسمائها : نَرْجِسْ . . . وكُنْيَتُها : أُم محمد .

وقد ذَكَرْنا ـ في أوائل الكتاب ـ أنَّ تعدُّد الأسماء لا يَدلُّ على تعدُّدِ المُسَمّىٰ ، وذَكَرْنا أنَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت لها أسماء عديدة لِأسباب ومناسبات متنوِّعة ، وهكذا الكلام هنا ، فإن نَرْجس : إسم لبعض الأزهار العَطِرة ، والخَمْط : نوع من شجر الأراك له حمل وثَمَرٌ يُؤْكَل قال تعالى : ﴿ ذَواتَي أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾[1] وسَوْسَن : أيضاً من أنواع الأزاهير ذات الرائحة الطيِّبةوالفوائد الكثيرة المذكورة في كُتُب

---

(١) سورة سبأ آية ١٦ .

الطِب ، والصقيل : هو الشيء الأمْلس ، فلا مانع مِن أنْ تسمّىٰ المرأة بأسماء متعدِّدة لمناسبات مختلفة ، ولعلّ هناك أسباب وحِكَم ومَصالح سياسية أو إجتماعية قد خفيتْ علينا .

ولا يضرُّ الإختلاف في حَسَبِها ونَسَبِها ، فالشخصيةواحدة ، والأقوال حولها مختلفة ، ونحن نذْكُر ـ هنا ـ قولين لِأصحابنا وعلمائنا المحدِّثين :

رُويَ عن بِشْرِ بن سليمان النَخّاس ، وهو مِن وُلْد أبي أيوب الأنصاري ، وأحد مُوالي[1] أبي الحسن ـ الهادي ـ وأبي محمد العسكريين[2] وجارُهما بِسُرَّ مَنْ رأىٰ ، قال :

كان مولانا أبو الحسن الهادي (عليه السلام) فَقَّهَني في عِلْم الرَقيق[3] فكنتُ لا أَبتاع[4] ولا أَبيع إلّا بإذْنه ، فاْجْتَنَبْتُ بذلك مواردَ الشبهات حتى كَمُلَتْ مَعرفَتي فيه ، وأحْسَنْتُ الفَرقَ بين الحلال والحرام ، فبينما أنا ذات ليلة في مَنزلي بسُرَّ مَن رأىٰ ،وقد مضىٰ هَويٌّ (أي : ساعة) مِن الليل إذْ قَرَعَ البابَ قارِعٌ ، فإذا أنا بكافور الخادم ، رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) يدعوني إليه فلَبسْتُ ثيابي ودَخَلْتُ عليه ، فرأيتُه يُحدِّث إبنَه أبا محمد وأُخته حكيمة مِن وراء السِتر ، فلما جلستُ قال :

(١) أي أحَد الموالين للإمام .
(٢) العَسكري : لَقَب الإمام الحادي عشر ، وقد يُطلَق على أبيه الإمام الهادي (عليه السلام)
(٣) الرقيق : المملوك مِن الجَواري والعَبيد .
(٤) لا أبتاع : أي لا أشْتري .

يا بِشْر : إنَّك مِن وُلْد الأنصار ، وهذه الموالاة لم تَزَلْ فيكم ، يَرِثُها خَلَفٌ عن سَلَف ، وأنتم ثِقاتنا أهل البيت ، وإني مُزَكِّيك ومُشرِّفك بفضيلةٍ تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة بها : بِسِرٍّ أُطْلِعُكَ عليه ، وأُنفّذك في ابتياع[1] أَمَة .

فكَتَبَ كتاباً مُلْصقاً بخَطٍ رومي ولُغةٍ روميَّة ، وطَبَعَ عليه بخاتمه ، وأخْرَجَ شنتقةً (أي صُرَّةً توضَع فيها النقود) صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً ، فقال : خُذْها وتوجَّهْ بها الى بغداد ، وأحْضر مَعْبَر الصُراة[2] ضَحْوَة يوم كذا ،[3] فإذا وَصَلَت إلى جانبك زوارِق[4] السبايا ، وبَرَزْنَ الجواري منها ، فَستُحْدِقُ بهنَّ طوائف المبتاعين[5] مِن وكلاء قوّاد بَني العباس ، وشَراذِم[6] من فتيان العراق ، فإذا رأيتَ ذلك

(١) إبتياع : أي شراء .

(٢) مَعْبر : اي الجِسْر الذي يَعْبُر الناس عليه . الصراة : إسمٌ لنهرين في بغداد ، هما : الصراة الكبرىٰ ، والصراة الصغرىٰ . ذَكَرَ ذلك ياقوت الحموي في كتابه (مُعْجَم البُلدان) .

هذا .. والموجود في المصدر : « مَعْبر الفرات » لكن يبدو أنَّ ذلك مِن اخطاء النُسّاخ او المطبعة ، إذْ مِن الواضح أنَّ النهر الذي يجري في بغداد هو : دجلة .. لا الفرات .

(٣) « ضَحْوة كذا » : أي وقت الضحىٰ من يوم كذا .

(٤) زوارق ـ جَمع زَوْرَق ـ : السفينة الصغيرة والموجود في المصدر الزواريق ، ولكن لم نجد ذلك في اللغة .

(٥) المبتاعين ـ جَمْع مُبْتاع ـ : وهو المشتري . قوله « فَستُحدِق » : يُقال حَدَقَ القومُ به : أي أطافوا وأحاطوا بهِ مِن كل جهة .

(٦) شراذِم ـ جَمْع شِرْذِمَة ـ : وهي الجماعة القليلة مِن الناس .

فأَشْرِفْ مِن البُعْد على المسمّىٰ عمر بن يزيد النخّاس[١] عامَّةَ نَهارِك إلى أنْ تَبْرز للمبتاعين جارية صِفَتُها كذا وكذا، لابسة حريرتين صَفِيقَتَين[٢] تَمتنع مِن السفور ولمس المَعترِض والإنقيادِ لمَنْ يُحاول لَمْسها ، ويَشْغَل نَظَره بتأمُّل مكاشفها من وراء الستر الرقيق . فيضْربها النخّاس ، فتَصْرَخ صَرْخَةً روميَّة ، فاعلَم أنَّها تقول : واهَتْكَ سِتْراه . فيقول بعض المبتاعِين : عليَّ بثلاثمائة دينار ، فقد زادَني العفافُ فيها رَغْبةً . فتقول له ـ بالعربية ـ : لو بَرَزْت في زيِّ سليمان بن داود وعلى مِثْل سَرير مُلْكه ما بَدَتْ لي فيك رَغْبة ، فأَشْفِقْ على مالِك .

فيقول النَخّاس : فما الحِيلَة ؟ ولا بدَّ مِن بيعكِ ؟ .

فتقول الجارية : وما العَجلَة ؟ ولا بدَّ مِن إختيار مُبْتاعٍ يسكن قلبي إليه والى وفائه وأمانته .

فعند ذلك . . قُمْ إلى عمر بن يزيد النَخّاس وقُلْ له : إنَّ معي كتاباً مُلْصَقاً لبعض الأشراف، كَتَبَه بِلُغَةٍ روميَّة وخَطٍ رومي ووَصَفَ فيه كَرَمه ووَفاءَه ونُبْلَه وسخاءه ، فناوِلْها لتتأمَّل مِنه أخلاقَ صاحبِه ، فإنْ مالتْ إليه ورَضِيَتْه فأنا وكيلُه في إبتياعِها منك .

قال بِشْر : فامتَثَلْتُ جميعَ ما حَدَّه[٣] لي مولاي أبو الحسن (عليه السلام) في أمْر الجارية .

---

(١) النَخّاس : بيّاع الجواري والعبيد .
(٢) « صَفيقتين » : يُقال ثوب صَفيق : أي كثيفُ نَسْجُه .
(٣) حَدَّه : أي عرَّفه وبيَّنه .

فلما نَظَرَتْ في الكتاب بكَتْ بكاءاً شديداً ، وقالت لعمر بن يزيد : بِعْني من صاحب هذا الكتاب . وحَلَفَتْ بالمُحْرِجة المغلَّظة[١] أنَّه متى إمتَنَعَ مِن بيعها منه قَتَلَتْ نفسَها ،

فما زِلْتُ أُشاحُه[٢] في ثمنها حتى استقرَّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصْحَبَنيه مولاي (عليه السلام) مِن الدنانير في الشنتقة (أي الصُرَّة) الصفراء ، فاستوفاه مِنّي وتسلَّمْتُ منه الجارية ضاحِكةً مستَبْشِرَةً ، وانصرَفْتُ بها الى حُجْرتي التي كنتُ آوي اليها ببغداد .

فما أخذَها القرار حتى أخْرجَتْ كتاب مولاها (عليه السلام) مِن جَيْبها وهي تَلْثِمُه[٣] وتَضَعُه على خَدِّها ، وتُطْبقُه على جَفْنها[٤] ، وتمسحه على بَدَنها . فقلتُ ـ تعجُّباً مِنها ـ أتَلْثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه ؟

فقالت : أيّها العاجِز ، الضعيف المعرفة بمحلِّ أولاد الأنبياء ! أعِرْني سَمْعَكَ وفرِّغْ لي قلبَكَ : أنا مَليكة بنت يشوعا بن قَيْصَر مَلِك الروم ، وأُمِّي مِن وُلْد الحواريِّين[٥] تنتسب الى وصيِّ المسيح : شَمعون ،

أُنَبِّئُكَ العجَبَ العجيب : إنَّ جدِّي قَيْصَر أراد أنْ يُزَوِّجَني مِن إبن أخيه ، وأنا مِن بنات ثلاث عشرة سنة ، فجَمَعَ في قَصْره مِن نَسْل الحواريين

---

(١) المحْرِجة : أي القَسَم واليمين التي تضيِّق على الحالف ، بحيث لا يبقى له مجال عن برِّ قَسَمه . قوله « المغلَّظة » : أي المؤكَّدة من اليمين والقَسَم .

(٢) قوله « أُشاحُه » يُقال : تشاحَّ الرجلان على كذا : أي لا يريدان أنْ يفوتهما ، والمقصود أنه كان يُساوم في ثمن الجارية ويَطلب منه التخفيض في قيمتها .

(٣) تَلْثِمُه : أي تُقبِّلُه .

(٤) تطبقة على جَفنها : أي تَضعه على عينها .

(٥) الحواريّون : هم خواصُّ أصحابِ النبي عيسى (عليه السلام)

ومن القسِّيسين والرُهْبان ثلاثمائة رجل ، ومِن ذوي الأخطار[١] سبعمائة رجل ، وجَمَع من أُمراء الأجْناد وقوّاد العساكر ونُقَباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف ، وأبْرزَ مِن بهو[٢] مُلْكه عَرْشاً مصنوعاً[٣] من أصناف الجواهر الى صَحْن القصْر ، فرَفَعه فوق أربعين مِرْقاة ،

فلما صَعَدَ إبنُ أخيه وأحْدَقَتْ به الصلبان[٤] وقامت الأساقفة[٥] عُكَّفاً ، ونُشِرَتْ أسفارُ الإنجيل[٦] تساقطت الصلبان من الأعالي فلَصقتْ بالأرض ، وتقوَّضتِ الأعمدة فأنهارتْ الى القرار ، وخَرَّ الصاعِد من العرش مَغشِيّاً عليه[٧] فتغيَّرتْ ألوانُ الأساقفة وارْتَعَدَتْ فرائصُهم ، فقال كبيرُهم ـ لجَدِّي : أيها الملِك أعفِنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني[٨] .

فتَطَيَّرَ جدِّي من ذلك تطيُّراً شديداً[٩] وقال للأساقِفَة : أقيموا هذه

---

(١) ذوي الأخطار ـ جَمْع الخَطَر ـ أصحاب الشرف ، والشخصيّات البارزة .
(٢) البَهْو : هو البيت المقدَّم أمام البيوت ، والذي يُعَبَّر عنه بـ (قاعة الإستقبال) .
(٣) وفي نسخة : مصوغاً .
(٤) الصلبان : جَمْع صَليب ،وقد تقدّم تعريفه .
(٥) الأساقفة ـ جَمْع اسقُف ـ : هو الرئيس الديني عند النصارىٰ . وهو أعلى مَرتبة من القسيس .
(٦) أسْفار ـ جَمْع سِفْر ـ : جزء من اجزاء الإنجيل .
(٧) يُقال لهذا النوع من الحوادث : الإرهاص : ومعناه الإخبار عن حادث عظيم قبل وقوعه بفترة طويلة ، كما حَدَث شبيه هذا . . ليلة ميلاد نبي الإسلام الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وسقطتْ شُرُفات من طاق كسرىٰ وخمدت نار فارس وأمثال ذلك .
(٨) الملكانية : مِن المذاهب المسيحيَّة .
(٩) تَطيَّر : أي تشاءَم .

الأعمدة وارفعوا الصلبان وأحْضِروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جَدّه[١] لأُزَوِّج منه هذه الصَبيَّة فيدفع نحوسَه عنكم بِسُعوده .

فلما فَعَلوا ذلك حَدَثَ على الثاني ما حدَثَ على الأول ، وتفرَّق الناس ، وقام جدّي قيصر مُغْتماً ، ودَخلَ قَصْره ، وأُرخِيَتْ الستور .

فأُرِيتُ في تلك الليلة كأنَّ المسيح وشمعون وعِدَّة مِن الحواريِّين قد اجتمعوا في قصر جدِّي ، ونَصَبُوا فيه منبراً يُباري السماء عُلوّاً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جدِّي نصَبَ فيه عرشَه ، فدخَلَ عليهم محمد (صلى الله عليه وآله) مع فِتْيَةٍ وعِـدَّةٍ مِن بَنِيه ، فتقدَّم المسيحُ إليه فاعتنقه ، فقال[٢] له محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا روحَ الله إني جئتك خاطباً مِن وصيِّك شمعون فتاته مليكة لإبني هذا ، ـ وأومأ بيده إلى أبي محمد إبن صاحب هذا الكتاب .

فنظر المسيح الى شمعون وقال له : قد أتاك الشَرَف ، فَصِلْ رَحِمَك بِرَحِم رسول الله (صلى الله عليه وآله) . قال : قد فعَلْتُ . فصعد ذلك المنبر وخطب محمد (صلى الله عليه وآله) وزَوَّجَني مِن إبنه وشَهِدَ المسيح (عليه السلام) وشَهدَ أبناء محمد (صلى الله عليه وآله)[٣] والحواريّون .

فلما اْستيقظْتُ من نومي أشفقت أن أقصَّ هذه الرؤْيا على أبي وجدِّي مخافَة القتل ، .

(١) المنكوس جدّه: أي المقلوب حَظُّه، . والمقصود: أنَّ قيصر لما رأىٰ مـا جرىٰ في زواج إبن أخيه أراد أنْ يُزوِّج السيدة نَرْجس من أخ ذلك العرّيس.

(٢) الموجود في المصدر : « فيقول » عوضاً عن « فقال » .

(٣) وفي نسخة « بنو محمد » .

وضُرِبَ صدري بمحبة أبي محمد[١] حتى أمتنعتُ من الطعام والشراب ، وضعفتْ نفسي ، ودقَّ شخصي ، ومَرِضْتُ مرضاً شديداً ، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلاّ أحْضَرَه جدِّي وسأله عن دوائي ، فلمّا برح به اليأس قال : يا قُرَّة عيني هل تشتهين شيئاً ؟ .

فقلتُ : يا جدِّي أرىٰ أبواب الفَرَج عليَّ مُغلَقة ، فلو كشَفْتَ العذاب عمَّن في سِجنك من أُسارىٰ المسلمين ، وفككْتَ عنهم الأغلال ، وتصدَّقت عليهم ، ومَنَنْتَ عليهم بالخلاص ، لَرَجَوْتُ أنْ يهب المسيح وأُمُّه لي عافية وشفاءاً .

فلما فعَلَ ذلك جدِّي تجلَّدْتُ في اظهار الصحة في بدني ، وتناولتُ يسيراً من الطعام ، فسَرَّ بذلك جدِّي ، وأقبل علىٰ إكرام الأُسارىٰ وإعزازهم .

فرأيتُ أيضاً ـ بعد أربع ليالٍ ـ : كأنَّ سيِّدة النساء قد زارتْني ومعها مريم بنت عمران وألف وصيفة مِن وصائف الجنان ، فتقول لي مريم : هذه سيدة نساء العالمين ، وأُمُّ زوجكِ أبي محمد . فأَتعلَّق بها وأبكي وأشْكو اليها إمتناعَ أبي محمد مِن زيارتي .

فقالتْ لي سيِّدةُ النساء : إنَّ إبني لا يزوركِ وأنتِ مُشْرِكة بالله وعلى مذهب النصارى ، وهذه أُختي مريم تبرأ الى الله مِن دِيْنكِ ، فإنْ مِلْتِ[٢] الى رضى الله عزّ وجل ورضى المسيح ومريم عنكِ وزيارة أبي محمد إياكِ فقولي : أشْهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ أبي محمداً رسول الله .

---

(١) ضُربَ صدري : أي أُلزِمَ وأُحيط بمحبة أبي محمد .
(٢) مِلْتِ : أي رغبْتِ

فلما تكلَّمتُ بهذه الكلمة ضَمَّتْني سيدةُ النساء إلى صدرها ، فطيّبت لي نفسي وقالت : الآن توقّعي زيارة أبي محمد إياك فإنّي منفّدته إليكِ .

فانْتبهتُ وأنا أقول : واشوقاه إلى لقاء أبي محمد . فلما كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمد (عليه السلام) في منامي ، فرأيتُه كأنّي أقول له : جَفوْتَني يا حبيبي بعد أنْ شغلتَ قلبي بجوامع حُبِّك ؟ . فقال : ما كان تأْخيري عنكِ إلاّ لِشِرْكِكِ ، وإذْ قد أسْلَمتِ فإني زائرك في كل ليلة الى أنْ يَجمعَ الله شَمْلَنا في العيان . فما قطع عني زيارته بعد ذلك الى هذه الغاية .

قال بِشْر : فقلت لها : وكيف وقَعْتِ في الأسْر ؟ .

فقالت : أخبرَني أبو محمد ليلةً من الليالي أنَّ جدَّكِ سَيُسَيِّر جيشاً الى قتال المسلمين يوم كذا ، ثم يتبعهم ، فعليكِ باللحاق بهم مُتَنَكِّرَةً في زَيِّ الخَدَم مع عِدَّة من الوصائف من طريق كذا .

ففعلتُ ، فوقعتْ علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيتَ وشاهدت ، وما شَعُر أحَدٌ ـ بي بأني إبنة مَلِك الروم الى هذه الغاية ـ سواك ، وذلك بإطلاعي إياك عليه .

ولقد سألني الشيخ ـ الذي وقعتُ إليه في سَهْمِ الغَنيمة ـ عن إسمي ، فأنْكَرْتُه وقلتُ : نَرْجِسْ . فقال : إسم الجواري .

فقلتُ : العجب انّك روميّة ولسانك عربي ؟[1] .

---

(١) هذا كلام بِشر وسؤاله منها .

قالت : بَلَغَ مِن ولوع[1] جدِّي وحملِه إيّاي على تعلّم الآداب أنْ أوْعَزَ إلى إمرأة ترجمانة في الإختلاف إليّ ، فكانتْ تقصدني صباحاً ومساءاً ، وتفيدني العربية حتى أستمرَّ عليها لساني وأستقام .

قال بِشر : فلما انكَفَأْتُ[2] بها إلى (سُرّ مَنْ رأى) دخلتُ على مولانا أبي الحسن العسكري (عليه السلام)[3] فقال لها : كيف أراكِ الله عِزَّ الإسلام وذلَّ النصرانية[4] وشرف أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

قالت: كيف أصِفُ لك ـ يا بن رسول الله ـ ما أنتَ أعْلَم به مِنِّي ؟ .

قال : فإني أُريدُ[5] أنْ أُكرمَكِ ، فأيّما أحب إليك ، : عشرة آلاف درهم ؟ أم بُشْرىٰ لكِ بشرف الأبد ؟ .

قالتْ : بل البُشْرىٰ .

قال (عليه السلام) : فأبشري بِوَلَدٍ يملك الدنيا شَرْقاً وغَرْباً ، ويملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظُلماً وجوْراً .

قالت : ممَّنْ ؟ قال (عليه السلام) ممَّنْ خطبك رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له ، ليلة كذا مِن شهر كذا ، مِن سنة كذا

(١) الوَلَع : شدة الحُب والتعلُّق بشيء . الإختلاف اليَّ : اي التردُّد يُقال : إختلف الى المكان : أي تَرَدَّد ، وجاء اليه المرة بعد الأُخرى .
(٢) إنكفأْتُ : أي رجَعْتُ .
(٣) سبق أن ذكرنا أن لقب « العسكري » قد يُطلق على الإمام الهادي والد الامام الحسن العسكري (عليهما السلام) .
(٤) إشارة الى انتصار المسلمين على جيش قيصر جدِّ نرجس .
(٥) وفي نسخة : إني أُحبّ .

بالروميَّة[١] .

قالت : مِن المسيح ووصيِّه ؟ .

قال : ممّن زَوَّجَكِ المسيحُ ووصيُّه . ؟

قالت : مِن إبنك أبي محمد ؟ .

فقال : هل تعرفينه ؟ .

قالت : وهل خَلَتْ ليلة لم يرني فيها منذ الليلة التي أسْلَمتُ على يد سيدة النساء : أُمِّه[٢] ؟ .

فقال أبو الحسن الهادي (عليه السلام) : يا كافور أُدعُ لي أُختي حكيمة ، فلما دَخَلَتْ عليه قال لها : ها هيه . فاْعتنقتْها طويلاً ، وسَرَّتْ بها كثيراً ، فقال لها أبو الحسن (عليه السلام) : يا بنت رسول الله خذيها الى منزلِكِ ، وعَلِّميها الفرائض والسُنَن ، فإنَّها زوجة أبي محمد وأُمّ القائم (عليه السلام)[٣] .

أيها القارىء الكريم : لعلَّ هذا الحديث يحتاج الى شيء من التعليق والتحليل والتحقيق فأقول :

الرُؤْيا الصادِقة حقيقةٌ ثابتة في القرآن والسُنَّة ، وإستيعاب هذا البحث يحتاج الى تأْليف خاص ، كما فَعَلَ ذلك شيخنا النوري (عليه الرحمة) في كتابه : (دار السَلام) ويمكن أنْ نُلخِّص القول فيما يلي :

---

(١) أي بالتاريخ الميلادي . . . لا التاريخ الهِجْري .

(٢) يُعبَّر عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بـ « أُمّ الأئمة » لأنَّ الأئمة الأحَد عشر أبناؤ ها .

(٣) روىٰ هذا الحديث الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) والشيخ الطوسي في (كتاب الغيبة) بألفاظ متقاربة ، ونحن جَمَعْنا بين الروايات بقدر المستطاع واْختَرنا احسن الوجوه .

لقد ذَكَرَ الله تعالى في القرآن الكريم منامات عديدة للأنبياء وغيرهم ، فذَكَرَ في سورة الصافّات رؤْيا النبي إبراهيم (عليه السلام)[١] وفي سورة يوسف تجد أربع منامات أحَدُها ليوسف بن يعقوب (عليهما السلام) وإثنين للشابَّين اللذَين دخَلا معه السِجن ، ورؤْيا للمَلِك يومذاك ، وكانتْ هذه الأحلام والمنامات صادِقة ، فقد تحقَّق تأْويلها وتعبيرها في الخارج[٢] .

وفي الأحاديث النبويَّة وأحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تجد كميَّة كثيرة من المنامات والأحْلام الصادقة التي تحقَّقَ تأْويلها وتعبيرها ، فلقد رأىٰ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام : أنَّ رجالاً يَنْزُون على منبره نَزْوَ القِرَدة ، ويردُّون الناسَ علىٰ أعْقابِهم القَهْقرىٰ ، فأستوى رسولُ الله جالساً والحُزْنُ يُعرَفُ في وجْهه ، فأتاه جبرئيل بهذه الآية : ﴿ **وما جَعَلْنا الرؤْيا التي أرَيْناكَ إلّا فِتْنَةً للناس ، والشَجَرَةَ الملْعُونة في القرآن ، ونُخَوِّفُهم فما يزيدُهم إلّا طُغياناً كبيراً** ﴾ يعني بَني أُميَّة[٣] .

ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منامات أُخرىٰ وفَسَّرَها فكانتْ كما أخبر بها ، تجد التفاصيل في الكتب التي تتحدَّث عن سِيرته (صلى الله عليه وآله)

والسيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) رأتْ أباها رسولَ الله في المنام في

---

(١) سورة الصافات / آية ١٠٢ .

(٢) تجد ذلك في سورة يوسف آية ٤ ، ٣٦ ـ ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ .

(٣) بعض مصادر الحديث : السيوطي في (الدُر المنثور) في تفسير الآية ، مقدمة الصحيفة السجادية ، البيهقي في (الدَلائل) ، وابن عساكر ، والألوسي في تفسيره (روح البيان) ج ١٥ ص ١٠٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٩ ، والفخر الرازي في تفسيره .

يوم وفاتِها ، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنتِ الليلة عندي . فتُوفِّيَتْ (عليها السلام) في ذلك اليوم ، وكذلك الإمام علي أمير المؤمنين والإمام الحسين(عليهما السلام) كلٌّ منهما رأىٰ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) في المنام . فأخبر النبي كُلاً منهما باقتراب شهادته وتعيين يومَها .

فالرؤْيا الصادقة تُعتبر للإنسان الرائي مُكاشَفَة ومُكالمة ومخابرة مِن عالَم ما وراء الطبيعة ، ولقد ثبت في الأحاديث الصحيحة كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال:« مَن رآني فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتَمثَّل بي » ورُويَ الحديث أيضاً هكذا : « مَن رآنا فقد رآنا » .

لقد كانتْ رؤْيا السيدة نرجس رؤْيا صادقة ، بل تُعتبر رؤْياها نوعاً من المكاشَفَة ، فقد خَطَبها رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عالَم الرؤْيا ، وأسْلَمتْ في عالَم الرؤْيا بعد أنْ لَقَّنَتْها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كلمة الشهادتين ، وكانت السيدة نرجس ترىٰ الإمام الحسن العسكري في منامها في كل ليلة ، وأخيراً أخبرَها الإمام بأنَّ جدَّها قيصَر ينوي محارَبَة المسلمين ، وأمَرَها أنْ تجعل نفسها مع الوصائف والخدم وترافق الجيش ليكون ذلك وسيلة لوصولها الى البلاد الإسلامية ، ثم تحظىٰ بشرف المثول والحضور عند الإمام العسكري (عليه السلام) .

كل هذه الأشياء تُعتبَر من الأُمور الممكنة ، وقد وَقعتْ أمثالها بكثرة على مرِّ التاريخ . واختَصَّ الله تعالى السيدةَ نَرْجس بهذا الشرف الأرفع الخالد ، بعد أنْ خلق فيها المؤهِّلات والمواهب من : نفسية شريفة ، وفضائل شخصية ، ومزايا جَمَّة ، كالحَياء والعِفَّة، وقوَّة الشخصية ، والإيمان والأصالة

وغيرها ، وهذهِ الفضائل والإمتيازات قد أهَّلَتْها لتكون والدةً لسيِّدنا صاحب الزمان الحجَّة بن الحسن ، المهدي (عليهما السلام) فإنَّ الوراثة لها كلُّ الأثَر في الطفل . . . وإلاّ فما هي الدوافع والدواعي لأن يخطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام وهي في بلاد الروم ؟؟ .

أما وَجَدَ الإمام العسكري (عليه السلام) في البلادِ الإسلامية إمرأةً مسلمة يتزوّجها ، أو جارية مسلمة يشتريها ؟؟ . فلماذا هذه المقدّمات الطويلة العريضة ، وهذه التشريفات الخاصة العجيبة ؟ .

مِن الواضح أننا لا نستطيع الإحاطة والإطِّلاع بصورة مفصَّلة عن حياة السيدة نرجس من حيث نفسيتها الممتازة وشخصيتها المثالية !

وأمّا الحديث الآخر الذي يترجم حياة السيدة نرجس فهو كما يلي :

روىٰ الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) بأسناده عن محمد بن عبد الله المطهَّري قال : قصدتُ حكيمة بنت محمد الجواد (عليه السلام) بعد مُضي - أي : بعد وفاة - أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) أسألها عن الحُجَّة وما أْختلف فيه الناس من الحيرة التي فيها . . . الى أن يقول : فقلتُ يا مولاتي هل كان للحسن العسكري (عليه السلام) وَلَد ؟ .

فتبسَّمَتْ . . . ثم قالت : إذا لم يكن للحسن عَقِبٌ فَمَن الحجَّة من بعده ؟ وقد اخبرتُكَ أنه لا إمامةَ لأخَوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام)[1] .

(١) وفي نسخة : ان الإمامة لا تكون لأخَوَيْن بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) . =

فقلتُ : يـا سيـدتي حـدِّثيني بـولادة مـولاي وغيبتـه (عليه السلام) ؟ .

قالتْ : نعم . . كانتْ لي جارية يُقال لها (نَرْجس) ، فزارني إبن أخي ، فأقبل يحدق النظر اليها . فقلت له : يا سيدي لعلَّك هويتها فأُرسلها إليـك ؟ فقال : لا يـا عمَّه ، ولكنني اتعجَّب منهـا . فقلت : وما أعجَبَـكَ منهـا ؟ [١] فقال (عليـه السلام) : سيخـرج منها وَلَـدٌ كـريمٌ عـلى الله عـزَّ وجل ، الذي يمـلأ الله به الأرضَ عـدلاً وقسطاً . فقلت : فـأُرسلها اليـك يا سيدي ؟ فقال : إستأْذِني في ذلك أبي .

قالتْ حكيمة : فلبستُ ثيابي وأتيتُ منزل أبي الحسن ، فسلّمتُ وجلست ، فبدأني (عليه السلام) : وقال : يا حكيمة إبعَثي نرجس الى إبني أبي محمد . فقلت : يا سيدي على هذا قصدْتُك : على أن أستأْذنك في ذلك . فقال : يا مبارَكة إنَّ الله تبارك وتعالى أحبَّ أنْ يُشركَكِ في الأجْر ويجعل لك في الخير نصيباً .

قالتْ حكيمة : فلم ألبَثْ أنْ رجعتُ الى منزلي وزيَّنْتُها ووهبتُها لأبي محمد (عليه السلام) وجَمعتُ بينه وبينها في منزلي ، فأقام عندي أيّاماً ثم مضى الى والده (عليهما السلام) ووَجَّهْتُ بها معه . . . إلى آخر الحديث »[٢] .

= والمقصود من كلامها : أنها تنفي إمامة جعفر الكذّاب الذي إدَّعىٰ الإمامة بعد أخيه الامام الحسن العسكري (عليه السلام) .

(١) يُقال : أعجَبَه : أي حَمَله على العَجَب منه : فيكون المعنى : أيَّ شيءٍ عجيبٍ رأيتَ منها ؟ .

(٢) اكمال الدين للصدوق ج٢ ص ٤٢٧ طبع طهران سنة ١٣٩٥ هـ .

أقول : هذا الحديث ـ كما تراه ـ لا يَذْكُرُ شيئاً مِن أصل السيدة نرجس ، وترجمة حياتها ، سوى أنها كانتْ جارية للسيدة حكيمة ورآها الإمام الحسن العسكري ، ولا يذكر هذا الحديث كيفية وصولها الى سامراء والى السيدة حكيمة بصورة خاصة . ولقد حاولَ بعضُ المعاصِرين أنْ يجمع بين هذين الحديثَين فقال : « لقد مرَّ في الحديث السابق أنَّ الإمام الهادي (عليه السلام) قال لأُخته حَكيمة : يا بنتَ رسول الله خُذِيها إلى مَنزلِكِ وعَلِّميها الفرائض والسُنَن فإنها زوجة أبي محمد وأُمّ القائم . فكانت نرجس عند حكيمة حتى إشْتُهِرَتْ بـ (جارية حكيمة) .

فلعلّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) رآها في بيت عمَّته بعد ذلك ، وجَعَلَ يُحدِق النظَر إليها ، ولا مانع مِن ذلك فهي زوجته » إنتهى .

ولكن المشكلة أنَّ كلمات هذا الحديث لا تساعد على هذا التأْويل والتوجيه ، فقول السيدة حكيمة : « كانتْ لي جارية يُقال لها : نرجس » يدل على أن نرجس كانتْ مِلْكاً للسيدة حكيمة ، وكذلك قولُها : « وَوَهَبْتُها لأبي محمد » يُنافي كلام الإمام الهادي (عليه السلام) ـ في الحديث السابق ـ « فإنّها زوجةُ أبي محمد » .

وبعد تضعيف نظرية الجَمْع والتوجيه يأْتي سؤال وهو : كيف جاز للإمام العسكري (عليه السلام) أنْ يحدق النظر إلى إمرأة لا تحلّ له ؟ .

والجواب : يجوز النظر الى جارية الغير إذا أذِنَ مالِكُها ذلك ، ومن المستحيل أن ينظر الإمام العسكري الى إمرأة لا يحل له النظَر اليها لأنه خلاف العصمة . . . وبعد هذا فإنَّ هذا الحديث الثاني مروي عن محمد بن عبد الله

المطهّري أو الطهوي ، وهو مجهول ، ومعنى ذلك ان هذا الخبر ضعيف ، والإعتماد على الحديث الأول أوْلىٰ وأنْسَب ، والله العالم .

مِيلَاد الإمَام المَهْدِيّ «عليه السلام»

رویٰ الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) بأسناده : عن حكيمة (بنت الإمام الجواد عليه السلام) قالتْ : بعث إليَّ أبو محمد الـحسنُ بن علي (عليهما السلام) فقال : يا عمَّة إجعَلي إفطارِكِ الليلة عندنا ، فإنها ليلة النصف من شعبان ، وإنَّ الله تبارك وتعالى سَيُظهر في هذه الليلة الحجَّة ، وهو حجَّته في أرضه ـ وفي رواية : فإنه سيولد ـ الليلة ـ المولود الكريم على الله عزَّ وجل ، الذي يحيي الله (عزَّ وجل) به الأرضَ بعد موتها .

قالت (حكيمة) : فقلت : ومَن أُمّه ؟ قال لي : نرجس . قلتُ له : جَعَلَني الله فداك ما بها أثَر[1] ؟ . فقال : هو ما أقول لكِ . قالتْ : فجئتُ فلما سَلَّمتُ وجلست جاءَتْ (نرجس) تَنْزع خُفِّي[2] وقالت لي : يا سيدتي وسيدة أهْلي كيف أمْسَيتِ ؟[3] فقلتُ : بل أنتِ سيدتي وسيدة أهلي . فأنكَرَتْ قولي

---

(١) أي : ما بها أثَرٌ مِن الحَمْل ، لأن الله تعالى أخفىٰ فيها أثر الحَمْل ، كما صرَّحتْ بذلك الأحاديث ، كما أخفىٰ الله ذلك في أُمِّ النبي موسى (عليه السلام) ولم يظهر عليها أثر الحَمْل ولم يعلم بها أحد الى وقت ولادتها ، لأن فرعون كان يشق بطون النساء الحبالىٰ في طلب موسى .

(٢) كانتْ العادة المتعارفة في ذلك الزمان أنَّ صاحبة البيت كانتْ تنزع خُفَّ المرأة الزائرة التي جاءت الى بيتها إحتراماً وإكراماً وتقديراً لها .

(٣) كلمة « كيف أصبحت » أو « كيف امسيت » كانت تُستعمل في ذلك الزمان مكان كلمة « كيف حالُك » في زماننا .

وقالت: ما هذا يا عمَّة؟![1]. وفي رواية أخرىٰ: فجاءتني نرجس تَخلع خُفِّي، فقالت: يا مولاتي ناوليني خُفَّكِ، فقلتُ: بل أنتِ سيدتي ومولاتي، والله لا أدفعُ اليكِ خُفِّي لتَخْلَعيه، ولا لتَخْدِميني، بل أنا أخدمُكِ، على بَصَري[2]. فسمع أبو محمد (عليه السلام) ذلك، فقال: جزاكِ الله ـ يا عمَّة ـ خيراً.

قالت حكيمة: فقلتُ لها: يا بُنيَّة إنَّ الله سَيَهَبُ لكِ ـ في ليلتِكِ هذه ـ غُلاماً سيداً في الدنيا والآخرة. فجلسَتْ (نرجس) واستحيَتْ، فلما أنْ فرغتُ من صلاة العشاء أفطرتُ وأخذْتُ مَضْجَعي فرقدتُ، فلما كان في جوف الليل قُمْتُ الى الصلاة، ففرغتُ من صلاتي وهي (أي: نرجس) نائمة ليس بها حادث، ثم جلستُ مُعقِّبة[3]، ثم اضطَجَعْتُ، ثم انتبهتُ فَزِعَةً وهي راقدة، ثم قامت فصلَّتْ. فدخَلَتْني الشكوك، فصاح بي أبو محمد (عليه السلام) مِن المجلس (أي: مِن حُجْرته التي كان جالساً فيها): لا تَعْجَلي يا عمَّه فإنَّ الأمر قد قَرُب.

---

(١) « فأنكرتْ »: أي تعجَّبت من قولي لها: « بل أنتِ سيدتي وسيدة أهلي » أي: كيف يسوغ للسيدة حكيمة وهي بنت الإمام وأخت الإمام وعمَّة الإمام أن تُخاطب جارية بهذه الكلمات؟. وأما قول نرجس: « يا عمّة » فهو بإعتبار أن السيدة حكيمة عمَّة زوجها، فكما كان الإمام العسكري يخاطبها « يا عمَّة » كذلك خاطبتها نرجس بكلمة « يا عمَّة ».

(٢) قولها « علىٰ بصَري » كالقول المتعارف في هذا الزمان (علىٰ عَيني)

(٣) معقِّبة: أي مشتغِلة بتَعْقيبات الصلاة كالأدعية والأوراد وتلاوة القرآن وغيرها.

وفي رواية : فَوَثَبَتْ سَوْسَن (أي : نرجس) فَزِعَةً ، وخـرجتْ وأَسْبَغَتِ الوضوء ، ثم عادتْ فصَلَّت صلاة الليل حتى بَلَغَتِ الوتْر[١] فوقَعَ في قلبي أنَّ الفَجْر قد قَرُب ، فقُمْتُ لأنظر ، فإذا بالفَجْر الأول قد طلع[٢] فتداخَل قلبي الشكُّ مِن وَعْد أبي محمد (عليه السلام)[٣] فناداني من حُجْرته : لا تَشُكّي . فاْستَحْيَيْتُ مِن أبي محمد وممّا وقع في قلبي ، ورجعتُ الى البيت[٤] وأنـا خَجِلة ، فـإذا هي (أي : نرجس) قد قطَعَتْ الصلاة ، وخـرجَتْ فزعـة ، فلقيتُها على بـاب البيت ، فقلت لها : هل تحسِّين شيئاً مما قلتُ لكِ ؟ .

قالتْ: نعم يا عمّه[٥] إنّي أجدُ أمْراً شديداً .

قلتُ: إسمُ اللهِ عليكِ ، إجمعي نفسَكِ ، واْجمعي قلبكِ فهو ما قلتُ لكِ ، لا خوفَ عليكِ إنشاء الله ، فأخذْتُ وسادةً فالقيتُها في وسَط

---

(١) الوتْر : آخر ركعة مِن صلاة الليل .

(٢) الفَجْر الأول : هو البياض « الضَوء » الذي يظهر في الأُفق ـ في جانب المشرق ـ ثم يزول ويأْتي مكانه الظلام ، ويُعبَّر عنه أيضاً بـ « الفَجْر الكاذب » .

(٣) كان سبب الشك أنَّ الإمام العسكري (عليه السلام) كان قد أخبرَها بأنَّ المولود يولَد ليلاً ، وكانتْ تلك الليلة على وَشَك الإنتهاء ، وقد قُربَ طلوعُ الفجر ، والمولود لم يكن يولَد بعد ، ولهذا صاح بها الإمام ـ مِن حُجرته حتى تسمع صوته ـ ونهاها عن الشك .

(٤) البيت : أي الحُجْرة . . وكذا فيما يأْتي ، فإنَّ المراد مِن « البيت » : الحُجْرة . . . لا الدار المستقلّة

(٥) حيث أن السيدة حكيمة كانت عمَّة الإمام العسكري (عليه السلام) وكان الإمام يخاطبها « يا عمَّة » كذلك خاطبتْها نرجس مجازاً . . لا حقيقةً .

البيت ، وأجلَسْتُها عليها ، وجلستُ منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة ، فقبضَتْ على كَفِّي وغَمَزَتْ غَمْزاً شديداً[(١)] ثم أنَّتْ أنَّةً[(٢)] وتَشهَّدَتْ ، فصاح بي أبو محمد (عليه السلام) وقال : إقرئي عليها : ﴿ إنّا أنْزَلناهُ في ليلة القَدْر﴾[(٣)] فأقبلتُ أقرأُ عليها كما أمَرَني ، فأجابَني الجنينُ مِن بطنها يقرأ كما أقرأ ، ففَزِعْتُ لما سمعتُ ، فصاح بي أبو محمد (عليه السلام): لا تَعْجَبيْ مِن أمرْ الله (عزَّ وجلَّ) إنَّ الله (تبارَكَ وتعالى) يُنطِقُنا بالحِكْمة صِغاراً ، ويَجعلنا حُجَّةً في أرْضِه كِباراً ، فلم يستتمّ الكلام حتى غُيِّبَتْ عنّي نرجس ، فلم أرَها ، كأنّه ضُرِبَ بيني وبينها حجاب (وفي رواية : ثم أخذَتْني فَتْرَة ، وأخذتْها فترة) [(٤)] فعَدَوْتُ نحو أبي محمد (عليه السلام) وأنا صارِخة ، فقال لي : إرجعي يا عمَّه ، فإنَّكِ ستجدينها في مكانها . فرجعتُ فلم ألبَثْ أنْ كُشِفَ الحجاب الذي كان بيني وبينها ، وإذ أنا بها وعليها مِن أثَر النور ما غشىٰ بَصَري ، وإذا أنا بوليِّ الله (صلوات الله عليه) مُتَلَقِّياً الأرضَ بِمَساجِدِه[(٥)]ـ وعلى ذراعه الأيمن مكتوب : ﴿جاء الحقُ وزَهَقَ

---

(١) غَمَزَتْ : أي كَبَسَتْ وعصَرَتْ يدي عصْراً شديداً .

(٢) « أنَّتْ أنَّة » الأنين : الصوت مِن ألمٍ أو مرض .

(٣) وفي رواية : أمَرَها أنْ تقرأَ سورة الدّخان التي أوَّلُها : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتابِ المبين إنّا أنزَلْناه في ليلةٍ مباركة إنّا كنّا مُنْذِرين ، فيها يُفْرَقُ كلُّ أمْرٍ حكيم﴾ ولا يخفى ما في هذه الآيات من التناسب بينها وبين الولادة أو المولود .

(٤) سنذكر معنى كلمة « فَتْرة » بعد انتهاء حديث ولادة الامام (عليه السلام)

(٥) أي قد وَضَعَ مواضِعَ السجود السبعة على الأرض .

الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً﴾(١) - وهو (أي الإمام حال كونه ساجداً) يقول : « أشهَدُ أنْ لا إله إلّا الله وحْدَه لا شَريكَ له ، وأنَّ جدِّي محمداً رسولُ الله ، وأنَّ أبي أميرَ المؤمنين وليُّ الله » ثم عَدَّ الأئمة إماماً إماماً إلى أنْ بَلَغَ إلى نفسه ، ثم قال : « اللهمَّ أنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني ، وأتْمِمْ لي أمْري ، وثَبِّتْ وَطْأتي(٢) واْملأْ الأرضَ بي عَدْلاً وقِسْطاً » ثم رَفَعَ رأْسَه - من الأرض - وهو يقول : **﴿ شَهِدَ اللهُ أنَّه لا إله إلّا هو والملائكةُ وأُولوا العِلم ، قائماً بالقِسط ، لا إله إلّا هو العزيزُ الحكيم . إنَّ الدينَ عند اللهِ الإسلام﴾**(٣) ثم عَطَسَ فقال : « **الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلى اللهُ على محمدٍ وآله ، زَعَمَتِ الظَّلَمَةُ أنَّ حُجَّة اللهِ داحِضَةٌ**(٤) لو أُذِنَ لنا في الكلام لَزالَ الشَك .

---

(١) سورة الإسراء / آية ٨١ .

(٢) « وثَبِّتْ وطْأتي » : يُقال : وَطِـأَهُ بِرجْله : أي داسَـه ، فالـوطيء : هو الـدوس بالقَدَم . ويُعبَّر عن الغَزْو والغَلَبة والقتل بـ « الوطيء » لأنَّ مَن يَطَأُ على الشيء بِرجْله فقد إستَقْصىٰ في هَلاكه وإهانَته ، فيكون معنى « ثَبِّتْ وطأتي » : أي ثَبِّتْ وأحْكِمْ ما وعْدتني من محاربة المخالفين وإستئصالهم ، وسَهِّل لي ذلك .

(٣) سورة آل عمران / آية ١٨ - ١٩ .

(٤) داحِضَة : أي زائلة وباطلة . وذلك لأن أعداء الأئمة الطاهرين كانوا يظنّون أن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) لا عَقِبَ له ، وكانوا يقولون : إن العسكري يموت وتنتهي سِلسلة « أئمة أهل البيت » ، زاعمين أنَّ بموته تنقطع حُجَّة الله على الأرض ، دون أن يعلموا أن له وَلَداً هو الإمام المهدي (عليه السلام) ولكن الله تعالى لم يأذن له بالإعلان عن نفسه حتى يعلم الجميع أن الإمامة مستمرة من خلاله ، ولو أذن الله له بالإعلان عن نفسه لزال الشك في إنقطاع سِلسلة الأئمة = الطاهرين (عليهم السلام) .

قالت حكيمة : فـأخذْتُ بكتفيـه فضَمَمْتُه إليَّ ، وأجْلَستُـه في حِجْـري ، فإذا هـو نظيف مُنـظَّف ، فصاح بي أبـو محمـد (عليـه السلام) : هَلُمِّي إليَّ بابني يا عمَّه ، فجِئتُ به إليه ، فأجلَسَه على راحَتِه اليُسْرىٰ ، وجَعَلَ راحَتَه اليُمنى على ظَهْره ، ثم أدخَلَ ـ الإمام العسكـري ـ لسانَـه في فيه ، وأمـرَّ يدَه على رأسـه وعينيه وسَمْعـه ومَفاصله ، ثم قال له : تكلَّمْ يا بُنَي !! (وفي رواية : يا بُنَي انطق بقُـدْرةِ الله تكلَّمْ يا حُجّـة الله وبقيَّة الأنبيـاء ، وخاتم الأوصيـاء ، تكلَّمْ يا خليفـة الأتقياء . . فتَشَهَّـدَ الشهادتـين وصلى عـلى النبي والأئمة الـطاهرين واحـداً واحـداً ، ثم سكتَ بعـد وصـولـه إلى إسم أبيـه ، ثم أسْتعـاذَ مِن الشيطان الرجيم وتَلىٰ هذه الآية : ﴿ **بسـم الله الرحمن الـرحيم ، ونُرِيـدُ أنْ نَمُنَّ عَـلىٰ الَّـذِينَ اسْتُضْعِفُـوا في الأرض ونَجْعَلهم أئـمـةً ونجـعلهـم الوارثين ، ونُمَكِّنَ لَهم فِي الأرض وَنُرِي فرعونَ وهامـانَ وجنودَهمـا منهم ما كانوا يَحذَرون** ﴾[١] .

فناوَلَنيه أبو محمد (عليه السلام) وقال : يا عمَّة رُدِّيه إلى أُمِّه كي تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَن ولتَعْلَم أنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون .

فرَدَدْتُه إلى أُمِّه ، وقد إنفَجَرَ الفَجْر الثاني[٢] فصَلَّيتُ الفريضة ،

= ولعل المقصود بـ « حُجَّة الله داحضة » ان الإمامة منقطعة ، ولا ولد للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و « لو أُذِنَ لنا » بالظهور بين الناس لزال الشك .

(١) سورة القصص / آية ٥ ـ ٦ .

(٢) الفَجْر الثاني : ويُعبَّر عنه بـ « الفَجر الصادق » : ـ هو البياض « الضَوء » الذي يظهر في عَرْض الأُفق ـ في جانب المشرق ـ ويمتد وينتشر حتى يعمّ السماء كلَّها، =

ثم وَدَّعْتُ أبا محمد وانْصَرَفتُ[١] .

أقول : ليس في هذا شيء مِن الغُلُو أو الخُرافة ، وليس الإمام المهدي (عليه السلام) هو الطفل الأول ـ في العالَم ـ الذي تكلَّم قُبَيل ولادته أو بعدَها مباشرةً ، بل تجد القرآن الكريم يُصرِّح بأنَّ عيسى بن مريم تكلَّم يومَ ولادته . . بل ساعةَ ولادتَه (بناءاً على بعض الروايات) فقد ذَكَرَ بعض المفسِّرين ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فناداها مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَني قد جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ، وهُزِّي إليكِ بِجِذْعِ النَخْلَةِ تُساقِطْ عليكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِيْ واشْرَبِيْ وقَرِّي عيناً ، فإمّا تَرَيِنَّ مِن البَشَرِ أحَداً فقولي إنِّي نَذَرْتُ للرحمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليوم إنْسِيّاً ﴾[٢] أنَّ هذا كلّه : كلام عيسى ساعةَ إنفصاله عن بطن أُمِّه ، كما رُوي ذلك عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ووهَبْ بن مُنبِّه ، وإبن جرير ، وإبن زيد ، والجبائي[٣] . وفي رواية : ناداها جبرئيل . وإنْ كان ـ هناك ـ إختلاف في

= وهو علامة دخول وقت صلاة الصبح .

(١) لقد نقلنا كيفية ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) من روايات متعدِّدة ومِن عِدَّة مصادر مع رعاية الترابط والتناسق ، وكان مِن بين المصادر : كتاب (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٢٤ ـ ٤٣٣ . طبع ايران ١٣٩٥ . هـ. وكتاب (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي ج ٥١ ص ١٣ ـ ٢٨ من الطبعة الحديثة ، طبع ايران ١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة مريم / آية ٢٤ ـ ٢٦ . أما الآيات التي بعدها فهي كالتالي : ﴿ فأتَتْ به قومَها تَحْمِلُهُ ، قالوا : يا مريمُ لقد جِئْتِ شيئاً فَرِيّاً !! يا أُخْتَ هارونَ ما كان أبوكِ أمْرَأ سَوءٍ وما كانتْ أُمُّك بَغِيّاً !! فأشارَتْ إليه ، قالوا : كيفَ نُكلِّمُ مَنْ كان في المهْد صَبيّاً ؟ قال : إنِّي عَبْدُ اللهِ . . . ﴾إلى آخر الآيات » سورة مريم/آية٢٦ ـ ٣٠ .

(٣) مجمع البيان الطبرسي في تفسير الآية ، تفسير التبيان للشيخ الطوسي ، أيضاً في تفسير الآية .

المنادي ـ في قوله تعالى : ﴿ فناداها ﴾ أنَّـه هل هـو عيسى أو جبرئيـل ـ فلا خلاف ولا اختلاف في كـلام عيسىٍ لليهود ـ حـين قالـوا : كيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كـان في المَهْدِ صَبِيّـاً ـ ؟ « قـال : إنِّي عَبْـدُ الله ، آتـانيَ الكتـابَ ، وَجَعَلَني نَبِيّـاً ، وجَعَلَني مُبارَكـاً أيْنَـما كُنْتُ ، وأوْصـاني بـالصَـلاة والـزَكـاةِ مـا دُمْتُ حَيّاً . . . » أنه كلام عيسى (عليه السلام) .

قد يُقال : إنَّ هذه مُعْجزةٌ أوْجَدَها الله تعالى لعيسى بن مريم تَثْبيتاً لنبوَّته ،

ونحن نقول : إنَّ هذه معجِزَة أوجَدَها الله سبحانه للإمام المهدي تَثْبيتاً لإمامَته ، وهو (عليه السلام) إمامُ عيسى بن مريم في الصلاة ، كما تقدَّم الكلام ، وسيأْتي المزيد مِن التفصيل أنَّ عيسى بن مريم يَنزل مِن السماء ويُصلِّي خَلْفَ الإمام المهدي (عليه السلام) فلا عَجَبَ أنْ يَحدث للإمام المهدي ما حَدَثَ لعيسى بن مريم (عليهما السلام) .

وقد تكرَّرتْ هذه الظاهرة في آل البيت النبوي ، وقد ذَكرنا في كتاب (فاطمة الزهراء مِن المهد إلى اللحْد) حديثاً مروّياً عن الدهلوي الحَنفي في كتـاب (تجهيـز الجيش) عن كتـاب (مـدح الخلفـاء الراشدين) : « أنَّه لمّا حَملَتْ خديجة بفاطمة كانت تكلِّمها ما في بطنها » وحديثاً آخر مَرويّاً عن شعيب بن سعد المصري في كتابـه (الروض الفائق) : « . . . قالت خديجة : واخيبةَ مَنْ كذَّبَ محمداً وهو رسول ربِّي . فنادتْ فاطمة ـ مِن بطنها ـ يا أُمّاه لا تَحْزَني ولا ترهَبي

فإنَّ الله مع أبي[1] .

والآن نعود الى ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) .

لقد وُلِدَ الإمام في جوٍّ من الكتمان والخفاء ، في وقت السَحَر من ليلة النصف من شهر شعبان ، قُبَيل الفَجْر ، في تلك اللحظات التي كان جبابرة بَني العباس وأتباعهم في نومٍ عميق ، كعادَتهم في كل ليلة .

تلك اللحظات التي كان البيت العَلَوي الطاهِر (وأخُصُّ بيت الإمام العسكري) عامِراً بأصوات الدعاء والإبتهال والصلاة وتلاوة القرآن .

ما أشرف تلك اللحظة مِن سَحَرِ ليلة الجمعة النصف من شعبان !! وما أسعَدَ تلك الليلة التي « لا يُولَد فيها مولودُ إلّا كان مؤمناً ، وإنْ وُلد في أرض الشِرْك نقَلَه اللهُ إلى الإيمان بِبركَة الإمام المهدي (عليه السلام) !!»[2] وما أنسَبَ ذلك الوقت لولادة الإمام حيث رُوعِيَتْ فيه جوانب الحِكْمة كلها !

(١) وقد روى الحافظ محبُّ الدين احمد الطبري الشافعي ـ في كتابه (ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى) ص ٤٥ ، طبع مصر سنة ١٣٥٦ ـ حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت تكلِّم أُمَّها وهي في بطنها .

(٢) نقل الشيخ المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) ما نصُّه : « نُقِلَ مِن خطِّ الشهيد عن الصادق (عليه السلام) قال : إنَّ الليلة التي يولد فيها القائم (عليه السلام) لا يولَد فيها مولود إلّا كان مؤمناً ، وإن وُلد في أرض الشِرك نقله الله الى الإيمان=

وقد حضَرَتْ السيدةُ حكيمة ولادةَ الإمام (عليه السلام) وشاهَدَتْ المراحِل كلهّا في تلك الليلة ، ومِن الطبيعي أنَّ الولادة إنَّما تَثْبُتْ بشهادة نساء الأُسرة او القابِلَة المَوَلِّدة ، والسيدة حكيمة : هي بِنْتُ الإمام وأُخت الإمام وعمَّة الإمام[1] وهل كانتْ ـ في ذلك العَصْر ـ إمرأة أصدق منها قولاً ؟ وأوثَق منها كلاماً ؟ وأطهر منها لساناً ؟ وأكثر منها إطمئناناً ؟ وهي السيدة الشريفة العابِدَة المَتهجِّدة الصالحة ، فمِن أين يأْتي الشك في صِدْق كلامها ؟ وصحَّة حديثها ؟ .

إنَّ بعض المنحرفين عن الحق ، المعاندين للصواب يَشك أو يُشكِّك في ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ويقول : إنَّ مَصدر هذا الخَبر هي السيدة حكيمة ، فكيف يَثبتُ هذا الأمر بشهادة إمرأة !! .

إنَّ هذا المعاند قد ضربَ الرقَم القياسي في الحُمق والجَهل ، فكأنَّه يتوقَّع أنْ يولَد الإمام المهدي (عليه السلام) في ساحة من الساحات المزدحمة بالناس ، أو في مسجد غاصٍّ بالمصلِّين ، أو في مكان آخر يكثر فيه

= بِبَرَكة الإمام عليه السلام » راجع (بحار الأنوار) ج ٥١ ص ٢٨ من الطبعة الحديثة في ايران سنة ١٣٩٣ هـ . أقول : مِن المحتمل أنْ يكون المقصود : هم الذين ولدوا في نفس الليلة التي وُلِدَ فيها الإمام المهدي (عليه السلام) مِن نفس السنة (أَي : سنة ٢٥٥ هجرية) . ويمكن أن يكون ذلك في كل سنة ، وعلى هذا فيمكن أنْ يكون المقصود : هم الذين تولَّدوا مِن آباء مسلمين . والله العالم .

(١) السيدة حكيمة : هي بنت الإمام التاسع محمد الجواد (عليه السلام) وأُخت الإمام العاشر علي الهادي (عليه السلام) وعمَّة الإمام الحادي عشر أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) .

المتَفَرِّجون ، وتقع ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بِمَرْأىً من الجماهير المتَجَمْهِرة ، والسيل البشري حتى تَثْبت ولادته (عليه السلام) عند هذا الأعوج !!.

قُبْحاً لهذه النفسيَّة القَذِرَة ، وتَعْساً لهذه العقلية السافلة الساقِطة ، ولعنةُ التاريخ على هذا المستوى النازل المنحط ، وعلى كلِّ مُعَقَّد بعُقْدَةِ الحِقارَة الجَهَنميَّة .

هذا . . بالإضافة إلى أنَّ شهادة السيدة حكيمة بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ليست الدليل الأول والاخير ، فالإمام الحسن العسكري (عليه السلام) لم يتهاون في إعْلام الشيعة بولادة إبنه الإمام المهدي ، رغم الظروف القاسية ، وعدم توفُّر الإمكانيات الإعلامية ، وكثرة الموانع .

أمّا كلمة « الفَتْرة » التي ذَكرتْها السيدة حكيمة ، أو كلمة « السُبات » وأمثالها ، فهي تُشير إلى حالة نفسِيَّة تَعرُض نادراً لبعض الأفراد ، في حالات خاصة ، ولحظات محدودة . وهي حالة تَشبه فقدان الوعي بصورة سريعة ، وفي مُدَّةٍ قصيرة ، تتعطَّل خلالها المشاعر ، ويَتصوَّر الإنسان أنَّه على وَشَك الإغماء ، فيُحاول أنْ يتغلَّب على تلك الحالة ، ويُحافظ على مشاعِرِه ، كالإنسان الذي يغلب عليه النوم وهو يُحاول أن لا ينام .

وهذه الحالة ـ التي يَعجز القلمُ عن وَصْفها ـ تَعتري الإنسان في حالة التوجُّه القويّ إلى الله تعالى ، أو في حالة الإتصال بعالَم الأرواح أو الروحانيّات .

وإنما يفهم هذا الكلام أهل المعنىٰ الروحيّون الذين تَكثُر إتصالاتهم بعوالم ما وراء الطبيعة .

إستولتْ حالة « الفَتْرة » أو « السُبات » على السيدة حكيمة في اللحظات والثواني التي سبقتْ ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وإنفصاله عن بطن أُمِّه ، وشَعُرَتْ السيدة نرجس بنفس الحالة ، في نفس تلك اللحظات .

ومن الواضح أنَّ لحظة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وإنتقاله إلى هذا العالَم ، لحظةٌ رهيبة ، تتجلّىٰ فيها القُدْسية والنورانية والروحانية ، ويغشىٰ النورُ الباهر القوي السيدةَ نرجس ، بحيث لا يمكن رُؤ يتها في تلك اللحظة ، لأنها مَغمورة بنورٍ لا يشبه أنوارَ الدنيا ، ولم تستطع أن تراها السيدة حكيمة لهذا السبب . ومِن الطبيعي أنَّ هذه الحالة تُورِث في الإنسان الذُعْر والذهول والدَهشة ، فلا عجَبَ إذا خرجتْ السيدة حكيمة وهي صارخة ، من جرّاء حالتها النفسِيَّة المُريعة ، ولفقدان السيدة نرجس .

الحسن بن علي (عليهما السلام) إبنَه ونحن في منزله ، وكُنّا أربعين رجلاً ، فقال : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ، ولا تتفرَّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا .

قالوا : فخرجنا من عنده ، فما مَضَتْ إلّا أيام قلائل حتى مضىٰ أبو محمد عليه السلام [1] .

العَقيقَـةوَالإطعَـام

العقِيْقَة : هي الذبيحة ـ مِن شاةٍ أو بَقَرٍ او إبِل ـ تُذْبَحُ بعد ولادة المولود ، وهي مُستحبَّة شَرْعاً ، وقد عَقَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن ولَدَيه : الحسن والحسين (عليهما السلام) بِكَبْشين في اليوم السابع من ولادتهما[1] .

والعَقيقة تُعتبر فِداءاً للطفل ، وتأْميناً على حياته ، فقد ورَدَ في الحديث عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « كـلُّ امْرىءٍ مُـرتَهَن بعَقيقَته »[2] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : « كلُّ مولودٍ مُرْتَهَن بالعقيقة »[3]

وما أبدَعَ هذا التعبير ، وأجملَ هذا البيان ، فإن الله تعالىٰ إذا وهَبَ المولود للوالدين فإنه يُمكن أنْ يعيش الطفل ، ويمكن أنْ يسترجع الله هِبَتَه فيموت الطفل في وقت مُبكِّر ، فإذا عُقَّ عنه بعقيقةٍ ، فإنه يعيش ، لأن العقيقة بمنزلة الرهان .

وإنطلاقاً من هذه الحقيقة ، فإن الإمام العسكري (عليه السلام) عَقَّ

---

(١) فرائد السمطين للحمويني الشافعي ج ٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، طَبعُ لبنان ١٤٠٠ هجرية ، ذخائر العُقبىٰ للطبري الشافعي ص ١١٨ طَبعُ مصر ١٣٥٦ هجرية . وغيرها .

(٢) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ١٠٤ ص ١٢٦ طبع طهران ١٣٨٩ هجرية .

(٣) مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٢٦ طبعُ لبنان ١٣٩٢ هجرية .

عن الإمام المهدي (عليه السلام) بثلثمائة عقيقة[1] .

وقد إمتاز الإمامُ المهدي (عليه السلام) بهذه المزيّة عن جميع الأوّلين والآخرين ، إذ لم يَذْكر التاريخ أنّ مولوداً عُقّ عنه بثلثمائة عقيقة ، سوى الإمام المهدي (عليه السلام) .

وتجد ـ هنا ـ سِرّاً عظيماً ، فإنّ العقيقة الواحدة إذا كانت نافذة المفعول في طول عُمْر المولود بالعمر الطبيعي المتعارف ـ وهو ما بين السِتين والسبعين مثلا ـ ، فإنّ المولود الذي قدَّر الله تعالى له أن يعيش ألفاً ومئات السِنين ـ مع كثرة أعدائه ـ يتطلَّب أنْ يُعَقّ عنه بمئات الذبائح لنفس الغَرَض .

ولا منافاة في أن يكون الله تعالىٰ هو الحافظ والحارس للإمام المهدي (عليه السلام) خلال قرون حياته ، وفي نفس الوقت يُعَقُّ عنه بهذه الكمية والعدد الوافر ، تحقيقاً للهدف ، لأن العقيقة لها آثارها الوَضْعية .

والبحث يتطلَّب شيئاً من الشرح والتفصيل ، ولكنَّه يَستدعي مجالاً أوسَع .

وقد قام الإمام العسكري (عليه السلام) بهذه العملية التي تُعتبر :

١ ـ تمديداً لطول عُمْر ولده الإمام المهدي (عليه السلام) .

٢ ـ إعلاماً لشيعته بولادة الإمام المهدي المنتظر .

ولم يكتف الإمام العسكري (عليه السلام) بذلك ، بل أمَرَ عثمان بن

---

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٠٦ ، طبع طهران المطبوع مع الترجمة الفارسية سنة ١٣٩٦ هـ .

سعيد ـ وهو مِن أخَصِّ أصحابه ـ بأن يشتري عشرة الآف رِطْل[١] من الخُبز ، وعشرة الآف رِطْل من اللحم ، ويوزِّعها على بَني هاشم لنفس الغَرَض[٢] .

وربما أرسلَ الإمام العسكري (عليه السلام) شاةً مذبوحة الى بعض أصحابه ، وقال له : هذه منْ عقيقة إبني محمد[٣] .

وأرسلَ إلى إبراهيم ـ وهو مِن أصحابه ـ بأربعة أكْبش ، وكتَبَ : بسم الله الرحمن الرحيم ، عُقَّ هذه عن إبني محمد المهدي ، وكُلْ ، هَنَّأَكَ الله ، وأطعِمْ مَن وجدتَ مِن شيعتنا[٤] .

ويُخبر الإمام العسكري (عليه السلام) بعضَ ثِقاة شيعته بولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ويأمره بالكتمان ، بل ويكتب رسالة الى الشيخ أحمد ابن إسحاق القُمِّي ـ وهو مِن أجِلّاء أصحابه ـ يُبشِّره بولادة ولده الإمام المهدي (عليه السلام)، بل ربما كان يُري ولدَه لبعض أصحابه الثقاة ، تأكيداً لهذه الحقيقة ، ومِن الأحاديث التالية يتَّضح ما نقول :

في كتاب (إكمال الدين) باسناده عن الحسن بن المنذر قال : جاءني

---

(١) الرِطْل : وزنٌ يَختلف بإختلاف البلدان ، والمراد منه هنا : هو الرطل العراقي . والرطل العراقي الواحد: يساوي $\frac{٦}{١٠}$ ٣٢٧ غرام ، أمّا عشرة آلاف رطل : فتساوي ٣٢٧٦ كيلو غرام .
(٢) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٣١ طبع طهران سنة ١٣٩٥ هجرية .
(٣) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٣٢ ، طبع طهران سنة ١٣٩٥ هجرية .
(٤) بحار الأنوار للشيخ المجلسي الطبعة الحديثة ج ٥١ ص ٢٨ ، طبع طهران سنة ١٣٩٣ هجرية .

يوماً حمزة بن أبي الفتح ، فقال لي : البشارة ! وُلد ـ البارحة ـ في الدار مولود لأبي محمد (عليه السلام) وأمَرَ بِكتْمانه ، قلت : وما أسْمه ؟ قال : سُمِّي بمحمد ، وكُنِّيَ بجعفر[١] .

وأيضاً في (إكمال الدين) عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القُمِّي قال : لما وُلدَ الخَلَفُ الصالح (عليه السلام) ورَدَ عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) إلى جدِّي أحمد بن اسحاق[٢] كتاب ، فإذا فيه مكتوب بخَط يده (عليه السلام) الذي كان تَرِدُ به التوقيعات عليه[٣] وفيه : .

« وُلِدَ لنا مولود ، فليكن عندك مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً ، فإنّـا لم نُظْهِر عليه إلّا الأقرب لقرابته ، والولي لولايته ، أحبَبْنا إعلامك ليسرّك الله به مِثْل ما سَرَّنا به ، والسلام »[٤] .

وفي (إكمال الدين) باسناده عن جعفر الفزاري عن جماعة من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) قالوا : عَرَضَ علينا أبو محمد

---

(١) إكمال الدين للصدوق ج ٢ ص ٤٣٢ . طبع طهران سنة ١٣٩٥ هجرية .
(٢) هكذا وجدنا الحديث في المصدر ، ويمكن أن يكون المراد : جَدُّه من طَرَف أُمِّه .
(٣) كانت الرسائل التي يُرسلها الشيعة الى الإمام العسكري (عليه السلام) مشتملة على أسئلة متنوِّعة ، وكان بين كل سؤ ال وسؤ ال فراغ ليُكتب فيه الجواب ، فكان الإمام يُجيب على الأسئلة في نفس الورقة . . . لا في رسالة مستقلة . والتوقيع ـ لغةً ـ : إضافةُ شيىءٍ الى الرسالة بعد الفراغ منها ، ولأجل هذا سُمِّيتْ هذه الرسائل بـ « التوقيعات » لأن الإجابات كانت مذكورة بين الأسطر في نفس الرسالة .
(٤) إكما الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٣٤ . طبع طهران سنة ١٣٩٥ هجرية .

الحسن بن علي (عليهما السلام) إبنَه ونحن في منزله ، وكُنّا أربعين رجلاً ، فقال : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ، ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا .

قالوا : فخرجنا من عنده ، فما مَضَتْ إلاّ أيام قلائل حتى مضىٰ أبو محمد عليه السلام [1] .

(١) إكمال الدين ج ٢ ص ٤٣٥ . طبع طهران سنة ١٣٩٥ هجرية .

الفصل السابع

كَيفَ غَابَ عَنِ الأبصَار ؟

إنَّ الذي يُراجع موسوعات الأحاديث يجد أن الكميَّة الهائلة من الأحاديث التي تُخبر عن الإمام المهدي (عليه السلام) قد تضمَّنتْ الإخبار عن غَيبته .

ولكلمة « الغيبة » ـ هنا ـ معنيان :

الأول : انه لا يعيش في المجتمعات البشرية ، ولا يكون في متناول الناس ، بأنْ يقصده الناس ، ويلتقي به كل أحد ، ويراه القريب والبعيد ، كما هو شأْن الإنسان العادي المتعارَف .

الثاني : الإختفاء عن العيون ـ حسب إرادَته ـ فلا تراه العيون مع كونه موجوداً ، كما أن العيون لا تَرىٰ الأرواح ، ولا الملائكة ، ولا الجِن ، مع تواجدها في المجتمعات البشرية .

وقد تَظهر الأرواح بالشكل المرئي لبعض الأفراد ، كما هو المشهور عند الذين يُمارسون إحضار الأرواح . وقد تَظهر الملائكة لغير الأنبياء ، كما ظهرتْ لسارَة زوجة ابراهيم (عليه السلام) ولمريم بنت عمران .

وفي عَهْد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان جبرئيل يتمثَّل بصورة الصحابي دِحْية الكلبي ، فيظن الناس أنَّه دحية .

وقد ظَهَرت الملائكةُ يومَ بَدْر للمسلمين وغيرهم .

ولعلَّ قائلا يقول : إنَّ الملائكة أجسام لطيفة ، ومِن شأْنها أن لا تُرىٰ بهذه العيون إلّا في ظروف خاصَّة ، وليس البَشَر كذلك .

فنقول : كان مقصودنا التشبيه بالكائنات التي لها القُدْرة على الظهور للناس ، والإختفاء والإستتار عن العيون .

وأمّا بالنسبة لإختفاء الإمام المهدي (عليه السلام) عن العيون فإن المقاييس الطبيعية فاشلة لإثبات ذلك ، ولا أستطيع إثبات ذلك على ضوء المادَّة والطبيعة ، فالقضية تُعتبر من الحقائق الماورائية ، وليست هذه نَظَرِيَّة او فِكْرة .. بل حقيقة ثابتة ، ونحن أمام أمْرٍ واقع ، فإنَّ أكثر الذين تَشرَّفوا بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) كان لقاؤ هم مَخْتوماً بغَيبة الإمام المهدي عن أنظارهم .

ومِن الصحيح أنْ نقول : إنَّ غَيبة الإمام بعد تلك اللقاءات كانت دليلًا واضحاً على أنه هو الإمام ، لأنَّ الفرد العادي كيف يستطيع أنْ يَستتر ويَختفي أو يَغيب عن العيون في طَرْفَة عين ؟

معجزة الاستتار

ويُمكن أنْ يُعتبر هذا الإستتار والإختفاء مُعجزة من معاجز الإمام المهدي (عليه السلام) لأنَّ المعجزة : ما يعجز عنه الناس ، والمعجزة تحدٍّ للعادة والطبيعة فكما ان المعجزة ـ بصورة عامة ـ لا يمكن تحليلها على ضوء المادة والطبيعة لأنها من ما وراء الطبيعة ، فكذلك إستتار الإمام المهدي (عليه السلام) يُعتبر من الماورائيات بهذا المعنى .

وهناك احتمال آخر : وهو أن الإمام المهدي (عليه السلام) يَتصرَّف في عيون الناظرين حتى لا يروه ، وليس هذا بعيداً مِن أولياء الله الذين لهم قُدرة التصرُّف في الكائنات .

ويُمكن لنا أنْ نستفيد من القرآن الكريم إمكانيَّة الإستتار والإختفاء عن العيون لِفَتْرةٍ قصيرةٍ ، أو طويلة :

قال تعالىٰ :﴿وجَعَلْنا مِنْ أيْديهم سَدّاً ، ومِن خَلْفِهم سَدّاً فأغْشَيناهم فهُمْ لا يُبْصِرون﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿وإذا قرأْتَ القرآنَ جعَلْنا بينكَ وبينَ الذين لا يؤْمنون بالآخرةِ حِجاباً مَسْتوراً﴾[2] .

وقال عزَّ وجلّ ـ حكاية عن السامري ـ : ﴿قال : بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا به ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِن أثرِ الرَسُولِ . . .﴾[3] .

أمّا الآية الأُولى : فقد ذَكَرَ المفسِّرون عن عبد الله بن مسعود أنَّ قريشاً إجتمعوا ببابِ دار النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) فخرَج إليهم فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يُبْصِرونه[4] .

وعن إبن عباس قال : إنَّ قريشاً اجتمعت فقالت : لَئِنْ دخلَ محمد

---

(١) سورة يس ، الآية ٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٤٥ .

(٣) سورة طَهَ ، الآية ٩٦ .

(٤) (مجمع البيان في تفسير القرآن) للشيخ الطبرسي ، في شأن نزول الآية ، ج ٨ ص ٤١٦ طبع لبنان سنة ١٣٧٩ هجرية .

لَنقومنَّ إليه قيامَ رجلٍ واحد . فدخلَ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) فجعلَ الله مِن بين أيديهم سَدّاً ومِن خلفهم سداً فلم يبصروه ، فصلى النبي الكريم ، ثم أتاهم فجَعَلَ يَنْثُر على رؤوسهم الترابَ وهم لا يرونه ، فلما خلىٰ عنهم رأوا التراب ، وقالوا : هذا ما سَحَرَكم إبنُ أبي كَبْشَة . أي رسول الله [١] .

وقد ذَكرَ الطبري الشافعي ـ في تفسير الآية ـ حديثاً عن عكرمة قال : « قال أبو جهلٍ لَئنْ رأيتُ محمداً لأفعلنَّ ولأفعلن ، فأُنزِلتْ ﴿إنّا جعلْنا في أعناقهم أغلالاً﴾ . إلى قوله : ﴿فهم لا يُبصرون﴾ ، قال ـ عكرمة ـ : فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول ـ أبو جهل ـ أينَ هو . . أينَ هو ، لا يبصره »[٢] .

وأمّا الآية الثانية : فقد ورد في كُتب التفسير أنَّ المقصود من ﴿الذين لا يُؤمنون بالآخرة﴾ هم : أبو سفيان ، والنضر بن الحرث ، وأبو جَهْل ، وأُمُّ جميل زوجة أبي لَهَب ، حَجَبَ الله رسولَه عن أبصارهم عند قراءة القرآن ،

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ـ في شأن نزول الآية ـ ج ٨ ص ٤١٦ طَبْع لبنان سنة ١٣٧٩ هـ كان المشركون ينسبون النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) الى ابي كبشة ، ويقولون : « إبن أبي كبشة » ، وكان أبو كبشة رجلاً من قبيلة خزاعة ، خالفَ قريشاً في عبادة الأوثان ، ولم يَعبد الأصنام كبقية أفراد قبيلته ، وكذلك المشركون ، لمّا خالَفَهم النبي في عبادة الأوثان ، شَبَّهوه بـ « أبي كبشة » . وقيل : إنَّ أبي كبشة ـ الذي تقدَّم تعريفُه ـ كان احد أجداد النبي من طَرَف أُمِّه ، فأرادوا أنه نزَعَ إليه في الشَبَه .

(٢) (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن‌جرير الطبري الشافعي ج ٢٢ ص ٩٩ طبع مصر سنة ١٣٢٨ هجرية .

وكانوا يأْتونه ويَمرون به ولا يرونه[١] . والذي يَجلب الإنتباه ويدعو الى التعجبُ هو قوله تعالى : ﴿حِجاباً مستوراً﴾ إذْ قد يُمكن أنْ يَحتَجبَ الإِنسان وراء الحجاب ، فلا يراه الناس . . بل يرون الحجاب ، وهنُا تجد أنَّ ذلك الحجاب الذي حَجَبَ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن الأبصار . أيضاً كان مستوراً .

ولا تَغْفَلْ عن قوله تعالى : ﴿وجَعَلْنا﴾ في الآية الأُولى والثانية ، مما يدل على القُدْرة الإلهية .

وأمّا الآية الثالثة : فهي تتحدَّث عن الحِوار الذي جرىٰ بين موسى بن عمران (عليه السلام) وبين السامري الذي صنَعَ العِجْل[٢] ﴿فأخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَداً لَهُ خُوار﴾[٣]. فسأله موسى عن فِعْله : ﴿قال فما خَطْبُكَ يا سامريُّ ؟ قالَ : بَصُرْتُ بما لَمْ يَبْصُروا به ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرسولِ فَنَبَذْتُها﴾[٤] فلقد ذكرَ المفسِّرون أنَّ السامري رأىٰ جبرئيل - في شكل البَشر - ، وقد نزَلَ على موسى بالوحي ، أو رآه وقد نزلَ راكباً على فرسٍ مِن الجَنَّة ، فأخذ قَبْضَةً مِن تُراب أثَرِ قَدَم جبرئيل ، أو أثَر حافر فَرَسِه ، وَنَبَذَ ذلك التراب في تمثال العِجْل فتكوَّنَتْ فيه الحياة .

والمقصود : أنَّ السامري رأىٰ جبرئيل في الوقت الذي لم يَرَه أحَدٌ مِن

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ج ٦ ص ٤١٨ طبعُ لبنان سنة ١٣٧٩ هجرية .

(٢) العِجْل : وَلَد البقرة ، كما في (مجمع البحرين) و (المنجد في اللغة) .

(٣) سورة طه ، الآية ٨٨ .

(٤) سورة طه ، الآية ٩٥ - ٩٧ .

بَني إسرائيل ، وهدَفُنا مِن الإسْتِشهاد بهذه الآية إمكانية الإختفاء عن بعض العيون وإمكانية الظهور لبعض العيون في نفس الوقت .

حِكمة الغيبة الطويلة

بقي هنا سؤال لا بدَّ مِن الإجابة عليه وهو : لماذا غاب الإمام (عليه السلام) هذه القرون الطويلة ؟

والجواب - كما صرَّحتْ بذلك الأحاديث - : هو أنَّ حياته مُهَدَّدةٌ بالقتل ، إذْ مِن الطبيعي أنَّ الحُكّام الذين حكموا طيلة هذه القرون - من العباسيّين والعثمانيين وغيرهم ممَّنْ حكَموا بلاد الشرق الأوسط بصورةٍ خاصة - كانوا يبذلون أقصىٰ جهودهم للقضاء على حياة الإمام المهدي (عليه السلام) وخاصةً بعد أنْ علموا بأنَّ الإمام المهدي هو الذي يُزَلْزِل كراسي الظالمين ، ويُقوِّض عُروشَهم ، ويُدَمِّر كِيانهم ، ويمنعهم من الإستيلاء على العباد والبلاد .

أُنظُر إلى تاريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فلا ترىٰ واحداً منهم مات حَتْفَ أنْفه . . بل قتَلَهم طواغيتُ هذه الأُمَّة ، إبدأْ مِن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وسِر مع تاريخ الأئمة ، فإنَّك تراهم قد قُتلوا إمّا بالسيف ، وإمّا بالسُمّ ، (وحتى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) دسّوا إليه السُمّ وقتلوه) مع العِلْم أنَّه لم يَرِد فيهم ما ورَدَ في حق الإمام المهدي (عليه السلام) مِن البشائر والإخبارات ، فمَثَلاً : لم يَرِد حديث واحد في حَقِّ أحد الأئمة بأنَّه يملأُ الدنيا قِسطاً وعَدْلاً ، وأنه يَحكم

العالَم كلّه ، وأنَّ جميع وسائل الإنتصار تتوفّر له ، سوىٰ في حق الإمام المهدي (عليه السلام) . فما ترىٰ يكون موقف الحكومات من هذا الموجود الذي يُشكِّل الخَطَر على كلِّ ما يملكون ؟ .

ولقد مَرَّ عليك أنَّه كيف كان الإمام العسكري (عليه السلام) يُحاول إخفاء ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) عن عامَّة الناس ، تَحفُّظاً على حياة ولَده مِن شَرِّ الفَراعنة الطُغاة ، وسيأْتيك شيء من التفاصيل التي تُصرِّح بأنواع التَحرّي والتفتيش الذي قام به رجال السُلطة في دار الإمام العسكري (عليه السلام) بَحْثاً عن الإمام المهدي (عليه السلام) .

شبهات وردود

وختاماً لهذا البحث ، أجْلب إنتباهَ القارىء إلى بعض المناقشات أو التساؤلات او المغالطات التي قام ويقوم بها بعض المُشكِّكين ، حول غَيبة الإمام المهدي ـ مع إعترافهم بوجوده (عليه السلام) ، حسب ما صرَّحتْ بذلك مئات الأحاديث التي لا يمكن تَزْييفها أو تَضعيفها ، وذلك لِغَزارة المادَّة وكثرة الكميِّة ـ .

لقد وردتْ الى النجف الأشرف قصيدة مجهولة ، لم يَذْكر الناظم إسمَه ولا هويته وإتجاهه ، وفيها يُثير بعض التَشكيكات والشُبُهات الباطلة حول غَيبة الإمام المهدي (عليه السلام) وقد اجاب بعض علمائنا (رَحمهم الله) على تلك الشُبهات ، نَظْماً ونَثْراً . وها نحن نورِد القصيدة بصورة مُتقطِّعة ، مع الإجابة على التَساؤلات المدْرَجَة فيها .

والقصيدة كما يلي :

أيا عُلماءَ العَصْرِ يا مَنْ لَهُمْ خُبْرٌ بِكلِّ دَقيقٍ حارَ في مِثْلِهِ الفِكْرُ
لَقَدْ حارَ مِنِّي الفِكْر في القائمِ الذي تنازع فيه الناسِ واشْتبهَ الأمْرُ
فَمِنْ قائلٍ : في القِشْرِ لُبُّ وُجُودِهِ ومِنْ قائلٍ : قد نُضَّ عن لُبِّه القِشْرُ

يَعترف الشاعر بالحِيرة في ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) لأنَّ الأقوال فيه مختلفة ، فقد قال البعض : إنَّه لم يولَد بَعْدُ . وقال البعض : إنَّه قد وُلد . وقد ذَكْرنا لك الأقوال والبراهين والاحاديث في ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) قبل هذا الفَصْل .

وأوّلُ هذين الذين تقرَّرا به العقلُ يَقضي والعيان ولا نكرُ
وكيفَ وهذا الوقتُ داعٍ لِمِثْله ففيه توالىٰ الظُلم وانْتشرَ الشَرُّ
وما هو إلّا ناشرُ العَدْل والهدىٰ فلو كانَ موجوداً لما وُجِدَ الجَوْرُ

يَختار هذا الشاعر القولَ الأول وهو: « في القِشْر لُبُّ وُجُودِه» أي إنه لم يولد بعد ، ويَستدل على ذلك بِعقله المريض ، وهو أنه لو كان الإمام موجوداً لكان الواجب عليه أنْ يَظْهَر ، بسبب إنتشار الظُلم والجور في البلاد والعباد ، وحيث انه لم يَظْهر الى الآن فهو غير موجود ، أي لم يولَد بَعْدُ !!

أُنظُر إلى هذا الدليل الأعوج ، حيث ان الشاعر يَتوقَّع أنْ يَتَّبع الإمام المهدي (عليه السلام) أهواء الناس ، وكأنَّه لا يَعْلم بانتشار الظُلم في الأرض ، أو كأنَّه لا يَعلم التَكليف الشَرعي الواجب عليه ، ثم يُوالي الشاعر كلامَه واستدلاله المُنْهار فيقول :

وإنْ قيل : مِنْ خوف الطُغاة قد اْختفىٰ فذاك لَعَمْري لا يُجَوِّزُهُ الحِجْرُ[١]
ولا النَقْلُ كلّا إذ تيقّن أنَّه إلى وقت عيسى يستطيل له العُمْرُ
وأنْ ليس بين الناس مَن هو قادرٌ علىٰ قَتْلِهِ وهو المؤيده النَصْرُ
وأن جميع الأرض ترجع ملكه ويملأها قِسْطاً ويرتفع المَكْرُ

يقول الشاعر : إن كان سبب اختفاء الإمام المهدي (عليه السلام) هو الخوف من الأعداء ، فهذا شيء لا يَقْبَلُه العَقل .. ولا النَقْل ، لأن الإمام المهدي (عليه السلام)يعلم أنَّه سيطول عُمْرُه إلى نُزول عيسى بن مريم (عليه السلام) من السماء ، وأنَّه لا يَستطيع أحَدٌ أنْ يَقتله ، ويعلم أنه سَيَمْلِكُ الكُرَة الأرضية ، ويملأُها عدلاً ، فكيف يخاف من الأعداء مع عِلْمه بذلك ؟

والجواب : كيف ولماذا إختفىٰ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)في الغار خوفاً من المشركين ، وكان (صلّى الله عليه وآله) يعلم أنَّ الله سَيُظْهِرُ دينَهُ علىٰ الدين كلِّه ؟؟ فلماذا الخوف مِن المشركين ؟ ولماذا سَلَكَ طريقاً غير الطريق المتعارَف في تَوجُّهِهِ نحو المدينة ؟

وقبل ذلك : لماذا « أصْبَحَ » موسى بن عمران ﴿ في المدينة خائفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ ؟[٢] ولماذا ﴿ خَرَجَ منها خائفاً يَتَرَقَّبُ ، قال : ربِّ نَجِّني مِن القوم

---

(١) الحجر ـ بِكَسْر الحاء ـ : العقل .
(٢) سورة القصص ، الآية ١٨ .

الظالمين ﴾ ؟[1] . ولماذا قال : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكم لَمّا خِفْتكم ﴾ ؟[2]

ولماذا الخوف وهو يَعلم بأنَّه سيعيش حتى يُنْقِذَ بَني إسرائيل مِن ظُلم فرعون وآل فرعون ، وهو يَعلم بأنه سَيُدَمِّر عروش الفَراعنة الظالمين ؟؟

فكلّما تَقولُه في خوف موسى بن عمران وخوف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من المشركين ، فهو جوابُنا عن سبب إختفاء الإمام المهدي (عليه السلام) .

وخُلاصة القول : إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يَنْتَظِرُ أمْرَ الله وإذْنَه له بالظهور ، فهو يَعلم بأنَّه سوف يَعيش الى نزول عيسى بن مريم مِن السماء ، وأنه سيملأُ الأرض قسطاً وعدلاً ، ولكن مع رعاية الشروط والظروف ، وهو يعلم أنَّ الأُمور مَرْهونَة بأوْقاتها ، ومِن الطبيعي أنَّه لو حضَرَ الوقتُ المناسب والزمان الملائم للظهور ، وتوفَّرتْ الشروط اللازمة لأَذِنَ الله تعالىٰ له بالظهور . وسببُ إمتداد إستتاره واختفائه الى هذا اليوم هو عدم توفُّر الجوِّ المناسِب والوقتِ الملائم .

وإنْ قيلَ : عن خوفِ الأذاة قد اختفىٰ ... فـذلـك قـولٌ عن معـائب يفـترُّ
فَهـلّا بدا بـين الـورىٰ مُتَحَمِّـلاً ... مَشَقَّةَ نُصْحِ الخَلْقِ مَنْ دأْبه الصَبْرُ
ومِن عيب هذا القول لا شكَّ إنَّه ... يَؤولُ إلى جُبْنِ الإمـام ويَنْجَرُّ

---

(١) سورة القصص ، الآية ٢١ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١ .

وحاشاهُ عن جُبْنٍ ولكنْ هو الذي غدا يَخْتَشيهِ مَنْ حَوىٰ البَرُّ والبحرُ
ويَـرْهَبُ منه البـاسِلون جميعُهم وتَعْنـو لَـهُ حتىٰ المثقَّفـة السُمـرُ
عـلىٰ أنَّ هذا القـول غير مُسَلَّمٍ ولا يَرتَضيه العَبْدُ كلّا ولا الحُـرُّ

يقول هذا الشاعر المتفَلْسِف : إنْ كان الإمام المهدي (عليه السلام) قد اختفىٰ خوفاً مِن ايذاء الناس له ، فهو عيبٌ ونقصٌ للإمام المهدي (عليه السلام) ، فلماذا لا يَخرُج ويَتحمَّل المَكاره والأذىٰ في سبيل الله ، ويَصبر علىٰ ما يَنالُه مِن الأعداء ، حتى يُؤدِّي واجبَهُ الشرعي ، ويُنقِذ البَشَر مِن مَخالب الظالمين ؟؟

وهناك عيبٌ آخر وهو أنَّ إختفاء الإمام خوفاً مِن الأذىٰ يَدلُّ علىٰ جُبْنه وعدم إتِّصافه بالشجاعة ، مع العِلم أنه مُنَزَّهٌ عن الجُبْن ، بل هو الذي يَخاف منه الجميع : الحكومات والشُعوب .

نُجيب علىٰ هذه الأباطيل فنقول :

هل كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) جَباناً يومَ فَرَّ الى الغار . . ثم الى المدينة المنوَّرة ؟!

وهل كان النبي (صلّى الله عليه وآله) فاقداً لفضيلة الشجاعة طِيلةَ ثلاث سِنين وشهور ، وهي الفَتْرة التي قضاها في شِعْب أبي طالب في جوٍّ من الضيق والمَجاعة والخوف ؟!

وهل كان النبي (صلّى الله عليه وآله) غير واثِق بِرَبِّه في الفَتْرَة التي كان يدعو الى الله سِرّاً ، وكان هو وأصحابُه يَعبدون الله تعالىٰ سِرّاً في دار

الأرقم ، حتى نزلَ عليه قوله تعالى : ﴿ فاْصْدَعْ بما تُؤْمَرْ ﴾ ؟!(١) .

نعم ، الحِكمة شيء ، والجُبْنُ شيء آخر ، والحَنكة والعقل ومَعرفة الأُمور شيء ، والتَهَوُّر والمُجازَفة شيء آخر ، ولكنَّ الشاعر لا يُفرِّق بين هذه المفاهيم ، ثم يقول :

ففي الهند أبدىٰ المَهْدَوِيَّةَ كـاذبٌ   ومـا نـالَـه قَتْـلٌ ولا نـالَـه ضُـرُّ

الهند ـ في القرون الأخيرة ـ كانت ولا تزال حكومة وَثَنِيَّة علمانية لا تَعترف بالدين ، وفيها مِن جميع المِلَل والأديان ، ولا يَتعرَّض أحَدٌ لأحَد في القضايا الدينية ، فإنْ ظَهَر كذّابٌ في الهند وأدّعىٰ المَهْدَوِيَّة ، وما أصابه أذىً ولا مكروه ، وسَرْعانَ ما تَبخَّر وتبخَّرتْ آثاره ودَعْوته ، فإنَّ هذا لا يُبِّرر للإمام المهدي (عليه السلام) أنْ يَظْهر إستناداً علىٰ سلامة ذلك الكذّاب المُدَّعي للمهْدوية .

وما يُدرينا ، فلعلَّ الإستعمار هو الذي نَحتَ ذلك الكذّاب ، وكان يُراقبُه ويحرسه ، تَنفيذاً لخُطَّته الإستعمارية ، ولعلَّ ذلك الكذّاب لو كان يَدَّعي النبوة أو الربُوبيَّة ، لما كان يَتعَّرض له أحد ، فبعض الوثَنِيِّين ـ في الهند ـ يَعبدون البقر ، والحَجَر ، والشجر ، بل ويَعبدون الذَكَر ! فما المانع أنْ يَدَّعي الكذّاب المهْدوية ويَسلَم مِن كل مكروه .

وقد نَحتَ الإستعمار الروسي كذّاباً آخر ، وهو علي محمد ، الذي

(١) سورة الحِجْر ، الآية ٩٤ .

إدّعىٰ البابِيَّة[١] ثم إدّعىٰ أنَّه هو الإمام المهدي ، وكان عاقبةُ أمْرِه الحَبس ، والضَرب ، والصلب ، ثم طُرِحَ أرْضاً فَمَزَّقَتْه الكِلاب .

إذن : فالإستدلال بالكذّاب الهندي ـ الذي ما نالَه مكروه ولا أذىٰ ـ مَنقوضٌ بالكذّاب علي محمد الباب ، وسيأْتيك شيء مِن أباطيله وترجمة حياته في المستقبل .

وفي هذا القَرْن ، حينما إنتشر المستعمرون في البلاد الإسلامية ، وسَلبوا ونَهَبوا ، ودَمَّروا وحَطَّموا ، وقَتَلوا ، وأفسدوا ، وصنَعوا ما أرادوا ، نَجِدُ أنَّ كلَّ مَن يَتكلَّم بكلمة الحق ، تُوضَع عليه علامة الإستفهام ، ثم يُخطِّطُ المستعمرون الخُطَط الجهنَّمية للقضاء عليه .

ولو أردْنا أنْ نَذْكر الشخصيّات البارزة مِن المسلمين الذين قَتَلَهم المستعمرون في هذا القَرْن ، لَتبدَّلَ طابعُ الكتاب ، وتَغيَّر موضوعه الى موضوع آخر . ففي تاريخ ايران تَجدُ عدداً من أجلّاء العلماء الذينَ لم يخضعوا لقوانين الإستعمار ، كان مصيرُهم الإغتيال ، او الصلب ، أو القَتْل بالسمّ ، بعد أنْ رَشَقُوهم بالتُهَم والافتراءات . وتَجدُ نفس المأْساة في شخصيّات العراق ـ قبل ثورة العشرين وبعدها ـ أمثال : آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة الإسلامية في العراق . والسيد جمال الدين الأفغاني الذي قتلوه في تركيا ، وهكذا في الجزائر وليبيا تجد عدداً من الزعماء الذين قتلَهم المستعمرون . ولو فَتَّشْتَ تاريخ البلاد الإسلامية في خلال هذا القَرْن ، لَوجدْتَ الفجائع والكوارِث التي تَشيبُ منها النواصي .

---

(١) أي : إدَّعىٰ أنّه باب وطريق الى الإمام المهدي (عليه السلام) .

مع العِلم أنَّهم لم يَدَّعوا المَهْدويَّة ، بل كانوا دُعاة لإصلاح المجتمع الإسلامي ، وإيجاد الوعي واليقظة في النفـوس ، وهذا مـا لا يُريـدُه المستعمرون .

وممّا زاد في أبعاد تلك الفجائع والمآسي ، أنَّ الذين كانوا يقومون بتنْفيذ خُطَط الإستعمار ، كانوا من المُنْتَمين الى الديانة الإسلامية ! ، أُولئك العُمَلاء الذين باعوا ضمائرهم وعقائدهم للإستعمار ،واسْتَسْلَموا لأوامره قُرْبةً الى الشيطان الرجيم !! .

فما ظَنُّكَ بمصير الإمام المهدي (عليه السلام) لو كان يَظْهر في هذا القَرْن ـ مَثَلاً ـ مع كثرة الأعداء ، وعدم إستعداد النفوس لنُصْرته ؟! . وسَتَعرفُ ـ قريباً ـ بعض الظروف التي يَجب أنْ تَتَحقَّق حتى يَستعدَّ جميع الطَبَقات لِتَلْبِيَة نداء الإمام المهدي (عليه السلام) إذا ظهر .

ثم يُوالي الشاعر كُفْريّاته فيقول :

فإنْ قيلَ: إنَّ الإختفاء بأمْـرِ مَنْ	لَهُ الأمْرُ في الأكْوان والحَمْدُ والشُكرُ
فذلك أدْهىٰ الـداهيات ولم يَقُـلْ	بـه أحَدٌ إلّا أخـو السَفه الغَمْـرُ
أيَعْجزُ ربُّ الخَلْقِ عن نَصْرِ حِزْبِهِ	علىٰ غيرهم ؟ حاشا،فهذا هو الكُفْرُ
فحتىٰ مَ هذا الإختفاء وقد مضىٰ	مِن الدَهْرِ الآف وذاك لَهُ ذِكْرُ ؟

يقول هذا الجاهل : إذا قيل : بأنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) قد أختفىٰ بأمر الله تعالى ، ولا يَظهر إلّا بأمر الله عزَّ وجل ، فهذا القول يُعتبر ـ عند الشاعر ـ أدهىٰ الداهيات ، وأفجَع الفجائع ، ولا يقول بهذا القول إلّا السَفيه الجاهل ، لأنَّ هذا القول يَعني أنَّ الله تعالى عاجز عن

نُصْرة الإمام المهدي (عليه السلام) ، وهذا هو الكُفر حسب مَنطق هذا الشاعر .

ونحن نُجيب على هذا الإستدلال الخاطىء الساقط فنقول :

هل كان الله عاجزاً عن نُصرة أنبيائه على أعدائهم ؟!

إستمع الى هذه الآيات :

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أنبياءَ اللهِ مِنْ قبل إنْ كنتُم مؤمنين ﴾[١] .

﴿ ذلكَ بأنَّهم كانوا يَكفُرون بآياتِ الله وَيَقتُلُونَ النَبيِّين بغير الحق ﴾[٢] .

﴿سَنكتُبُ ما قالوا ، وقَتْلَهم الأنبياء بغير حَقٍ ﴾[٣] .

﴿ ذلك بأنَّهم كانوا يَكفرون بآياتِ الله ويَقتلون الأنبياء بغير حَق ﴾[٤] .

﴿ وأرْسلْنا اليهم رُسُلاً ، كلّما جاءَهم رسولٌ بما لا تَهْوىٰ أنفسُهم فَرِيقاً كذَّبوا ، وفريقاً يَقتُلون ﴾[٥] .

﴿ فبما نَقْضِهمْ ميثاقَهم وكُفْرهم بآيات الله وقَتْلهم الأنبياء بغير حَق ﴾[٦] .

---

(١) سورة البقرة / الآية ٩١ .

(٢) سورة البقرة / الآية ٦١ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١١٢ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٧٠ .

(٦) سورة النساء ، ١٥٥ .

﴿ قُلْ قد جاءكم رُسُلٌ مِنْ قبلي بالبيِّنات والذي قُلْتُم فلمَ قَتَلْتموهم إنْ كنتم صادقين ﴾[1] .

وقد رُوِيَ أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قال ـ لعبْد الله بن عُمر ـ : « يا أبا عبد الرحمن ، أما علمْتَ أنَّ مِنْ هَوان الدنيا على الله تعالى أنَّ رأس يحيىٰ بن زكريا أُهديَ الى بَغيٍّ مِن بَغايا بَني اسرائيل ؟!

أمْا تَعْلَم أنَّ بني اسرائيل كانوا يَقتلون ـ ما بين طلوع الفَجْر إلى طلوع الشمس ـ سبعين نبيّاً ، ثم يجلسون في أسواقهم يَبيعون ويَشترون كأنْ لم يصنعوا شيئاً . . . »[2] .

هذا . . ولو راجعتَ قصص الأنبياء لَوجدْتَ آلاف المآسي التي أنصبَّتْ عليهم من القتل والتعذيب ، وسَلْخ جِلْدة الرأس ، ودَفْنِهم وهم أحياء .

فهل كان الله تعالىٰ عاجزاً عن نصْر أنبيائه أيها الشاعر المُتفَلسِف ؟! .

مع العِلم أن الله سبحانه هو الذي بعث أنبيائه الى الأمم ، ومِن الطبيعي أنَّ الأنبياء أفضل طبقات البَشر ، وأقرب الخلائق الى الله تعالى ، فلماذا لم يَنصرهم الله سبحانه ؟! .

وقد ذَكرنا ـ قبل قليل ـ أنَّ نبيَّنا (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) إستَتَر

(١) سورة آل عمران ، ١٨٣ .

(٢) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٤٤ ص ٣٦٥ ، طبع ايران ، سنة ١٣٩٣ هجرية . نقلاً عن كتاب اللهوف للسيد إبن طاووس (رحمه الله) .

في شِعْبِ أبي طالب ثلاث سنين وشهوراً ، وفَرَّ الى الغار ، وهاجرَ من مكة الى المدينة ، أما كان الله قادراً على نَصْرِه وهو سيِّدُ الأنبياء ؟! .

نعم ، لِلهِ تعالىٰ حكمة بالغة في عِباده ، فهو بكل شيء عليم وخبير ، وبَصير ومُحيط ، وعلىٰ كل شيء قدير ، فالحِكْمة شيء .. والقُدرَةُ شيء آخر .

والحِكْمة الإلهية تقتضي تأْخير ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) الى الزَّمان المُناسِب الذي يَعْلمه الله .. لا الوقت الذي يَختاره العباد ، الجاهلون بالمصالح الإلهية وعواقبِ الأمور .

وهكذا يُسرد الشاعر في التهريج والإستهزاء قائلاً :

وما أسْعَدَ السَرداب في سُرَّ مَنْ رأىٰ ... له الفَضْل عن أُمِّ القُرىٰ ولَهُ الفَخْرُ
فيا للأعاجيب التي مِنْ عجيبها ... أنْ اتَّخَذَ السَرداب بُرْجاً لَهُ البَدْرُ
فيا عُلماءَ المسلمين فَجاوِبوا ... بِحَقٍّ ، ومِن ربِّ الورىٰ لكم الأجْرُ

ليس هذا الشاعر هو أوَّل مُسْتهزءٍ ومُهَرِّجٍ ـ بإسم السرداب ـ ضد الإمام المهدي (عليه السلام) ، وسيأْتيك شيء من التفصيل ـ قريباً ـ حول السَرداب الذي يدور حوله الأعداء للتَهْريج .

الفصل الثامن

الغَيبة الصغرىٰ

لقد ذَكرْناً في الفصل السابق كلمة حول الغَيبة ، وإختفاء الإمام المهدي (عليه السلام) عن الأبصار ، وقد وصَلَ الكلام الى الغَيبة الصغرىٰ ، فنقول :

لقد إختلف العلماء والمحدِّثون حول بداية الغَيبة الصغرىٰ ، وأنَّها هل بدأتْ مِن أوائل عُمْر الإمام المهدي (عليه السلام) وفي عَهْد والده الإمام العسكري (عليه السلام) أم بدأتْ مِن وفاة الإمام العسكري ؟

ولعلَّ مِن الصحيح أنْ نقول : إنَّ الإسْتتار والإختفاء كان مُلازماً لحياة الإمام المهدي (عليه السلام) منذ أوائل عُمْره ، وعلى هذا يُمكن لنا أن نقول : إنَّ الغيبة الصُغرىٰ إبتدأتْ مع حياة الإمام المهدي (عليه السلام) ، أي : كانت حياتُه منذ الولادة مَقْرونة بالإستتار عن الناس ، ويُمكن أن نعتبر السنوات الخَمس التي قضاها الإمام المهدي (عليه السلام) مع والده الإمام العسكري (عليه السلام) مِنْ ضِمن الغيبة الصغرىٰ ، تَبَعاً للشيخ المفيد وغيره .

ولقد كانتْ الغَيبة الصغرىٰ مقدِّمةً تمهيدية ومَدْخَلاً للغيبة الكُبرىٰ ، والغَيبة الكُبرىٰ مقدِّمةً للظهور ، و ـ أيضاً ـ كانت الغَيبة الصُغرىٰ حَدّاً وسَطاً بين الغيبة الكُبرى ـ التي انقطعتْ فيها الإتصالات بين الشيعة وبين الإمام المهدي (عليه السلام) بالمعنىٰ الذي سنذكره فيما سيأتي ـ وبين

تواجد الإمام المهدي في المجتمعات البشرية . واليك شيئاً من التفصيل والتوضيح :

كان الناس بصورة عامة ، والشيعة بصورة خاصة ، بإمكانهم أنْ يَلْتَقوا بالأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في أيِّ وقتٍ شاؤا ، وفي أيِّ مكان أرادوا ، فكانت اللقاءات مستمرة : في المسجد ، وفي الطريق وفي مواسم الحج : في مكَّة ، وعرَفات ، ومنىٰ ، وفي بيوت الأئمة ، بلا رادع ولا مانع . وأْستمرتِ الحالة على هذا المنوال حتى زمان الإمام الهادي (عليه السلام) حيث إشتدَّت فيه الرِقابة على الإمام مِن قِبَل السُلطة الجائرة ، بعد أنْ جَمَّدَتْ نشاطاته ، فكانت العيون تُراقب حَرَكاته وسَكَناته بكلِّ دقَّة ، وتُراقب إتّصالاته ولقاءاته بالأفراد .

وكان الحُكّام العبّاسيون ـ بالرغم مِن قُدْرتهم وإستيلائهم على مَرافق الحُكم ـ يَعلمون أنَّ هناك طائفة إسلامية كبيرة ، لا تَعترف بِشرعية السُلطة للعباسيينّ ، بل تَعتقد أنَّ الخلافة حقٌ شرعي لِأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأنَّ غيرهم مِن مُدَّعي الخلافة ـ على طول الخط ـ على الباطل ، وأنّهم غاصِبون ومُعْتدون في إستيلائهم على الحُكم .

كانت هذه الحقيقة ثابتة عند الحُكّام العبّاسيين مِن ناحيتين :

الأولى : تَوفُّر المؤهِّلات في أئمة أهل البيت ، مِن النَسَب الشريف الأعلىٰ ، وجميع المقوِّمات الأُخرىٰ كالعِلْم الكامل ، والتقوىٰ بجميع معنىٰ الكلمة ، والصَلاح والإعتدال ، والسُمْعة الطيِّبة عند كافَّة الطبقات ، والسُلوك النَزيه ، والحياة المُشرقة بالفضائل والمَكرُمات ، بالإضافة إلى ما كانوا

يَتمتَّعون به مِن خَصائص الإمامة ، كالإعجاز والنصوص الواردة في حَقِّهم من عند الله ورسوله وهذه الصفات والمزايا تكفي لإثبات إمامتهم الصحيحة ، وخلافتهم الشَرعية ، وتَضْمن جَلْب القلوب إليهم ، والإعتراف بهم ، وإثبات الحَقّ لَهُم .

الثانية : هي الناحية المُغايرة للناحية الأُولى ، عند العبّاسيِّين ، والحياة المخالفة لمفهوم الإسلام ، فالعبّاسِيّون ـ بعد أنْ تأكَّدوا مِن رسوخ قواعد الحُكم ، وإستيلائهم على نصف الكُرة الأرضية ـ كانوا لا يُبالون بعواطف الشعب ، ولا يخافون مِن تَمرُّد المسلمين عليهم ، ولا يَعْبَئون بنقمة الشعب وسخطه على السلطة العبّاسية .

ولماذا يخافون من الشعب الأعزل في مقابل القُدْرة الكبرىٰ ؟

ولماذا يَتورَّعون من المحرَّمات ، ويجتنبون المُنكرات ؟

ولماذا لا يُشبعون رَغَباتهم ، ويُلبُّون شَهَواتهم مع توفُّر الوسائل بأجمعها ؟

على هذا الأساس قَلَبوا مفهوم « خليفة رسول الله » إلى مفهوم طاغوت جبّار ، يَدور في فَلَك التَرَف والبَذَخ ، والفحشاء والمُنكرات . فمجالس اللهو ، وحفلات الرَقْص والغِناء ، وسَهرات الخُمور والمجون كانت قائمة على قَدَم وساق في كلِّ ليلة ، وفي كلِّ صبيحة ومساء ، في قصور هؤلاء الخلفاء! يَحْضَرها الخليفة وحاشيته الفَسَقة الفَجَرة ، الذين ليست لهم هِمَّة إلّا رضىٰ الخليفة ، وتوفير وسائل الفجور له .

ولا تَسأل عن علماء السوء ، الذين مَنَحوا الخليفة صيانة شرعية دينية ، لا مَثيل لها في تاريخ البَشَر ، وهي أنَّهم زَعَموا أنَّ الخليفة لا يُحاسَب على أعماله

يوم القيامة ، ولا يُسأل عمّا كان يَفعله !

إذَن ، فسواء عليه صلّى . . أم زنىٰ ، لأنّه خليفة !!

ولم يكن للخليفة إنجاز وإنتاج ، وتفكير حول قضايا الدولة . . بل كان مُتفرِّغاً للأُمور التي ذكرناها .

نعم ، الذي شغَـلَ بال الخليفة ، وربّما نَغَّصَ عليه المَلذّات هو وجود أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين ألْبَسَهم الله حُلَّة القداسة والنزاهة ، والتقوىٰ والوَرَع ، وتَوَّجَهم بتاجِ أحسن الفضائل ، وأجمل مَكارم الأخلاق .

فكان الخليفة (بصورة عامَّة) يُفكِّر ـ دائماً ـ في كيفية القضاء على تلك الشخصيات المقدَّسة ، وتحطيم مَعنوياتهم ، وتشويه سُمْعَتهم ، وتجميد نشاطاتهم ، ومُلاحقة أصحابهم وأتْباعهم .

هذا الجوّ ، وهذه الظروف كان يعيشها الإمام الهادي (عليه السلام) .

أليست الحِكْمة تفرض عليه أنْ يختار سُلوكاً خاصاً في حياته ، يُراعي فيه جميع جوانب الحِكْمة والحنَكة والعقل ؟!

ففي الوقت الذي كان (عليه السلام) يعيش تحت المراقبة الشديدة ، ـ تلك الرقابة التي مِنْ شأْنها الإرهاب والإرعاب ، للإمام ولكلِّ مَنْ يَتّصل به مِن الشيعة ـ كان يُراعي الظروف ، ويُخَطِّط للتخلُّص مِن مُضاعفات تلك الرقابة .

ولقد شاهدنا ـ في زماننا ـ بعضَ النماذِج عن تلك المآسي والضغوط ، وأنَّ السُلطات كيف كانت تَحسب ألف حساب وحساب للشخصيات المَرْموقة التي لها شعبية دينيَّة ، ونفوذ في المجتمع ، وكيف كانت تتَّخذ الإجراءات الطويلة العريضة للعُثور على شيء مِن المعلومات التافهة ، فتجعلها مِنْ أهمِّ

التقارير السِّريَّة ذات الأهمية الكبرىٰ ، فترفعها إلى السُلطات العُليا ، وكأنَّهم إكتشفوا أسراراً عسكرية ، أو خَلايا التَجَسُّس .

فكيف بذلك العَهْد ؟! وكيف بتلك السلطات التي كانت تَعتبِر أئمة اهلِ البيت (عليهم السلام) هم الخَطَر الأول والأخير علىٰ حكوماتهم ؟! لأنَّ السُلطات كانوا علىٰ يقين أنَّ ائمة اهل البيت يَملكون القلوب ، وانَّ علاقة المجتمع بهم علاقة دينيَّة التي هي أقوىٰ وأصْلَب من كلِّ علاقة ، وما كانت هذه المزِيَّة متوفِّرة في رجال الحُكم في ذلك العهد ، فهم كانوا يملكون الرقاب . . لا القلوب ، وكانوا يَحْكمون بمنطق القوَّة . . لا منطق الدين .

نعم ، إنَّهم كانوا يحكمون باسم الدين ، ويُعرِّفون أنفسهم أنَّهم خلفاءُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) لأنَّ القيادة الإسلامية ـ يومَ تكوَّنتْ مع تولُّد الإسلام ـ كانت مُتمثِّلة في نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فكان هو الحاكم ، وهو الآمِر والقائد ، وبيده السُلطة التَشْريعية والتنفيذية ، وإدارة البلاد ، فكان يأْمُرُ بالجهاد ، وأخْذِ الزكاة ، وإقامة احكام الله وحدوده ، الى غير ذلك من الأُمور التي تَتعلَّق بالنظام الإجتماعي والديني .

وقد جَعَلَ الله تعالى تلك القيادة ـ بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ لِأئمة اهل البيت (عليهم السلام) فكانَ ما كان مِنْ إستيلاء الحُكّام على منصَّة الحُكم ، وسَلْب الإمكانيات مِن أئمة أهل البيت ، ومَنْعِهم مِن أيِّ تَصرُّف ، إبتداءاً من الإمام عليٍ أمير المؤمنين . . وانْتهاءاً بالإمام الحسن العسكري (عليهما السلام) .

فكان الحُكّام ـ طيلةَ هذه القرون ـ يَدَّعون القيادة الإسلامية باسم الخلافة من بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) لِأنَّهم لو كانوا يدَّعون

أنهم مُلوك ، أو رؤساء الجمهورية ، لكان المسلمون يَرفُضون الخضوع لهم لِعَدَم إنسجام الملوكيَّة مع الخلافة الإسلامية ، والزعامة الروحيَّة .

ولهذا السبب إدَّعىٰ الأمويون والعباسيُّون وغيرهم الخلافة كي يُثْبتوا لأنفسهم السُلطة الروحيَّة على العباد والبلاد ، وعلى الدِماء والانفس ، وكأنَّهم يحكمون بحكم الله ، ويأْمرون بأمْر الله .

ولكنَّ الواقع كان خلاف هذا مائة بالمائة ، فالخلافة الإسلامية (بمعناها الصحيح) يجب أنْ تكون مُطوَّقة بهالَةٍ مِن النزاهة والقداسة ، والديانة والعِلم ، والتقوىٰ وغيرها من المؤهِّلات ، وهذه الصفات والمؤهِّلات كانت مفقودة في أُولئك الحُكّام المُدَّعين للخلافة ، مِن الباب الى المحراب ، والتاريخ الصحيح يُؤيِّد هذا القول ويُصدِّقه .

وجميع تلك الصفات المطلوبة والمؤهِّلات اللازمة كانت متوفِّرة في أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على أحسن ما يُرام ، وأتَمّ وجْهٍ ، وأجْمل صورة ، والتاريخ يُعلن هذا بأرفع صوت .

نعود إلى حديثنا عن عصْر الإمام الهادي (عليه السلام) وعن الرقابة المشدَّدة عليه فنقول :

إن مِن جملة الطُرُق والوسائل الحكيمة التي إختارها الإمام الهادي (عليه السلام) للتخلُّص من مشاكل الرقابة ومُضاعفاتها هي : أنَّه عَيَّن بعضَ الثِقاة من شيعته في بغداد ، ليكون وكيلَه ، ويكون مَرجعاً لقضايا الشيعة ، ومَصدراً لأُمورهم الدينية والدنيوية .

فكانت الأموال تُحمَل الى الوُكَلاء ، والمسائل الدينية تُسَلَّم اليهم ،

فكانوا يقومون بالوساطة بين الإمام الهادي (عليه السلام) وبين الشيعة .

وقد إختار الوكلاء بعض المِهَن تغطيةً لهذا المنصب الخطير .

واستمر الأمْر على هذا المنوال سنوات ، حتى تعوَّد الناس علىٰ مُراجعة الوكلاء في بغداد ، . . . إلى أن إستُشهِد الإمام الهادي (عليه السلام) وبقيت الوكالة نافذة المفعول عند الوكلاء ، فكانوا هَمْزَةَ وَصْلٍ بين الشيعة وبين الإمام العسكري (عليه السلام) .

ولما اُستُشْهِد الإمام العسكري (عليه السلام) أبقىٰ الإمام المهدي (عليه السلام) الوكلاءَ على وكالتهم ، وسنذْكر في الفصول القادمة شيئاً عن حياة الوكَلاء أو النُوّاب أو السُفراء ، إن شاء الله تعالى .

الإمام المهدي في عهد والده عليه السلام

بعد أن اخترنا القول الذي يَعتبر بداية الغيبة الصغرىٰ ، من ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) فلا بأس ان نذكر لمحة خاطفة عن حياة الإمام المهدي في عهد والده الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ونُرجيء التفصيل الى الفصول القادمة ، فنقول :

من الواضح أن الإمام المهدي (عليه السلام) كان يعيش في سامراء ، تحت رعاية والده الإمام العسكري (عليه السلام) مشمولاً بعواطفه وعنايته طيلة حياة والده .

وفي خلال تلك الفترة ، كان الإمام العسكري (عليه السلام) يُظهِر إبنه لبعضهِم الثقاة من الشيعة ، ويُعرّفه لهم بأنه الإمام الثاني عشر ، وأنه المهدي الموعود المنتظَر . وسنذكر بعض الاحاديث المتعلقة بالموضوع في فصل قادم إن شاء الله تعالى .

وبعد أن دُسَّ السمّ إلى الإمام العسكري (عليه السلام) وحضرت اللحظات الأخيرة من حياته ـ وخلىٰ بيتُه من الأغيار والجواسيس الذين تركوا دار الإمام العسكري بعد أن تأكّدوا من تأثير السُمّ القتّال في جسمه ـ حَضَر الإمام المهدي (عليه السلام) عند والده ، ليُعينه على شرب الدواء ، ويُمسك الاناء الذي كان يصطكّ بأسنان الإمام العسكري (عليه السلام) بسبب رعْشَة يديه الكريمتين مِن جرّاء ذلك السُم ! .

كان ذلك اللقاء آخر لقاء وآخر العهد ، وفارق الإمام العسكري (عليه السلام) الحياة ، تاركاً شِبْله الأعزّ الأقدس يتيماً في مَهَبّ الأعاصير ، ومَعرض الحوادث والمآسي ، محروساً بعَين الله التي لا تنام ، ومحفوظاً برُكْنه الذي لا يُرام .

والآن .. قد وصلنا الى بحث حسّاس يتطلّب شيئاً من التفصيل والتحليل ، وسنحاول الإيجاز قَدْر المستطاع :

جعفر ابن الإمام الهادي

جعفر ، من ابناء الإمام الهادي (عليه السلام) وقد انحرف عن خط آبائه الطاهرين ، وسلك طريق الهوىٰ والمنكرات .

وليس انحراف جعفر بأعجب من انحراف ابن نوح نبي الله (عليه السلام) الذي قال الله تعالى في شأنه : **﴿يا نوح إنَّه ليس مِن أهلِك ، إنه عملٌ غيرُ صالح ﴾**[1] .

ولم يكن انحراف جعفر ـ عن خط آبائه المعصومين ـ بسبب اهمال والده في تربيته ، ولا البيئة التي كان يعيش فيها ، بل كان بسبب مجالسته للفَسَقة والمنحرفين ، ومن الواضح أن المجالسة مؤثّرة .

ولا نعلم ـ بالضبط ـ كيفية اتصاله وارتباطه بالمنحرفين ، الذين وَصَموه بالخزي ، وجَرُّوا عليه الويلات ، وأبعدوه عن خط اهل البيت (عليهم السلام) .

والعجيب أن الإمام العسكري (عليه السلام) ـ في الوقت الذي كان يُظهر ولده الإمام المهدي (عليه السلام) للثقاة من شيعته ويُخبر الخواصَّ من اصحابه بولادته ـ لم يُخبر اخاه جعفراً بذلك ، ولم يعرف جعفر أن لأخيه وَلداً ، ولعله كان يعلم ذلك ولكنه كان يتجاهله ، لأسباب واهداف .

وقبل وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) بخمسة عشر يوماً ، كَتَب

---

(١) سورة هود الآية ٤٦ .

الإمامُ رسائل عَديدة لشيعته من اهل المدائن[1] وسلَّم الرسائل الى خادمه ابي الأديان ، وقال له :

« إمض بها (أي بالرسائل) الى المدائن ، فإنك سَتَغيب خمسة عشر يوماً[2] وتدخل الى « سرّ من رأى » يوم الخامس عشر (اي من سفره) وتسمع الواعية في داري[3] وتجدني على المغتسل .

قال أبو الأديان : فقلتُ : يا سيدي فإذا كان ذلك فَمَنْ ؟ أي : فَمَن الإمام بعدك ؟

قال : مَنْ طالبَك بِجَوابات كُتُبي فهو القائم بعدي .

فقلت : زِدْني ؟ أي : أُذْكر لي المَزيد مِن العَلائم ؟

قال : مَنْ يُصلِّي عليَّ فهو القائم بعدي .

فقلت : زِدْني ؟

قال : مَنْ أخْبَر بما في الهِمْيان[4] فهو القائم بعدي .

ثم مَنَعتْني هَيْبَتُه أنْ أسأله عمّا في الهِمْيان .

وخرجتُ بالكُتُب (الرسائل) الى المَدائن ، وأخذْتُ جواباتها ، ودخَلْتُ « سُرَّ مَنْ رأى » يوم الخامس عشر ـ كما ذَكرَ لي عليه السلام ـ فإذا أنا بالواعية في

---

(١) المدائن : اسم كان يُطلق ـ حينذاك ـ على مدينة او مجموعة مُدُن في العراق ، تبعد عن بغداد ٣٠ كيلو متراً .

(٢) وفي نسخة : « ستغيب اربعة عشر يوماً وتدخل الى سُرّ من رأى يوم الخامس عشر » .

(٣) الواعية : الصراخ على الميّت .

(٤) الهِميان : كيس تُجعَل فيه نفقة السَفر ، ويُشَدُّ على الوَسَط كالحِزام .

داره ، وإذا به على المُغتَسَل ، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه[١] (أي: أخ الإمام العسكري) بباب الدار ، والشيعة مِن حوله يُعزُّونه ويُهنِّئونه . (أي : يُهنِّئونه بالخِلافة والإمامة) .

فقلتُ ـ في نفسي ـ : إنْ يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة ، لأنِّي كنتُ أعرفه يَشرب النَبيذ ، ويُقامِر في الجَوْسق[٢] ويَلعب بالطُنْبُور[٣] !! .

فتقدَّمتُ فعَزَّيتُ وهنَّأْتُ ، فلم يسألْني عن شيء . ثم خَرج عقيد (خادم الإمام العسكري) فقال : يا سيِّدي قد كُفِّنَ أخوك ، فَقُمْ وصَلِّ عليه[٤] فدخل جعفر والشيعة مِنْ حوله ، ـ يَقدُمُهم السَمّان والحسن بن علي قَتيل المعتصم المعروف بسلمة ـ فلما صِرْنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي (صلوات الله عليه) على نَعْشِه مُكَفَّناً ، فتقدَّم جعفر بن علي لِيُصلِّي على أخيه ، فلمّا هَمَّ بالتَكْبير خرَجَ صبيٌّ (صلوات الله عليه) بِوَجْهه سُمْرة ، بشَعره قطط[٥] بأسْنانه تفليج[٦] فجبَذَ (أي : جَذَبَ) بِرِداء جعفر بن علي وقال : « تأَخَّر يا عَمْ ، فأنا أَحَقُّ بالصلاة على أبي » .

---

(١) وفي نسخة : « وإذا أنا بجعفر الكَذّاب ابن علي »
(٢) الجوسق : اسم قَصْر المقتدر العباسي .
(٣) الطنبور : آلة لَهْو وغناء .
(٤) وفي نسخة : « نُصَلِّ عليه » .
(٥) بشعره قطط : أي مُجَعَّد .
(٦) بأسنانه تفليج : يُقال : فَلِجَتْ أسنانه : أي تباعدت أسنانه بعضها عن بعض ، والجدير بالذكْر أنَّ هذه الصفة ذكرها المؤرخون في وصْف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

فَتأخَّر جعفر ، وقد إرْبَدَّ وجْهُه وأصفرَّ[١] ، فتقدَّم الصبيُّ وصَلّىٰ عليه ، ودُفِنَ إلى جانب قَبْر أبيه (عليهما السلام) ثم قال ـ الصبي ـ : يا بَصْري هاتِ جوابات الكُتُب التي معك ؟ فدفعتهُا إليه ، وقلتُ ـ في نفسي ـ : هذه بيِّنتان (أي : علامتان) بقي الهِمْيان .

ثم خرجتُ الى جعفر بن علي وهو يَزْفِر[٢] فقال له حاجز الوشاء : يا سيِّدي مَن الصبي ؟ لِيُقيم الحُجَّة عليه .

فقال : واللهِ ما رأيتُه قطُّ ولا أعرفُه .

فنحن جلوس[٣] إذْ قدم نَفَرٌ (أي : جماعة) مِن قُم ، فسألوا عن الحسن ابن علي (عليهما السلام) فعرفوا موتَه . قالوا : فَمَنْ ؟ (أي : فَمَن الإمام بعده ؟)[٤] فأشار الناس الى جعفر ، فَسَلَّموا عليه ، وعَزَّوه ، وهنَّئوه ، وقالوا : إنَّ مَعَنا كُتُباً ومالاً ، فَتَقول (أي : فَهَلْ تَقول) مِمَّن الكُتُب ؟ وكَم المال ؟

فقام جعفر يَنْفض أثوابه ويقول : تُريدون مِنّا أنْ نَعْلَم الغَيب ؟!

فخرَجَ الخادم (أي : خادم الإمام المهدي عليه السلام) فقال : معكم كُتُبُ فُلانٍ وفلان ، وهِمْيان فيه ألف دينار ، عشرة دنانير منها مَطْليَّـة (بالذهب) .

---

(١) إربد وجهه : تَغَيَّر .
(٢) زَفَرَ الرجل : أخرجَ نَفَسَه بعد مَدِّه إيّاه .
(٣) هكذا وجدنا في المصدر ، والمقصود : فبينما نحن جلوس .
(٤) وفي نسخة : « فَمَنْ نُعَزِّي » .

فدَفَعوا إليه الكُتُب والمال ، وقالوا : الذي وجَّه بك لأخذ ذلك هو الإمام ...... إلى آخر الحديث »[١] .

نَستفيد مِن هذا الحديث أُموراً عديدة :

١ ـ إنَّ جعفر الكذّاب كان قد رَشَّحَ نفسَه للإمامة الكُبرىٰ والخلافة العُظمىٰ ، في حين أنَّه كان فاقداً لجميع مؤهِّلات الإمامة ، وعارِفاً بموبِقاته وفُجوره ومَخاريه ، وهذا يدلُّ علىٰ عدم وَرَعِه ، وقِلَّة مُبالاته بالدين ، إذ كان مِنِ اللازم عليه أنْ يَنفي عن نفسه هذا المقام الأرفع ، حينما رأىٰ بعض الناس يُهنّئونه بالخلافة والإمامة ، ولكنَّه لم يَقُلْ شيئاً يدلُّ علىٰ ذلك ، بل كان يتقبّل التَهاني من الناس .

٢ ـ كان المشهور بين الشيعة : أنَّ الإمام لا يُصلّي عليه (صلاةَ الميِّت) إلّا الإمام ، لأنَّ الصلاة علىٰ الميِّت تُعتبر دُعاءاً من المصلّي للميِّت ، وبالنسبة للصلاة علىٰ جُثمان الإمام فهي خاصَّة بالإمام الذي بعده ، وحينما تقدَّم جعفر ليُصلّي على جُثمان الإمام العسكري (عليه السلام) شاء الله تعالى أنْ يَكشِف الغطاء للجماهير التي تَجمْهَرتْ لأداء الصلاة على الإمام العسكري ، ويُعرِّفهم الإمام الحقيقي ، تحدِّياً لجعفر ، وإتماماً للحُجَّة على الأُمة الإسلامية ، ولهذا خرج الإمام المهدي (عليه السلام) وجَذَبَ رِداء جعفر الذي هَمَّ بالتكبير للصلاة على جثمان الإمام العسكري ، وتكلَّم كلمةً تُعتَبر في أعلىٰ درجات

(١) المصدر : إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦ طبع طهران ، سنة ١٣٩٥ هجرية .

الفصاحة والبلاغة ، وهي ـ بالرغم من إيجازها وقِلَّة ألفاظها ـ تُعتبر قليلة النظير . قال ـ عليه السلام ـ :

« تأَخَرْ يا عَمّ ، فأَنا أَحَقُّ بالصَلاةِ علىٰ أبي » !! .

قال له : « تأخَّرْ » فلم يَسمح له بأداء الصلاة ، وقال : « يا عَمّ » وبهذه الكلمة أَخبرَ الإمام أنَّ جعفراً عَمُّه ، فالإمام إبن أخِ جعفر .

« فأنا أحَقُّ بالصَلاةِ علىٰ أبي » إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُثْبت ـ بهذه الكلمة ـ الأَوْلَويَّة بالصلاة علىٰ الإمام العسكري (عليه السلام) . ويقول : « علىٰ أبي » فهُنا إثْبات للنَسَب ، وإثْبات للإمامة ، لأنَّ الإمام لا يُصلِّي عليه إلّا الإمام ، ولأنَّه وليُّ الميِّت ، وأَولىٰ الناس بميراثه .

إذَنْ : فجعفر ليس بإمام ، وليس وارثاً للإمام العسكري ، لأنَّ الإمام المهدي هو الكُلُّ في الكُلّ ، وجعفر لا حَقَّ له في الموضوع بَتاتاً .

وترىٰ جعفراً يَتراجع عن الساحة ، ولا يَستطيع أيَّة مقاومة أمام ذلك الصبي ، تُرىٰ . . أين ذهبتْ قدرته ؟! وكيف سُلبتْ منه إمكانيَّة التكَلُّم . . ولو بكلمة واحدة ؟!! وكيف يَخاف الرجل ـ الذي خَلْفَه الجماهير ـ مِن ذلك الصبي ؟!

نعم ، إنَّها هَيْبَة الإمام ، وقُوَّة الإمامة المتوفِّرة في الإمام المهدي (عليه السلام)، المفقودة عند جعفر وأمثاله !!

ولماذا إصفَرَّ لَوْن جعفر ؟! ولماذا إربَدَّ وَجْهُه ؟! ولماذا تحمَّل الخَجَل والفَشَل أمامَ الناس المهنِّئين له بالإمامة ؟! ولماذا كَذَّبَ نفسَه بنفسِه ، حينما إنسحَب عن الصلاة على الإمام العسكري (عليه السلام) لأجل كلمة « تأخَّر

يا عَمّ » التي سَمِعَها مِن ذلك الصبي ؟! .

أُنْظُر الى الحق كيفَ يَظهَر ! والى الباطل كيف يَنْدحر !

ويسأله بعض أهل البَصيرة مِن الشيعة : يا سيِّدي مَن الصبي ؟

سألَه السائل عن ذلك الصبي ، كي يَعترف جعفر بالإمام المهدي (عليه السلام) بعد أنْ رأىٰ نفْسَه أمام أمْرٍ واقع ، ولكنَّه حَلَفَ بالله تعالىٰ قائلاً : واللهِ ما رأيتُه قَطُّ ولا أعرفه .

عجيبٌ أمْـرُكَ يـا جعفـر !! إنَّ أحمـد بن إسحـاق القُمِّي الأشعـري - وهـو في قم - يَعـرف هـذا الصبي ، وأنت لا تعـرفُـه ؟! وكثيـرون من الشيعة الغُرباء رأوا الإمام المهدي في عَهْد والـده الإمام العسكـري (عليهما السلام) وأنت ما رأيتَه ؟!!

هذا إذا كنتَ صادقاً في يَمينِك وحَلْفك بالله تعالىٰ :

فإنْ كُنْتَ لا تَدْري فَتِلْكَ مُصيبةٌ   وإنْ كنتَ تَدْري فالمصيبـةُ أعْظَمُ

ويا ليت جعفراً إكتفىٰ بهذا الموقف المُخْزي المُخْجِل ، ويا لَيْتَه تراجع عن إدِّعائه الإمامة المَزْعومة ، ويا ليت الحاضرين - الذين شَهِدوا موقف جعفر في الصلاة - عاد اليهم وَعْيُهم ، وعرفوا الحق من الباطل . . . ولكن للناس أهداف ، وفي القلوب أمراض .

ولَيتَهم لم يُشيروا الى جعفر ، حينما وَصَلَ وفْدُ أهل قُم إلى مدينة سامراء ، وبَلَغَهم خَبَر وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) وسألوا عن الإمام بعده .

ولَيتهم لم يَدَّعوا إمامته ، كيلا يزيد خَجَلاً على خَجَل ، وفضيحة على أُخرىٰ .

ولكنَّ القُمِّيين الأذكياءَ ، العارفين بعَلائم الإمامة سألوه أنْ يُخبرهم بكلِّ ما مَعَهم مِن الرسائل والأموال ، كي يتأكَّدوا مِن صحَّة إمامة جعفر المَشكوكة .

وهنا يَنفضُ جعفر أثوابه ويقول : « تُريدون مِنّا أنْ نعلم الغَيب » يَفْعَل ما يفعله البريىء مِن التُهْمة ، النزيه عن كلِّ إفتراء ، ويا لَيتَه عَرفَ الفَرْق بين عِلْم الغَيب وبين عِلْم الإمام الذي هو تعلُّمٌ مِن ذي عِلْم .

ويا لَيتَه تَذكَّر الآلاف مِن الأحاديث المَرويَّة عن جدِّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعن آبائه الطاهرين ، الأئمة الهُداة حول المستقبل ، مِنَ المَلاحِمْ وغيرها[١] .

ويا لَيتَه عرف كلام جدِّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ لَمّا أخبرَ عمّا يجري علىٰ البصرة مِن صاحب الزَنج ، وعن الأتْراك ـ فقال له بعض أصحابه : لقد أُعطِيتَ ـ يا أمير المؤمنين ـ عِلمَ الغَيب ، فقال الإمام : « ليس هو بعلمِ غَيب ، وإنَّما هو تعلُّمٌ مِن ذي عِلم ، وإنَّما عِلْم الغيب : عِلم الساعة ، وما عدَّده الله سبحانه بقوله : ﴿إنَّ الله عندهُ عِلْمُ الساعَةِ ، ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ، ويَعْلَمُ ما في الأرْحامِ ، وما تَدْري نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً ، وما تدري نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ ، إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبير﴾[٢] فيَعْلَمُ الله سُبحانه ما في

---

(١) المَلاحِمْ ـ جَمْعُ مَلْحَمَة ـ : وهي الوَقْعة العظيمة ، او القتل في الحَرب ، وقد يُطلق ـ مَجازاً ـ على أخبار آخر الزمان .

(٢) سورة لقمان / الآية ٣٤ .

الأرْحام : مِنْ ذَكَرٍ أو أُنثىٰ ، وقَبيح أو جَميل ، وشَقيّ أو سَعيد ، ومَنْ يكونُ في النار حَطَباً ، أو في الجنان للنَبيِّين مُرافقاً ، فهذا عِلمُ الغَيب الذي لا يَعْلَمُهُ أحَدٌ إلّا الله ، وما سوىٰ ذلك فعِلْمٌ عَلَّمَه الله نبيَّه فعَلَّمَنِيه ، ودَعا لي بأنْ يَعيَه صدري وتَضْطَمَّ عليه جَوانِحي[١] »[٢] .

وما زالَ جعفر مُصِرّاً علىٰ غَيِّه وعِناده وضلاله ، فقد ذهبَ إلى المُعْتمد العباسي ـ وهو الحاكم الذي دَسَّ السُمَّ الى أخيه الإمام العسكري (عليه السلام) بالأمس وقَتَلَه ـ لِيُخبره بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) ، وكأنَّ جعفراً جاسُوس للمعتمد ضِد أهل البيت .

فأمَرَ المعتمد بإلقاء القَبْض على السيِّدة نَرْجس زوجة الإمام العسكري (عليه السلام) ، فألقَوا القبضَ عليها ، وطالَبوها بالإمام المهدي ، ولكنّها أنكرته تَقيَّةً ، ولم يعبأْ الخليفة بإنكارها ، بل أمر بتسليمها الى قاضي سامراء (ابن أبي الشوارب) لتكون تحت الرقابة المشدَّدة ، ولكن الله تعالى فرَّج عنها بعد فترة قليلة .

ألا . . لَعَن الله الرئاسة الشيطانية المزيَّفة، التي يُضحِّي المجرمون ـ في سبيلها ـ بشَرفهم وضمائرهم ودينهم وعقائدهم . . وتبّاً لكل من يتّبع هوىٰ نفسه فيفعل ما يشاء ويقول ما يريد !

---

(١) قوله : « وتضطم عليه جوانحي » : الاضطمام : صيغة افتعال من الضَمّ وهو الجمع ، يقال : « اضطمَّ عليه » او « اضطمَّتْ عليه الضلوع » اي اشتملت عليه . والجوانح ـ جمع جانحة ـ : هي اضلاع ما تحت الترائب مما يلي الصدر ، سُمّيتْ بذلك لانحنائها ومَيلها .

(٢) نهج البلاغة ص ٢٣٩ المطبوع ـ في بيروت ـ مع شرح محمد عبدُه ، سنة ١٣٨٢ هـ وذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٣٥ .

وفد آخر من أهل قم :

وترىٰ جعفراً يُصرُّ على باطله ولا يتنازل عنه ، وتتكرر الحوادث فتزيد ـ معها ـ فضيحة جعفر ، وذلك حينما وصل وفدٌ آخر من اهل قم الى سامراء ، كما روي عن علي بن سنان الموصلي قال : حدَّثني أبي قال : « لما قُبض سيِّدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليهما) وَفَدَ من قم والجبال وفودٌ بالأموال التي كانت تُحمل على الرسم والعادة ، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن (عليه السلام) فلما أن وصلوا الى « سُرّ من رأى » سألوا عن سيدنا الحسن بن علي (عليهما السلام) فقيل لهم : إنه قد فُقِد .

فقالوا : فَمَن وارثُه ؟

قالوا : أخوه جعفر بن علي .

فسألوا عنه . فقيل لهم : انه قد خرج مُتَنزِّهاً ، وركب زَورقاً في « دجلة » يشرب ومعه المغَنُّون !!

قال : فتشاوَر القوم . . فقالوا : هذه ليست من صفة الإمام . وقال بعضهم : إمضوا بنا حتى نَردّ هذه الأموال على اصحابها .

فقال ابو العباس محمد بن جعفر الحِمْيَري القُمي : قِفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة[1] .

فلما أنصرَف جعفر ، دخلوا فسلّموا عليه وقالوا : يا سيدنا نحن من اهل قُمْ ، ومَعنا جماعة من الشيعة وغيرها ، وكنا نحمل الى سيدنا ابي محمد الحسن

---

(١) اي : انتظروا حتى يرجع جعفر من نزهته ، ونعرف الأمر .

ابن علي الأموال .

فقال : وأين هي ؟

قالوا : معنا .

قال : إحملوها إليّ .

قالوا : لا . . إن لهذه الأموال خبراً طريفاً .

قال : وما هو ؟

قالوا : إن هذه الأموال تُجمع ، ويكون فيها ـ من عامة الشيعة ـ ، : الدينار والديناران ، ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه ، وكُنّا اذا ورَدْنا بالمال على سيدنا ابي محمد (عليه السلام) يقول : جملة المال كذا وكذا دينار[١] من عند فلان كذا ، ومن عند فلان كذا . حتى يأتي على اسماء الناس كلهم ، ويقول ما على الخواتيم من نقش .

فقال جعفر : كذبتم ! . . تقولون على اخي ما لا يفعله ، هذا علم الغيب ، ولا يعلمه الا الله .

فلما سمع القوم كلاَمَ جعفر ، جعل بعضهم ينظر الى بعض .

فقال لهم جعفر : إحملوا هذا المال إليّ ؟

قالوا : إنا قوم مُستأجَرون ، وُكلاء لأرباب المال ، ولا نُسلّم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي (عليهما السلام) فإن كنتَ (أنت) الإمام فَبَرهِنْ لنا ، وإلا ردَدْناها الى اصحابها ، يرون فيها رأيهم .

(١) اي يخبر بمجموع المال اولا وقبل كل شيء .

قال (الراوي) : فدخل جعفر على المعتمد العبّاسي ـ وكان بسرّ من رأى ـ فاستعدىٰ عليهم[١] فلما أُحضروا ، قال المعتمد : إحملوا هذا المال الى جعفر ؟

قالوا : . . إنا قوم مستأجَرون ، وُكلاء لأرباب هذه الأموال ، وهي وداعة لجماعة[٢] وأَمَرونا بأن لا نسلّمها إلا بعلامة ودلالة ، وقد جرت بهذه العادة مع ابي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) .

فقال الحاكم : فما كانت العلامة التي كانت لكم مع ابي محمد ؟

قال القوم : كان يَصِف لنا الدنانير ، واصحابَها ، والأموال وكم هي[٣] فإذا فَعَل ذلك سلّمناها اليه ، وقد وفَدْنا اليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا ، وقد مات ، فإن يكن هذا الرجل صاحبَ الأمر فليُقِم لنا ما كان يُقيمه لنا اخوه ، وإلّا رددناها الى اصحابها .

قال جعفر : يا امير المؤمنين إن هؤلاء قوم كذّابون ، يكذبون على اخي ، وهذا عِلم الغيب .

فقال العبّاسي : القوم رُسُل ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

قال (الراوي) : فَبُهِتَ جعفر ولم يرد جواباً .

فطلب الوفد من الحاكم العباسي أن يرسل معهم حارساً يصحبهم حتى

---

(١) اي اشتكى عليهم عند الحاكم .

(٢) اي أمانة .

(٣) اي ان الإمام العسكري (عليه السلام) كان يُبيّن صفة الدنانير ـ من مغشوشة وغيرها ـ واسماءَ اصحابها ، ونوعية الأموال من دينار وغيره ، ومقدارها .

يخرجوا من المدينة ، فأمر بذلك .

فلما أن خرجوا من البلد ، خرج اليهم غلام احسن الناس وجهاً ، كأنه خادم ، فنادىٰ : يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان اجيبوا مولاكم ؟

فقالوا : أنت مولانا ؟

قال : مَعاذ الله . . أنا عبد مولاكم ، فسيروا اليه .

قال : فسرنا معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي (عليهما السلام) فإذا ولدُه القائم سيدنا (عليه السلام) قاعد على سرير ، كأنه فلْقة قمر ، عليه ثياب خضر ، فسلّمنا عليه ، فردَّ علينا السلام ثم قال : جملة المال كذا وكذا دينار ، حَمَل فلان كذا وفلان كذا ، ولم يزل يَصِف ، حتى وصف الجميع .

ثم وَصَف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب ، فخرَرْنا سجّداً لله عز وجل ، شكراً لما عرَّفنا ، وقبَّلنا الأرض بين يديه ، وسألناه عما اردنا فأجاب ، فحملنا إليه الأموال . وأمَرنا القائم (عليه السلام) أن لا نحمل الى سُرَّ من رأى بعدها شيئاً من المال ، فإنه يَنصِب لنا ـ ببغداد ـ رجلاً تُحمَل إليه الأموال ، وتخرج من عنده التوقيعات .

قالوا : فانصرفْنا من عنده ، ودفَع (اي الإمام) إلى أبي العباس محمد بن جعفر القُميّ الحِمْيَري شيئاً من الحنوط والكفن فقال له : اعظم الله اجْرك في نفسك .

قال : فما بلَغ ابو العباس عقبةَ همدان حتى تُوفي « رحمه الله » .

وكان بعد ذلك ، تُحمل الأموال الى بغداد إلى النُوّاب المنصوبين بها ، وتخرج من عندهم التوقيعات » .

قال الشيخ الصدوق (رحمه الله) ـ بعد نقل هذا الحديث في كتابه إكمال الدين ـ : هذا الخبر يدّل على أن الخليفة كان يعرف هذا الأمر (أي أمر الإمامة) كيف هو؟ وأين هو؟ واين موضعه ؟ فلهذا كفَّ عن القوم وعما معهم من الأموال ، ودَفَع جعفرَ الكذّاب عنهم ، ولم يأمر بتسليمها إليه .

إلّا أنه كان يحب أن يخفى هذا الأمر ولا يُنشَر ، لئلا يهتدي اليه الناس فيعرفونه ، وقد كان جعفر الكذّاب حَمَل الى الخليفة عشرين الف دينار ، لما توفي الحسن بن علي (عليهما السلام) وقال له : يا امير المؤمنين . . تجعل لي مرتبة اخي الحسن ومنزلته !!

فقال الخليفة: إعلم أن منزلة اخيك لم تكن بنا ، إنما كانت بالله عز وجل ، ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضْع منه ، وكان الله عز وجل يأبىٰ إلا ان يزيده ـ كل يوم ـ رفعة ، لِما كان فيه من الصيانة وحُسْن السَمْت[١] والعلم والعبادة .

فإن كنت عند شيعة اخيك بمنزلته فلا حاجة بك الينا ، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في اخيك ، لم نُغْنِ عنك شيئاً » . [٢]

ومن هذا الحديث ـ الذي يشبه الحديث السابق ـ نستفيد ايضاً بعض

---

(١) السِمْت : العلم والعبادة .

(٢) إكمال الدين

الأمور التي لا بأس بالاشارة اليها كالتالي :

١ ـ إلحاح جماعة من الناس على تعيين جعفر للإمامة ، وهنا تَبرز علامة استفهام بل علامات إستفهام :

لماذا اختارت هذه الجماعة ـ المشبوهة ـ جعفراً للإمامة ـ مع كثرة الموانع وعدم وجود مقتضيات الإمامة فيه ـ ؟

ـ ومع فشله في جميع المواقف ، وانسحابه عن الساحة ، وانهيار معنويّاته مع وفد القُميّين الأول ـ : ما هو الداعي الى التركيز على إمامة هذا الإنسان المشوَّه المفضوح ؟

٢ ـ تكذيب جعفر للشيعة ، حول إخبار الأئمة بما معهم من الأموال وتفاصيلها ، فإن كان جعفر فاقداً لصفات الإمام ، وجاهلا بهذه الخصائص ، فلماذا ينفي ذلك عن اخيه الإمام العسكري (عليه السلام) ويُكذِّب الشيعةَ ، ذلك التكذيب الفضيع ؟

أليس الأفضلِ ان ينفي علمه بهذه الأمور ، ويُعلن جهله بهذه المواضيع حتى لا يُكذِّب امراً واقعياً وحقيقة ثابتة ؟

٣ ـ مطالبته القُميّين بالأموال ، ظلماً وزوراً ، مع عدم استحقاقه لتلك الأموال ، وهو يعلم ذلك ، وهذا يدلّ على عدم تورّعه من المحرّمات ، ولعله لو كان يقبض منهم الأموال لكان يصرفها في خموره وفجوره !

٤ ـ استعانة جعفر بالسلطة ـ الظالمة الغاشمة ـ ضد الشيعة ، وتجاوب السلطة معه . إن ذا لعجيب .

فالحاكم العبّاسي يأمر القُمّيّين بتسليم الأموال الى جعفر ، فهل كان ذلك بدافع الحب لجعفر ؟ أم كان اعترافاً ضِمْنيّاً بإمامة جعفر ـ تشويهاً لجمال الإمامة ، وتدنيساً لقداستها ، وتحطيماً لمعنويّاتها ، وتغييراً لمفهوم الإمامة في المجتمع الشيعي ـ ؟

ويا ليت الفضيحة كانت تنتهي عند هذا الحدّ ، ويا ليت جعفراً كان يكتفي بهذا المقدار من المأساة ، ولكنه ذهب الى السلطة ليتفاوض معها ، ويحمل عشرين الف دينار الى الحاكم العباسي ، ثمناً للاعتراف بامامته .

مسكين هذا الجاهل ! . . أُنظر اليه كيف يَتَشَبَّثْ بالوسائل الفاشلة ، لتثبيت مقامه ، وتقوية مكانته ؟! وكيف يتّخذ المضِلّين عَضُدا ؟! وكيف يستعين بالباطل للقضاء على الحقِ ؟! وكيف يُبرّر الوسيلة لتحقيق غايته الجهنّمية ؟!

انني لا اتعجب من جعفر وتصرفاته ومحاولاته . . فقد رأينا في زماننا ـ امثال جعفر ـ الفاقدين للشعبيّة والسُمعة الطيبة ، المنبوذين في المجتمع الديني ، كيف يبايعون الحكّام مائة بالمائة ، لتعترف لهم السلطة ببعض المزايا التافهة والخصائص المادّية !

٥ ـ واخيراً . . يتفطّن الحاكم العباسي الى أن تجاوبه مع جعفر ، لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، ولا يجديه اي نفع ، لأن اصول عقيدة الإمامة ـ عند الشيعة ـ متكاملة الجوانب ، مستجمعة الصفات ، مدروسة الأطراف ، مترابطة من جميع الجهات ، ولا يمكن التلاعب بها ، ولا تغيير مجراها ومفهومها ، فتراه يتنازل عن فكرته الأولىٰ ، ويعطي الحق لوفْد قُم ويقول : القوم رُسُل ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين !

وبهذه الكلمة تنغلق الأبواب في وجه جعفر ، ويخيب ظنه وتنقطع آماله من تلك اللحظة ! .

ويخاف القُميُّون من شرّ جعفر ، وشرور الجماعة التي تدور حول جعفر ، فيطلبون من المعتمد العباسي ان يحميهم برقابة أمنيّة ، حتى يخرجوا من مدينة سامراء .

ويُلبيّ الحاكم طلبَهم ويُرسل معهم الحرس ، حتى يخرجوا من البلد بسلام .

ولا تسأل عن الحيرة التي استولت على القميّين حول أمر الإمام الذي يقوم مقام الإمام العسكري (عليه السلام) . . فما الذي يصنعون ؟ وكيف يعودون الى بلادهم قبل التعرف على إمام الحق ؟

وهنا شَمَلهم اللطف الالهي وأنقَذهم من تلك الحيرة ، وأنْتَشَلهم من تلك الورطة وجاءهم الغلام المرسَل من عند الإمام المهدي (عليه السلام) وناداهم بأسمائهم ، وأرشدهم الى مقرّ الإمام المهدي (عليه السلام) وتشَرَّفوا بلقاء الإمام فانحلّت المشكلة وانكشف الغطاء وزالت الحيرة .

وبعد هذا كله . . ادّعىٰ جعفر أنه هو الوارث الوحيد للإمام العسكري (عليه السلام) متحدّياً وجود الإمام المهدي (عليه السلام) ومُنكراً نسْلَ اخيه الإمام العسكري (عليه السلام) ، واستولىٰ على تَركَة الإمام العسكري كلّها ، وتحقق كلام الإمام الحسين (عليه السلام) في

شأنه ، حيث قال ـ لرجل من همدان ـ : « قائم هذه الأمة هو التاسعُ من وُلدي ، وهو صاحب الغيبة ، وهو الذي يُقسَّم ميراثه وهو حي »[١] .

عاقِبة أمر جعفر :

لقد اختَلفَ المحدِّثون في عاقبة أمْر جعفر ، فقال بعضهم : إنه تابَ ورجع عن غيِّه ، واستقام أمْرُه ، وظهَرَ له إنحرافه ، فرجع الى الصراط المستقيم . ودليلُهم الوحيد على ذلك هو التوقيع الذي خرَجَ مِن الإمام المهدي (عليه السلام) في جواب مسائل إسحاق بن يعقوب ، وفيه يقول ما نَصُّه : « وأمّا سبيلُ عمّي جعفر ووُلْده ، فسبيلُ إخوة يوسف »[٢] وترىٰ أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُشَبِّه عمَّه جعفر وأولاده بإخوة يوسف الذين صَنَعوا ما صنعوا بأخيهم يوسف .

ولنا أنْ نتساءَل : كيفَ يستفاد ـ مِن هذه الجُملة ـ أنَّ جعفراً تاب ، وأنَّ الله تعالىٰ قَبِلَ توبته ؟؟ !

نعم . . إنَّ إخوة يوسف ـ لما انكشف سوءُ صَنيعهم ـ **﴿ قالوا يا أبانا أسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إنّا كُنّا خاطئين ، قال سوفَ أَسْتَغْفِرُ لكم ربّي إنَّه هو الغَفور الرحيم ﴾**[٣] .

ولكن هنا لا يُستفاد الإستغفار والتوبة من جعفر ، ومِن الصحيح أنْ نقول : إنَّ وجْه الشَبَه ـ هنا ـ غير واضح ، والله العالِم .

(١) قد مرّ هذا الحديث في باب البشائر .
(٢) هذا ما رواه الطبرسي في كتاب الاحتجاج ، والشيخ الطوسي في كتاب الغيبة .
(٣) سورة يوسف الآية ٩٧ ـ ٩٨ .

الفصل التاسع

النوّابُ الأربعة

النيابة الخاصة

تُعتبر النيابة الخاصَّة مِن المَناصِب الخَطيرة ذاتِ الأهميَّة الكُبرىٰ ، ولا يَليق بهذا المقام السّامي إلاّ مَن تَتوفَّر فيه الصفات المطلوبة ، والمؤهِّلات اللازمة ، كالأمانة (بجميع معنىٰ الكلمة) والتقوىٰ والوَرَع ، وكتْمان الأُمور التي لا يَنبغي إفشاؤها ، وعدم التصرُّف ـ في القضايا الخاصَّة ـ بالرأْي الشخصي ، وتنفيذ الاوامر والتعليمات الواصِلة إليه مِن الإمام ، وغير ذلك من الشُروط .

ولا يخفىٰ أنَّ النيابة الخاصَّة أهَمْ وأعلىٰ مِن النيابة العامَّة ، التي هي مَرْتبة الإجتهاد المَحفُوفة بالشروط اللازمة ، كالعدالة ، ومُخالفة الهوىٰ ، وشِدَّة التمسُّك والإلتزام بالموازين الشرعية ، وغير ذلك مِن الصفات التي يَجب توفُّرها في المجتَهِد .

ولا نُريد أنْ نخوض في هذا البحث اكثر من هذا ، وإنَّما المقصود ـ هنا ـ التحدُّث عن النُوّاب الأربعة ، وبيان شيء مِن ترجمة حياتهم .

النائب الأول:

إسمه : عثمان بن سعيد .

كُنْيَتُه : أبو عمرو .

لَقَبُه : العمْري ، السَمّان ، الزَيّات ، الأسَدي ، العَسْكري .

وكان يُلقَّب بـ « السَّمّان » و « الزيّات » لأنه كان يتَّجر بالسَّمْن والزيت ، تغطيةً على مقامه ، وتقيةً من السلطة ، فكان الشيعة يحملون إليه الأمـوال والرسـائل ، فيجعلهـا في جِراب السَمن وزِقـاقـه[1] ـ كي لا يعلم بذلك أحد ـ ويبعثها الى الإمام .

ولا يُهمُّنا التحقيق في لقبه بالعمْري ، ولا في إنتسابه الى بَني أسَد ، وإنما نكتفي بما يَلي :

لقد كان للعمري شرفُ خِدْمة الإمام الهادي (عليه السلام) يومَ كان عُمره إحدى عشرة سنة ، وهذا يدلُّ على ما كان يَتمتَّع به من الذكاء ، والعقل ، والرُشْد الفِكْري المُبكِّر ، والمؤهِّلات التي منها العدالة والوثاقة والأمانة ، والله يَختصُّ برحمته مَنْ يشاء . والآن . . اليك الحديث التالي :

رُوي عن أحمد بن إسحاق قال : سألت الإمام الهادي (عليه السلام) وقلت : مَنْ أُعامِل ؟ وعمَّنْ آخذ ؟ وقَولَ مَنْ أقبَل ؟

فقال الإمام : « العمْري ثِقَتي ، فما أدّى إليك عنّي فَعَنّي يؤدّي ، وما قالَ لكَ عنّي فَعَنّي يقول ، فاْسمَعْ له وأطِعْ ، فإنّه الثِقَة المأْمون »[2] .

و ـ بعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام ـ زادَ الله العمْريَّ شَرَفاً على شرفه ، إذْ صار وكيلاً للإمام العسكري (عليه السلام) أيضاً .

فقد رَوي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنَّه قال ـ

---

(١) الجراب : وعاءٌ مِن جِلد . الزقاق : جِلْد يُستعمل لحمْل الماء او السَّمْن .

(٢) كتاب الأُصول مِن الكافي للشيخ الكُليني ج ١ ص ٣٣٠ طبع طهران سنة ١٣٨٨ هجرية . كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٩ ، طبع طهران سنة ١٣٩٨ هـ .

لأحمد بن إسحاق - : « العمْري وابْنُهُ ثِقَتان ، فما أدَّيا إليكَ عنيٍّ فَعَنيٍّ يُؤدِّيان ، وما قالا لك فَعَنيٍّ يقولان ، فاسمَعْ لهما وأطِعْهُما ، فإنَّهما الثِّقَتان المأمُونان »[1] .

وقد كَتَب الإمام العسكري كتاباً مفصَّلاً إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري ، نقتطف منه كلمةً تتعلَّق بالمترجَم لَه : « . . . فلا تَخْرُجَنَّ مِن البَلْدة حتى تَلقىٰ العمْريٍّ (رَضِيَ الله عنه بِرِضايَ عنه) وتُسلِّم عليه ، وتَعْرِفه ويَعرِفك ، فإنَّه الطاهر الأمين ، العفيف ، القريب مِنّا وإلينا . . . »[2] .

وروي عن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله السجستاني ، قالا : دَخَلْنا علىٰ أبي محمد الحسن (عليه السلام) بِسُرَّ مَنْ رأىٰ ، وبين يديه جماعة مِن أوليائه وشيعته ، حتى دخل بَدْرٌ خادمُه ، فقال : يا مولاي . . بالباب قومٌ شُعْثٌ غُبْر[3] فقال لهم (أي : قال الإمام للحاضرين عنده) : « هؤلاء نَفَرٌ من شيعَتنا باليَمَن » . . . الى أنْ قال الإمام الحسن لبَدْر : « فامض فأْتِنا بعثمان بن سعيد العمْري » . فما لَبِثْنا إلّا يسيراً حتى دخل عثمان ، فقال له سيِّدُنا أبو محمد (عليه السلام) : « إمضِ يا عثمان فإنَّكَ الوكيل ، والثِّقَة المأمون علىٰ مالِ الله ، واقْبِضْ مِن هؤلاء النَفَر اليَمَنِيِّين ما حَملوه مِن المال » . . .

---

(١) كتاب الأُصول مِن الكافي ج ١ ص ٣٣٠ طبع طهران سنة ١٣٨٨ هـ . وكتاب الغَيبة للطوسي ص ٢١٩ طبع طهران ١٣٩٨ هـ .

(٢) كتاب (إختيار معرفة الرجال) المعروف بـ(رجال الكشّي) ج ٦ ص ٥٨٠ طبع مَشهد - ايران سنة ١٣٩٠ هجرية .

(٣) شُعْث غُبْر : أي عليهم الغُبار والتراب .

ثم قُلنا ـ بأجْمَعِنا ـ : يا سيِّدنا . . والله إنَّ عثمان بن سعيد لَمنْ خِيار شِيعتِكَ ، ولقد زِدْتَنا عِلْماً بموضعه مِن خِدْمَتِكَ ، وإنَّه وكيلك وثِقَتك عِلى مال الله ؟

قال (عليه السلام) : « نعم . . واشْهَدوا علىٰ أنَّ عثمان بن سعيد العمْري وَكيلي ، وأنَّ إبْنَه محمداً وكيلُ إبني : مهْديِّكم »[1] .

وروي عن جماعة من الشيعة ، منهم : علي بن بلال ، وأحمد بن هلال ، والحسن بن أيوب ، وغيرهم ـ في خبرٍ طويلٍ مشهور ـ قالوا جميعاً :

إجتمعنا الى أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) نَسْأَله عن الحُجَّة مِن بعده ، وفي مَجْلسِه أربعون رجلاً ، فقام إليه عثمان بن سعيدِ العمْري فقال له : يا بن رسول الله أُريدُ أنْ أسألكَ عن أمْرٍ أنتَ أعْلمُ به مِنِّي ؟

فقال الإمام (عليه السلام) : « أُخْبركم بما جِئتُم » ؟

قالوا : نعم يا بن رسول الله .

قال : « جِئتُم تَسألوني عن الحُجَّة مِن بعدي » .

قالوا : نعم . . فإذا غلام كأنَّه قِطْعَة قَمَر ، أشْبَه الناس بأبي محمد (العسكري) .

فقال : « هذا إمامكـم مِن بعدي ، وخَليفتي عليكم ، أطيعوه ، ولا تَتفرَّقوا مِن بعدي فَتَهلكوا في أدْيانكم .

---

(١) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٦ ، و(بحار الأنوار) للشيخ المجلسي ج ٥١ ص ٣٤٥ طبع طهران سنة ١٣٩٣ هـ .

ألا : وإنكم لا تَرَوْنه بعد يومكم هذا حتى يَتُمَّ له عُمْر ، فاقبَلوا مِن عثمان ما يقوله ، وانْتَهوا الى أمْرِه ، واقْبلوا قوله ... »[1] .

وقد سبَقَ أن ذكَرْنا أنَّ الإمام العسكري (عليه السلام) أمَرَ العمْري ـ بعد ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ أنْ يَشتري آلاف الأرطال مِن اللحم والخُبز ، ويُوزِّعها على الفُقراء ، ويَعقَّ عدداً مِن الأغنام عن وَلَدِه الإمام المهدي (عليه السلام) .

وكان العمْري يَسكن في بغداد ، ويُكثِر السَفَر الى سامراء لِيلتقي بالإمامين : الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) .

ويُستفاد مِن بعض الروايات أن العمْري حضَرَ تَغْسيل الإمام العسكري (عليه السلام) وتَحْنيطه وتَكْفينه ودَفنه[2] . ولا نقول : إنَّه باشَرَ ذلك بنفسه، فالإمام لا يُغَسِّلُه إلاّ الإمام. ولا يُهمُّنا إنْ كان التاريخ أهْمَلَ تَغْسيلِ الإمام المهدي أباه ، ولم يتعرَّض لذلك ، فالعقيدة ثابتة .. سواء ذَكَرَ التاريخُ ذلك .. أولم يَذْكُره .

وبعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أبقىٰ الإمامُ المهدي (عليه السلام) العمْريَّ على وكالته ، وعلى هذا .. يُعتبر العمْري

---

(١) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٧ ، طبع طهران سنة ١٣٩٨ هـ .

(٢) يُستفاد ذلك مِن كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ٢١٦ حيث قال ما نصه : « عن أبي نصر بن أحمد ، عن شيوخه : أنَّه لما مات الحسن بن علي (عليهما السلام) حضَرَ غسلَه عثمان بن سعيد ، وتولىّ جميع أمْره في تكْفينه وتحنيطه وتَقْبيره ... » .

وقد مَرَّ ـ في الحديث عن « جعفر بن الإمام الهادي » ـ قول الراوي : « يَقْدُمُهم السَمّان » يعني عثمان بن سعيد العمْري ، الذي كان حاضراً عند الصلاة على جثمان الإمام العسكري (عليه السلام) .

النائب الأول للإمام المهدي .

وهكذا . . كان العمْري هَمْزَةَ وَصْلٍ بين الإمام المهدي وشيعته ، في مُراسَلاتهم وقضاياهم ، وحَلِّ مَشاكِلهم .

ويَعلَمُ الله تعالى عدد لقاءاته مع الإمام المهدي (عليه السلام) وتَشَرُّفه بالمثول بين يديه ، ويَعلم الله كيفية تلك اللقاءات ومقدارها يومياً ؟ أُسبوعياً ؟ شَهْرياً ؟ أوحسب الظروف والحاجة ، في حين كان الملايين مِن الشيعة محرومين عن هذا الشَرَف ، وفاقِدين لهذا التوفيق .

نعم . . إنَّ الأمانة والمصلحة كانتا تَفْرضان على العمْري أنْ لا يَبوح بهذا السِرّ للناس ، ليبقى السِرُّ مكتوماً ويُدفَن مع صاحبه .

وقد رُويَ أنَّ عبد الله بن جعفر إلتقىٰ بالعمْري ـ بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ـ فأقسَمَ على العمْري وحَلَّفَه قائلاً : فأسألك بحقِّ الله وبحقِّ الإمامين الذين وثَّقاك[1] هل رأيتَ إبنَ أبي محمد الذي هو صاحبُ الزمان ؟

فبكىٰ العمْري مِن هذا الإحراج ، واشتَرطَ على عبد الله بنِ جعفر أنْ لا يخبر بذلك أحداً ما دام العمْري حَيّاً ، وقال : قد رأيتُه (عليه السلام) . . . الى آخر كلامه[2] .

وخلاصة الكلام : إنَّ العمْري كان مِن النَوابغ . . فِكراً وعقلاً ، أضِفْ الى ذلك مَزاياه الخاصَّة كالتقوىٰ والوَرَع والأمانة ، وغيرها مِن

(١) يعني : الإمام علي الهادي ، والإمام الحسن العسكري (عليهما السلام) .
(٢) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٥ طبع طهران سنة ١٣٩٨ هـ .

الصفات التي جعلَتْه أهْلاً للنيابة الخاصَّة والوكالة العامَّة ، و « هَنيئاً لِأرْباب النَعيم نَعيمُهم » فالعمْري كان مَغْموراً بالسعادةِ وشَرَفِ خِدْمة الأئمة قبل أنْ يَبلُغ الحُلُم ، الى أنْ فارَقَ حياته السعيدة المبارَكة .

ومِن الواضح أنَّ الأئمة الثلاثة (سلامُ الله عليهم) إنما انتخبوه واختاروه لهذا المنصب الخطير والمكانة السّامية لوجود المؤهلات فيه .

ولقد أمَرَه الإمامُ المهدي (عليه السلام) أنْ ينصِب وَلَدَه محمد بن عثمان مِن بعْدِه ، ليتولّىَ الأُمور بعد وفاة أبيه .

النائب الثاني :

إسمُه : محمد بن عثمان .

كُنْيَتُه : أبو جعفر .

لَقَبُه : العمْري ، العسكري ، الزَيّات .

لقد كان مِن حُسْنِ حَظِّ عثمان بن سعيد العمْري أنْ رزَقَه الله تعالى وَلَداً صالحاً يَشْبه أباه في المؤهِّلات والمزايا والفضائل ، « ومَنْ يُشابِه أبَهُ فما ظَلَم » ، وقد مرَّ ـ عليك ـ أنَّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) نصَّ عليه وعلى أبيه حيث قال : « العمْري وابنُه ثِقَتان . . . » وقال : « . . . وإنَّ إبنَه محمداً وكيلُ إبني : مهديِّكم » .

فاختارَه مولانا الإمام المهدي (عليه السلام) ليقوم مقام أبيه عثمان ، ويُمارس أعماله .

وقد بعث الإمام رسائلَ متعدِّدة الى زعماء الشيعة ، يُخبرهم ـ فيها ـ بأنَّه

قد عيَّن محمد بن عثمان نائباً عنه[1] ومنها الرسالة التي كتَبَها الإمامُ إلى محمد بن إبراهيم بن مَهْزيار الأهوازي ، وقد جاء فيها :

« . . . والإبنُ (وقاهُ الله) لم يَزَلْ ثِقَتنا في حياة الأب (رَضيَ الله عنه وأرْضاه ، ونَضَّرَ وجْهَه) يَجري عندنا مَجْراه ، ويَسُدُّ مَسَدَّه ، وعن أمْرِنا يأمُرُ الإبنُ ، وبه يَعْمل ، تَوَلّاه الله ، فانْتَهِ الى قوله[2] . . . »[3] .

ولقد إزداد محمد بن عثمان شَرَفاً على شَرَفِه حيث تَلَقّىٰ رسالةً مِن الإمام المهدي (عليه السلام) يُعزِّيه فيها بموت أبيه ، وقد جاء في الرسالة :

« إنَّا لله وإنا إليه راجعون ، تَسْليماً لأمْرِه ، ورِضاءاً بِقَضائه ، عاشَ أبوكَ سَعيداً ، وماتَ حميداً ، فَرَحِمَهُ الله ، وألْحَقَهُ بأوْليائه ومَواليه عليهم السلام ، فلَمْ يَزَلْ مُجْتهِداً في أمْرِهم ، ساعياً فيما يُقرِّبُه الى الله (عزَّ وجَل) وإليهم ، نَضَّر الله وجْهَه ، وأقالَهُ عَثْرَتَه . . .

أجْزَلَ الله لكَ الثَواب ، وأحْسَنَ لكَ العَزاء ، رُزِئتَ ورُزِئنا[4] وأوْحَشَكَ فِراقُه وأوْحَشَنا ، فَسَرَّهُ الله في مُنْقَلَبِه ،

كان مِن كَمالِ سَعادَته أنْ رَزَقَهُ الله تعالىٰ وَلَداً مِثْلك ، يَخْلفُه مِن بَعْدِه ، ويقومُ مقامه بأمْرِه ، ويَتَرَحَّمُ عليه ،

وأقول : الحمد لله ، فإنَّ الأنْفسَ طَيِّبَةٌ بِمَكانك وما جعَلَه الله تعالىٰ

---

(١) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٠ .

(٢) « فانتَهِ الى قوله » : أي : إسمَعْ كلامه ، وامتَثِلْ أوامرَه .

(٣) كتاب الغَيبةللشيخ الطوسي ص ٢٢٠ ، طبع طهران سنة ١٣٩٨ هـ .

(٤) وفي نسخة : « رُزيتَ ورُزينا » . كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي .

فيك وعنْدك ، أعانَكَ الله وقَوّاك ، وعضَدَك ووفَّقَك ، وكان لك وَلياً وحافِظاً ، وراعياً وكافياً ومُعِيناً »[١] .

لا يستطيع القلمُ أنْ يَستوعِب ما احتوتْه هذه الرسالة مِن الأوْسِمَة والخِلَع التي تَفضَّلَ بها الإمامُ المهدي (عليه السلام) على الوالد وما وَلَد .

إنَّ كلَّ كلمة مِن كلمات الرسالة تُعتبر ثَناءاً عاطراً ، ووِساماً سامياً ، لو فازَ رجلٌ بِواحدةٍ منها لَحَقَّ لَه أنْ يمشي مَرفوعَ الرأس ، يَشْمَخُ بأنْفِه ، ويَفتَخِر علىغيره ، ويقول : مَنْ مِثْلي ؟!

فكيف وهذه الكلمات ـ التي هي أغلىٰ مِنْ كلِّ غالٍ ونَفيس ـ قد تَوفَّرتْ واجتمعتْ في عثمان بن سعيد وإبنه محمد ، فَهَنيئاً لهما بِشَرَف الدنيا وسعادة الآخرة .

لقد كان محمد بن عثمان كأبيه سفيراً بين الإمام المهدي وبين جميع الشيعة في ذلك العَصْر ، سواء القاطنين في العراق ، او القادمين من مدينة قم أو البلاد الإسلامية الأُخرىٰ ، وكان يَسكُن في بغداد ، كما تقدَّم في الحديث عن أبيه .

ومِن الطبيعي أنَّه كان يؤدّي الوظائف الواجبة المُلْقاة على عاتِقِه في جوٍ من الكِتْمان والتَقيَّة ، فكان يَسْتلم الأموال والحقوق الشرعية مِن الشيعة ويحملها الى الإمام المهدي (عليه السلام) بصورة سِرِّية .

أمّا كيفية إيصّاله الأموال الى الإمام فهي مجهولة جِدّاً ، فالقضية مُغَطّاة بالغُموض مِن جميع جوانبها .

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ، ج ٢ ص ٥١٠ . كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

وقد أخبَرَ محمد بن عثمان ـ اكثر من مرة ـ أنّ الذي يقوم مقامه ـ بعد وفاته ـ هو الحسين بن روح النوبختي .

النائب الثالث :

إسمُه : الحسين بن روْح .

كُنْيتُه : أبو القاسم .

لَقَبُه : النَوبَخْتي .

كان الحسين بن روح شخصية مشهورة ومعروفة عند الشيعة وكان ـ قبل تولِّيه النيابة ـ وكيلاً للنائب الثاني محمد بن عثمان ، يُشْرِف على أمْلاكه ، ويقوم بدَوْر الواسطة بينه وبين زعماء الشيعة ، في نَقْل الأوامر والتعليمات والاخبار السِرِّية إليهم .

وبهذا إزدادتْ ثِقَة الشيعة به ، بعدما رأوا أنَّ النائب الثاني يَثِق به ، ويَعتمد عليه ، ويَشْهد بِفَضْله ودِينه ، ويَراه أهْلاً لمنصب الوكالة .

وكان الحسين بن روح مشهوراً ومعروفاً بالعقل والرُشْد ، ويَشْهد له المُوافق والمخالف ، حتى أنَّ العامَّة كانت تُعظِّمه وتَحترمه .

كلُّ هذه الأُمور . . كَوَّنَتْ للحسين بن روح رَصيداً شَعبياً ، ومكانةً رفيعة عند الناس على اختلاف مستوياتهم واتجاهاتهم ومذاهبهم .

وقبل وفاة النائب الثاني ، صدَرَ الأمر مِن الإمام المهدي (عليه السلام) اليه ، بأنْ يُقيم الحسين بن روح مقامه في النيابة الخاصَّة ، فامتَثَلَ النائبُ الثاني أمر الإمام ، وأعلنَ أن النائب الثالث الذي يقوم مقامه : هو

الحسين بن روح ، فقد جَمَعَ زعماء الشيعة وشخصياتهم ، وقال لهم : « إنْ حدَثَ عليَّ حَدَثُ الموت ، فالأمر الى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي ، فقد أُمِرْتُ أنْ أجعَلَه في موضعي بعدي ، فارجعوا اليه ، وعوِّلوا في أُموركم عليه »[١] .

وقبل وفاة النائب الثاني بساعات ، حضَرَ عنده جَمْعٌ غفير من زعماء الشيعة وشيوخهم ، فقال لهم : « هذا ابو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي ، القائم مقامي ، والسفير بينكم وبين صاحب الأمْر (عليه السلام) والوكيل والثِقَة الأمين ، فارجعوا اليه في أُموركم ، وعوِّلوا عليه في مُهمّاتكم ، بذلك أُمْرتُ ، وقد بَلَّغْتُ »[٢] .

وكان للنائب الثاني صديقٌ حَميم ، اسمه جعفر بن أحمد بن متيل ، يُكثِر مجالستَه ومعاشَرته ، حتى بَلَغ من أمره أنَّ النائب الثاني - في أواخر حياته - لم يكن يتناول طعاماً إلاّ ما تهيّأ في منزل جعفر بن أحمد ، وكان الكثيرون من الشيعة يَتوقَّعون أن يكون جعفر هو النائب الثالث ، لكن إختيار الإمام المهدي (عليه السلام) وقَعَ على الحسين بن روح .

والجدير بالذِكْر : أنَّ جعفر بن أحمد لم يُغيِّر سُلوكَه مع الحسين بن روح - بالرغم مِن تفوُّق الأخير عليه - بل كان بين يديه كما كان بين يدي النائب الثاني ، صديقاً وفياً ، يحضر مجلسه ، ويُعينُه على أداء مَهامِّه ومسؤولِيّاته ، الى أنْ تُوفي الحسين بن روح سنة ٣٢٦ هـ ، وكانت مُدَّة سفارته إحدى وعشرين أو إثنتي وعشرين سنة .

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧ .
(٢) كتاب الغَيبةللشيخ الطوسي ص ٢٢٧ .

النائب الرابع :

إسمه : علي بن محمد .

كُنْيتُه : أبو الحسن .

لَقَبُه : السَمَري .

إختاره الإمام المهدي (عليه السلام) ليكون سفيراً له ، فأمرَ الحسينَ بن روح ـ النائب الثالث ـ بأن يُقيم علي بن محمد السمري مقامه ، ونفَّذ الحسينُ بن روح أمْرَ الإمام المهدي (عليه السلام) .

أمّا شخصية علي بن محمد السمري فهي كالشمس لا تحتاج الى بيان نورها ، وثِقتُهُ وجلالَتُه أشْهَر مِن أنْ تُذكر .

ومِن كراماته : أنه أخبرَ ـ وهو في بغداد ـ بموت علي بن الحسين بن بابويه القُمي (والد الشيخ الصدوق) وهو في الرَّيْ[1] ساعةَ وفاته ، وكان عنده جماعة من الشيعة ، فسجَّلوا الساعة واليوم والشهر ، وجاء الخبر ـ بعد سبعة عشر يوماً ـ فكان مُطابقاً لما أخبر به ، من حيث اليوم والساعة التي أخبر بها .

وبوفاة السمري إنقطعت السفارة ، وانتهت الغَيبة الصُغرىٰ، وابتدَأتْ الغَيبة الكُبرىٰ التي امتدت الى يومنا هذا ، وسوف تنتهي بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) .

وصدَر توقيع مِن الإمام المهدي (عليه السلام) الى السَمَري ، قبل

---

(١) الرَيّ : إسم مدينة في ضواحي طهران .

وفاته بستة أيام ، وقد جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا علي بن محمد السمري : أعظَمَ الله أجْرَ إخوانِك فيك ، فإنَّك ميِّت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمْرَك ، ولا تُوصي الى أحَدٍ فيقوم مقامَك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامَّة[1] فلا ظهور إلّا بعد إذْنِ الله ـ تعالىٰ ذِكْرُه ـ وذلك بعد طُول الأَمَد ، وقَسْوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً . . . » الى آخر كلامه عليه السلام[2] .

فأخرَجَ السمري هذا التوقيع الى الناس ، فكتَبوه وخرجوا مِن داره ، فلما كان اليوم السادس عادوا اليه وهو يجود بنفسه[3] فقيل له : مَنْ وَصيُّك ؟

فقال : لله أمْرٌ هو بالغُه .

وكان هذا آخر كلام سُمع منه ، وقضى نحبه (رحمة الله عليه) وكانت وفاته سنة ٣٢٩ هـ .

---

(١) وفي بعض النُسخ : « فقد وقعت الغَيبة الثانية » .

(٢) كتاب الغَيبة للطوسي ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، وإكمال الدين للصدوق ج ٢ ص ٥١٦ .

(٣) أي : يُعالج سكَرات الموت ، ويقضي اللحظات الأخيرة من حياته . .

وكلاء الإمام المهدي عليه السلام

لقد كان الشيعة يسألون الإمام المهدي (عليه السلام) عن المسائل الفقهية والماليَّة ، بل وعن القضايا الشخصية أيضاً ، وذلك عن طريق السفراء (النوّاب الأربعة) فكان الجواب يأتيهم بعد فترة قصيرة .

وقد كان للسفراء وُكلاء في كثير من البلاد الإسلامية ، يقومون بدَور كبير في تَسْهيل مُهمَّة السفراء ووظائفهم .

وكان هؤلاء الوكلاء محمودين في سُلوكهم ، مُستقيمين في عقيدتهم ، معروفين بالزهد والتقوىٰ والصلاح ، ولم يتغيروا ولم ينحرفوا الى آخر حياتهم .

وكان الوكلاء ، تارةً يُراجعون السفراء في القضايا والأسئلة الموجَّهة اليهم ، وتارةً يُراسلون الإمام المهدي (عليه السلام) بصورة مباشرة .

وفيما يلي نَذْكُر أسماء بعض الوكلاء ، ونترك التحدُّث عن حياتهم ، رعايةً للإختصار :

١ ـ حاجز بن يزيد الملقَّب بالوَشّاء .

٢ ـ إبراهيم بن مَهْزيار .

٣ ـ محمد بن إبراهيم بن مَهْزيار .

٤ ـ أحمد بن اسحاق الأشعري القُمِّي .

٥ ـ محمد بن جعفر الأسدي .

٦ ـ القاسم بن العلاء .

٧ ـ الحسن بن القاسم بن العلاء .

٨ ـ محمد بن شاذان .

وهناك أناس آخرون لم تَثْبت وكالتُهم ، أو لم تشتهر بين المحدِّثين ، ولا يُهمُّنا التعرّض لذلك .

الذين ادّعوا السّفارة أو الوكالة كذبًا وزورًا

من أعاجيب الدهر أنَّ عدداً مِن أصحاب الإمام الهادي والإمام العسكري (عليهما السلام) إختاروا لأنفسهم سُوءَ العاقبة ، والإنحراف عن الطريق المستقيم ، بالرغْم مِن سَوابقهم المشرقة ، وكَثْرة تَشَرُّفهم بلقاء الإمامين العسكريينَّ (عليهما السلام) وشِدَّة إتصالهم بهما واستماعهم الى أحاديثهما ، حتى أنَّ بعضهم ألَّف كتاباً سَجَّل فيه الاحاديث التي سَمِعَها مِن أحد الإمامين او منهما .

ولا نَعرف لإنحرافهم سبباً سوىٰ تأمين المصالح الشخصيَّة ، والطمع في الأموال ـ وهي الحقوق الشرعية التي كانت الشيعة تَدْفعها الى نُوّاب الإمام المهدي (عليه السلام) ـ وحُبِّ الرئاسة والشُهْرة ، ثم الحُكم ـ مِن ورائها ـ على جميع مَرافق الشيعة ، وإتبّاع الهوىٰ الذي يَصدُّ عن الحق .

وكانت عاقبة أمْرهم أنْ شَملتْهم اللعنة مِن الإمام المهدي (عليه السلام) تلك اللعنة التي تَرْتَعدُ منها الفَرائص وتَرْتَجفُ منها القلوب !

ومن الطبيعي أنَّ أُولئك الكَذّابين قد كونّوا مشاكل عقائدية وإجتماعية في المجتمع الشيعي ، بالإضافة الى أنهم أشغَلوا افكار النوّاب الحقيقيين ، لأنَّ المنحرف عقائدياً إذا ادَّعى الوكالة أو النيابة عن الإمام المهدي (عليه السلام) سيَكون سبباً لِتَشْويه خط الإمام أوّلاً ، ومنافساً للنائب الحقيقي ثانياً .

وهذه مشكلة لا يصحُّ السكوت عنها ، ولا بدَّ مِن تَدارك الأمر ، وكَشْف الحقيقة ، ورَفْع النِقاب عن الواقع ، وفَضْح المدَّعي الكاذِب .

واليك شيئاً مِن التفصيل :

١ ـ ابو محمد الحسن الشريعي :

كان من أصحاب الإمامين : الهادي والعسكري (عليهما السلام) وادَّعى أنه سفير الإمام الحُجَّة المهدي (عليه السلام) كِذباً وزُوراً ، ولم يكن أهلاً لذلك ، وكذب على الله تعالى ، ونَسَب الى الأئمة الطاهرين أشياء لا تَليق بهم ، وهم منها بُرَآء ، ثم ظَهَر منه الكُفر والإلحاد ، وخرج التوقيع من مولانا صاحب الزمان (عليه السلام) ـ على يد النائب الثالث ـ بِلَعْنه والبَرَاءة منه ، فلَعنتْه الشيعة وتَبرَّأتْ منه .

٢ ـ محمد بن نصير النميري :

كان من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) فلما تُوفّي الإمام ، إدَّعى النميري ـ كِذْباً وزُوراً ـ أنه سفير الإمام المهدي (عليه السلام) ونائبُه ولكن الله تعالى فضَحه ، حينما ظَهرتْ منه عقيدة الإلحاد ، فلَعَنه النائب الثاني محمد بن عثمان ، وتَبرَّأ منه .

وكان اللعين يقول بِرُبوبية الإمامين : الهادي والعسكري (عليهما السلام) ، ويَدَّعي أنه نبيٌ مُرسَل مِن عند الإمام الهادي[1] .

---

(١) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٢٤٤ .

وكان يقول بالتَناسُـخ[١] ويُفْتي بإبـاحة نكـاح المحارِم واللواط ، ويقول : إنه من اللذّات والشهوات - في الفاعل - ومن التواضع - في المفعول به - وقد شوهد مرّة وغلامُه راكب على ظهره ، ولما عُوتِبَ على هذا الفِعلِ القبيح قال : إنَّ هذا من اللذات ،! وهو من التواضـع وترك التجَبرُّ[٢] .

نكتفي بذِكْر هذه المخازي التي سوَّدتْ صحيفة الرجل ، وكشفت عن خُبثه ، وإنحرافه وسوءِ عاقبته .

٣ - أحمد بن هلال العَبرتائي :

يُنسب الى « عبرتا » وهي قرية كبيرة ، كانت في ضواحي النهروان ، بين بغداد وواسط .

قيل : كان مِن أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) .

وقيل : كان مِن أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) .

وعلى كل حال . . فالرجل مشهور باللعنة والغُلُوّ ، وكان - في أوائل أمْره - مِن ثِقاة الإِمام العسكري (عليه السلام) وخواصِّه ، ومن المحدِّثين

---

(١) لقد أجْمع المسلمون على بُطلان نظَريَّة التَناسُخ التي اختلَقَها بعض المتفَلْسفين المنحرفين ، والتناسخ : هو إنتقال الروح - بعد موت صاحبها - الى بدن آخر ، والقائلون بالتناسُخ يُنكرون الآخرة والجنة والنار ، ولهذا حُكمَ عليهم بالكُفر . وفي كتاب (المعجم الوسيط) : تناسُخ الروح : عقيدةٌ شاعتْ بين الهنود وغيرهم من الأُمم القديمة ، ومؤداها : أنَّ روح الميِّت تنتقل الى حيوان أعلى أو أقل منزلةً ، لتُنعَّم أوتُعذَّب ، جزاءاً على سلوك صاحبها الذي مات ، وأصحاب هذه العقيدة لا يقولون بالبَعْث .

(٢) كتاب رجال الكشي ص ٤٣٨ . كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

عن الأئمة (عليهم السلام) وقد حجَّ أربعاً وخمسين حَجَّة ، عشرين منها على قدميه ، ولكنه إنحرف أيَّ إنحراف ، حتى ورَدَ فيه من الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ذَمٌّ كثير ، وقد صـدَرَ في شأْنـه : « إحذَروا الصُـوفيَّ المتصَنِّع »[1] ولا نعلَم ـ بالضبط ـ أنَّ هـذا التوقيـع صدر من الإمـام العسكري او من ولده الإمام المهدي (عليهما السلام) .

وعاش إبن هلال الى أيّام النائب الثاني محمد بن عثمان ، فصار يُنكر نيابته عن الإمام المهدي (عليه السلام) ويُصرُّ على ذلك ، فورد التوقيع مِن الإمام المهدي (عليه السلام) بلَعْنه والبراءة منه ، فانقلب الرجل ناصِبيّاً مُعادياً ، فلعنتْه الشيعة وتبرأتْ منه .

وبعد هلاك العبرتائي ، خرج توقيع آخر من ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) يزيد في ذمِّه والبراءة منه .

والسبب في ذلك ـ كما ذكروا ـ هو أنَّ بعض الشيعة أنكروا ما ورَدَ في ذَمِّ العبرتائي ، فطلبوا من القاسم بن العلا ـ وهو مِن وكلاء الإمام المهدي ـ أنْ يكتب الى الإمام (عليه السلام) ويتأكَّد مِن صحّة خبر إنحرافه ، ويَستفسِر عنه ، حتى تطمئن القلوب بذلك .

فجاء الجواب مِن ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) يقول : « . . . قد كان أَمْرُنا نَفَذَ إليك في المتصَنِّع إبن هلال (لا رَحِمَه الله) بما قد علمت ، ولم يَزَلْ ـ لا غفَر الله له ذَنبه ولا أقالَه عَثْرتَه ـ يُداخل في أمْرنا بلا إذْن مِنّا ولا رِضىً ، يَستبدُّ برأيه . . . . لا يُمضي مِن امْرنا إيّاه إلا بما يَهواه ويُريده ، أرداه الله بذلك في نار جهنَّم .

(١) المتصنِّع : هو الذي يُظهر عن نفسه ما ليس فيه ، كالذي يتظاهر بالتقوىٰ والورع وهو فاقدٌ لهما .

فصَبْرنا عليه ، حتى بَتَر الله ـ بِدَعْوتنا ـ عُمْرَه[1] وكنّا قد عرَّفْنا خَبَره قوماً مِنْ مَوالينا في أيامه (لا رحمه الله) وأَمْرناهم بإلقاء ذلك الى الخاص مِن موالينا ، ونحن نبرأ الى الله مِن ابن هلال (لا رحمه الله) ومِمَّن لا يبْرأ منه .

وأَعْلِم الإسحاقي[2] ـ سلَّمه الله ـ وأَهْلَ بيته بما أَعْلمناك مِن حال هذا الفاجر ، وجميعَ مَن كان سأَلك ويسألك عنه مِن أهل بلَده والخارجين ، ومَن كان يَستحقُّ أنْ يطَّلع على ذلك ، فإنه لا عُذرَ لِأحدٍ من مَوالينا في التَشْكيك فيما رَوىٰ عنّا ثِقاتُنا ، قد عرفوا بأنَّنا نُفاوِضُهم بِسِرِّنا ، ونحمله إياه اليهم ، وعَرفْنا ما يكون مِن ذلك إن شاء الله تعالى »[3] .

وهناك توقيع ثالث صَدَرَ من الإمام المهدي (عليه السلام) في ذَمٍّ العبرتائي أيضاً .

٤ ـ محمد بن علي بن بلال:

أبو طاهر محمد بن علي بن بلال ، كان ـ في بِدْء أمْرِه ـ ثِقةً ومعتَمَداً عند الإمام العسكري (عليه السلام) ولكنَّه إنحرف بعد ذلك ، وادَّعىٰ أنه وكيل للإمام المهدي (عليه السلام) وأنكَرَ نيابة النائب الثاني محمد بن عثمان ، وخانَ بالأموال التي إجتمعتْ عنده لكي يوصلها الى الإمام المهدي .

وبالرغم مِن أنَّ النائب الثاني سهَّل له طريق الإلتقاء بالإمام المهدي

---

(١) بَتَر : أي قَطَعَ .
(٢) الإسحاقي : أحمد بن اسحاق العمري .
(٣)كتاب (رجال الكشّي) ص ٤٥٠ طبع النجف الأشرف .

(عليه السلام) وأمَرَه الإمام بِدَفْع الأموال الى نائبه ، إلاّ أنَّ الرجل بقي على عناده وانحرافه ، وكانت عاقبة أمْره أنْ خرج التوقيع مِن ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) بِلَعْنه والبَراءة منه ، في ضمن جماعة ، منهم : الحَلاّج والشَلْمغاني ، ونعوذُ بالله مِن سوء العاقبة .

٥ ـ الحسين بن منصور الحَلاّج

شيطان وأيّ شيطان ؟!

إبتُليتْ به الأُمة الإسلامية منذ عشرة قرون ، ولا يزال الحَبْل ممدوداً حتى اليوم ، وبالرغم من ظهور كُفْره وانحرافه ، فلا يزال بعض الساقطين يعتبرون أنفسهم مِن هُواة الرجل ، والمعجَبين به ، والمعتقدين بعقائده الفاسدة « وشِبْه الشيء مُنجِذبٌ إليه » .

إختلف المؤرِّخون في أصْله وبلَده ، فقيل : هو مِن أهل نيسابور ـ إقليم خراسان ـ ، وقيل : من أهل مرو ، أو طالقان ، أو الريّ .

وقد تحدَّث عنه المؤرِّخون والمحدِّثون ، واعتبروه من الكذّابين الدَجّالين ، والمحتالين المشَعْوذين[1] ، وكان يتظاهر بالتصوُّف ، ويدَّعي معرفة كل عِلم ـ وهو جاهلٌ به ـ و يَتلوَّن بألوان مختلفة ، فيتظاهر بالتشيُّع عند الشيعة ، ويدَّعي التَسَنُّن عند أهل السُنَّة ، وقد خرج التوقيع من ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) بلَعْنه والبراءة منه .

ولذلك كلّه . . فلا عجَب إذا إلتَبَسَ الأمر على بعض الشيعة ،

---

(١) المشعوذ : هو الذي يستعمل الشَعْوذة ، والشَعوذة : هي خِفَّة في اليد ، وأعمال كالسِحْر ، تُري الشيء للعين بغير ما هو عليه .

فبالَغوا في مدْحه ، وغفلوا عن منكراته وانحرافاته ، وعمّا وردَ في ذمِّه ، وما صدَر من التوقيع بلَعْنه والبراءة منه .

ومِن إنحرافاته أنه كان يقول بالحُلول ، أي : يدَّعي أنَّ الله تعالىٰ قد حلَّ فيه ، وبهذا كان يدّعي الألوهيَّة والربوبيَّة .

ومرَّةً ذهَب الى مدينة قم ـ بإيران ـ وادعىٰ أنه رسول الإمام المهدي (عليه السلام) ووكيله ، فاستخفَّ به الناس وطردوه .

وذَكَر الشيخ البهائي ـ في الكشكول ـ ما يلي : الحسين بن منصور الحلّاج : أجمَعَ أهل بغداد على إباحة دَمِه ، ووضَعوا خطوطهم على مَحضَر يتضمَّن ذلك[1] وهو يقول : الله في دمي فانه حرام[2] ولم يزل يُردّد ذلك وهم يُثبتون خطوطهم .

ثم صدَر الأمر بإلقاء القبض عليه ، فحُمل الى السجن ، وأمَر المقتدر العباسي بتسليمه الى مدير الشرطة ، ليضربه ألف سوط ، فإن مات . . وإلّا يضربه ألفاً أُخرىٰ حتى يموت ، ثم يُضرب عنُقه .

فجيىء به الى باب الطاق ، حيث كانت جماهير غفيرة مِن الناس قد اجتمعت ـ هناك ـ للتفرج عليه ، وضُرب ألف سوط ، ثم قُطعْت أطرافُه ، وحُزَّ رأسه ، وأُحرقتْ جُثّته ، ونُصب رأسُه على الجِسر ، وذلك في سنة ٣٠٩ هـ .

---

(١) أي أنهم أعَدُّوا سِجلاً وشهدوا فيه بإنحرافه ، ووقَّعوا فيه بأسمائهم . و« مَحضَر الضبط » ـ في إصطلاح المحاكم ـ هي الشهادة والإفادة الخَطّية ، التي يشهد فيها رجل الأمن أو الشرطي ، بما قيل أمامه ، وما شاهده وما قام به من تنفيذ مذكّرات المحاكم والأحكام .

(٢) أي : إحذروا الله في إراقة دمي .

٦ ـ محمد بن علي الشَلْمغاني :

أبو جعفر محمد بن عليٰ الشَلمغاني المعروف بابن العزاقر . يُنسَب الى شلمغان : ناحية مِن نواحي واسط في العراق .

كان من المحدِّثين ، وله مؤلَّفات كثيرة جَمع فيها الاحاديث التي وصلتْ إليه مِن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ولمّا إنحرف وتغيَّر ، جعل يَتلاعب بالاحاديث ، ويزيد فيها ، وينقص منها .

وخرج توقيع من ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) الى الشيخ الحسين بن روح ، يَتبَّرأ مِن الشلمغاني ، ويذمُّه ويلْعنه ، وفيه يقول (عليه السلام) :

« . . عرِّفْ ـ أَطالَ الله بقاءك ، وعرَّفك الخير كلَّه ، وخَتَم به عملَك ـ مَنْ تثق بدِينه وتَسكُن الى نِيَّته ، من إخواننا ـ أدام الله سعادتَهم ـ : بأنَّ محمد بن علي المعروف بالشلمغاني ـ عجَّل الله له النقمة ولا أمْهَله ـ قد إرتدَّ عن الإسلام وفارقَه ، وأَلحَدَ في دين الله ، وادَّعىٰ ما كَفر معه بالخالق ـ جَلَّ وتعالىٰ ـ وافْترىٰ كذباً وزوراً ، وقال بُهتاناً وإثماً عظيماً ، كَذِب العادلون بالله وضلُّوا ضلالاً بعيداً وخَسِروا خُسراناً مُبيناً .

وإنّا بَرئْنا إلى الله تعالىٰ والى رسوله وآله (صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم) منه ، ولعَنّاه ، عليه لعائنُ الله تَترىٰ ، في الظاهر منّا والباطن ، والسِرِّ والعَلَن ، وفي كل وقت ، وعلى كل حال وعلى مَن شَايعه وبايَعه ، وبَلَغه هذا القول منّا فأقام على تولِّيه بعدَه .

وأعْلمْهم ـ تَولّاك الله ـ أنّنا في التَوقّي والمُحاذَرَة منه ، عَلىٰ مِثْل ما كُنّا

عليه ممَّنْ تَقَدَّمه مِن نُظَرائه مِن الشريعي والنميـري والهلالي والبـلالي وغيرهم .

وعادةُ الله ـ جلَّ ثناؤه ـ مع ذلك قَبْله وبعده ـ عندنا جميلة ، وبه نثق ، وإيّاه نَستعين ، وهو حَسْبُنا في كل أمورنا ونعم الوكيل »[١] .

وقد صدر هذا التوقيع الشريف ، حين كان الشيخ الحسين بن روْح مَسجوناً في دار المقتدر العبّاسي ، وبالرغم من ذلك فقد سلَّم الشيخ هذا التوقيع الى أحد اصحابه ، وأَمَره أن يوزِّعه توزيعاً عاماً بين الشيعة ، فانتشر ذلك بينهم ، واتفقوا على لَعْنه والبراءة منه والإبتعاد عنه .

أمّا إنحرافاته : فمنها أنه كان يقول بالحُلول والتناسُخ ، أي : يدَّعي أنَّ الله تعالىٰ قد حلَّ فيه ، ويقول لأتباعه : إنَّ روح رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إنتقلت الى محمد بن عثمان (النائب الثاني للإمام المهدي) وانَّ روح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إنتقلت الى بدن الشيخ الحسين بن روح ، وان روح فاطمة الزهراء (عليها السلام) إنتقلت الى أمّ كلثوم بنت محمد بن عثمان . ويدَّعي لأصحابه أنَّ هذا سِرٌّ عظيم ، ينبغي أنْ يظلَّ مكتوماً .

ويلتقي الشلمغاني والحلّاج على خط واحد وهو خط الكفر والإلحاد . ولا نعرف ـ بالضبط ـ كيف تكوَّنتْ ـ في هؤلاء ـ هذه العقيدة المنحرفة ؟! وما الذي دعاهم الى هذا الإختلاق والكذب العظيم ، والإفتراء المبين ، والكُفْر المكشوف ؟!

(١) كتاب الإحتجاج للشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ . طبع بيروت سنة ١٤٠١ هـ .

وكان الشيخ الحسين بن روح قد وثّق الشلمغاني عند بَني بسطام ، فكانوا يُوالونه ويَسمعون كلامه ، ولما إنحرف اللعين جعل يحكي كل كذب وكفر ، لبني بسطام ، ويُسنده الى الحسين بن روح ، فكانوا يقبلون منه ، ويأخذونه عنه .

فلما عَلم الحسين بن روح بذلك ، أنكر ما نسبه الشلمغاني اليه ، ونهىٰ بَني بسطام عن الأخذ بكلامه ، وأمرهم بلَعْنه والبراءة منه ، فلم ينتهوا عن ذلك ، بل أقاموا على موالاته .

ولما علم الشلمغاني أنَّ الشيخ الحسين بن روح قد أمَر بلَعْنه والبراءة منه ، راح يُراوغ ويُخادع ، بتأْويل اللعن الى معانٍ واهية ، تخلُّصاً منه .

وقد بَذَل الحسين بن روح جهوداً كثيرة ، لفَضْح الرجل وكشْف حقيقته عند الشيعة ، ولم يترك أحداً إلّا وكاتبَه بلعن الشلمغاني والبراءة منه وممن تابَعه ورضي بقوله .

وعلى أثر ذلك إنتشر خبر لعنه بين الناس ، وصار حديث المجالس ، فاشتد الأمر على الشلمغاني ، وحاول أنْ يتخلَّص من هذا المأْزق ، فقال لجماعة من الشيعة : إجمعوا بيني وبين الحسين بن روح ، حتى آخذ بيده ويأخذ بيدي ، فان لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه فجميع ما قاله فيَّ حق !

ووصل خبر الشلمغاني وانحرافه الى الراضي ـ الحاكم العباسي يومذاك ـ فأمر بالقاء القبض عليه ، فاختفىٰ الشلمغاني ، وصار ينتقل من بيت الى بيت ، وكان إبن مُقلة ـ الوزير ـ يبحث عنه حتى وجده فالقىٰ القبض عليه ، ووجد عنده رسائل كتبها اليه بعض أتباعه ، وخاطبوه فيها

بكلمات لا تليق إلا بالله تعالى مثل : يا إلهي وسيِّدي ورازِقي !

وأخيراً ساقوه الى محكمة تشكَّلت مِن الفقهاء والقُضاة ورؤساء الجيش ، وبعد محاكمات عديدة ، إتَّفَقت كلمتهم على قتله ، فضربوه بالسياط ، ثم ضربوا عُنقه ، وأحرقوا جُثَّته ، والقوا رمادها في نهر دجلة .

٧ ـ أبو دُلف الكاتب :

أبو دُلَف محمد بن المظفَّر الكاتب الأزدي . إدّعىٰ السفارة كِذباً وزوراً ، وقال فيه جعفر بن قولويه : « وأمّا أبو دلف الكاتب ـ لاحاطه الله ـ فكنّا نعرفه مُلْحداً ، ثم أظهر الغُلوَّ ، ثم جُنَّ وسُلْسِل[١] ثم صار مِن المفوِّضة[٢] . وما عرفنا ـ قَطُّ ـ إذا حضرَ في مجلس إلّا استُخفَّ به ، ولاعَرفتْه الشيعة إلا مدة يسيرة[٣] والجماعة تتبرّأ منه وممن يومي اليه ويتنمَّس به »[٤] .

وأمّا إنحرافاته : فمنها أنه كان مِن المُخَمِّسة وهم طائفة مِن الغُلاة تقول : إنَّ الخمسة ـ وهم سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، وعمّار ، وعمرو بن أُمية الضمري ـ هم الموكَّلون بمصالح العالَم مِن قِبَل الرب[٥] .

---

(١) أي : صار مجنوناً وقُيِّد بالسَلاسِل .

(٢) المفَوِّضة : قومٌ قالوا : إنَّ الله خلَق محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وفوَّض إليه خَلَقَ الدنيا ، فهو الخَلّاق لما فيها ، وقيل : فوَّض ذلك الى الإمام علي (عليه السلام) . وفي الحديث « مَنْ قال بالتفويض فقد أخْرَجَ الله عن سُلطانه » . ـ مجمع البحرين للطريحي ـ .

(٣) إشارة الى انها تبرأت منه فور انحرافه .

(٤) أي : ينتسب اليه ، ويسير على خَطِّه .

(٥) ذَكَرَ ذلك البهبهاني في التعليقة .

وقيل : المخمِّسة فِرْقة مِن الغُلاة تقول بأُلوهيَّة أصحاب الكساء الخمسة : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) وأنهم نور واحد ، والروح حالَّةٌ فيهم بالسَويَّة ، لا فضل لأحدهم على الآخر[1] .

وعلى كل حال . . فهو قائل بالحُلول ، كافر نجس ، ضالٌّ مُضِلٌّ ، والمعروف أنه كان مجنوناً وهذه الخرافات منبعثة مِن جنونه وزوال عقله .

٨ ـ محمد بن أحمد البغدادي :

أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي . من العجيب أنه كان حفيد عثمان بن سعيد (النائب الأول) وادَّعىٰ ـ كذباً وزوراً ـ أنه سفير من قِبَل الإمام المهدي (عليه السلام) .

وكان قليلَ العِلم ، ضعيف العقل ، وكفىٰ في جَهْله أنه كان يَتبع أبا دُلَف ، ويؤمن بأباطيله وكُفْريّاته .

ويُذكَر : أنه دخل يوماً مجلسَ عمِّه محمد بن عثمان ـ النائب الثاني ـ وكانوا يتذاكرون حول الأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) فقال محمد بن عثمان للحاضرين : أَمْسِكوا ـ أي : أُسكتوا ـ فإنَّ هذا الجائي ليس مِن أصحابكم .

وقد كان هذا المنافق يتلوَّن كل يوم بلون من الألوان ، ومرَّة إدَّعىٰ أنه وكيل لليزيدي في البصرة ، وجَمع مالاً عظيماً ، فقَبَضَ عليه وضَرَبه

(١) نَقَلَ ذلك الشهرستاني في كتاب الملل والنحل ج ٢ ص ١٣ .

على رأسه ضربة شديدة ، نَزَلَ الماء في عينيه ، فعمى ومات[١] .

(١) اقتبسنا هذه المواضيع في تراجم هؤلاء من كتاب (رجال الكشّي) ، وتنقيح المقال للمامقاني ، وكتاب الغَيبة للطوسي ، وكتاب بحار الأنوار للمجلسي (رحمة الله عليهم) .

الفصل العاشر

مَن الذي رآه في الغيبة الصغرى ؟

بعد أن اعتبرنا مبدأ الغيبة الصغرىٰ من ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) يمكن لنا أنْ نقسِّم الذين فازوا بلقائه الى قسمين ـ مع ذِكْر بعضهم بالإجمال وبعضهم بالتفصيل ـ :

١ ـ الذين فازوا بلقائه في حياة والده الإمام العسكري (عليه السلام) .

٢ ـ الذين تشرَّفوا بلقائه بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) .

القسم الأول:

١ ـ السيدة حكيمة عمَّة الإمام العسكري (عليه السلام) فلقد حضرتْ ولادةَ الإمام المهدي (عليه السلام) ـ وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل ـ ورأتْه بعد ذلك مرّات عديدة .

٢ ـ « نسيم » جارية الإمام العسكري (عليه السلام) قالت : دخلتُ عليه (أي : على الإمام المهدي) بعد مَولِده بلَيلة[١] فَعَطَستُ عنده ، فقال لي : « يَرْحمكِ الله » .

قالت نسيم : ففرحتُ بذلك .

---

(١) وفي رواية : بعد مولده بعشر ليال .

فقال لي (عليه السلام) : « ألا أُبَشِّركِ بالعطاس » ؟

فقلت : بلىٰ يا مولاي .

فقال : « هو أمانٌ مِن الموت ثلاثة ايام »[١] .

٣ ـ جماعة مِن أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) فقد رُوي عن أبي غانم الخادم قال : وُلِدَ لأبي محمد ولَد فسمّاه محمداً ، فعرَضَه على أصحابه في اليوم الثالث وقال : « هذا صاحبكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، وهو القائم الذي تَمَتدُّ إليه الأعناق بالإنتظار ، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً ، خرج فَملأها قِسطاً وعدلاً »[٢] .

٤ ـ أربعون رجلاً ـ تقريباً ـ شاهدوا الإمام المهدي (عليه السلام) حين أخرَجَه أبوه الإمام العسكري (عليه السلام) اليهم وقال لهم : « هذا إمامكم مِن بَعْدي ، وخليفتي فيكم ... » وقد ذكرنا ذلك ـ بالتفصيل ـ في الحديث عن النائب الأول عثمان بن سعيد .

٥ ـ أبو الأديان . وقد مرَّ خَبره في ذِكْر وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) .

٦ ـ الشيخ الجليل أحمد بن اسحاق القُمي الأشعري .

قال دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) وأنا أُريد أنْ أسأله عن الخَلَف بعده ، فقال لي ـ مبتدِءاً ـ : « يا أحمد بن إسحاق إنَّ الله (تبارك وتعالىٰ) لم يُخْلِ الأرضَ ـ منذ خَلَق آدم (عليه السلام) ولا

---

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٣٠ ، كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ١٣٩ .
(٢) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٣١ طبع طهران سنة ١٣٩٥ هـ .

يُخْليها الى أنْ تقوم الساعة ـ مِن حُجَّةٍ لله على خَلْقه ، به يَدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه يُنزِّل الغَيْث ، وبه يُخرِج بَركات الأرض » .

قال : فقلت : يا بن رسول الله . . فمَن الإمام والخليفة بعدك ؟

فَنَهَض (عليه السلام) مُسْرِعاً فدخل البيت ، ثم خرج وعلىٰ عاتقه غلامٌ كأنَّ وجْهَه القمر ليلةَ البَدْر ، مِن أبناء الثلاث سنين ، فقال : « يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتُك على الله (عزَّ وجل) وعلى حُجَجِهِ ، ما عَرضْتُ عليك إبني هذا .

انه سَميُّ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وكَنِيُّه ، الذي يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً . . كما مُلئتْ جَوْراً وظُلْماً .

يا أحمد بن إسحاق . . مَثَلُه في هذه الأُمَّة مَثَل الخِضْر ، وَمَثَلُه مَثَل ذي القَرنين ، والله لَيَغيبَنَّ غَيبة لا ينجو فيها مِن الهَلَكة إلّا مَن ثَبَّتَه الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ على القول بإمامته ، ووَفَّقَه فيها للدعاء بتَعْجيل فَرَجه » .

قال أحمد بن إسحاق : فقلت له : يا مولاي فهل مِن علامة يَطْمئنُّ إليها قلبي ؟

فَنَطق الغلام (عليه السلام) بلسان عربي فصيح فقال : أَنا بقيَّة الله في أرضه ، والمنتقم مِن أعدائه ، فلا تَطلُبْ أَثَراً بعد عَين يا أحمد بن إسحاق[1] .

---

(١) «فلا تَطلبْ أثَراً بعد عَين» : قد يَفحَصُ الإنسان عن الأثر كي يَعرِفَ المؤثِّر ، أمّا إذا وجَدَ المؤثِّر فلا داعي للفَحْص عن الأثَر ، ولعلَّ معنى كلام الإمام (عليه السلام) : « لا تَطلبْ أثراً بعد عين » انك وجَدْتَ إمامَك ، فلا تفحص عن الأدلَّة والعَلامات التي يفحص عنها الشاكُّون .

قال أحمد بن إسحاق : فخرجتُ مسروراً فَرِحاً ، فلما كان مِن الغَد عُدْتُ إليه ، فقلت له (أي : للإمام العسكري) يا بن رسول الله لقد عظُم سُروري بما مَنَنْتَ به عليَّ ، فما السُّنَّة الجارية فيه مِن الخِضْر وذي القَرنين ؟

فقال (عليه السلام) : طولُ الغَيبة يا أحمد .

فقلت : يا بن رسول الله وإنّ غَيبتَه لَتطول ؟

قال : إي وربّي ، حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، فلا يبقى إلّا مَنْ أَخذ الله (عزَّ وجلَّ) عَهْدَه بولايتنا ، وكَتَبَ في قلبه الإيمان ، وأيَّده بروحٍ منه .

يا أحمد بن إسحاق : هذا أمرٌ مِن أمْر الله ، وسِرٌّ من سِرِّ الله ، وَغيْبٌ من غيب الله[1] ، فَخُذْ ما آتيتُك وكُنْ مِن الشاكرين ، تَكُن غداً مَعَنا في عِلِّيِّين[2] .

٧ ـ يعقوب بن منقوش :

قال : دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو جالس على دُكّان في الدار[3] وعن يمينه بيتٌ عليه سِتْرٌ مُسْبَل ، فقلت له : يا سيدي . . مَن صاحب هذا الأمر ؟

(١) تقدَّم الكلام أن عِلْم الغَيب شيء ، والإطّلاع على عِلْم الغيب شيء آخر .

(٢) عِلِّيين : إسمٌ لأعلى دَرَجات الجنَّة . المصدر : إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ، طبع طهران ١٣٩٥ هـ .

(٣) الدُكّان : الدَكَّة التي يجُلَس عليها . البيت : أي الحُجْرة . مُسْبَل : أي مُرْخىٰ ، يُقال : أسْبَلَ السِترْ : أي أرْخاه .

فقال : إرفع السِتْر .

فرفعتُه ، فخرج الينا غُلام خُماسي[١] له عَشْر أو ثَمان ـ سنوات ـ أو نحو ذلك ، واضِح الجَبين ، أبيضُ الوجْه ، دُرِّي المقْلَتَينْ[٢] شَثْنُ الكَفَّين [٣] مَعْطُوفُ الرُكْبَتَين[٤] في خَدِّه الأيمن خال ، وفي رأسه ذُؤابة[٥] . فجلسَ على فخذ أبي محمد (عليه السلام) .

فقال (أي : الإمام العسكري) : هذا صاحبكم .

ثم وَثَبَ (أي : قام الإمام المهدي لِيَذْهب) فقال له : يا بُني أُدخل الى الوقت المعلوم .

فدخل البيت وأنا أنظر اليه .

ثم قال (أي : الإمام العسكري) لي : يا يعقوب أُنظر مَن في البيت .

فدخلتُ فما رأيتُ أحداً[٦] .

القسم الثاني :

وأمّا الذين تَشرَّفوا برؤية الإمام المهدي بعد وفاة والده الإمام

---

(١) خُماسي : أي طولُه خمسة أشبار ، كما في كتاب (النهاية) لإبن الأثير ، و (مجمع البحرين) للطُريحي . وتقدير عمر الامام كان حسب رأيه الشخصي .

(٢) دُرّي المقلتين : أي متلألأ العَيْنين .

(٣) شَثْن الكفْين : أي يَميلان الى الغلظ ، لأن الشثن : هو الغليظ .

(٤) مَعطوف الركبتين : أي كانتا مائلتين الى الأمام لِعظمهما وغلظهما .

(٥) ذُؤابة : المضْفُور مِن شعر الرأس .

(٦) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٣ ص ٤٣٧ .

العسكري (عليهما السلام) في أيام الغَيبة الصغرىٰ فكثيرون يَصْعب إحصاؤهم ، وإليك أسماء بعضهم :

١ ـ أبو الأديان ، وقد مرَّ خَبَره في الحديث عن وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) .

٢ ـ حاجز بن يزيد الوشّاء ، وقد صار بعد ذلك مِن وكلاء الإمام المهدي (عليه السلام)[1] .

٣ ـ جعفر بن علي ـ عمّ الإمام المهدي ـ وقد ذَكْرنا أنه لمّا أراد أنْ يُصلي على جُثمان الإمام العسكري خرج اليه الإمام المهدي وجَذَب رداءه وقال : تنحَّ يا عَمّ ، أنا أوْلىٰ بالصلاة على أبي .

ورآه جعفر مرَّة أُخرىٰ ، وذلك حينما نازَعَ في الميراث ـ بعد وفاة الإمام العسكري ـ فظهَر له الإمام المهدي مِن موضع لم يَعْلَم به فقال له : يا جعفر ! ما لَكَ تتعرَّض في حقوقي ؟! ثم غاب عنه[2] .

ورآه مرَّة ثالثة ، وذلك حينما تُوفِّيتْ والدة الإمام العسكري (عليه السلام) وكانت قد أوصَتْ أن تُدْفن في الدار التي دُفِنَ فيها الإمامان الهادي والعسكري (عليهما السلام) فنازَعَهم جعفر وقال : هي داري . . لا تُدفَن فيها ، فظَهَر له الإمام المهدي (عليه السلام) وقال له : يا جعفر . . أَدارُكَ هي ؟! ثم غاب عنه فلم يَرَه جعفر بعد ذلك[3] .

٤ ـ الجماهير التي حضرتْ للصلاة على جثمان الإمام العسكري

---

(١) كان مِن الذين شاهدوا الإمام المهدي (عليه السلام) عند الصلاة على جُثمان الإمام العسكري (عليه السلام) .

(٢ و ٣) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٣ ص ٤٤٢ . طبع طهران سنة ١٣٩٥ هـ .

(عليه السلام) كلُّها شاهدت الإمامَ المهدي حين تقدَّم للصلاة علىٰ والده .

٥ ـ الوفد الثاني من القُمِّيِّين الذين تَشرَّفوا بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) في مدينة سامرّاء ، وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل .

٦ ـ سيماء ـ وهو مِن غلمان جعفر أو شرطة المُقتَدِر العبّاسي ـ كَسَر باب دار الإمام العسكري (عليه السلام) فخرج اليه الإمام المهدي وبيده طَبَرْ زين[1] فقال : ما تَصنع في داري ؟

قال سيماء : إنَّ جعفراً زعَمَ أنَّ أباك مضىٰ ولا ولد له ، فإنْ كانتْ دارُك فقد انصرَفْتُ عنك . ثم خرجَ مِن الدار[2] .

٧ ـ إبراهيم بن إدريس ـ وكان مِن أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ـ .

قال : رأيتُه ـ أي : الإمام المهدي ـ بعد مُضيٍّ ـ أي : وفاة ـ أبي محمد العسكري (عليه السلام) حين أَيْفَع[3] وقبَّلتُ يده ورأسَه[4] .

٨ ـ علي بن مَهْزيار تَشَرَّف بلقاء الإمام في وادي جَبَل الطائف ، ومَكَثَ عنده أيّاماً ، وحديثه مُفْصَّل جِدّاً[5] .

---

(١) طَبَرْ زين : فأسٌ كبيرة ، تُستَعمل كسِلاح .

(٢) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٦٢ طبع طهران ١٣٩٨ هـ .

(٣) أيْفَعَ الغُلام : راهَقَ العشرين مِن العمر ، وقيل : إذا شارَفَ الإحتلام ولم يحتَلم . أي : مِن أبناء أربع عشْرة سنة .

(٤) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٦٢ ، و(بحار الأنوار) للشيخ المجلسي ج ٥٢ ص ١٤ .

(٥) ذَكَر حديثَه وقصَّته الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) ج ٣ ص ٤٦٥ ـ ٤٧٠ ، والشيخ الطوسي =

٩ ـ النائب الثاني محمد بن عثمان، سُئِلَ : أرأيتَ صاحبَ هذا الأمْر ؟

فقال : نعم ، وآخِرُ عَهْدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : « اللهمَّ أنْجِزْ لي ما وعَدْتَني »[١] .

ورُويَ عن عبد الله بن جعفر الحمْيَري قال : سمِعتُ محمدَ بن عثمان العمْري (رَضِيَ الله عنه) يقول : رأيتُه ـ أي الإمام المهدي ـ (صلوات الله عليه) مُتعلِّقاً بأسْتار الكعبة في المُسْتَجار[٢] وهو يقول : « اللهمَّ انتَقِمْ لي مِن أعدائي »[٣] .

هذا . . والذين تَشرَّفوا بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) في الغَيبة الصغرىٰ كثيرون ، يطول الكلام باستيعاب أخبارهم ، وفيما ذكَرْناه كفاية .

= في كتاب (الغَيبة) ص ١٥٩ ـ ١٦١ ، والشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) ج ٥٢ ص ٤٢ ـ ٤٦ .

(١) إكمال الدين ج ٢ ص ٤٤٠ ، وكتاب (الغَيبة) ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٢) المُستجار : هو الحائط المقابل للباب دون الركن اليماني ، لأنه كان قبل تجديد الكعبة هو الباب ، سُمِّيَ بذلك لأنه يُستَجار عنده بالله مِن النار . مجمع البحرين للطُريحي .

(٣) وفي نسخة : « مِن أعدائك » . إكمال الدين ج ٣ ص ٤٤٠ وكتاب (الغَيبة) ص ٢٢٢ .

مُحاولة فاشلة لاغتيال الإمام المهدي عليه السلام

لقد سكن الإمام المهدي (عليه السلام) في مدينة سامراء بعد وفاة والده فَتْرةً لا نَعْلَم مقدارها بالضبط ، إلا أنَّ الكثيرين تشرَّفوا بلقائه في سامراء ، وسلّموا الأموال اليه هناك .

ومن الطبيعي أنَّ السُلطة ـ يومذاك ـ كانتْ تَعتَبِر وجودَ الإمام المهدي (عليه السلام) خَطَراً عليها ، وما كانت تَغْفَل عن وجود هذا الخطر ، وعن الخَطِّ الشيعي الذي لا يَعترف بخلافة الجالسين علىٰ منصَّة الحُكم مِن العبّاسيين .

ولهذا كان سفراء الإمام المهدي (عليه السلام) يَنْتَهِجون سُلوكاً وأُسلوباً خاصّاً مَقْروناً بالحَذَر ، لكي يَدفعوا عن أنفسهم كلَّ شك ، وحتىٰ يَسْلَموا مِن مُطارَدَة السُلطة لهم .

وقد حاولت السُلطة ـ مَرّات عديدة ـ إلقاء القبض على الإمام المهدي (عليه السلام) وإغتياله ، إلا أنَّ جميع مُحاولاتـها باءَتْ بالفَشَل .

وقد مرَّ عليك أنَّ السُلطة ألقت القبض على السيدة نَرْجِس بَحثاً عن الإمام المهدي (عليه السلام) فلم يَظْفروا به .

وأخيراً . . . وبعد مرور تسع عشرة سنة ، أصبحتْ بغداد عاصمة العبّاسيين ـ بعد أنْ كانت سامرّاء عـاصمة لهم ـ وانتقـل اليها جهـاز الحُكْم ، والمعتضِد ـ يومذاك ـ هو المُدَّعي للخلافة ، وهو رئيس الدولة وصاحب القوّة والإمكانيّات .

فقرَّرَ المعتضِد إغتيال الإمام المهدي (عليه السلام) فأرسل إلىٰ ثلاثة مِن المُقرَّبين لديه ، وأمَرَهم بالخروج الى سامراء ، بصورة متفرِّقة ، وأنْ لا يَصْحَبوا معهم مَتاعاً ، قليلاً ولا كثيراً ، ووَصف لهم محلَّةً في سامراء وداراً فيها ، وقال : إذا أتيتموها ـ أي الدار ـ تجدون على الباب خادماً أسود ، فاكبِسوا الدار ، ومَنْ رأيتم فيها فأتوني برأسه .

والآن . . لنقرأ ما قاله أحد هؤلاء الثلاثة ـ وإسمه رَشيق ـ وهو يَحْكي محاولةَ الإغتيال :

قال : (فوافَينا سامرّاء ، فوجَدْنا الأمْر كما وصَفَه ، وفي الدِهْليز خادم أسود ، وفي يده تِكَّة يَنْسِجُها[1] فسألْناه عن الدار ومَن فيها ؟ فقال : صاحبُها .

فوالله ما التفتَ الينا ، وقَلَّ إكتراثُه بنا ، فكَبَسْنا الدار[2] كما أُمِرْنا ، فوجدْنا داراً سرية ومُقابل الدار سِتْر ، ما نظرتُ قَطُّ الى أنبلَ منه ، كأنَّ الأيدي رُفعتْ عنه في ذلك الوقت ، ولم يكن في الدار أحد ، فرفَعْنا السِتْر ، فإذا بيتٌ كبير ، كأنَّ بَحْراً فيه ماء ، وفي أقصىٰ البيت حَصير قد عَلِمْنا أنَّه على الماء ، وفوقَه رجلٌ مِن أحسَن الناس هيئةً قائم يُصلِّي ، فلم يَلتفِت إلينا ، ولا الى شيء مِن أسْبابِنا .[3]

فسَبق أحمد بن عبد الله ـ أحد الثلاثة ـ لِيَتَخطّىٰ البيت ، فغرق في الماء ، وما زال يَضطَرِب حتى مَدَدْتُ يدي إليه فخلَّصْتُه وأخرجتُه ، وغُشي عليه وبقي ساعة مَغْشِيّاً عليه ، وعاد صاحبي الثاني الى ذلك الفِعْل ، فناله

---

(١) الدِهْليز : مَدْخَل الدار ، أي : ما بين الباب وصحن الدار . التكَّة : رباط السَراويل .

(٢) الكَبْس : الهُجوم والإقتحام .

(٣) أسبابنا : أي أسلحتنا التي كُنّا قد اصطحبناها معنا لإغتياله .

مثل ذلك .

وبقيتُ مبهوتاً . . فقلتُ - لِصاحب البيت - : المعْذِرة الى الله وإليك ، فوالله ما علمتُ كيف الخبَر ، ولا إلى مَن أجيىء ، وأنا تائب الى الله .

فما التفتَ الى شيء ممّا قُلْناه ، وما انفَتَل عمّا كان فيه .

فهالَنا ذلك ، وانصرَفْنا عنه .

وقد كان المعتضِد يَنتظِرنا ، وقد تَقدَّم الى الحُجّاب[1] - إذا وافيناه - أنْ نَدْخل عليه في أيِّ وقتٍ كان .

فوافَيْناه في بعض الليل ، فأُدخِلْنا عليه ، فسأَلَنا عن الخَبَر ؟ فحكينا له ما رأينا .

فقال : وَيْحكم ! لَقِيكم أحدٌ قَبْلي ؟ وجرىٰ مِنْكم الى أحدٍ سَبَبٌ أو قول ؟

قلنا : لا .

فقال : أنا نَفيٌ مِن جَدِّي[2] وحَلَفَ بأشدِّ أيْمانٍ له ، أنَّه إنْ بَلَغه هذا الخَبر لَيَضْرِبَنَّ أعناقَنا ! فما جَسَرْنا أنْ نُحدِّث به إلا بعد موته[3] .

يُستفاد مِن هذا الخبر أنَّ الدار التي سَكَن فيها الإمام المهدي (عليه السلام) - في سامرّاء - كانت تحت الرقابة المشَدَّدة ، وكانت التقارير تُرفَع

(١) تقدَّم الى الحُجّاب . . سَبَقَ أنْ قال لهم .

(٢) سيأتي معنى هذه الجملة .

(٣) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ١٤٩ .

الى المعتضِد بصورة مستمرة ، ولهذا كان المعتضِد على عِلْمٍ بوجود غلامٍ أسود في مَدْخَل الدار ، بصورة دائمة ـ حسب التقارير التي وصلتْ اليه ـ .

ولهذا تراه يَختار ثلاثة من حاشيته وجَلاوزته ، ويأْمُرهم بالخروج من بغداد الى سامراء ، بكيفيةٍ خاصَّة ، لا يحملون معهم شيئاً مِن المتاع ، ثم يصف لهم مَحَلَّة مِن مَحلَّات سامراء ، وداراً مُعَيَّنة ، ويأْمُرُهم بـإقتحام الدار ، أي : الدخول بلا إذن . . بل الهجوم بكلِّ قوَّة وشِدَّة ، ويأْمرهم بِقَتْل كلّ مَنْ وجَدوه في البيت .

فتراه لا يُخبرهم باسم ذلك الإنسان المقصود قَتْله ، بل يريد أنْ يكونوا علىٰ عمىً الجهالة ، فلا يعرفوا مَنْ هو المقصود بالقَتْل ؟ ولماذا حُكم عليه بالقتل ؟ وما ذنبه ؟

ويَصِلُ هؤلاء الثلاثة الى مدينة سامراء ، ويَقْتحمون الدار ، فيجدون الغُلامَ الأسود وهو يَنسِجُ التِكَّة بيده ، فلا يَعبأ الغلام بهؤلاء ولا يُبالي بهم ، وكأنَّهم حَشَرات دَخَلَت الدار ، وعندما يسألونه عن الدار ومَن فيها ، تراه يُجيبهم بجوابٍ موجز وبكلِّ هدوء ، يقول : صاحبها . أي : صاحبُ الدار ولا يَذْكر الغُلام هويَّة صاحب الدار ولا إسمه[1] ولا يخفىٰ ما في ذلك مِن التحقير والإستِخْفاف بشأْنهم ، وقد شَعروا بهذا الاستخفاف .

ويَجدون على الباب سِتْراً نَبيلاً ، أي : جيِّداً جديداً كأنَّه قد انتهىٰ نَسْجُه وصُنعُه في ذلك اليوم .

وأخيراً يَقتحمون الدار فيجدون حُجْرة كبيرة مملوءة بالماء ، وكأنها

(١) لعلَّ الإمام المهدي (عليه السلام) هو الذي أعطاه تلك التعليمات .

بحر ، ويرون في اقصىٰ الحُجْرة حصيراً وكأنَّه على الماء ، وعليه رجل حَسَن الهيئة ، وهو يُصلّي ، ولم يَرْتَبك مِن إقتحام هؤلاء ، بل ولم يلتفت اليهم وكأنَّ شيئاً لم يَحدُث .

مِن الواضح أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) إستعان بالمعجزة ، لدفع اولئك الأفراد ، وتَفْنيد خُطَّتهم ، ولكنَّ أحَدهم تحدّىٰ ذلك المنظَر المُرعِب ونزَل الى الماء مُحاوِلاً الوصول الى الإمام عن طريق السباحة ، إلاّ أنه غرق في الماء . . فأنقَذَه (رشيق) وأخرَجَه مِن الماء ، وحاوَل الثاني ما حاوَلَه الأول فكان مصيرُه مصيرَ الأول .

تَبّاً لهذا البَشَر المسكين ، العاجز الطاغي ، الذي يريد أنْ يَتغلَّب على قُدْرة الله تعالىٰ ، ويُخالف إرادته سبحانه .

وفي هذا المجال . . لا أراني بحاجة الى تفسير المُعجزة وتحْليلها على ضوء المادَّة والطبيعة ، لأنَّ المُعجزة فوق هذه المقاييس ، والعقل عاجزٌ عن تحليلها وتفسيرها مِن زاوية مادِّية ، ويكفي أنْ نَعْلَم أنَّ ما رآه رشيق كان معجزة ، والمعجزة لا حدُودَ لها ، ولا تَختصُّ بالنبي ، بل هي عامَّة له ولخلفائه الشرعيِّين : الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

وفي جَوٍّ خارق للطبيعة والعادة ، يَنْتبه رشيق الى أنه أَمامَ مُعْجزة ، وكأنَّه يعيش في عالم آخر غير عالم المادَّة . . ولهذا غَيَّر موقِفَه ، وتحوَّل مِن مُهاجم الى مُعْتَذِر ، فاعتذر إلى الله أوَّلاً ، والى المصلِّي فوق الحصير ثانياً ، وإدَّعىٰ أنَّه لا يَعرف شيئاً عن الدار وصاحبها ، ولا يعرف لماذا امَرَه المعتضِد بقتل صاحب الدار ، وما ذنبه الذي استحق عليه القتل ؟!

ولكنَّ الإمام لم يُبال باعتذاره ، ولم يُغيِّر شيئاً من هيئة الصلاة ،

فإزداد هؤلاء رُعباً وخوفاً . ورَجَعوا الى بغداد فاشلين خاسِئين !

وكان المعتضد على أحَرّ مِن الجَمْر ، ينتظر رجوعَ هؤلاء الثلاثة ، للإطِّلاع على نتيجة العَمَليَّة الإجراميَّة المفوَّضَة إليهم ، وقد أوعـزَ الى الحَرَس أنْ يَسْمَحوا لهؤلاء بالدخول عليه فَوْرَ وصولهم ، وفي أيِّ ساعةٍ مِن ساعات الليل أو النهار .

وعندما دخلوا على المعتضِد وأخبروه بما جرىٰ . سألهم : هل لَقِيَكم أحدٌ قَبْلي ؟ يعني : هل أخبرتُم أحداً بما جرىٰ ؟

قالوا : لا . فَحَلَف لهم بأشدِّ الإيمان وأغْلظِها عنده ، بأُسلوب متعارَف عند سَفَلة الناس وأراذلهم فقال : أنـا نَفْيٌّ - أي مَنفيٌّ - مِن جَدِّي ، وهذا كأن يقول : لستُ إبن أبي ، ؛ أولَستُ إبن حلال إنْ كان الأمر هكذا . ويقول المعتضد : إنْ اخبرتم أحداً بما رأيتُم ، لأضربنَّ أعناقكم ، وهذا أشد تهديد لهم بالقتل إنْ كشَفوا السِتْر عن الحادثة .

محاولة أخرىٰ لإغتيال المهدي (عليه السلام)

بعد أنْ رأىٰ المعتضِد أنَّ المحاولة باءتْ بالفشل ، أراد أن يتخذ الإجراءات بصورة أوسع وأقوىٰ .

أُنظُرْ الى عقليته السخيفة ورأيه الفاسِد ونَظْرته الحمقاء . . حيث إنَّه في الوقت الذي يَعْلم أنَّ الأمر مِن عند الله تعالىٰ وأنَّ الله هو الحافظ للإمام المهدي (عليه السلام) وأنَّ الإمام مُسلَّح بسِلاح المعجزة . . مع ذلك كلِّه ، لا يعود اليه وعْيه ورُشْده ، بل يَستمرُّ على عِناده وجَبَروته ، ويحاول التغلّب على إرادة الله تعالىٰ .

وفي هذا المجال . . يُحدِّثنا رشيق أيضاً عن المحاولة الأُخرى لإغتيال الإمام ، ولعلَّه كان حاضراً بنفسه مع الجيش :

يقول : « . . . ثم بَعَثُوا عسْكراً أكثر ، فلما دخلوا الدار سَمِعوا مِن السِرداب[1] قراءة القرآن فاجتمعوا على بابه (باب السِرداب) وحفظوه ، حتى لا يَصْعد (الإمام) ولا يخرج ، وأميرُهم قائم حتى يَصِلَ العَسْكرُ كلُّهم ، فخرج (اي : الإمام) مِن السِكَّة التي على باب السِرداب ومَرَّ عليهم ، فلما غـاب قال الأمير : إنزلوا عليه .

قالوا : أليس هو مَرَّ عليك ؟

قال : ما رأيتُ ! ولِمَ تركْتُموه ؟

قالوا : إنا حَسِبْنا أنَّكَ تَراه)[2] .

نعم . . أرسَـلَ المعتضِد جيشـاً ـ لا نعلم عـدَده بـالضبط ـ الى سامراء ، لإغتيال الإمام المهدي (عليه السلام) أو إلقاء القبض عليه ، فدَخَلوا الدار وسَمعوا صوتَ الإمام يَتْلو القرآن مِن السرداب ، فوقف قائد الحَمْلة يَنتظر وصول الجيش كلّه حتى ينزلوا الى السرداب ويُنفِّذوا ما أمَرَهم المعتضِد .

أُنظر إلى هؤلاء الجُبناء ، كيف يَتَّخذون التَدابير الطويلة العريضة ، لإلقاء القبض علىٰ إنسان واحد .

وهنا شاءتْ الإرادة الإلهيَّة أنْ يَتحدّاهم الإمام (عليه السلام)

(١) السِرداب ـ بكسْر السين ـ بناء تحت الأرض يُلْجأ اليه مِن حَرِّ الصيف .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٥٢ ـ ٥٣ ، نقلاً عن كتاب (الخرايج) .

فتنْطَبع جِباهُهم بوصْمة الخِزْي والفَشَل أكثر مِن المحاولة السابقة ، ففي لحظة مِن تلك اللحظات ، خرج الإمام (عليه السلام) مِن السرداب ، ومَرَّ على الجيش فرأوه ، ثم ذهب وغاب .

يَبدو أنَّ قائد الحَمْلة كان مُتشَتِّت الفِكْر ، مُرْتَبِك النَفس وأنَّ الله جعَلَ أمامَ عَيْنيه سَدّاً فأغْشاه ، فلم يرَ الإمام المهدي (عليه السلام) حينما رآه الجيش . .

وعندما رأى الجيش أنَّ القائد لم يأْمره بشيء ـ عند خروج الإمام المهدي مِن السرداب ـ ظنَّ أنَّ القائد رأى الإمام ولكنَّه لم يَتكلَّم بشيء .

وهكذا حفظَ الله الإمام مِن تلك المحاولات الفاشلة التي قام بها أُولئك السَفَلة ، وسوف يحفظه ويَحرسه الى يوم ظهوره .

قَضية السرداب :

وما دام قد وصَل الكلام الى هذا المجال ، فلا بأس أنْ نتحدَّث عن موضوع لا يَخْلو مِن أهميَّة :

إنَّ اكثر البيوت والمساكن في المناطق الحارَّة في العراق ، كانت ولا تزال مُزوَّدة بالسِرداب[1] لإتّقاء حَرارة الصَيف .

وكانت دار الإمام العسكري (عليه السلام) في مدينة سامرّاء أيضاً مُزوّدة بالسِرداب ، وقد قرأتَ أنَّ رشيق ـ وهو راوي خَبَر محاولة

---

(١) تقدَّم معنى السِرداب .

الإغتيال ـ حدَّثنا أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) خرج مِن السِرداب ، حين كانت الدار مطوقة بالجيش لإلقاء القبض عليه ، ثم غاب عنهم .

والسِرداب لا يزال موجوداً في جوار مرقد الإمامين : الهادي والعسكري (عليهما السلام) ومِن الطبيعي أنَّ بناءه قد تجدّد خلال هذه القرون ، ولكنّه المكان نفسُه لم يَتغير ، والزُوّار يحترمون هذا السرداب ، لشرافته وقُدْسيَّته ويتبرَّكون به لأنَّه كان مَسْكناً لثلاثة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهذا هو الشأْن في بيوت النبي والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) حيث إنها بيوت مباركة قد أذِنَ الله أنْ تُرفَع ويُذْكَر فيها اسمه ولهذا فإنَّ المسلمين الشيعة يُصلون لله هناك ويَزورون ، ولا يعتقد أحد منهم أنَّ الإمام يَسكن في السرداب ، أو أنَّه يَظْهَر منه ، فالسِرداب ليس إلاّ مكان إكتَسَب الشَرَف والبَرَكة ، وكأنَّهم يَتمَثَّلون بقول الشاعر :

ومـا حُبُّ الـدِيـار شَغَفْن قَلْبي ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الـدِيـارا

هذه خلاصة قضيَّة السرداب وحديثه ، ولكن تعال معي وانظُرْ الى الكذّابين الدجّالين ، الذين كانوا ولا يزالون يُهرِّجون باسم السرداب ويستهزؤ ن بالشيعة الذين يعتقدون بغَيبة الإمام المهدي (عليه السلام) في السرداب ، مع العِلم أنَّه لا يوجد ـ ولم يوجد ـ أحدٌ مِن الشيعة يعتقد بأنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) غاب في السرداب ، أو أنَّه ساكن ومُقيم فيه .

ولكنَّ المُنحرِفين والمستهزئين يكتُبون ما يُريدون ، ويقولون ما يشتهون ، بلا رادع ديني ، ولا حياء ولا خجَل مِن الناس ، ولا خوف من الله تعالىٰ .

وقد بَلَغَ الجَهْل والحِقْد بأحَدِهم الى أنْ يَنْظِم شِعْراً في هذا الموضوع ويقول :

ما آنَ للسِرداب أنْ يَلِدَ الذي سَمَّيْتُمُوه بِزَعْمِكم إنساناً

وقد بقيتْ هذه الأُكذوبة ـ خلال هذه القرون ـ تنتقل من كاتبٍ الى مؤلِّف ، ومِن جاهل الى حاقِد ، ومن كذّاب الى دجّال ، وتتطوَّر في عالَم الوَهْم والخيال ، حتى بَلَغَ الجهل بأحدهم أنْ يَذْكر في كتابه : إنَّ السرداب (المزعوم !) في مدينة الحِلَّة بالعراق ! مع العِلْم أنَّ المسافة بين الحِلَّة وسامراء تبلغ ٣٠٠ كيلو متراً تقريباً !

ويأتي آخر ويُضيف الى هذه الأُكذوبة ـ مِن نَسيج خياله ـ تُهْمة أُخرىٰ وافتراءاً آخر ، فيقول : إنَّ الشيعة يأتون ـ في كلٍّ جمعة ـ بالسلاح والخيول الى باب السرداب ، ويصرخون ويُنادون : يا مولانا أُخرُجْ إلينا !.

ويا ليت هؤلاء المنحرفين إتَّفقوا ـ في هذه الأُكذوبة ـ على قول واحد ، حتى لا تنكشف سوءَتُهم ، ولا تتساقط أقنعتهم المزيَّفة ، ولكن أبىٰ الله إلاّ أنْ يُظهر الحق ويَدْمَغ الباطل ويفضحه ، فتراهم يتفرقون على أقوال متناقضة ، فيقول أحدهم : إنَّ هذا السرداب في الحِلَّة ، ويقول آخر : إنَّه في بغداد ، ويقول ثالث : إنَّه في سامراء ، ويأتي القُصَيْمي مِنْ بعدهم فلا يدري أين هو ، فيُطْلق لفظ السرداب ، ليستر سوءته .

أمّا نحن فلا نُعلِّق على هذه الأكاذيب والإفتراءات إلاّ بقول : ألا لَعنةُ الله على الكاذبين . . ألا لَعْنةُ الله علىٰ كلِّ مُفْترٍ أفّاك .

نشاطات الامام المهدي عليه السلام خلال الغيبة الصغرىٰ

إنتقلت الإمامة والخلافة الى الإمام المهدي بعد وفاة والده الإمام العسكري (عليهما السلام) فكان الإمام ـ في الوقت الذي يَعيش في جَوٍّ من الإستتار والإختفاء ، ولا يراه إلّا الأخصّ مِن شيعته ـ مُشْرِفاً على حياة الناس ، ومحيطاً بما يَجري مِن الأحداث ، قابضاً علىٰ زمام القيادة وإدارة الشؤون العامَّة والخاصَّة لشيعته ، وتَدْبير أُمورهم ، والإجابة علىٰ أسئلتهم وحَلِّ مشاكلهم ، وغير ذلك .

فكان (عليه السلام) يأْمر ويَنهىٰ ، ويَعزِل ويَنصِب ، ويُقرِّب ويُبعِّد ، وكأنَّه حاضر في المجتمع . . لا يَغيب عنه شيء .

وكان (عليه السلام) على اتصال تام بسفرائه ووكلائه ، يُسعِفُهم بالأوامر والتعليمات اللازمة ، ويُرشدهم الى ما يجب عليهم حسب الظروف المختلفة ، ويأْمرهم بإتخاذ التدابير الخاصَّة ، إذا اقتضت الحاجة ذلك .

وإليك شيئاً مِن التفصيل في هذا المجال :

لقد مرَّ عليك أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) اَمر الوفد الثاني من أهل قُمْ بمراجعة سفيره عثمان بن سعيد العمْري في بغداد ، ولذلك فإنَّ الشيعة ـ السائرين على خَطِّ الإمام المهدي ـ كانوا يُراجعون عثمان بن سعيد في قضاياهم الفِقهيَّة والماليَّة والإجتماعيَّة ، وهمُ على بَصيرةٍ مِن الأمْر ، لا يَشُكُّون في وثاقة السفير وديانته وأمانته .

فتارةً كانوا يكتبون مسائلهم الفِقهيَّة ، أو قضاياهم الشَخصيَّة ، أو ما يرتبط

بالحقوق الماليَّة ، ويُسلِّمونها الى النائب ، ثم يأتي الجواب بخطّ الإمام المهدي (عليه السلام) .

وتارةً كانوا يطلبون مِن النائب أنْ يَكتب مسائلهم وحوائجهم الى الإمام ، فكان النائب يكتب ذلك ، وبعد فترةٍ قصيرة يُخبرهم بالجواب الصادر مِن الإمام (عليه السلام) أويُريهم جوابَ الإمام في رسالة مُفصَّلةٍ فيها الإجابات على مسائل كثيرة ، وقد لا يُجيب الإمام على السؤال ، لحِكْمَة ومَصلحة يَراها .

وقد كان بعض الشيعة يتنازعون في بعض المسائل العقائديَّة ، فَينْحَلُّ النزاع ويرتفع الإختلاف عند مراجعتهم لأحد النُّواب وعَرْض المشكلة أو المسألة ـ التي إختلفوا فيها ـ عليه ، فيأْتيهم الجواب مِن ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) ويكون كلامُه القولَ الفَصْل ، فيُذْعِن به الجميع .

وفيما يلي نُشير الى نماذج مِن مراجعة الناس للسفراء في مشاكلهم العامَّة أو الخاصَّة :

١ ـ إختَلف جماعة من الشيعة في أنَّ الله عزّ وجل هل فَوَّض الى الأئمة (صلوات الله عليهم) أن يَخْلقوا أو يَرزقوا ؟

فقال قوم : هذا مُحال ، ولا يجوز على الله تعالىٰ ، لأنَّ الأجسام لا يَقدرُ على خَلقها غيرُ الله عزَّ وجَل .

وقال آخرون : بل الله تعالىٰ أقْدر الأئمة على ذلك[1] وفَوَّضه اليهم ، فَخَلقوا ورَزَقوا .

---

(١) أي : مَنَحهم القُدرة على أنْ يخلقوا ويَرزقوا بإذْن الله ، كما مَنَح القدرة لعيسىٰ بن مريم ، فكان يُبرء الأكمة والأبْرَص ويُحيي الموتى بإذن الله تعالىٰ .

فقال قائل : ما بالكم لا تَرْجعون الى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ، فتَسأَلونه عن ذلك ، فيُوضِّح لكم الحق فيه[1] ؟؟ فإنَّه الطريق الى صاحب الأمْر عجَّل الله فَرَجه .

فرضوا بذلك ، وكتبوا المسألة وأرسَلوها إليه ، فخرج اليهم مِن ناحية الإمام (عليه السلام) هكذا : « إن الله تعالىٰ هو الذي خَلَقَ الأجسام وقَسم الأرزاق ، لأنه ليس بجسم ، ولا حَالٌّ في جسم ، ليس كمِثْلِه شيء وهو السَميع العَليم .

وأما الأئمة (عليهم السلام) فإنَّهم يَسأَلون الله تعالىٰ فَيخلق ، ويَسألونه فَيرزق ، إيجاباً لمسْألتِهم ، وإعظاماً لحقِّهم »[2] .

٢ ـ وحَدَث خلافٌ بين الشيعة حول الخليفة مِن بعد الإمام العسكري (عليه السلام) فقال أحدُهم : إنَّ الإمام العسكري مضىٰ ولا خَلَفَ له ، وقال آخرون : كلا . . إنَّه لم يَمض إلاّ بعد أنْ عينَّ الخلَفَ ، ولكي يحْسِموا النزاع كَتَبوا كتاباً حول هذا الموضوع وأنفذوه الى الناحية المقدَّسة ، فورَد الجواب بخطِّ الإمام المهدي (عليه السلام) يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم . عافانا الله وإيّاكم مِن الضَلالَة والفِتَن ، ووَهب لنا ولكَم رُوحَ اليقين ، وأجارَنا وإيّاكم مِن سوء المُنْقَلب .

إنَّه أُنْهيَ إليَّ إرْتيابُ جماعةٍ مِنْكم في الدِين ، وما دخَلَهم مِن الشَكِّ والحَيْرة في وُلاة أُمورِهم ، فَغَمَّنا ذلك لكم . . لا لَنا ، وساءنا فيكم . . لا فينا ، لأنَّ الله مَعَنا ولا فاقَةَ بنا الى غيره ، والحقُّ مَعَنا ، فَلنْ يُوحِشَنا مَنْ قَعَدَ عنّا ، . . .

---

(١) أي : في هذا الموضوع المختلَف فيه .

(٢) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٣٩٨ .

يا هؤلاء . . ما لكم في الرَيْب تتردَّدون ؟! وفي الحَيْرة تنعكسون ؟! أوَما سِمعْتم الله عزَّوجلَّ يقول : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرَسول وأُولي الأمر منكم ﴾**[1] ؟!

أَوَما عَلمْتم ما جاءتْ به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمَّتكم عن الماضين والباقين منهم (عليهم السلام) ؟!

أَوَ ما رأيتم كيفَ جعَلَ الله مَعاقِلَ تأْوون إليها ، وَأعلاماً تَهْتَدون بها ، مِن لَدُن آدم (عليه السلام) إلى أن ظَهَرَ الماضي (عليه السلام) ، كلما غاب عَلَم بَدا عَلَم ، وإذا اَفَل نجمٌ طَلَع نجم ؟!

فلما قَبَضه الله إليه[2] ظَنَنْتم أنْ الله تعالىٰ أبطَلَ دِينه وقَطَع السبب بينه وبين خَلْقه !؟

كلا . . ما كان ذلك ولا يكون حتى تقومَ الساعة ، ويَظْهَرِ أمْرُ الله سبحانه وهم كارهون ، وإنَّ الماضي (عليه السلام) مضىٰ سعيداً فقيداً على منهاج آبائه (عليهم السلام) ، وفينا وصيَّتُه وعِلْمه ، ومَنْ هَوخَلَفه وَمَنْ هويَسُدُّ مَسَدَّه ، لا يُنازِعُنا موضعَه إلاّ ظالم آثِم ، ولا يدَّعيه دوننا إلاّ جاحِدٌ كافر ، ولولا أنَّ أمْرَ الله تعالىٰ لا يُغْلَب ، وسِرُّه لا يظهر ولا يُعلن لظَهَر لكم مِنْ حَقِّنا ما تبين منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ، لكنَّه ما شاء الله كان ، ولكلِّ أَجَل كتاب ، فاتَّقوا الله وسَلِّموا لنا ، ورُدّوا الأمْر إلينا ، فعَلَينا الإصْدار، كما كان مِنّا الإيراد، ولا تُحاولوا كَشْفَ ما غُطِّي

---

(١) سورة النساء / الآية ٥٩ .

(٢) الضمير في « قَبضَه » يعود الى الإمام العسكري عليه السلام ، المعبَّر عنه بـ« الماضي » أي : المُتوفىٰ الذي مضىٰ الى ربِّه .

عنكم ، ولا تَميلوا عن اليمين[١] وتَعْدِلوا الى الشِمال ، وأجعَلوا قصْدَكم إلينا بالمودَّة على السُنَّة الواضِحة ، فقد نَصحْتُ لكم ، والله شاهِدٌ عليَّ وعليكم ، ولولا ما عندنا مِن محبَّة صَلاحِكم ورَحْمتكم والإِشفاق عليكم ، لَكُنّا عن مُخاطَبتكم في شُغل ، فيما قد امتُحنّا به مِن مُنازعة الظالم العُتُلّ الضالِّ المتتابع في غيِّه[٢] المُضادّ لربِّه ، الداعي ما ليس له ، الجاحِد حقّ من افترَضَ الله طاعتَه ، الظالم الغاصِب ، وفي إبنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لي أُسوْة حَسَنَة[٣] وسَيُردي الجاهلَ رداءةُ عَمَله ، وسيَعْلم الكافرُ لمن عُقبىٰ الدار .

عَصَمَنا الله وإيّاكم مِن المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلِّها بِرَحْمته ، فإنَّه وليُّ ذلك والقادِرُ على ما يشاء ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافِظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ، ورحمة الله وبركاته ، وصلّى الله على محمد وآله وسلَّم تَسْليماً »[٤] .

٣ ـ رجلٌ رُزقَ مولوداً ، ومات المولود في اليوم الثامِن ، فكَتَبَ الرجلُ رسالةً الى الإمام المهدي (عليه السلام) يُخْبِر ـ فيها ـ بموت إبنه ، فجاء الجواب من الإمام عليه السلام : « سَيُخلف الله عليك غيره وغيره ، فسمِّه أحمد ، ومن بعد أحمد جعفراً » . فكان كما أخبَر الإمام ، وامتثَل أمْرَ الإمام في إختيار الاسم لَولَديه[٥] .

---

(١) لقد عبَّر القرآن الكريم عن المؤمنين بـ« أصحاب اليمين » وعن الكافرين والمنحرفين بـ« أصحاب الشمال » والظاهر أنَّ الإمام (عليه السلام) يُشير الى ذلك .

(٢) يُحتمل أن يكون المراد : جعفر بن علي الذي أُشير إليه سابقاً ، ويحتمل أن يكون المراد : خليفة ذلك الزمان ، والله العالم .

(٣) يُشير (عليه السلام) الى السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام) ، التي غَصَبوا حَقَّها وظَلَموها وتجاهلوا قَدرها ومكانتها .

(٤) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٧٢ طبع طهران ١٣٩٨ هـ .

(٥) كتاب (الغَيبة) للطوسي ص ١٧١ .

٤ ـ وفي أيام النائب الثالث الحسين بن روح ، طلب الشيخ علي بن الحسين بن بابويه (والد الشيخ الصَدوق) مِن الحسين بن روح أنْ يسأل مولانا صاحب الزمان (عليه السلام) أنْ يدعوالله لِيَرزقه ولداً ذَكَراً .

فجاء الجواب بعد ثلاثة أيام : أنه (عليه السلام) قد دعا لعلي بن الحسين ، وسَيولد له ولدٌ مُبارك ، وسَيُولد له بعد هذا الولد أولاد أيضاً .

فوُلد له ـ في تلك السنة ـ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، الملقَّب بالشيخ الصَدوق (رضوان الله عليه) ووُلد بعده أولاد أيضاً .

وكان الشيخ الصدوق عالماً جليلاً حافظاً للأحاديث ، بَصيراً بالرجال[١] لم يُرَ في القُميين مِثْله في حِفْظِه وكَثْرة عِلْمه ، وله ما يُقارِب ثلاثمائة كتاب .

وفي رواية أُخرىٰ : إنَّ علي بن الحسين (والد الشيخ الصدوق) كَتب الى الشيخ الحسين بن روح أنْ يسأل الإمام المهدي (عليه السلام) أنْ يدعو الله ليرزقه أولاداً فقهاء .

فجاء الجواب : إنَّك لا تُرزَق مِن هذه[٢] وستَملِكُ جاريةً دَيلَميَّة[٣] وتُرزَق منها وَلَدين فَقيهَيْن .

وكان الشيخ الصدوق وأخوه الحسين فقيهين ، يَحفَظان من الأحاديث مالا يحفظ غيرُهما مِن أهل قم[٤] .

---

(١) أي : عارفاً بأحوال رجال أسانيد الأخبار والأحاديث والروايات .
(٢) كانت زوجته ـ يومذاك ـ بنت عمِّه ، ولم يُرزَق منها ولداً .
(٣) دَيْلَميَّة : ـ نسبة الى الدَيْلم ـ : وهم قوم كانوا يَسكنون في نواحي آذربايجان في ايران . المعجم الوسيط في اللغة .
(٤) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٨٨ ،

٥ ـ رجلٌ إسمُه سُرور ، كان في أيام صِباه أخْرَساً لا يَستطيع التَكَلُّم ، وَبلَغَ مِن العُمْر ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة ، فجاء به أبوه الى الشيخ الحسين بن روح ، وطلب منه أنْ يسأل مِن الإمام المهدي (عليه السلام) أنْ يَفتَح الله لسانَه .

فقال لهم الشيخ : إنكم أُمِرْتُمْ بالخُروج الى الحائر[1] .

فجاء به أبوه وعمُّه الى كربلاء المقدَّسة ، وبعد زيارة مَرْقَد الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) صاح به ابوه وعمُّه : يا سُرور ؟

فأجابَهم ـ بِلسانٍ فَصيح ـ : لَبيَّكْ !

فقال : ويحك .. تَكَلَّمت ؟!

قال سُرور : نعم[2] .

٦ ـ رجلٌ إختَلَفَ مع زوجته ، وأنتهىٰ الأمرُ الى النزاع الشديد ، والخلاف الكثير ، فطلب الرجل مِن الناحية المقدّسة حلَّ مُشكلَته ؟

فجاء الجواب من الإمام (عليه السلام) ـ ضمن رسالةٍ فيها الإجابات على أسئلة الناس ـ : «والزوج والزوجة فأَصلَحَ الله ذات بينهما» فعادَتْ اليه زوجته

---

(١) الحائر : مَرْقد الإمام الحسين عليه السلام ، ومِن الواضِح أن الأمر صَدَر مِن الإمام المهدي (عليه السلام) ، وممّا يجدُر الإنتباه إليه : هو أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) ـ في الوقت الذي كان يمكن له الدعاء بنفسه ، ويُستجاب دعاؤه فوراً .. وبدون أيّ تأخير ـ أمَرَهم بالتوجُّه إلى مَرْقِد الإمام الحسين (عليه السلام) وبذلك أراد توجيه قلوب الناس نحو تلك البُقْعة الطاهرة . وقد ورَدَ في الحديث الصحيح : « إنَّ لله بِقاعاً يُحبُّ أنْ يُدعىٰ فيها ... ومنها : عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) .

(٢) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٨٨ .

واعتذَرَتْ إليه ، وعاش معها على أحسن حال[١] .

٧ـ وجاء رجل من مدينة قُم إلى بغداد ، ومعه أموال كثيرة وهدايا مِن أهالي قم الى الإمام المهدي (عليه السلام) عن طريق النائب الثاني محمد بن عثمان .

ولما سَلَّم الأموال قال له محمد بن عثمان : قد بقي شيء مما استُودعته فأين هو ؟

فقال الرجل : لم يبق شيء ـ يا سيدي ـ إلاّ وقد سَلَّمتُه !

قال محمد بن عثمان : بلىٰ . . قد بقي شيء ، فارجع الى ما معك وفَتِّشْه .

فمضىٰ الرجل وفتَّش أَمتعتَه ، وتفكر كثيراً ، فلم يَصِلْ فكره الى شيء ، فرجع الى محمد بن عثمان وقال له : لم يبق شيء في يدي .

فقال له محمد بن عثمان : يُقال لك : الثَوبان السودانيان اللذان دَفَعَهُما اليك فلان بن فلان ، ما فَعلا (أي : أين هما) ؟

فتذكَّر الرجل الثوبين وقال : لقد نسِيتُهما ولستُ أدري أين وضَعْتُهما ؟

وذهب الرجل يبحث عن الثوبين ، فلم يجدهما . فرجع الى محمد بن عثمان ، وأخبره بفقدان الثوبين ، فقال له محمد : يُقال لك : إمض الى فلان بن فلان القَطّان الذي حَملتَ إليه العِدْلين[٢] فافتق أحد العِدْلين ، تجد الثوب في جانبه . فتحيَّر الرجل[٣] وذهب ، وفَتَق العِدْلين وجاء بالثوبين الى محمد بن عثمان[٤] .

---

(١) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٨٤ ، طبع طهران ١٣٩٨ هـ .

(٢) العِدْل : كيس كبير تُوضَع فيه الأمتعة .

(٣) الظاهر انه كان قد نسي ذلك .

(٤) كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ص ١٧٩ .

الفصل الحادي عشر

الغيبة الكبرى

إنتهت الغَيبة الصُغرىٰ بوفاة النائب الرابع للإمام المهدي (عليه السلام) وابتدأت الغيبة الكُبرىٰ ، وبذلك انقطعَتْ طُرُق الإتِّصالات بالإمام المهدي ، وكانت الطامَّة الكُبرىٰ ، والمأساة العُظمىٰ ، وتَطوَّرت القيادة الدينيَّة ، وانتقلت الى الفقهاء الجامعين لشرائط الفَتْوىٰ .

وكان الإمام المهدي (عليه السلام) قد كَتَبَ إلى أحد وُجَهاء الشيعة ـ وهو إسحاق بن يعقوب ، بواسطة النائب الثاني محمد بن عثمان ـ توقيعاً جاء فيه :

« . . . وأمّا الحوادث الواقِعَة ، فارجعوا فيها الى رُواة حَديثنا ، فإنَّهم حُجَّتي عليكم وأنا حجة الله عليكم . . . »[1] .

وقد كان في ذلك العَصْر عددٌ كثيرٌ مِن المُحدِّثين : أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) ، وألَّفَ بعضُهم كُتُباً عديدة جَمَع فيها الأحاديث المتنوِّعة والأحكام الشَرْعيَّة ، وكانت بيوت الشيعة مليئة بتلك المؤلَّفات الزاخِرة ، وكانوا يُراجعون تلك الأحاديث عند الحاجة .

وقد كان الجَمُّ الغَفير والجَمْع الكثير مِن أصحاب الإمامين : الباقر والصادق (عليهما السلام) قد ألَّفوا كُتُباً بَلَغَتْ أو تَجاوَزَتْ أربعمائة كتاب ، تُسمّىٰ بـ

---

(١) هذا نصُّ ما ورَد في كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي ، أمّا في (إكمال الدين) للشيخ الصدوق ج٢ ص ٤٨٤ فقد ورَد الشَطْر الأخير ـ من الحديث ـ هكذا : « وأنا حُجَّة الله عليهم » ، وفي كتاب (الإحتجاج) للطبرسي ج٢ ص ٤٧٠ لا يوجد لفظ «عليهم» ولا «عليكم» .

(الأُصول الأربعمائة) ، وأكثر تلك الكُتُب ـ إنْ لم يكن كلُّها ـ كانت موجودة ومُتداولة ، يُعتَمد عليها ، ويُعمَل بها في ذلك العَهْد .

وأمّا القضايا والأُمور الحادِثة التي لم يجدوا لها حديثاً خاصّاً يُبيِّن حُكْمها ، فقد أَمَرهم الإمام المهدي (عليه السلام) أنْ يراجعوا فيها المحدِّثين الذين لهم قوَّة إستخراج وإستنْباط الأحكام مِن الأدلَّة ، وهي القواعد والأُصول العامَّة المستفادة من الأحاديث الصحيحة .

وبهذه الوسائل فَتَح الإمام المهدي (عليه السلام) لشيعته خَطّاً جديداً لتأْمين الناحية الفِقْهيَّة لهم عن طريق القيادة المرْجعيَّة المُتجَسِّدة في رُواة أحاديث أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) .

وليس معنى ذلك إنسحاب الإمام المهدي (عليه السلام) عن المجتمع الإسلامي ، أو إعتِزاله عن مَرْكَز القيادة والتَصَرُّف في العالَم ، أو إنقطاعه عن كلِّ ما يَحدُث في العباد والبلاد ، أو إنقراض نظام الإمامة وإنهياره ، كلّا . . بل إنَّ نظام الإمامة مُمْتَدٌّ إلى أنْ يَنْقَرِض العالَم ، لأنَّه نظام إلهيّ ، ولا يَقبَل الزَوال ، سواءاً كان ذلك النظام حاكماً على المجتمع ، وسائداً على السّاحة الإسلامية يَتصرَّف في شؤون الناس أمْ كان ممنوعاً عن الظُهور ، ومَكْبُوتاً مَضْغوطاً عليه مِن الحكومات الغاصِبة الظالمة .

وهنا يتبادر سؤال الى الذِهْن ، وهو : إذن . . فما الفائدة مِن وجود الإمام الغائب ، وكيف يَنتفع الناس به ؟؟

الجواب يأتيك في الفصل القادم إنشاء الله تعالى .

وَجه الإنتفَاع بالإمَام الغَائِبْ

لقد وردتْ أحاديث متعدِّدة تَذْكُر فوائد وجود الإمـام الغائب (عليـه السلام) ووجْه الإنتفاع به ، وفيما يَلي نَذْكُر بعضَها بالمناسَبة :

١ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنَّه سأل النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلَّم) : هل يَنتَفِع الشيعة بالقائم (عليه السلام) في غَيْبته ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلَّم) : «إي والذي بَعَثني بالنُبوَّة ، إنَّهم لَيَنْتفِعون به ، ويَستضيئون بنور ولايته في غَيْبته ، كإنتفاع الناس بالشمس وإنْ جَلَّلَهـا السَحاب »[1] .

٢ - عن سليمان الأعْمَش عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : «لم تَخْلُ الأرض ـ مُنْذُ خَلَقَ الله آدم ـ من حُجَّة لِلّه فيها ، ظاهِر مَشْهور ، أو غائب مَسْتور ، ولا تَخْلُو ـ الى أنْ تَقومَ الساعة ـ مِن حُجَّة لِلّه فيها ، ولولا ذلك لم يُعبَد الله » .

قال سليمان : فقلتُ ـ للصادق عليه السلام ـ : فكيف يَنتفع الناس بالحُجَّة الغائب المستور ؟

---

(١) وفي نسخة : «وإن تَجلّلها سَحاب » . إكمال الدين ج ١ ص ٢٥٣ ، طبع طهران سنة ١٣٩٥ هـ

قال : «كما يَنتفِعون بالشمس إذا سَترها السَحاب» .[١]

٣ - ورُويَ مِثْلُ هذا الكلام ، عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) .[٢]

٤ - وقد ذُكِرَ في التوقيع الصادر مِن ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) - الى إسحاق بن يعقوب - : « ... وأمّا وجْه الإنتفاع بي في غَيْبَتي فكالإنتفاع بالشمس إذا غيَّبها عن الابصار السَحاب ... » الى آخره[٣]

أقول : ما أَعمقَ هذا التشبيه !!

وما أجمل وأكمل هذا التعبير !!

إنْ كان الناس - فيما مضى - لا يَعرفون عن الشمس إلّا أنّها جِرْمٌ سَماويّ ، يُشرق على الأرض ، ويَبتدأ النهار بشُروقها ، وينتهي بغروبها ، وأنّها تُجفِّفُ الأجسام الرطبة ، وتُبخِّر الماء ، وتُولِّد الحرارة في الجوِّ ، وأمثال ذلك ، فإنَّ العِلم الحديث - اليوم - إكتشَفَ للشمس فوائد عظيمة ومنافع مُهمَّة جِداً .

هذا والموضوع يتطلّب شيئاً مِن التفصيل والتوضيح فنقول :

لقد عرفتَ أنَّ الأحاديث - التي مرَّتْ عليك قبل لحظات - كانت

---

(١) إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٧ . و (فرائد السمطين) للجويني الشافعي ج ١ ص ٤٦ طبع لبنان ١٣٩٨ هـ

(٢) الإمامة لأحمد محمود صبحي ص ٤١٣ .

(٣) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٤٨٥ ! وكتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ص ١٧٧ .

مَرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلّم) وعن ثلاثة مِن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وكلُّها تؤكِّدُ علىٰ حقيقة واحدة ، وبمضمون واحد ، وكأنَّها صادرة مِن نَبْعٍ واحد .

وعرفتَ ـ أيضاً ـ أنَّ النبي والأئمة (عليهم السلام) يُشبِّهون الإمام المهدي الغائب ، بالشمس المستورة بالسَحاب .

ونَتساءل : لماذا لم يُشبِّهوه بالقَمر المستور بالسحاب ؟ مع العِلْم أنَّ القمر له تأثيرات كثيرة في الأرض ، كالمدِّ والجَزْر في البحار وما شابه .

الجواب : من الواضح أنَّ الشمس تمتاز على القمر مِن عِدَّة جِهات :

١ ـ إنَّ نور الشمس نابع مِن ذاتها ، بينما القمر يَكتَسِب نورَه مِن الشمس .

٢ ـ إنَّ في أشِعَّة الشمس فوائد كثيرة ليست في أشعَّة القمر .

٣ ـ إنَّ دَوْرَ الشمس ـ في المجموعة الشمسيَّة ـ دَوْرٌ قياديّ رئيسيّ ، بخلاف القمر ، فإنَّه واحدٌ مِن الكواكب التي تَسبح في المجموعة .

وهناك جهات أُخرىٰ لا داعي لذِكْرها .

ونَعـود لنتساءل ـ مـرَّة أُخرىٰ ـ : لمـاذا شَبَّهوا الإمـام الغائب ، بالشمس ؟

الجواب : إنَّ المقام يَتطلَّب شيئاً مِن البحث عن الشمس وتأثيرها في الكُرَة الأرضيَّة ـ بمقدار ما وَصَلَ اليه العِلْم الحديث ـ ولكنَّ المجال لا يَتَّسع للتفصيل في ذلك ، لعدم علاقةٍ مباشرة بينه وبين الكتاب ، ولهذا نَذْكر كلمة بالمناسبة ـ مع رعاية الإختصار ـ حتى نَعرف وجْه الشَبَه بين

الشمس والإمام المهدي ـ أوّلاً ـ ثمَّ نَعرف وجْه الشَبَه بين الشمس المستورة بالسحاب والإمام الغائب ـ ثانياً ـ فنقول :

توجَد في هذا الفضاء آلاف أو ملايين المجموعات الشَمْسيَّة التي تَسْبح في هذا الجوّ الواسِع الشاسِع ، ولِكلِّ مجموعةٍ مِن هذه المجموعات الشمسيَّة مَرْكَز[١] وتدور كواكب تلك المجموعة ـ في مَداراتِها ـ حول ذلك المركز ، بسرعةٍ مُدَبَّرة ومُقدَّرة ، وفي نفس الوقت يَبتَعِد كلُّ واحدٍ مِن الكواكب عن المركز بمسافات مُعيَّنة .

ومجموعتُنا الشَمسيَّة ـ التي هي واحدة مِن ملايين المجموعات ـ لها مَرْكز أيضاً ، وهي الشمس ، وتدور حولَها الكواكب، وقد إشتُهِرَ ـ في الأوساط العِلْمية ـ أنَّ مجموعتنا الشمسيَّة عبارة عن تسعة كواكب هي عُطارِد ، الزُهرة ، الأرض ، المِرّيخ ، المشْتري ، زُحَل ، اورانوس ، نِبتون ، بلوتو .[٢]

والنظام العجيب البديع الموجود في هذه المجموعات الشمسيَّة ، والذي يُحافظ على بقائها : هي الجاذِبيَّة التي أودَعَها الله ـ الحكيم المُدبِّر الذي هو على كل شيء قدير ـ في مَرْكز المجموعة فالمركز يَجذِب كلَّ ما يدور حوله مِن الكواكب ، والكواكب تُحاول الإفْلات والإبتعاد عن المركز

(١) ملاحظة : في عِلْم الفضاء والفَلَك يُعبَّر عن مركز المجموعة بـ (النجم) وهو الذي يُضيء بذاته ، ويُعبَّر عمّا يدور في المجموعة بـ (الكوكب)

(٢) ننبِّه القاريء بأن هناك أجرام سماويَّة تَدورُ حول بعض كواكب المجموعة ، ويُعبَّر عنها ـ في عِلم الفَلَك بـ (الأقمار التوابع) ، كالقمر الذي يدور حول الأرض . ولا يأتي في عِداد كواكب المجموعة

بكلِّ قوَّة .(١)

ولهذا فإنَّ بقاء هذه المجموعات وإنتظامَها وسَيْرها بصورة مدهشة ، إنَّما هو بسبب الجاذبيَّة الموجودة في الشمس ، ولولا الجاذِبيَّة لَاختَلَّ النظام ، واضطربَت المجموعة ، وانتَثَرتْ الكواكب ، واصطَدَم بعضُها ببعض ، وتَـلاشَت في هذا الفضـاء ـ الـذي لا يَعْلَم حـدوده إلاّ الله ـ وهلَكت الكائنات وتبدَّل الوجود الى العَدَم والفَناء . فسُبْحانَ مَن أمْسَكَ السَماوات والأرضَ أنْ تَزُولا .

والله تعالىٰ الذي جَعَلَ القوَّة الجاذِبَة في الشمس ، جعَلَ القوَّة المانِعة الطارِدَة في كواكب المجموعة الشمسيَّة ، فكلُّ كوكبٍ يُحاوِل أنْ يَبتَعِد عن الشمس ، بقوَّة خارجة عن التصوُّر ، ولكنَّ القوَّة الجاذِبَة الموجودة في الشمس تَمنَعُه عن الهَرَب ، فلولا القوَّة الطاردة لإقتربت الكواكب مِن الشمس واحترقت ، ولولا القوَّة الجاذبة في الشمس لتفرّقت الكواكب وتبعثرت ،وخرجت عن مداراتها ،واختَلَّ نظامها ، وانعدَمَت الحياة الى الأبد .

فالشمس أمانٌ للمجموعة الشمسيَّة مِن الفناء والزوال .

هذه لمحة خاطفة ، وشرح موجز ، لتأثير الشمس في الكواكب التي تدور حولها ، ومنها الأرض ومَن عليها وما عليها .

فانظر الى أهميَّة هذا النجم المُشرق الذي نَراه كُتْلةً مُلْتَهبة ، تُرسل أشعَّتها النافعة المفيدة الى الأرض ، وتتفاعل ـ بأنواع التفاعُلات ـ في الإنسان والحيوان والنبات والهواء والماء والتراب والجماد .

---

(١) يُعبَّر عن هذه القوة بـ (القوة الطارِدة)

ومِن الواضح أنَّ السحاب لا يُغيِّر شيئاً مِن تأثير الشمس ، وإنَّما يَحْجُب الشمسَ عن الرؤية ـ في المنطقة التي يُخيِّم عليها السحاب ـ فقط .

ومِن الطبيعي أنَّ السحاب لا يتكوَّن إلّا من إشراق الشمس ، والأمطار لا تهطل إلّا مِن السحاب ، فلولا الشمس ما كان سحاب ولا مَطَر ، ولا زَرْع ولا ضَرْع ، وكان مصير الحياة معلوماً .

فالإمام المهدي عليه السلام ـ الذي شبَّهه رسولُ الله والإمامان : السجّاد والصادق (عليهم السلام) بالشمسِ مِن وراء السحاب ـ هو الذي بوجوده يَتنعَّمُ البَشَر ، وتنتَظم حياته ، وكلٌّ ذلك من فَضْل الله تعالىٰ على رسوله محمد وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) .

وهو الذي تتفجَّر منه الخيـرات والبَرَكـات والألطاف الخَفيَّـة والفيوضات المعنويَّة الى الناس .

وهو المُهيمِن على الكون ـ بإذن الله تعالىٰ ـ مِن وراء سِتار الغَيْبة والإختفاء ، فهو يتصرَّف في الكائنات بصورة مستمرّة ، ويَملِك كافَّة الصلاحيّات التي فوَّضها اللهُ إليه ، وليست حياته حياة العاجِز الضعيف ، الذي لا يَملِك حَوْلاً ولا قوَّة ، ويكتفي بصلاته وصيامه ، ويقضي أوقاته في الصحاري والبَراري ، مُنعزِلاً عن الناس ، لا يَعرف شيئاً عن العباد والبلاد ، كلّا . . والف كلّا

إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) ـ بالرغم مِن غَيْبته التي أرادها اللهُ له ـ يَتمتَّع بقُدرة مِن الله تُمكِّنه مِن كلِّ ما يُريد ، وتوفَّر له جميع الوسائل اللازمة .

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ تَصرُّفات الإمام المهدي وإنجازاته ، كلَّها مطابقة للحِكْمة والمصلحة ، وليست تابعة للهوىٰ والميول النفسانيَّة ، فيُعطي ويمنع ، ويَنصُر ويَخذُل ، ويفعل ويَترك ، ويَدعو الله تعالىٰ لهذا وذاك ، ويُرشِد الضالَّ ، ويبرء المريض ، ويُطلِقُ لسانَ الأخرس ، ويُظْهِر نفسَه لهذا وذاك ، تارةً في العراق ، واخرىٰ في ايران ، ومرَّة في طريق الحج ، وأُخرى في مكَّة والمدينة ومنىٰ وعرفات ، وفي بعض الأحيان يُري نفسَه ـ لبعض الأفراد ـ في البحرين ، وفي بلاد القَفْقاس ، وغيرها من بقاع العالَم . كلُّ ذلك بقُدْرة الله تعالىٰ وإذْنه .

أيها القارىء الكريم : بعد هذا كلّه ، يتّضح لك شيء مِن معنى الأحاديث التي شبَّهت الإمام المهدي الغائب ، بالشمس ـ أولاً ـ والمحجوبة بالسحاب ـ ثانياً ـ .

نعم .. ذلك هو الإمام الذي يَختاره الله تعالىٰ .. لا الذي يختاره الناس .

ذلك الإمام هو خليفة رسول الله حقاً .. لا كلُّ مَنْ يَدَّعي الخلافة .

ذلك الإمام هو المنصوب مِن عند الله تعالىٰ ، لا كلُّ مَنْ يُسمّىٰ بالإمام .

لا كلُّ مَن إستلم الحُكم والزعامة والقيادة . لا .. لا .. لا .

بل هو الإمام الذي تتوفَّر فيه جميع المؤهِّلات بجميع معنى الكلمة ، ويجتمع فيه كلُّ ما يحتاج اليه البشر ، بل كلُّ ما تحتاج اليه الحياة ، بل كلُّ ما يحتاج اليه الكون .

الإمام - الموصوف بهذه الأوصاف - أَمانٌ لأهل الأرض ، ووجودُه سببٌ لبقاء الأرض ومَن عليها «بِيُمْنِه رُزِقَ الوَرىٰ ، وبوجودِه ثبتَت الأرض والسماء » .

ولعلَّ بعض الناس يتصوَّر أنَّ في هذا الكلام شيئاً مِن المبالغة والغُلوّ والإسراف ، ولكن هذا التصوُّر يزول ويتبخَّر إذا عرف أنَّ عشرات الأحاديث الصحيحة - التي لا تَقبل الشكّ ، المرويَّة في كُتُب الحديث بطُرُق متعدِّدة ، المتّفق عليها بين الطوائف والمذاهب الإسلامية - تُؤكِّد هذه الحقيقة .

وإليك بعض تلك الأحاديث :

١ - عن أياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلَّم) : «النجومُ أمانٌ لأهل السماء ، وأهل بيتي أمانٌ لأُمَّتي »(١)

٢ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم): «النجومُ أمانٌ لِأهْلِ السماء ، فإذا ذَهَبتْ أتاهم ما يُوعَدون ، وأهل بيتي أمانٌ لِأُمَّتي ، فإذا ذهب أهلُ بيتي أتاهم ما يوعَدُون »(٢)

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ١٨٩ ، ذخائر العقبىٰ ص ١٧ طبع مصر ١٣٥٦ هـ ، مُنتخَب كنز العُمّال للمتقي الهندي ج ٥ ص ٩٢ ، فرائد السمطين للجويني ج ٢ ص ٢٤١ طبع لبنان ١٤٠٠ هـ ، الصواعق المحرِقة لإبن حجَر ص ١٨٥ ، وبحار الأنوار للمجلسي ج ٢٧ ص ٣٠٩ وغيرها من عشرات المصادر .

(٢) مُستدرَك الصحيحين للحاكم النيسابوري الحَنفي ج ٢ ص ٤٤٨ ، مُنتخب كنْز العُمّال للمتّقي الهندي .

٣ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): «أهلُ بيتي أمانٌ لِأهل الأرض ، فإذا هلَكَ أهلُ بيتي جاء أهلَ الأرض مِن الآيات ما كانوا يوعَدون »(١)

٤ ـ عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): «النجومُ أمانٌ لِأهل السماء ، فإذا ذهَبَت النجوم ذهَبَ أهل السماء ، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض ، فإذا ذهبَ أهل بيتي ذهبَ أهل الأرض »(٢)

٥ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): «إنَّ الله جعَلَ النجوم أماناً لِأهل السماء ، وجعَلَ أهلَ بيتي أماناً لِأهل الأرض »(٣)

وتوجَد طائفة أُخرىٰ مِن الأحاديث المرويَّة عن أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) توضِّح هذا المعنى أكثر وأكثر ، وإليك بعض تلك الأحاديث :

١ ـ ورَدَ في رسالة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ الى إسحاق بن يعقوب ـ : «... وإنّي لَأمانٌ لِأهلِ الأرض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل

---

(١) الصواعق المحرقة لإبن حجر الهيثمي الشافعي ص ١٥٠

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٥٠ ، واخرجه احمد بن حنبل في كتاب المناقب ، بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٢٧ ص ٣١٠ نقلاً عن إكمال الدين ، ورواه الطبري الشافعي في كتابه (ذخائر العُقبىٰ) ص ١٧ طبع مصر ١٣٥٦ ، رشفة الصادي لإبي بكر الحضرمي ص ٧٨ ، إسعاف الراغبين للصبان ص ١٤٤ فرائد السمطين ج ٢ ص ٢٥٣ . وغيرهم

(٣) مجمع البيان للطبرسي ، في تفسير الآية ١٦ من سورة النحل .

السماء . . . »[١]

٢ ـ قال الإمام علي بن الحسين زَيْن العابدين (عليه السلام): «نحنُ أئمَّة المسلمين ، وحُجَجُ الله على العالَمين ، وسادةُ المؤمنين ، . . . ونحنُ أمانٌ لِأَهْلِ الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء ، ونحنُ الذين بنا يُمسِك الله السماء أنْ تَقَع على الأرض إلاّ بإذنه ، وبنا يُمسِك الأرض أنْ تَمِيْد بأهْلِها[٢] وبنا يَنْزِلُ الغَيْث[٣] وتُنْشَر الرَّحْمَة ، وتَخْرُجُ بركاتُ الأرض ، ولولا ما في الأرض مِنّا لَساخَتْ بأهْلها »[٤]

٣ ـ قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «ونحن أئمَّة الهُدى ، ونحنِ الذين بنا يُنزِل الله الرَّحْمَة ، وبنا يُسْقَوْن الغَيْث ، ونحن الذين بِنا يُصْرَفُ عنكم العذاب ، فمَنْ عرَفَنا وعرَفَ حَقَّنا وأخذ بأمْرِنا فهو مِنّا والينا »[٥]

٤ ـ كتَبَ محمد بن إبراهيم رسالة الى الإمام جعفر الصادق (عليه

---

(١) إكمال الدين ج ٢ ص ٤٨٥ ، وكتاب الغَيبة للطوسي ص ١٧٧ ، وكتاب الإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٤٧١ .

(٢) تميد : تضطرب ، وتَفقد توازنها .

(٣) الغيث : المطر ، وقيل : هو المطر الغزير ، الكثير المنافع .

(٤) ساخَت الأرض بأهلها : إنخسَفَتْ بهم ، وغاصُوا فيها . فرائد السمطين للجويني الشافعي ج ١ ص ٤٥ ـ ٤٦ ، طبع لبنان ١٣٩٨هـ ، ورواه القندوزي الحَنَفي في (ينابيع المودَّة) ص ٢١ ، والصدوق في إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٧ ، والطبرسي في (الإحتجاج) ج ٢ ص ٣١٧ .

(٥) إكمال الدين ج ١ ص٢٠٦ ، فرائد السمطين للجويني الشافعي ج٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤

السلام) جاء فيها : أَخْبِرْنا ما فَضْلُكم أهل البيت ؟

فكتَبَ الإمام (عليه السلام) ـ في الجواب ـ : «إنَّ الكواكب جُعِلَتْ في السماء أماناً لأهل السماء ، فإذا ذهبَتْ نجومُ السماء جاء أهلَ السماء ما كانوا يوعدون . وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلَّم): جُعِلَ أهلُ بيتي أماناً لِأُمَّتي ، فإذا ذهَبَ أهلُ بيتي جاء أُمتي ما كانوا يوعَدون » .(١)

٥ ـ قال الإمام علي الرضا (عليه السلام): «نحن حُجَجُ الله في خَلْقِه ، . . . بنا يُمسِكُ الله السماوات والأرضَ أنْ تزولا ، وبنا يُنزِل الغَيْث ، ويَنْشُر الرَحْمة ، ولا تَخْلو الأرض مِنْ قائمٍ مِنّا ظاهرٍ أو خافٍ ، ولو خَلَتْ يوماً بغير حُجَّة لَماجَتْ بأهْلها كما يموج البحر بأهْله »(٢)

٦ ـعن سليمان الجَعْفري ، قال : سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) فقلت : أتَخْلُو الأرض مِن حُجَّةٍ ؟

فقال : «لو خَلَتْ طَرْفَةَ عينٍ لَساخَتْ بأهْلها » . (٣)

٧ ـ قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «لو بقِيَت الأرض ـ يوماً ـ بِلا إمامٍ مِنّا لَساخَتْ بأهْلها ، ولَعذَّبَهم الله بأشَدِّ عذابِه .

إنَّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ جعَلَنا حُجَّة في أرضه ، وأماناً في الأرض لِأهل الأرض ، لم يَزالوا في أمانٍ مِن أنْ تَسِيخَ بهم الأرض ما دُمْنا بين أظْهُرِهم ، فإذا أرادَ الله أنْ يُهْلِكَهم ثمَّ لا يُمهِلهم ولا يُنْظِرهم . . ذهب بنا مِنْ بينهم ، ورفَعَنا إليه ، ثم يَفْعَل الله ما يَشاء ويُحِبُّ » (٤)

---

(١) إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٥

(٢) ماجَ : إضطرب . إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣

(٣) إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٤

(٤) إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٤

٨ ـ قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : «لولا مَنْ على الأرض مِنْ حُجَجِ الله لَنَفَضت الأرض ما فيها وألقت ما عليها ، إنَّ الأرض لا تَخْلو ساعةً مِن الحُجَّة »[١]

٩ ـ قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : «لو أنَّ الإمام رُفِعَ مِن الأرض ساعةً . . لَماجَت الأرض بأهْلها كما يَمُوجُ البَحْر بأهْلِه »[٢]

١٠ ـ سُئلَ الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «لِأيِّ شيء يُحتاج الى النبيّ والإمام ؟

فقال : «لِبَقاء العالَم على صَلاحه ، وذلك أنَّ الله (عزَّ وجَلّ) يَرفَع العذابَ عن أهل الأرض إذا كان فيهم نبيٌّ أو إمام ، قال الله (عزّ وجل) : ﴿وما كان الله لِيُعذِّبهم وانتَ فيهم . . .﴾ [٣] وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «النجوم أمانٌ لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لِأهل الأرض ، فإذا ذهَبَت النجوم أتىٰ أهل السماء ما يَكرهون ، وإذا ذهَبَ أهل بيتي أتىٰ أهل الأرض ما يكرهون » ، يَعني بأهل بيته : الأئمَّة الذين قَرَنَ اللهُ طاعتَهم بطاعته فقال : ﴿يا أيّها الذين آمَنوا أطيعُوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمْر مِنْكم﴾ [٤] وهم المعصومون المطهَّرون ،

---

(١) إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٢

(٢) إكمال الدين ج ١ ص ٢٠٢ ، كتاب أُصول الكافي للشيخ الكُلَيني ج ١ ص ١٧٩ ، طبع طهران ١٣٨٨ هـ ، وكتاب الغَيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني ص ١٣٩ ، طبع طهران سنة ١٣٩٧ هـ

(٣) الآية ٣٣ / سورة الأنفال .

(٤) الآية ٥٩ ـ سورة النساء .

الذين لا يُذْنبون ولا يَعصُون ، وهم المؤيَّدون الموفَّقون المسَدَّدون ، بهم يَرزُق اللهُ عبادَه ، وبهم يعمر بلاده ، وبهم ينزل القطر مِن السماء ، وبهم تخرج بركات الأرض ، وبهم يُمهل أهل المعاصي ولا يُعجِّل عليهم بالعقوبة والعذاب ، لا يُفارقُهم روحُ القُدس ولا يُفارقونه ، ولا يُفارقُهم القرآن ولا يُفارقونه ، صلوات الله عليهم »[1] .

نكتفي بهذا المقدار مِن الأحاديث الشريفة ، ونَعودُ لِنُواصِل الحديث عن الغَيْبة الكبرىٰ وابتداء القيادة المرجعيَّة :

---

(١) عِلَل الشرائع للشيخ الصدوق ص ٥٢

القيـادة المرجعيـة

لقد كان إبتداء إستلام القيادة المرجعيّة الدينيّة في الغَيْبة الكُبرىٰ ـ حسَب إطّلاعنا ـ على يد الشيخ الفقيه : الحسن بن علي بن أبي عقيل العُماني[١] .

فقد قال السيِّد محمد مهدي بَحْر العُلوم (رضوان الله عليه) : « . . . وهو أوّل مَن هَذَّب الفِقه ، واستَعملَ االنظَر[٢] وفَتَقَ البَحْث عن الأُصول والفُروع في ابتداء الغيبة الكبرىٰ »[٣] .

وقال أيضاً : إنَّ حال هذا الشيخ الجليل ـ في الثِقَة والعِلْم والفَضْل والكلام[٤] والفِقْه ـ أظْهَر مِن أنْ يَحتاج الى البَيان ، ولـلأصحاب[٥] مَزيدُ إعتِناء بنَقْل أقواله وضَبْط فتاواه ، خصوصاً الفاضِلَين[٦] ومَنْ تأخَّر

---

(١) نِسْبة الى عُمان ـ بِضَم العين وتخفيف الميم ـ : بلاد تقع في الجنوب الشرقي مِن شِبْه الجزيرة العربيَّة ، وتُعرَف اليوم بإسم (سَلْطنة عُمان) وعاصمتها : مَسقَط .

(٢) أي : إجتهد في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من ادلّتها التفصيلية .

(٣) فَتَقَ البحث : نَقَّحه وقوَّمَه ووسَّعه .

(٤) عِلم الكلام ـ في إصطلاح الفقهاء ـ يُطلَق على العقائد والفَلْسفة الإسلامية .

(٥) المقصود مِن «الأصحاب » ـ في كلمات الفقهاء ـ : هم الفُقهاء .

(٦) الفاضلان : العلاّمة الحلّي والمحقّق الحلّي ، وهما مِن أكابر العلماء والفقهاء وأعاظمهم .

عنهما[١] . » . [٢]

وللفقيه العُماني منزلة كبيرة جِدًّاً عند الفقهاء ، وقد أثنىٰ عليه علماؤنا القُدامىٰ ، كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي .

وللعُماني كتاب (الكَرُّ والفَرُّ) في موضوع الإمامة ، وكتاب (المتمَسِّك بحَبْل آل الرسول) في الفِقه ، وهو كتابٌ حَسَن كبير ، وكان مشهوراً في ذلك الزمان ، ولكنَّه الآن غير موجود .

أقول : لم أجِد في كُتُب التراجم ـ الموجودة عندي ـ تاريخَ مولده أو وَفاته ، ولكنَّه كان قبل الشيخ المفيد ، بسنوات عديدة ، لأنَّه أسْبَق زَمَناً مِن إبن الجُنَيد ، وإبن الجُنَيد مِن مشايخ المفيد وأساتِذته[٣] .

ولعلَّ مِن الصحيح أنْ نقول : إنَّ هذه الفَتْرة ـ وهي ما بين وفاة النائب الرابع وبين نُبوغ الشيخ المفيد ـ فَترة مَفْقودة الحَلقات ، فقد كانت وفاة النائب الرابع سنة ٣٢٩ هـ ، ووُلد الشيخ المفيد سنة ٣٣٦ أو ٣٣٨ هجرية .

وعلى كلٍّ حال ، فقد أخذتْ القيادة المرجعيَّة طابعَها الخاصّ ، وتكوَّنتْ حَلقات التَدريس في بغداد ، وانقضتْ سنوات ، ولَمع نَجْمُ الشيخ المفيد في بغداد ، وأسَّسَ الحَوْزَة العِلْميَّة ، وكان يحضر مجلسَ

---

(١) مَن تأخَّر عنهما : مَن جاء بعدَهما ، باعتباره متأخِّراً مِن حيث الزَمَن

(٢) كتاب (الفوائد الرِجاليَّة) المعروف بـ (رجال السيِّد بحر العلوم) ج ١ ص ٢٢٠ ، طبْع النجف الأشرف سنة ١٣٨٥ .

(٣) كتاب (رجال السيد بحر العُلوم) ج ٢ ص ٢٢٠

دَرْسه العشَرات مِن الفُضَلاء وفي طليعتِهم السيِّدان : الرضيّ والمرتضىٰ ، ويُعتبر كل واحد منهما مِن أَلمع الشخصيّات العِلْمية وأبْرَزِها .

وكان الشيخ المفيد آيةً مِن آيات الله تعالىٰ ، ونادِرة مِن نوادِر الكون ، ونابِغة مِن نوابغ الدهر ، فهو شيخ المشايخ ورئيس الفقهاء ، وقد إجتمعتْ فيه صفات الفَضْل ، وانتهتْ اليه الرئاسة العامَّة ، وإتَّفق الجميع على عِلمه وفِقْهه ، وفَضْله ووَرعه وتقواه ، وزُهْده وعدالته وجلالَته .

فلا عجب إذا ساعَدَه الحَظُّ والتوفيق ، فكتَبَ إليه الامام المهدي (عليه السلام) رسائل عديدة في السنوات الأخيرة من حياته ، وكان (عليه السلام) يُرسل اليه في كلٍّ سنة رسالة .

ونجد في كُتُب التراجِم رسالتين فقط ، ولكن يُستفاد مِن نُصوص الرسالة الثانية أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) أرسَل إليه أكثر مِن رسالتين ، وستَعرفُ ذلك قريباً .

وكلُّ رسالةٍ من تلك الرسائل تَضع وِسام الفَخْر على صَدْر الشيخ المفيد ، وتاج العِزِّ والشرف على رأسه ، واللهُ يَختَصُّ برحمته مَن يشاء .

وإليك نَصّ الرسالة الأُولىٰ التي وصَلتْ في شهر صفر سنة ٤١٠ هـ مع شرح بعض نقاطها بعد ذلك :

((للأخ السَديد ، والوَليِّ الرَشيد ، الشيخ المفيد : أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام اللهُ إعزازَه .

مِنْ مُسْتَودَع العَهْد المأخوذ على العِباد :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أمّا بعد : سلامٌ عليك ايها المُخلِص في الدِّين ، المَخْصـوص فينا باليقين ، فإنّا نَحْمدُ ـ اليك ـ الله الذي لا إلهَ إلاّ هو ، ونسأله الصلاة على سيِّدنا ومولانا ونبيِّنا محمدٍ وآله الطاهرين .

ونُعْلِمُك ـ أدامَ الله تَوْفيقَك لِنُصْرة الحقِّ ، وأجْزَلَ مَثُوبَتَكَ على نُطْقِكَ عَنّا بالصِدْق ـ : أنَّه قد أُذِنَ لَنا في تَشْرِيْفِكَ بالمُكاتَبَة ، وتَكْليفِكَ ما تُؤدِّيْه عنّا الى مَوالينا قِبَلك ـ أعزَّهم الله بِطاعَته ، وكَفاهم المُهمَّ بِرعايَته لهم وحراسَته ـ .

فَقِفْ ـ أمَدَّكَ الله بِعَوْنه[١] على أعدائه المارقين مِن دِيْنه ـ على ما تَذْكُرُه[٢] واْعمَلْ في تأدِيَته إلى مَنْ تَسْكن اليه ، بما نَرْسِمُه إنْ شاء الله :

نحنُ وإنْ كُنّا ثاوِيْن بِمَكانِنا ، النائي عن مَساكنِ الظالمين ، حَسَب الذي أَراناهُ الله تعالىٰ لَنا مِن الصَلاح ولِشِيعَتِنا المؤمنين في ذلك ما دامتْ دولةُ الدُنيا للفاسقين .

فإنّا نُحيطُ عِلْماً بأنْبائكم ، ولا يَعزُبُ عنّا شيءٌ مِن أخبارِكم ، ومَعْرِفَتنا بالذُلِّ[٣] الذي أصابَكم ، مُذْ جَنحَ كثيرٌ مِنْكم إلى ما كان السَلَفُ الصالح عنه شاسِعاً ، ونَبَذوا العَهْد المأْخُوذ وراء ظُهُورِهم كأنهم

---

(١) وفي نسخة : أيَّدَكَ الله بعَوْنه .

(٢) وفي نسخة : على ما أذكره .

(٣) وفي نسخة : بالزلل .

لا يَعْلمون .

إنّا غير مُهْمِلين لمُراعاتِكُم ، ولا ناسين لذِكْرِكُم، ولولا ذلك لنَزَلَ بِكُم اللَّأْواء ، واصْطَلَمَكم الأعداء ، فاتّقوا اللهَ جلَّ جلالُه ، وظاهِرُونا على إنتياشِكُمْ مِنْ فِتْنةٍ قد أنافَتْ عليكم، يَهْلَكُ فيها مَن حُمَّ أَجَلُه، ويُحمىٰ عنها مَنْ أدرَكَ أمَلَه ، وهي أمارَة لأُزُوفِ حَرَكَتِنا ، ومُباثَّتِكُم بأمْرِنا ونَهْيِنا ، واللهُ مُتِمُّ نورِه ولو كَرِهَ المشرِكُون .

إعتَصِمُوا بالتقيَّة مِنْ شَبِّ نار الجاهليَّة ، تُحَشِّشُها عُصَب أُمويَّة ، يَهول بها فرقة مَهْديَّة .

أَنا زَعيم بنجاة مَن لم يَرُمْ فيها المواطن الخَفِيَّة ، وسَلَكَ في الظَعْنِ منها السُبُل المَرضيَّة .

إذا حَلَّ جمادىٰ الأُولىٰ ـ مِن سَنَتِكم هذه ـ فاعتَبروا بما يَحدُثُ فيه ، واستَيقِظُوا مِنْ رَقْدَتِكم لما يكون في الذي يَليه .

سَتَظْهَر لكم مِن السماء آيةٌ جَليَّة ، ومِن الأرض مِثْلُها بالسَويَّة ، ويَحدُثُ في أرضِ المَشْرِق ما يُحزِن ويُقْلِق ، ويَغلب ـ مِنْ بَعْدُ ـ على العراق طوائف عن الإسلام مُرّاق ، تَضيقُ ـ بسوء فِعالهم ـ على أهْله الأرزاق ، ثم تَنْفرِجُ الغُمَّةُ ـ مِنْ بَعْدُ ـ بِبَوار طاغوتٍ مِن الأشرار ، ثم يَسُرُّ بِهَلاكه المُتَّقون الأخيار .

ويَتَّفِقُ لمُريدي الحجِّ مِن الآفاق ما يأْمَلونه منه ، على توفيرٍ عليه منهم وإتفاقٍ[1] ولنا ـ في تَيْسير حَجِّهم على الإختيار منهم والوفاق ـ شأن

---

(١) وفي نسخة : على توفير غلبة منهم وانفاق

يَظْهر علىٰ نظامٍ واتساق .

فليَعملْ كلُّ امرىءٍ مِنكم بما يُقرِّبُه مِن محبّتنا[١] ويَتَجنّبْ ما يُدْنيه مِن كراهَتنا وسَخَطِنا ، فإنَّ أمْرَنا بغْتة فجأة ، حين لا تَنْفَعُه تَوْبة ، ولا يُنجيه مِنْ عِقابنا نَدَمٌ على حوبة .

والله يُلهِمُكم الرُشْدَ ، ويلطف لكم في التوفيق برحمته)).

نسخة التوقيع باليَد العُلْيا ، على صاحِبها السلام :

((هذا كتابُنا اليك أيها الآخ الوَليّ والمخلِص في وُدِّنا الصَفّي ، والناصِر لنا الوَفيّ ، حَرَسَك الله بعينه التي لا تَنام ، فاحتفِظْ به ، ولا تُظْهِرْ على خَطِّنا ـ الذيَ سطَّرناه بماله ضَمَّنّاه ـ أحَداً ، وأَدِّ ما فيه الى مَن تَسْكن اليه ، وأوص جماعتَهم بالعمل عليه إنْ شاء الله ، وصلّىٰ الله على محمد وآله الطاهرين))[٢]

والآن نَشْرَح ما ينبغي شرحُه مِن بعض كلمات الرسالة :

لقد جرت العادة ـ في المراسلات ـ أنْ يَتقدَّم إسمُ المرسِل على إسم المرسَل إليه ، فيُكتَب : مِن فلان الى فلان ، وقد يَتقدَّم إسم المرسَل إليه على إسم المرسِل إذا أُريد له التَعظيم والإحترام الكثير . وهذا ما حصَل فِعْلاً في هذه الرسالة ، فقد قدَّم الإمام المهدي (عليه السلام) إسمَ الشيخ المفيد ، حيث كتَب (عليه السلام) إليه :

((للأخ السديد والوليِّ الرشيد الشيخ المفيد)) وهذا إنْ دَلَّ على

(١) وفي نسخة : «بما يقرب به مِن محبّتنا».

(٢) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٤٩٧ ، طبع لبنان ١٤٠١ هـ

شيء فإنَّه يَدلُّ على ما كان يتمتَّع به الشيخ مِن الصلاح والديانة والوَرَع .

كما أنَّ تعبير الإمام(عليه السلام)عنه بـ ((الأخ))يُعتبر مرتبة عالية لا يُمكن تَصوُّرها ، فما أعظم أنْ يَبْلُغ الإنسان ـ مِن التقرّب الى الله تعالىٰ ـ مرتبة يُخاطبه الإمام بكلمة (الأخ) مع العِلم أنّنا لم نَجِد هذا التعبير صادراً عن الإمام المهدي (عليه السلام) الى غير الشيخ المفيد ، مِن النوّاب الأربعه والوكلاء وغيرهم .

ثم يَصِفُه بالسَداد ـ بفتح السين ـ : وهو الإصابة في القول والعمل ، فالسديد هو المصيب الذي لا يُخطيء في اقواله وأفعاله .

ويصفه بالوِلاء ، والوليّ له معان متعدِّدة ، لكن الأنسَب ـ هنا : الذي له النُصْرة والمعونة .

ثم يصفه بالرشاد ، والرَشيد هو الناضِج الذي يُدبّر الأُمور والقضايا بحِكْمة وتعقُّل ، مِن غير إشارة مُشير ولا تسديد مُسَدِّد .

ويُعبِّر الإمام المهدي (عليه السلام) عن نفسه بـ (مُستودَع العهد المأخوذ على العباد) فالمستودَع : مكان الحفظ والإيداع ، والعهد المأخوذ على العباد يحتمل معنيين :

١ ـ العهد العقلي ومعناه أنَّ العقل السليم يَحكُم على الإنسان أنْ يُصدِّق الأنبياء والمرسَلين ، ومِن لوازم هذا التصديق هو الإيمان والإعتراف بوجود الامام المهدي (عليه السلام) الذي أخبر عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبناءاً على هذا ، يكون الإمام المهدي (عليه السلام) مستودَعَ العهد المأخوذ على العباد .

٢ ـ الإقرار الذي أخَذَه الله مِن خَلْقه في عالَم الذَرّ .[1] ففي تفسير قوله تعالىٰ : ﴿وإذْ أخَذ رَبُّك مِنْ بَني آدمَ مِنْ ظُهورِهم ذُرِّيَّتَهم وأَشهَدَهُم على أنفسِهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُم ؟قالوا : بلىٰ شَهِدْنا . .﴾[2] ورَدتْ أحاديث كثيرة عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ الآية تتعلَّق بعالَم الذَرّ ، وأنَّ الله تعالىٰ قد أخَذَ العهْد مِن عباده أنْ يُقرُّوا له بالربوبيَّة ، ولمحمدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلَّم) بالرسالة ، وللأئمّة الإثني عشر ـ بما فيهم الإمام المهدي ـ بالإمامة .

وقد ذَكرْنا شيئاً يسيراً ممّا يتعلَّق بعالَم الذَر في كتاب (فاطمة الزهراء مِن المهد الى اللحد) .

وعلى كلِّ تقدير فالإمام المهدي (عليه السلام) يَقصُد نفسَه بهذا الوصْف .

((ونُعلمُك ـ أدامَ الله تـوفيقـك لنُصـرة الحقّ ، وأجـزَلَ مَثُوبَتَك

---

(١) مُلخَّص القول ـ عن عالَم الـذَرّ هو : أنَّ الله تعالىٰ ـ يوم خلق آدم ـ أخْرَجَ ذرِّيته مِن صُلْبه ، وهم كهيئة الذَر ـ أي : وهم في مُنتهى الصِغر ـ ، فعرضَهم على آدم ، وقال : إني آخذ على ذُرّيتك ميثاقَهم أنْ يعبدوني ولا يُشركوا بي شيئاً ،وعليَّ أرزاقهم ، ثم قال ـ لهم ـ : ألستُ بربِّكم ؟ قالوا : بلى شَهِدْنا إنَّك ربُّنا ، فقال الله تعالىٰ للملائكة : إشْهَدوا ، فقالوا : شَهِدْنا . ثم رَدَّهم الى صُلْب آدم . وقد سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) : كيف أجابوا وهم ذَر ؟ فقالَ : جعَلَ الله فيهم ما إذا سألهم أجابوه .

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٧٢

على نُطْقِك عنَّا بالصِدْق ـ أنَّه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتَبة))

دعا الإمام المهدي (عليه السلام) للشيخ المفيد بدَوام التوفيق لنُصْرة الحق ، فالكثيرون مِن العلماء يُفضِّلون الخمول والخمود على النشاط والإنتاج ، وإنجاز الأعمال النافعة للمجتمع الاسلامي ، كلُّ ذلك مع توفُّر المؤهِّلات فيهم ، وما ذاك إلَّا لعَدَم التوفيق الإلهي ، الذي يُعتبر السببَ الأصلي لتحقُّق الأعمال .

وأمّا كيفية صُدور الإِذْن مِن الله تعالىٰ للإمام المهدي بمكاتَبة الشيخ المفيد ، فلا يَعلمها إلّا الله تعالىٰ والإمام المهدي (عليه السلام) وجميعُ الإحتمالات والوجوه المتصوَّرة في هذ المسألة تُعتبر آراء شخصية .. لا حقائق قَطْعيَّة .

فالله سُبحانه يأذَن لأوليائه في القيام ببعض الأُمور ، بكيفيَّةٍ مجهولة عندنا ، ولا نستطيع أنْ نُدرك كيفيَّة الإتِّصالات بين الله سبحانه وبين أوليائه ، في صدور الأوامر إليهم ، وإنَّما نكتفي بالقول : إنَّ الشيخ المفيد حصَلَ له هذا الشرف ـ شَرف المكاتَبة ـ بإذن الله تعالىٰ للإمام المهدي (عليه السلام) ولا يُلقّاها إلّا ذو حَظٍّ عظيم .

((وتكليفك ما تؤدِّيه عنّا إلى مَوالينا قِبَلَك)) وأيضاً أذِن الله تعالىٰ للإمام المهدي (عليه السلام) أنْ يُكلِّف الشيخ المفيد بأنْ يكون هَمْزةَ وَصْلٍ بين الإمام المهدي وبين شيعته الموالين للإمام في بيان الأوامر العامَّة والتعاليم الخاصَّة .

ودعا الإمام (عليه السلام) في حقّ شيعته الموالين ، بقوله : «أعزَّهم الله بطاعته ، وكَفاهم المُهمَّ برعايته لهم وحراسته » لقد رُويَ عن

الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) أنَّه قال: «.. وإذا أردْتَ عِزّاً بِلا عشيرة، وهَيْبة بِلا سُلْطان، فاخرج مِن ذُلِّ معصية الله الى عِزِّ طاعته»[1]

ومعنى ذلك أنَّ طاعة الله تعالىٰ تُوجب ـ للمطيع ـ العِزَّة في الدنيا والسعادة في الآخرة، وأنَّ المعاصي تُورِث الذُلَّ والهَوان في الدنيا، والخِزْي والعذاب في الآخرة.

ودعا الإمام المهدي (عليه السلام) لشيعته أنْ يُعزَّهم الله بطاعته، بأنْ يُوفِّقهم للطاعة، فيَنالوا بها العِزّ، وأنْ يكفيَهم الله تعالىٰ ما أهمَّهم مِن أُمورهم، برعايته لهم، ويَحرسهم مِن شَرِّ الأعداء.

((فَقِفْ ـ أَمَدَّكَ الله بِعَونه، على أعدائه المارقين مِن دينه ـ على ما نَذْكره)) مِن الواضح أنَّ كلمة «قِفْ» معناها ـ هنا ـ: إفْهَم وتبيَّنْ واطَّلعْ على ما نَذْكره، وقد دعا الإمام (عليه السلام) له دعاءاً آخر، جعَلَه جملة معترضة بين كلمة «فقِف» وكلمة «على ما نذكره» دعا الإمام أن يمدَّ الله الشيخَ المفيد بعونه، أي: يُعينَه على اعداء الله المارِقين، وهم الخارجون مِن دين الله، ولا أظنُّ أنَّ الإمام (عليه السلام) يَقصُد بذلك اليهود أو النصارىٰ أو المشركين، بل يقصد بعض الطوائف التي تدَّعي الإسلام وهي في طليعة أعداء الاسلام، بل هي أضَرُّ على الإسلام والمسلمين مِن المشركين.

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٤٤ ص ١٣٩

«واعمَلْ في تأديته الى مَن تَسكُن إليه ، بما نَرْسمه إنْ شاء الله» أَمرَه الإمام المهدي أنْ يُؤدّي إلىٰ مَن يَطمئنّ به مِن الشيعة هذه الأخبار والأوامر :

«نحنُ وإنْ كُنّا ثاوِين بمكانِنا النّائي عن مساكن الظالمين ، حَسَب الذي أراناه الله تعالىٰ لنا مِن الصَلاح» يقول (عليه السلام): إنّه يَسْكن في المناطق البعيدة عن سُلطة الظالمين ، وإنَّ هذا مِن المصلحة التي رآها الله تعالىٰ له ، إذْ مِن الواضح أنَّ الإمام (عليه السلام) لو كان يعيش بين الناس بصورة عَلَنيَّة ، لكانت السُلطات المنحرفة تُلْقي القَبض عليه وتقتله ، وقد مرَّ ـ عليك ـ أنَّ المعتضِد العبّاسي أرسل فِرْقة مُسلَّحة الى دار الإمام بسامراء لإلقاء القبض على الإمام وقَتْله .

«ولِشيعتنا المؤمنين في ذلك ، ما دامتْ دولةُ الدنيا للفاسقين» أي : إنَّ مصلحة الشيعة أيضاً في غَيْبة الإمام ، لأنَّ ظهور الإمام بين الناس ـ قبْل اليوم المُعينَّ عند الله تعالىٰ ـ يؤدّي الىٰ إلتفاف الشيعة حوله وإجتماعهم عنده ، وبهذا يَشمَلُهم جميعاً الخَطَر والبلاء مِن قِبَل الحكومات المنحرفة التي تُلاحِق أهل الحقِّ والإيمان ، إذ مِن السَهل القضاء على طائفة من الناس مجتمعة في مكان واحد .

وليس معنى هذا أنَّ الإمام (عليه السلام) منقطع عن المجتمع ، وأنَّه لا يحضر في المدن والمجتمعات ولا يلتقي بمن يُريد ، كلّا ، وإنَّما معناه أنَّ مَسكَن الإمام وإقامته في المناطق البعيدة عن الطواغيت والظالمين ، وأنَّه (عليه السلام) حين تَواجده في المُدُن وبين الناس لا يُعرِّف نفسه ، ولا يَظْهَر بشكل أو بزيٍّ خاص ، بحيث يَعرفُه كلُّ أحد ، وإنما يُعرِّف نفسه لمن يُريد ، ولا يُعرِّف نفسَه لمن لا يُحب ، وقد

صرَّح الامام المهدي (عليه السلام) - لجَمْعٍ مِن الذين تَشرَّفوا برؤيته - بأنه يَحضَر عند قبر جَدِّه الامام الحسين الشهيد (عليه السلام) في كلِّ ليلة جمعة ، ولهذا يقول (عليه السلام) :

«فإنّا نُحيط عِلْماً بأنبائكم ، ولا يَعزُبُ عنّا شيء مِن أخباركم» هذه الجملة مُرتبطة بالتي قَبْلَها ، والمعنى : أنّنا وإنْ كُنّا بعيدين عنكم مِن حيث المكان ، إلاّ أنّنا نعلم كلَّ ما يدورُ حولكم ويحدُث عندكم ، ولا يَغيب عنّا شيء مِن أخباركم وقضاياكم .

مَن الطبيعي أنَّ الإمام الذي جعلَه الله مُستودَع العهْد المأخوذ على العِباد ، لا بدَّ وأنْ يوفِّر الله تعالى له وسائل الإطِّلاع والمعرفة على ما يَجري ويَحدُث في هذا الكون .

ولا نَعلم - بالضبط - نوعيَّة وسائل الإستخبارات المتوفِّرة لدىٰ الإمام المهدي (عليه السلام) فيُمكن له إستخدام الملائكة والجنِّ والبشَر لهذا الغَرَض ، ويُمكن أنْ يكتفي بما توفَّرتْ لديه مِن خصائص الإمامة ، فترتفع له الحُجُب ، وتَنكشِف له الخفايا والنوايا باذن الله تعالىٰ ، فيعلم بما جرىٰ ويجري .

إنّنا نرىٰ - اليوم - أنَّ الحكومات والدُوَيلات تُوفِّر جميع وسائل الإستخبارات - كالهاتف واللاسلكي والتِلكس والرادار وما شابه ذلك - لمنتَسِبي دوائر المُخابرات ، بالإضافة الى الأفراد الكثيرين الذين تَنشرهم في الأوساط والمجتمعات والبلاد ، كي يَسترقوا السَمع ويَلتقطوا الأخبار ، ويُوحوابها الى أوليائهم .

فكيف بمَن جعَلَه الله تعالىٰ إماماً وأميناً في أرضه وحُجَّةً على

عباده ، أَما ينبغي أنْ يُسخِّر الله تعالىٰ له جميع الوسائل المادّية والماورائيَّة ، ويُزوِّده بجميع الأجهزة المعنويَّة اللازمة ، ليكون على عِلْم وإحاطة بكلٍّ ما يجري ؟؟!

«ومَعرِفَتنا بالذُلِّ الذي أصابَكم مُذ جنَحَ[١] كثيرٌ مِنكم الى ما كان السَلَفُ الصالح عنه شاسعاً » هذه الجملة - كما تراها - مُبهَمة وغير واضحة عندنا ، فما هو الذُلُّ الذي أصاب الناس حينما أقبَلَ الكثيرون الى إرتكاب الأعمال التي كان الخطُّ الشيعيّ السالف بعيداً عنها ؟ إنَّ الإمام (عليه السلام) لا يكشِفُ النِقاب عمّا جرى ، ويُراعي الإختصار والإجمال ، لأنَّ المرسَل إليه - وهو الشيخ المفيد - يَفهم ما يقصده الإمام .

ولكن المستفاد مِن ظاهر كلامه (عليه السلام) هو أنَّ بعض الناس - يومذاك - إنحرفوا عن الصراط المستقيم ، ولا نعلم هل كان إنحرافهم عقائديّاً أمْ سُلوكيّاً ، فأصابهم الذُلُّ وفَقدوا العِزَّة والإستقلال .

«ونبَذوا العَهْد المأخوذ وراء ظهورهم ، كأنَّهم لا يَعلَمون » لا نعلم - بالضَبط - ما هو المقصود مِن نَبْذ العهْد المأخوذ ؟ ولعلَّ المعنى هو أنَّ بعض الناس - بعد وقوع الغَيْبة الكُبرىٰ وانقطاع الإتِّصالات بين الشيعة وبين الإمام المهدي - بدأ يَشك او يُشَكِّك في وجود الإمام المهدي (عليه السلام) وذلك لمّا أصابتهم المحَن والمشاكل والضغوط مِن الحكومات الظالمة ، فتصوَّروا أنَّ الإمام لو كان موجوداً لما أصابتْهم تلك المكاره ، ولكنَّ الإمام (عليه السلام) يُبيِّن سبب ذلك الذُلّ ، وهو أنَّهم إنحرفوا وخالفوا العهْد ، فأصابتْهم سيّئات ما كَسَبوا ، وإلّا فإنَّ

---

(١) جَنحَ : مالَ .

الإمام (عليه السلام) يَشمل شيعته بدعائه وعَطْفه ولُطْفه، ولهذا قال (عليه السلام):

«إنّا غير مُهملين لمُراعاتكم، ولا ناسين لِذكْركم، ولولا ذلك لَنزل بكم اللَأْواء، واصطَلمَكم الأعداء» لولا رِعاية الإمام (عليه السلام) لشيعته ودعاؤه لهم، لَضاقت عليهم الأُمور، واشتدَّتْ بهم المحن، وهذا معنى «اللأْواء»، وقد كانت الحكومات المنحرفة ـ في عهد الأمويِّين والعبّاسيِّين والعثمانيِّين وغيرهم ـ تُحارب الشيعة وتُطاردهم وتُلاحقهم، وكان المفروض أن لا يبقىٰ منهم أحد، لولا دعاء الأئمَّة الطاهرين وعناية الإمام المهدي ورعايتُه، وهذا معنى «إصْطَلمكم الأعداء» أي: إستأصلكم. يُقال: إستأصَل الشَجَرة، أي قَلَعَها مِن أُصولها وجُذورها.

وخلاصة القول: إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُدافع ويُحامي عن الشيعة بالطُرُق والوسائل المتوفِّرة لديه، وبالإستفادة مِن القدرة المادِّية والماورائيَّة التي يتمتَّع بها، ولقد أحسَنَ وأجادَ الخاجة نصير الدين الطوسي ـ الفيلسوف الشيعيُّ العظِيم ـ حيث قال ـ في حقِّ الإمام المهدي عليه السلام ـ: «وجُودُه لُطْفٌ، وتَصَرُّفُهُ لُطْفٌ آخر، وعَدَمُه مِنّا». وسنذْكُر ـ في الفَصل القادم ـ بعض النماذج لِعناية الإمام المهدي بشيعته، ورعايته لهم.

ويَنبغي أنْ لا نَنسىٰ أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُدافع عن شيعته ما داموا على الخطِّ الشيعيِّ الصحيح، أمّا إذا انحرفوا عقائدياً أو سُلوكياً فإنَّ الأمْر يَختلف، والعِناية تَضعُف، كما شاهدنا ونُشاهد ذلك، فالإمام المهدي (عليه السلام) لا يَشمل برعايته الخَمّارين والقَمّارين

والزنّائين وأمثالَهم مِن الفَسَقَة الفَجَرة ، ولا يُبالي بالمنحرفين عقائدياً ولا بالعامِلين في الأحزاب والمنظَّمات المخالفة للإسلام والمناقِضة للدين ، نعم .. لا يُبالي بهم لأنَّهم ليسوا على خطِّ الإمام المهدي الذي هو خطُّ الإسلام والنبيّ والأئمَّة (عليهم الصلاة والسلام) وبالتالي ليسوا مِن شيعته .

«فاتَّقُوا الله جلَّ جَلالُه ، وظاهِرُونا على إنتياشِكم مِنْ فتنةٍ قد أنافَتْ عليكم[1] » يأمرهم الإمام (عليه السلام) بتقوىٰ الله سبحانه ، والإبتعاد عن المعاصي التي تَجلب أنواع البلاء .

إنَّ الامام المهدي ـ الذي يَتجسَّد فيه الإسلام ، والذي يُمثِّل جدَّه صاحبَ الشريعة الإسلاميَّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجدادَه الطاهرين (عليهم السلام) ـ لا يَتجاوب مع المستهترين الذين لا يُبالون بالقِيَم الإسلاميَّة والأحكام الدينيَّة ، فترىٰ بعضَهم يَرتاد المسابح المختلَطة والملاهي والمخامِر والمدارس المختلَطة ، ويَتعاطىٰ المعاملات الربَويَّة، ويتعاون مع الظالمين ، ويُبايعهم على تَنفيذ أوامرهم مَهْما كانت ، وكأنَّه لا يَعترف بالحلال والحرام ، ولا بالنجس والطاهِر ، ولا بالواجبات والتكاليف الشرعيَّة ، فهو شيعيٌ بالإسم فقط .. لا بالعمل .. ولا بالعقيدة !!

فما كرامة هذا الشيعي الذي يستخفُّ بأحكام الإسلام ، ويرتكب المحرَّمات وكأنَّه ليس مِن هذه الأمة ، ولا مِن أفراد هذه المِلَّة ؟!!

ولقد مرَّتْ عليك ـ في فصلٍ سابق ـ أسماء بعض المنحرفين الذين تبَّرأ الإمام المهدي (عليه السلام) منهم ، بل ولَعَنَهم وأمَرَ شيعتَه بالبراءة

---

(١) ظاهِرونا : تَعاونوا مَعَنا . إنتياش : إنقاذ وإنتشال . أنافَتْ : أشرفَتْ وارتفعتْ

منهم . كلُّ ذلك بسبب مُنكراتهم وإنحرافاتهم . ثم يُنذِر الإمام المهدي (عليه السلام) شيعته ، ويُخوِّفهم من فِتْنةٍ كانت في طريقها الى المجتمع الإسلامي ، أو الى بغداد بصورة خاصَّة ، ويأمرهم أنْ يَتعاونوا معه عمليّاً حتى يُنقذَهم مِن تلك الفِتْنة .

والمقصود مِن التعاون العَملي هو ما ذَكرَه الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الرسالة التي كتَبَها الى عثمان بن حُنيف[1] ، حيث ذَكرَ فيها : « ... ولكنْ أعينوني بوَرَعٍ واجتهاد ، وعِفَّةٍ وسَداد ... » فالدُعاء مِن الإمام والتقوىٰ مِن الشيعة يُنتجان معاً : الخلاصَ مِن البَلايا والفِتَن .

ويُشَبِّه الإمام (عليه السلام) تلك الفِتْنة بالسحابة التي تُخيِّم على البَلْدة ، وتَسدُّ الفَضاء مِن الأُفق الى الأُفق .

«يَهْلَكُ فيها مَنْ حُمَّ أَجَلُه ، ويُحمىٰ عنها مَن أدرك أمَلَه» : يَهْلكُ في تلك الفِتْنة كلُّ مَن قُدِّر اَجَلُه وانتهتْ مُدَّتُه ، ويحفظ الله عن تلك الفِتنة كلَّ مَن أدرَكَ أمَلَه ، وقُدِّر له البقاء .

«وهي أمارَةٌ لِأُزوفِ حَرَكتِنا» الأَمارة ـ بفَتْح الهمزة ـ العَلامة ، الأُزوف ـ بضَمِّ الهمزة ـ : الدُنوّ والإقْتراب . فالمعنى : أنَّ الفتنة المذكورة عَلامَة لقُرْب حركتنا ، وليس المقصود مِن الحركة ـ هنا ـ الظُهور ، بل هو الإنتقال مِن مكان الى مكان ، فإنَّ الذي أوصَلَ هذه الرسالة الى الشيخ المفيد قال إنَّه يَحملُها مِن ناحية مُتَّصلة بالحجاز ، فلعلَّ الإمام إنتقل مِن تلك المنطقة الى مكان آخر ، في أوائل حُدوث تلك الفِتْنة المُشار إليها .

---

(١) كان والياً على مدينة البصرة مِن قِبَل الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

«ومُباثَّتكم بأمْرِنا ونَهْينا» وفي بعض النُسَخ : مُبايَنتكم ، وهناك نُسَخ أُخرىٰ بعيدة ، والأقرب الى الصَواب هو «مباثَّتكم» يُقال : تباث القومُ الأَسرار ، أي كَشَفَها بعضُهم لبعض ، والمقصود أن يُخبر كلُّ واحدٍ منهم الآخر بما يَعْلمه مِن الأوامر والنَواهي الواردة مِن ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) ، ولعلَّ المعنىٰ هو أنَّ الإمام سوف يُرسِل تعليمات جديدة عند حلول تلك الفتنة .

«إعتَصِموا بالتَقيَّة مِن شَبِّ نار الجاهليَّة»(١) التقيَّة : هي كتْمان العقيدة التي لا يتَّفق معها الناس ، ومُوافقتهم في قولٍ أو فِعْل .. مخالفٍ للحق ، إتّقاء شَرِّهم ، وهي راجحة عقْلاً ، وقد تَجب شرْعاً في ظروف خاصَّة ، وشروط مذكورة في الكُتُب الفِقهيَّة .

اَمَر الإمام (عليه السلام) شيعتَه أنْ يَلْتزموا بالتقيَّة ، وليس هذا بشيء جديد ، فقد أمَرَ الأئمَّة (عليهم السلام) شيعتَهم بذلك بكلِّ تأكيد .

ولعلَّ المقصود مِن التقيَّة ـ هنا ـ : الإبتعاد عن مواطن الفِتْنة ، والحَذَر منها ، وإنتهاج أُسلوب خاص ـ في الحياة ـ لا يَجلب إنتباه الأعداء ولا يُهيِّج عزائمهم ضِدَّ الشيعة والتَشيُّع .

ومِن المؤسِف أنَّ هذه الكلمات ـ بالنسبة إلينا ـ في منتهىٰ الخفاء والغُموض ، ولا نستطيع أنْ نعرف ـ بالضبط ـ المقصود منها ، ولا يَبعُد أنْ تكون الحكومة العباسيَّة ـ يومذاك ـ قد خَطَّطتْ للقضاء على الشيعة ، باعتبارها القلب النابِض لخطِّ الإمام المهدي (عليه السلام) ، ولأنَّها تُحافظ

---

(١) شبّ نار الجاهليَّة : يُقال : شَبَّ النار : إذا أوقَدَها .

على كِيانها وتَعتمِد على نفْسِها ، وتَتحدّىٰ الحكومات اللاشرعيَّة ، فأنذَرَ الإمام المهدي (عليه السلام) شيعتَه بتلك النوايا السيّئة والخُطَط الجَهنميَّة التي كانت تُحاك خَلْف السِتار ، وأمَرَهم بالإجتناب عما يُعرِّضهم للخَطَر ، وذلك بالإعتصام والإلتزام بالتقيَّة .

«تُحشِّشها عُصَب أمويَّة » حَشَّ النار : أوقدَها أو حرَّكها[1] فيُمكن أنْ يكون المعنى أنَّ طائفة أمويَّة النَزْعة تَسْتَغلّ الموقِف ، فتحشُّ النار وتُحرِّكها ، وتُشعِل نار الفِتْنة لإيجاد حربٍ طائفيَّة ، فتَثُور في الشيعة روح الحَمِيَّة ، وتَهيج عزائمهم ، ويُقاومون تلك المشاغَبات ، وكأنَّهم بذلك يَشِبُّون النار ، وبما أنَّهم ـ يومذاك ـ طائفة مُستضعَفة ، لذلك سيكونون ضحيَّة تلك الفِتْنة ، ووقود تلك النار .

«أَنا زعيم بنجاة مَن لم يَرُم فيها المواطن الخَفيَّة » يقال : رامَ ، يَرُوم رَوماً ـ بفتح الراء ـ الروم : الحركة المختلسة الخفيَّة . يَضمن الإمام المهدي (عليه السلام)ويتكفَّل بنجاة مَنْ لم يَقُمْ بأعمال سِريَّة ، ولم يَقُم بنشاط مُضادٍ للشيعة والتشيُّع ، كإيجاد علاقات صداقة سِريَّة مع أعداء الشيعة .

«وسلَك في الظعن منها السُبُل المرضيَّة » أي : إختار الطُرُق السليمة المعتدِلة ، في مواجهة تلك الحوادث الخطيرة التي خطَّطها الأعداء .

ثم أخبَرهم الإمام بما سَيَحْدُث في تلك الأزمنة فقال : «إذا حَلَّ

---

(١) لم أجِد في كُتُب اللُغة ـ الموجودة عندي ـ حشَّش ، بل الموجود : حَشَّ النار : أي أوقَدَها أو حَرَّكها .

جمادیٰ الأُولی مِن سَنَتكم هذه فاعتبروا بما يَحْدُث فيها[١]» كلمة (العِبْرة) و (الإعتبار) بمعنى الإتّعاظ ، وهي مُشتقَّة مِن العُبور ، وهو الإنتقال مِن مكان الى مكان ، والمراد ـ هنا ـ إنتقال الذِهْن مِن أمْرٍ الى آخر ، مثلاً : الإعتبار بالموت هو إنتقال ذِهن الإنسان مِن موت الناس الى موته هو ، فيتفكَّر أنَّه يموت كما مات غيره ، أو فلان كان غنياً فافتقر ، أو عزيزاً فذلّ ، فيَعتَبِر الإنسان بذلك ، ويتَّخذ التدابير اللازمة ، ولا يَعتمد على الدنيا ، فهُنا إنتقل الذِهن عن الحوادث الى مصير الإنسان نفسه .

أمَرَ الإمام المهدي (عليه السلام) شيعتَه بالإعتبار بالحوادث التي أخبر عنها مُسبَقاً ، ولا أراني بحاجة الى تكرار التحدُّث عن عِلْم الإمام (عليه السلام) وإخباره عن المستقبل ، وقد سبَقَ هذا البحث في فصْلٍ سابق .

«واستَيقِظوا مِن رَقْدَتكم لِما يكون في الذي يَليها »[٢] يُستفاد مِن هذه الكلمة أنَّ الخُمود وتَعطُّل المشاعر وفقدان الوَعي كان سائداً على ذلك المجتمع ، فكأنَّهم كانوا نائمين . . لا يَشْعرون بالذي يجري حولهم .

((سَتَظْهَرُ لكم مِن السماء آيةٌ جَلِيَّة ، ومِن الأرض مِثْلُها بالسَويَّة)) مع كلِّ أسَف أنَّ التاريخ أهمَلَ ذِكْر الحوادث التي حدَثَتْ في تلك السَنة ، ونَجِد في كُتُب التاريخ حوادث لا تتَّفِق مع تلك السَنة تاريخياً ، لأنَّ تاريخ هذه الرسالة سنة ٤١٠ هـ ، وقد حدثتْ حوادث في سنين متأخِّرة عن تاريخ هذه الرسالة ، ولا ينطبق عليها إخبار الإمام

---

(١) وفي نسخة : فيه ، باعتبار رجوع الضمير الى لفظة «شَهْر » المقدَّرة في الجملة

(٢) وفي نسخة : يَليه .

المهدي (عليه السلام) .

مَثَلًا : ((ستَظْهَر لكم مِن السماء آية جَليَّة ، ومن الأرض مِثْلُها بالسَوِيَّة)) الآية السماوية التي حدثتْ هو سقوط كوكب (أي قذيفة مُنفصِلة عن الكواكب) عظيم ، إستنارتْ منه الأرض ، وسُمع له دَويُّ عظيم ، ولكنْ كان ذلك في سنة ٤١٧ هـ ، وحدَثَ مِثْلُ هذا الحَدَث سنة ٤٠١ هـ ، وارتفَع ماء دجلة ـ بسبب الفيضان ـ مقـدار إحدىٰ وعشرين ذِراعاً ، وغرق جانب كبير مِن بغداد وأراضي العراق .

فمِن المستبعَد جداً أنْ يأمُر الإمام شيعتَه بأنْ يَعتَبِروا بما يحدُث في شهر جمادىٰ الإولىٰ مِن تلك السَنة مِن الحوادث ، مِن ظُهور آية سَماويَّة ، ومِن الأرض مِثْلها بالسويَّة ثمَّ تحدُث الحوادث بعد سبع سنوات ! .

ولا محيصَ لنا مِن أنْ نقول : إنّ حوادث سماويَّة وأرضيَّة حدَثَت في تلك السنة ، ولكنَّ التاريخ أهمَلَ ذِكْرَها ، أو لم يَصِل إلينا خَبَرُها ، بسبب تَطاوُل الزَمان .

((ويَغلبُ ـ مِن بَعْدُ ـ على العراق طوائف عن الإسلام مُرّاق))

مُرّاق ـ جَمْع مارق ـ : يقال مَرَق عن الدين : أي خرج منه . أخبَرَ الإمام المهدي (عليه السلام) عن غلبة طوائف خارجة عن الإسلام ، أو خارجة عن تعاليم الإسلام ، على العراق . يُقال إنَّ (طغرل بك) أول مُلوك السلاجقة ، إستولىٰ على العراق ، بعد حروب دامية ، وشمل شَرُّه العباد والبلاد ، وذلك في سنة ٤٤٧ ، فدخل جيشه بغداد ، وضيّق على الناس في المساكن والأرزاق ، فوقع القَحْط والغلاء في المواد الغذائية ، وارتفعت الأسعار إرتفاعاً جُنونيّاً ، وكَثُر الموت ، وحدَث وباء عظيم ، واشتد الأمر

وتطوَّر مِن سوء الى أسوأ ، حتى عجز الناس عن دَفْن الموتىٰ .

فلعلَّ المقصود مِن الطوائف المرّاق عن الإسلام ، هم : (طغرل بك) وعساكره الذين أفسدوا في البلاد العراقية ، وجعَلوا أعزَّة أهلها أذِلَّة ، وأهْلَكوا الحَرْث والنَسْل ، وهَتَكوا الحُرمات بعد أنْ أراقوا الدماء ، وارتكبوا أبشَع الجرائم وأفظَع الفجائع ، وجعلوا الحياة الإقتصاديَّة في تدهور وتأزُّم[١] والله العالِم .

((ثم تَنْفَرِج الغُمَّة ـ مِن بَعْدُ ـ بِبَوار طاغوتٍ مِن الأشرار ، ثم يسرُّ بهلاكه المتَّقون الأخيار)) واخيراً مات الطاغوت طغرل بك ، وانفرجَتْ الغُمَّة والأزمة ، وفرح المتَّقون الأخيار بهلاكه وموته ، وانحلَّت المشاكل ، وزال الغَلاء وتَحسَّنت الأوضاع ، وتبدَّلت الحياة الى التي هي أحسَن .

((ويتَّفق لِمُريدي الحجِّ مِن الآفاق ما يأملونه منه على توفيرٍ عليه منهم واتِّفاق)) إجتاحت بعض بلاد الشرق الأوسط مَوجةٌ مِن الإضطرابات والمآسي ، ومنها طُرُق الحجِّ للُحجاج ، فكانت الطُرق غير مأمونة ، بل وحتى في مكَّة ذاتها ، قبل صدور هذه الرسالة وبعدها ، واستمرَّ الوضع طيلة سنوات غير قليلة ، وبعد ذلك عادت المياه الى مجاريها ، وعاد الأمان والهدوء والإستقرار الى البلاد ، والطمأنينة الى العباد ، كلُّ ذلك ببركة الإمام المهدي (عليه السلام) كما صرَّح بذلك في هذه الرسالة :

((ولنا في تَيسير حَجِّهم ـ على الإختيار منهم والوفاق ـ شأنٌ يظهر على نظامٍ واتِّساق)) لا بأس أنْ نَنتبه الى أنَّ في هذه الجملة تقديماً

---

(١) تجد تفصيل ذلك في كتاب الكامل للطَبَري ج ٧

وتأخيراً ، فالمعنى : ولنا شأن يَظْهر على نظامٍ واتِّساق في تيسير حجّهم على الإختيار منهم والوفاق .

فالإمام المهدي (عليه السلام) له القُدرة في التصرُّف في هذا الكون بأساليب عديدة مقدورة لديه ، وقد ذكَر الطبَري أنَّ محمد بن سَبُكْتَكين سعىٰ في توفير سلامة الحجّاج ، وما يُدريك مَن الذي أوْعَزَ اليه ذلك وامَره ببَذْل الجُهودِ في هذا السبيل ؟! والله العالِم بالمقصود .

((فليَعملْ كلُّ امرىءٍ منكم بما يُقرِّبه مِن محبَّتِنا ، ويتجنَّب ما يُدْنيه مِن كراهتنا وسخَطِنا)) مِن الواضح أنَّ الأعمال التي تقرِّب الإنسان الىٰ الله تعالىٰ تُقرِّبه الى أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) والأعمال التي توجب سَخَط الله تعالىٰ توجِب سخط الأئمَّة أيضاً ، لأنَّهم يُحبُّون ما أمَر الله به ويكرَهون ما نهى الله عنه ، ومِن الطبيعي أنَّ هذا الخطاب لا يَخصُّ أهلَ ذلك الزمان ، بل يشمل جميع الشيعة على مَرِّ القُرون .

((فإنَّ أمْرَنا بَغْتة فجأة)) البَغْتة والفجأة مُتقارِبتان في المعنىٰ ، الظاهر أنَّ المراد مِن الأمر - هنا - هو ظهور الإمام المهدي ، فالعلائم الحتميَّة - التي تَحدُث قبل الظهور - لا تُعيِّن يوم الظهور ، فيكون الظهور فجأة بغتة ، وخاصَّة للأفراد الذين لا يتفكّرون حول ظُهور الإمام المهدي (عليه السلام) لِعَدَم المُبالاة ، أو ضَعْف الإعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام) وظهوره .

((حين لا تَنْفَعه تَوبة ، ولا يُنجيه مِن عقابنا نَدَم على حَوبة)) الحَوبة : الإثم . إنَّ الانسان إذا أذنب - في عصْر الغيبة - ذنباً يَستحقُّ عليه الحَدَّ ، ثم تاب الى الله تعالىٰ ، قبل أنْ تَشهد البيِّنة بِذَنْبه ، فإنَّ الحَدَّ

يَسقُط عنه ، أمّا بعد قيام الإمام المهدي (عليه السلام) فان التوبة لا تُسقِط الحد ، والنَدم لا يُنجي مِن العقاب الذي يَستحقُّه المُذْنِب ، مثلاً : السارق إذا تاب قبل ظهور الامام المهدي (عليه السلام) قُبِلَتْ توبتُه ، لأنَّها توبة خالصة لله وخوفاً منه ، ولكنْ إذا ظَهَر الإمام المهدي (عليه السلام) فإنَّ التوبة لا تَنْفع في رَفْع الحَد ، فيأمر الإمام بقَطْع يَد السارق ، وإقامة الحَدّ علىٰ مَن يَستحقُّ الحَدّ ويأمُر بِرجْم مَن يَستحقُّ الرَجْم ، كما قال تعالىٰ : ﴿**إنَّما جَزاءُ الذين يُحارِبون اللهَ ورَسولَه ويَسعَوْن في الأرض فساداً أنْ يُقتَّلوا ، أو يُصَلَّبوا ، أو تُقطَّع أيديهم وأرجلُهم مِن خِلاف ، أو يُنفوا من الأرض ، ذلك لهم خِزْيٌ في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، إلّا الذين تابوا مِن قَبْل أنْ تَقْدروا عليهم فاعلَموا أنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم**﴾ فقد ذكَر الطبرسي في مجمع البيان ـ في تفسير هذه الآية ـ : إستُثني مِن جُملتهم : مَن يتوب مما ارتكبه قبل أنْ يُؤخذ ويُقدر عليه ، لأن توبته ـ عند قيام البَيِّنة عليه ووقوعه في يد الإمام ـ لا تنفعه ، بل يجب إقامة الحدّ عليه .

وستعرف أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام)يُعامل الناس حسب عِلمه واطّلاعه بالحوادث ، ولا ينتظر شهادة الشهود او إقامة البيِّنة ، بل يحكم بما أراه الله تعالىٰ ، وانكشف له من الواقع ، فعند ذلك تكون التوبة خوفاً من الإمام لا من الله تعالىٰ ، ولهذا لا تنفع التوبة .

((والله يُلهمكم الرُشْد ، ويلطف لكم في التوفيق برحمته)) دعا الإمام المهدي (عليه السلام) في حق شيعته بأن يُلهمهم الله الرشد والاستقامة والصواب ، والإلهام : ما يُلقىٰ في الروع ، والروع ـ بضم الراء ـ العقل والذهن والقلب ، كالتلقين ، يُقال : وقع ذلك في روعي ،

أي : في بالي .

((ويَلطُف لكم في التوفيق)) . التوفيق مِن الله : هو توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير ، و «يلطف لكم في التوفيق » أي : يُهيّيء لكم الأسباب بالرفق ، اذ قد يتوفّق الانسان للأعمال الحسَنة .. لكنْ مع تحمل المكاره والصعوبات ، وقد تتهيء له الأسباب فيقوم بنفس العمل .. بكلٍّ سُهولةٍ ويُسْر .

الى هنا كانت الرسالة بإملاء الإمام (عليه السلام) وخَطِّ كاتِبه ، ثم كتَبَ الإمام بخطِّه الشريف المبارَك في ذيل الرسالة هذه الجُملات ، وسمّى الشيخُ المفيد هذه الملحوظة بـ ((نسخة التوقيع باليَد العُلْيا على صاحبِها السَلام)) وقد ذكرْنا ـ فيما مضىٰ ـ أنَّ معنى التوقيع إضافة شيء الى الرسالة، والشيخ المفيد يَقصُد باليَد العُليا يَدَ الإمام المهدي (عليه السلام) المقدَّسة، والملحوظة كما يلي :

((هذا كتابُنا إليك أيها الأخ الوَليّ ، والمخلِص في ودِّنا الصَفيّ ، والناصِرُ لنا الوفيّ ، حَرسكَ الله بِعَيْنه التي لا تَنام ، فاحتَفِظ به ، ولا تُظْهِر على خَطِّنا ـ الذي سَطَّرناه بما له ضمَّنّاه ـ أحَداً، وأدِّ ما فيه الى مَن تَسْكُن اليه ، وأوصِ جماعتَهم بالعمل عليه إن شاء الله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين)) .

دعا له الإمام المهدي (عليه السلام) بالحفظ مِن كلِّ شرّ ، وأمَره أنْ لا يُطْلع أحداً على خَطِّ الكاتب وخطِّ الامام ، وإنَّما يَسْتَنْسِخ منه نسخة ويُخبر بذلك الموثوقين مِن الشيعة المعتمدين .

وهنـاك أسرار وحِكَم ـ لا نَعلمها ـ في إخفاء خطِّ الإمام (عليه السلام) وخطّ كاتبه عن الناس ، ولا نَستطيع أنْ نعرِف السبب القطعيّ لذلك .

رسالة أُخرى الى الشيخ المفيد

ووَرَدَ على الشيخ المفيد رسالة أُخرى مِن ناحية الإمام المهدي (عليه السلام) في يوم الخميس ، الثالث والعشرين من شهر ذي الحِجَّة سنة ٤١٢ هـ ، هذا نَصُّها :

((مِن عبْدالله المُرابط في سبيله
الى مُلْهَم الحقِّ ودَليله» .

بسم الله الرحمن الرحيم

سلامُ الله عليك أيّها الناصِرُ للحقِّ ، الداعي إليه بِكَلمة الصِدْق ، فإنّا نحمدُ الله إليك الذي لا إله إلاّ هو ، إلٰهنا وإله آبائنا الأوَّلين ، ونَسْألُه الصَلاة على سيِّدنا ومولانا محمد خاتم النبيينّ ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

وبعد . . فقد كُنّا نَظَرْنا مُناجاتك ، عَصَمك الله بالسَبَب الذي وهبَهُ الله لك مِن أوليائه ، وحَرسَك به مِن كيد أعدائه ، وشَفَّعَنا ذلك .

الأن مِن مُستَقَرٍّ لنا يُنصَب في شِمْراخ مِن بهْماء ، صِرْنا إليه آنِفاً مِن غماليل ، ألجأنا اليه السباريت مِن الايمان ، ويوشَك أنْ يكون هبوطُنا الى

صَحْصَح ، مِن غير بُعْدٍ مِن الدَهْر ، ولا تطاوُلٍ مِن الزَمان .

ويأتيك نبأ منّا بما يتجدَّد لنا مِن حال ، فتَعرِف بذلك ما تَعتَمِده مِن الزُلْفَة إلينا بالأعمال ، والله مُوَفِّقك لذلك برحمته .

فَلتكُنْ ـ حَرسَكَ الله بعَينه التي لا تَنام ـ أنْ تُقابِل لذلك فتنة تُبْسِلُ نفوسَ قومٍ حَرَثت باطلاً لإسترهاب المُبطِلين يَبْتهج لدمارها المؤمنون ، ويَحْزُن لذلك المجرمون .

وآيَةُ حَرَكَتِنا مِن هذه اللَّوْثة حادِثَةٌ بالحَرم المُعَظَّم ، مِن رجسِ مُنافقٍ مُذَمَّم ، مُسْتَحِلٍ للدَم المُحرَّم ، يَعمد بكيده أهلَ الإيمان ، ولا يَبلُغ بذلك غَرَضَه مِن الظُلْم والعُدوان ، لأنَّنا مِن وراء حِفْظِهم بالدُعاء الذي لا يُحجَب عن مَلِك الأرض والسماء .

فلْتطْمَئنّ بذلك مِن أوليائنا القُلوب ، ولْيثِقُوا بالكفاية منه وإنْ راعَتْهم بُهَمُ الخُطُوب ، والعاقِبةُ ـ بجميل صُنْع الله سبحانه ـ تكون حميدة لهم ما اجتنَبوا المَنهيَّ عنه مِن الذنوب .

ونحن نعهد إليك ـ أيّها الوَليُّ المخلص ، المجاهد فينا الظالمين (أيَّدَكَ الله بنَصْره الذي أيَّدَ به السَلَفَ مِن أوليائنا الصالحين) ـ أنَّه مَن اتَّقىٰ رَبَّه مِن إخوانك في الدين ، وأخْرَجَ ممّا عليه الى مُسْتَحِقّيه ، كان آمناً مِن الفِتْنة المُبطلة ، ومِحَنِها المظْلمة المُضلَّة .

ومَن بَخِل مِنْهم بما أعارَه الله مِن نِعمته على مَن أَمَره بِصِلَته ، فإنَّه يكون خاسِراً بذلك لأُوْلاه وآخرته[1]

(١) وفي نسخة : لأُولاه وأُخراه .

ولو أنَّ أشْياعَنا ـ وفَّقَهم الله لِطاعَته ـ على أجتماع مِن القُلوب في الوفاء بالعَهْد عليهم ، لَما تأخَّر عنهم اليُمْنُ بلقائنا ، ولَتَعَجَّلَتْ لهم السعادة بمشاهَدَتِنا علىٰ حَقِّ المَعْرِفة وصِدْقها منهم بنا !

فما يَحْبِسُنا عنهم إلّا ما يَتَّصِل بنا مّما نكرهه ولا نُؤثِره مِنْهم . والله المستعان وهو حسْبُنا ونِعْمَ الوكيل ، وصلاته على سيِّدنا البشير النَذير محمد وآله الطاهرين وسلَّم .

وكُتِب في غرَّة شوال سنة إثنتي عشرة وأربعمائة

نُسْخَةُ التوقيع باليَد العُلْيا (صلوات الله على صاحبها) :

((هذا كتابنا إليك أيُّها الوليُّ الملهَم للحقِّ العَليّ ، بإملائنا ، وخَطِّ ثِقَتِنا ، فأخْفِه عن كلِّ أحَد ، واْطوِه ، واجعلْ له نسخةً تُطْلع عليها مَن تَسْكُن الى أمانَته مِن أوليائنا ، شَمَلهم الله ببركتنا إنْ شاء الله
الحمد لله والصلاة على سيِّدنا محمد النبي وآله الطاهرين)) .

أقول : هذه الرسالة ـ كسابقتها ـ تشتمل على رموز وكنايات لا يعرفها إلّا الشيخ المفيد نفسه ، وتتضمَّن إخبارات عن المستقبل ، بالإضافة الى إحتوائها على كلمات عربيَّة غير مألوفة ، ويجب أنْ لا ننسىٰ أنَّ كلَّ غُموض أو توضيح أو رمز أو ما شابه ذلك إنَّما هو مُنبعث عن الحِكْمة والعناية الخاصَّة .

((مِن عبْدالله المُرابِط في سبيله)) المرابَطة : هي الملازمة والمواظبة على حفظ ثُغُور البَلَد مِن شَرِّ العدو ، والمقصود مِن الثغور ـ هنا ـ : المواضع التي يُخاف منها هجوم العدو ، وهي الحدود التي تَفصِل بين دولتين .

والإمام المهدي (عليه السلام) يُسمّي نفسَه : المرابِط في سبيل الله ، لأنه المحافظ على الدين الإسلامي الصحيح ، مِن الضَياع والتَلَف ، فما أجملَ هذا التعبير ! وما أحسَنَ هذا البيان ! .

إنَّ المرابِط جالسٌ بالمرْصاد لِكلِّ مَن يُحاول الإعتداء على المدينة ، في حين أنَّ الناس لاهون بأعمالهم وأشغالهم ، وهم لا يَعلمون بالأخطار التي تتوجَّه نحو المدينة ويدفعُها المرابطون .

((الى مُلهَم الحقِّ ودَليله)) قد ذكرنا معنى الإلهام ـ في شرح الرسالة الأولىٰ ـ وللدليل مَعنَيان : ١ ـ ما يُستَدلُّ به . ٢ ـ الدالُّ على الشيء ، وبعبارة أُخرى : قد يكون لفظ «الدليل» إسمَ الفاعل ، وقد يكون إسمَ المفعول ، وعلى كلِّ تقدير فالإمام المهدي (عليه السلام) يَصِف الشيخ المفيد بدليل الحق ، ذلك الحقِّ الذي أَلهمَه الله تعالىٰ .

((فقد كُنّا نَظَرْنا مُناجاتك)) أي : كُنا نَرْقُب أو نُشاهد مناجاتك ، فلعلَّ الشيخ المفيد كان قد توسَّل بالإمام المهدي (عليه السلام) وخاطَبَه في أُموره ، فجاء الجواب إنّا سمعْنا صوتك وفهمْنا مُرادَك .

ودعا له الإمام بالحِفظ ((عَصَمك الله بالسبب الذي وهبَه الله لك مِن أوليائه ، وحرسَك به مِن كيد أعدائه)) يُمكن أنْ يكون المقصود مِن السبب ـ هنا ـ : المنزلة الشامخة والمقام الرفيع الذي كان له عند الإمام المهدي (عليه السلام) .

((وشَفَّعَنا ذلك)) أي : إستجاب الله هذا الدعاء في حقِّنا أيضاً ، وذلك كما يُقال : غَفَرَ الله لك ولنا ، أو : حفَظَك الله وإيّانا .

((الآن مِن مُستَقَرٍّ لنا يُنصَب في شِمْراخ مِن بهماء)) أظنُّ أنَّ هنا

كلمة أو جملة محذوفة ، ولعلَّ التقدير : نكتُب إليك الآن ، أو نحن الآن ، أو ما شابه ذلك ، وبدونه يكون الكلام ناقصاً .

والمقصود مِن ((مستقرٍ لنا)) إمّا خيمة منصوبة ، أو دار مَبنيَّة على قِمَّة جَبَل مِن أرض غيرِ مَسْلوكة ، ومكان لا يُعرف الطريق اليه ، لأن «الشمراخ » : قِمَّة الجَبَل ، و«بَهْماء» ـ هنا ـ : المكان الذي لا يُعرف الطريق إليه .

((صِرْنا اليه آنفاً مِن غَماليل ، ألجأنا اليه السَباريت مِن الايمان))
كان الإمام قد انتقل الى ذلك المكان حديثاً ، وكان قبل ذلك في غماليل ، أي : وادٍ مُلْتَفٍ بالشجر الكثير . . كالغابة . وإنَّما انتقل الإمام من ذلك الوادي بسبب صعوبة العيش فيها ، من الجدب وعدم وجود الزرع .

وإنما اختار الإمام (عليه السلام) هذه المناطق المجهولة البعيدة عن المُدن والأماكن المسكونة ، بوصية مِن والده الإمام الحسن العسكري(عليهما السلام) كما صرَّح الإمام المهدي بذلك لإبن مَهْزيار حيث قال له :

((إنَّ أبي (صلى الله عليه) عهد إليَّ أنْ لا أُوطِّن من الأرض إلا أخفاها وأقصاها ، إسْراراً لأمْري ، وتَحصيناً لمحلِّي ، لمكائد أهل الضلال والمَرَدةِ من أحداث الأُمم الضوال . .))الى آخر كلامه[1] .

((ويكون هُبوطنا الى صَحْصَح من غير بُعْد من الدهر ،ولا تَطاوُلٍ

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥٣ ص ٣٤

من الزمان)) ويمكث الإمام في تلك المنطقة الجديدة فترة قصيرة ، ثم يهبط مِن قمَّة الجَبَل الى صحصح أي : الى أرض مستوية . وفي نسخة : «ضَحْضَح » أي : ماء يسير ، ولعلَّ الأول أقرَب .

((ويأتيك نبأ منّا بما يَتَجدَّد لنا مِن حال))يُستفاد مِن هذه الجملة أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) كتَب الى الشيخ المفيد أكثر من الرسالتين المذكورتين ، كما ذكرنا ذلك في أوائل هذا البحث ، والمقصود أنّنا نُخبرك عن كلِّ تغييرٍ يَحصل لنا في المسكن ((فتَعرِف بذلك ما تَعتمده من الزُلفة إلينا بالأعمالً)) أي : إنما نُخبرك لتعرف أنَّ لك عندنا قُرباً ومنزلة شامخة حصلتْ لك بسبب أعمالك الحسَنة .

((فلتكُنْ - حرسَك الله بعَينه التي لا تنام - أن تُقابل لذلك فتنةً تُبْسِل نفوسَ قومٍ حرثتْ باطلاً لإسترهاب المبطلين)) دعا الإمام المهدي (عليه السلام)للشيخِ المفيد بأن يحرسه الله عن المكاره ، وكان هذا الدعاء مقدِّمة تمهيديَّة لتقوية عزائمه ، وتثبيته في مقابل فتنة تُهلك نفوس قوم زرعت الباطل في القلوب الفارغة عن العقيدة الصحيحة ، وذلك عن طريق نشْر الأباطيل وإشاعة الأكاذيب في ذلك المجتمع .

فالظاهـرأنَّ الإمام (عليه السلام) أَمَرَه بمقاومة تلك الفتنة ، واتّخاذ التدابير اللازمة لها ، لتخويف المبطلين ،حتى يعلموا أنَّ الساحة غير خالية أَمامَهم ، وأنّ هناك مَن يُقاوم نشاطاتهم الجهنميَّة .

ويُحتمـل أنْ يكـون المعنى : إنّ الـذين يَـزرعـون البـاطـل إنمـا هــو لاسترهاب وتخويف المبطلين أمثـالهم . ويُحتمل - قـويّاً - أنَّ معـارك طائفيَّـة كـانت مُتـرقَّبـة ومخـطَّطة ، ولا نستـطيـع أن نعلم مـاهيّتهـا وحقيقتهـا ، لغموضها وإهمال التاريخ لذِكْرها .

وعلى كلٍّ تقدير : فقد وجَد الإمام (عليه السلام) الكفاءة في الشيخ المفيد ، ليقف أَمامٍ تلك الموجة التي كادتْ أو كانت تقوم بأعمال شيطانيَّة ، ويتصدّىٰ لها بكلِّ حَزمٍ وصمود .

((يَبتهج لدمارها المؤمنون ، ويَحزن لذلك المجرمون)) وأخيراً كان مصير تلك المحاولات الفشل ، وكأنّ تلك الفتنة أكَلتْ أصحابَها ودَمَّرتْهم ، ففرح المؤمنون بذلك ، وحزن المجرمون لانهيار مساعيهم المنحرفة .

((وآية حركتنا مِن هذه اللَوثَة حادِثةٌ بالحَرَم المعظَّم ، مِن رجسٍ منافقٍ مُذمَّم ، مُستحلٍّ للدم المحرَّم ، يعمد بكيده أهلَ الايمان ، ولا يَبلغ بذلك غرضَه مِن الظُلم والعدوان)) اللَّوث ـ بفتح اللام ـ : لُزوم الدار[1] وأمّا اللوثة ـ بضم اللام ـ : فهي بمعنى الاسترخاء والبطؤ ، ولا تُناسب المقام .

والمقصود أنَّ علامة حركتنا ، أي مُغادرتنا هذا المكان الذي نُقيم فيه حالياً ـ والذي قد تقدَّم وصْفُه ـ حادثة بالحَرَم المعظّم ، أي : مكّة أو المسجد الحرام ، ويقوم بها رجس منافق يُظْهر الايمان ويُبطِن الكفر ، مذمَّم مذموم ، كثير الذم ، أي : لا يذكره الناس إلا بالشر سفّاك للدماء المحرَّمة ، لا يُبالي من إراقة دماء الأبرياء ، يَقصد المؤمنين ، ويُحيك ضدَّهم المؤمرات ، ولكن محاولاته تبوء بالفشل ، فلا يتحقّق هدفه السيء، ولا يَبلغ الى آماله من الظلم والعدوان ، وهذه أيضاً مشكلة تاريخيَّة

(١) القاموس للفيروز آبادي .

لا نستطيع التأكّد من تعيينها ، فالحوادث التي جرتْ في المسجد الحرام كثيرة ، ولا نعرف ما يقصده الإمام (عليه السلام) بالضبط .

ولكن نعلم باليقين أنَّ الحادثة حدثتْ في زمان الشيخ المفيد ، ولهذا أَمَره الإمام باتخاذ التدابير لإبطال تلك المؤمراة الكافرة ، وتفنيد ذلك المخطّط الشيطاني .

((لأنّنا مِن وراء حِفْظِهم بالدعاء الذي لا يُحجَبُ عن مَلِك الأرض والسماء)) . الدعاء : هو الإستمداد مِن مركز القُدرة التامَّة ومصدرِ القوَّة الكاملة العامَّة غير المحدودة ، الدعاء هو : إستمداد من الله تعالىٰ الذي هو ملك السماوات والأرض ومالكها ، ويُدبِّرها كيف يشاء ، ويتصرَّف فيها كما يُريد ، وهو على كل شيء قدير ، وبكلِّ شيء محيط عليم بصير خبير.

ودعاءُ الإمام المهدي (عليه السلام) لا يُحجَب عن الله تعالىٰ ، لعدم وجود ما يَحبس الدعاء عن الإجابة ويمنعه عن التنفيذ ، فدعاؤه لا يُرَدّ ، بالغاً ما بلَغَ ، وكائناً ما كان ، ولا يحول دون إجابته حائل .

ويدفع الله الفِتَن بدعاء الإمام المهدي (عليه السلام) وطَلَبِه من الله تعالىٰ ذلك ، فالإمام المهدي هو الحافظ لشيعته عن طريق الدعاء لهم ، ولولا دعاء الإمام لكانت الحياة على خلاف ما هي عليه الآن .

أيها القاريء : في غضون تأليف هذا الكتاب ، إنصبَّتْ أنواع المصائب والمآسي على الشيعة في كثير من بلاد الشرق الأوسط ، فقُتل مَن قتل ، وأُسِر مَن أُسر ، وسُجن مَن سجن ، وأُقصي مَن أُقصي ، وتشتّت العوائل ، وتفرَّقت العشائر ، وهُدِّمت بيوت واحترقتْ أجساد ، وزُهِقَتْ نفوسٌ تحت الأنقاض ، وهُتكت الاعراض وتمزَّقت الأُسر ، وصودرت

الأمـوال والعقار ، وعـاشت الشيعـة في جـوٍّ من الضغط والكبْت والإختناق ، وانقلبت عليهم الأُمور ، فصار الأغنياء فقراء والأعزَّة أذلَّة ، وشملهم الخوف والذُلُّ والهوان ، فكانت الويلات والدموع والآهات ممّا تعجـز الأقلام عن وصْفهـا ، والألسن عن شرحهـا ، فأين دعـاء الإمام ؟؟!!

لا أُريـد أن أخـدش عـواطف أبنـاء مـذهبي وأضَع النقـاط عـلى الحروف ، حتى يُحمل كلامي على الشماتة ، ولكنّي أقول : كلّ مَن قرأ هذا البحث مِن كتابي ، فليُلْق نظرةً الى المجتمع وليُقارن بينه وبين التعاليم الإسلامية ، لِيرىٰ بَوناً شاسعاً وابتعاداً كثيراً بينهما .

فأين التشيُّع مِن السفور والخلاعة، والخمور والفجور ، والربا والزنا وأكل الحرام والإنحراف عن خط أهل البيت الذي هو خطُّ الاسلام؟!

ولا تسأل عن الإنحرافات العقائديَّة التي ابتُليَ بها شبابُنا في هذا العصر بصورة خاصَّة !

فأين التشيُّع مِن الشيوعيَّة الكافرة ، والوجودية الباطلة ، والأحزاب الأُخرىٰ التي هي والتشيُّع على طَرَفي نقيض ؟!

إنَّ الكثيرين مِن الشيعة هم شيعة بالولادة ، شيعة إسماً ، لا سُلوكاً ولا عقيدةً ولا عَملاً . . فكيف يَشملهم دعاء الإمام؟!.

وليس معنى كلامي هذا ، أنَّ الانحراف خاص ببعض أفراد الشيعة فقط ، كلاّ . . بل إنَّ الإنحرافات والمفاسد والمساوىء عند أفراد بقيَّة المذاهب الاسلامية أكثر وأكثر ممّا هو موجود عند الشيعة ، كما رأيتُ ذلك وشاهدت ،وليس معنى كلامي المتقدَّم أنَّ أتباع بقية المذاهب أبرار

وأخيار ومعصومون من كلِّ ذنب وكأنَّهم ملائكة .. كلاّ ، وإنَّما المقصود أنَّ دعاء الإمام لشيعته يكون عند صفاء الشيعة وابتعادهم عمّا نهى الله عنه ، وإلاّ فالبلاء نازل والشرُّ قادم ـ نعوذ بالله ـ .

((فلتطمئنَّ بذلك مِن أوليائنا القلوب ، وليثِقوا بالكفاية منه وإنْ راعتْهم بُهَمُ الخُطُوب)) وهكذا يفيض الإمام المهدي (عليه السلام) الطمأنينة والإستقرار على قلوب مُواليه ومُحبِّيه ، ببركة دعاء الإمام ، حتى يَثقوا بأنَّ الله تعالىٰ يكفيهم شرّ الأحداث وحتى إذا أخافتهم البُهَم : وهي الخطوب والمكاره العظيمة .

((والعاقبة ـ بجميل صُنْع الله سبحانه ـ تكون حميدة لهم ، ما اجتَنَبوا المنهيَّ عنه من الذنوب)) وهذه بشرىٰ سارة أنَّ عاقبة أمْرهم ـ وهي نهايتها ـ تكون حميدة ، وذلك بسبب جميل صنع الله تعالىٰ ؛ أي : جميل إحسانه لهم ، ما داموا مبتعدين عن المعاصي والمنكرات .

((ونحن نعهد اليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين ـ ايَّدك الله بنَصره الذي ايَّد به السَلَف مِن أوليائنا الصالحين ـ أنَّه مَن اتَقىٰ ربَّه)) نعهد اليك أي : نتقدَّم اليك بهذا القول ، أو : نوصيك بهذه الوصيَّة ، أو نَعِدُك . ثم وصَفَ الإمام الشيخَ المفيد بالولاء الخالص ، وسمّاه ولياً مخلصاً في ولائه وأعماله ، ومعنى الاخلاص : التجرُّد عن الشوائب ، وكلُّ ما صفىٰ وخَلُصَ ولم يمتزج بغيره فهو خالِص ، والعمل الذي يكون لله ولا يُريد أن يحمده عليه أحد إلاّ الله سبحانه .

ويُستفاد أنَّ الشيخ المفيد بَذَل الجهود والمساعي الكثيرة في دفْع شبهات المبطِلين ، وتفنيد مزاعمهم ، وتثبيت قواعد التشيُّع ومكافحة المنحرفين ، وقد وصَفَه الإمام (عليه السلام) بقوله : ((المجاهد فينا

الظالمين) ثم دعا له بهذه الدعوات التي تُعتبر مِن نوادر النِعَم . . ولا تُثمَّن بثَمَن : ((أيَّدك الله بنَصْره الذي أيَّد به السلَف مِن أوليائه الصالحين)) لعلَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُشير بهذا الدعاء الى الآية الشريفة : ((وأيَّدناه بروح القُدُس)) أيدّك الله أي : قوّاك الله بنَصْره ، فيمكن أن يكون المقصود من قوله : ((بنصره الذي أيَّد به السلف)) هي تقوية الروح والنفس عن طريق روح القدُس الموكَّل ببعض العباد ، يُلهمهم الكلام ، ويُلقِّنهم المعاني ، ويُجري على ألسِنَتهم الحقائق ، كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحسَّان بن ثابت : «لا زِلْتَ مُؤيَّداً بروح القدس ما دُمتَ ناصرنا» . وقال الإمام الرضا (عليه السلام) لدعبل : يا خزاعي نَطَقَ روح القُدس على لسانك . وقد ذكرنا ذلك في فصل : ((الإمام الرضا يُبشِّر بالإمام المهدي)) .

نعهد اليك ((أنّه مَن اتقىٰ ربَّه مِن إخوانك في الدين ، وأَخرَج مّما عليه الى مُستحقّيه ، كان آمناً من الفتنة المبطلة ، ومحنِها المظلمة المُضِلّة)) يَضمن الإمام المهدي (عليه السلام) لأهل التقوىٰ الذين يُخرجون ما عليهم من الحقوق المالية ـ كالخمس والزكاة وغيرهما ـ ويدفعونها الى مستحقّيها ، يضمن لهم الأمان مِن مضاعفات الفتنة المبطلة ، وهي التي تأتي بالباطل والكذب ، والمِحَن ـ جمع مِحْنَة ـ وهي ما يُمتحن به الانسان مِن بَليّة ، ووَصفها بالظلام والضلال ، كالطريق المظلم الذي يضلُّ فيه الإنسان ولا يعرف طريق الخلاص والخروج من تلك الظُلمة .

((ومَن بَخل مِنْهم بما أعاره الله من نعمته على مَن أمَره بصلته فانه يكون خاسراً لأولاه وأخراه)) لقد ضمن الإمام المهدي (عليه السلام) للذين يدفعون حقوقهم الماليَّة الواجبة أنْ يكونوا آمنين مِن البلايا والمحن

والشدائد ، وكذلك هدَّد الذين يبخلون عن دفع الحقوق الماليَّة التي أعارها الله عندهم ، والعارية : هي الشيء الذي تدفعُه للآخر بشرط أنْ يردّه إليك ، فالأموال التي يتركها الإنسان بعده هي بمنزلة العارية ، لأنها تنتقل الى غيره ، أو يصرفها في حياته ، وعلى كلِّ حال فالأموال التي بيد الإنسان جعلَها الله سبحانه عاريةً عنده ، لا تبقىٰ دائماً بل تزول وتخرج من يده ، فمن بخل عن دفع الحقوق المالية الى المستحقّين فسوف يرىٰ الخسائر الماليَّة في هذه الدنيا ، بأن تُسرق أمواله أو تُتلف بالحَرق أو الغرق أو النهب أو ما شابه ذلك .

ويكون خاسراً في آخرته أيضاً ، لأنَّه يَخسر الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي أعدَّه الله للمنفقين أموالهم في سبيل الله ، بل ويُعذَّب على ترك هذا الواجب وهو دفع الحقوق الشرعيَّة .

((ولو أنَّ أشياعنا ـ وفَّقهم الله لطاعته ـ على اجتماعٍ مِن القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخَّر عنهم اليُمْن بلقائنا ولتعجَّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة ، وصدقها منهم بنا)) كلامٌ مؤسف وخبرٌ مؤلم ، يُشير الى أكبر خسارة مُنيتْ بها الطائفة الشيعيَّة ، وهي حِرمانها عن الفوز بلقاء الإمام (عليه السلام) خلال الغيبة الكبرىٰ ، وذلك بسبب فقدان المؤهِّلات وهي : اجتماع قلوب الشيعة في الوفاء بالعهد .

لا نستطيع أن نعرف ـ بالضبط ـ المقصود من كلمة ((الوفاء بالعهد)) والإحتمالات كثيرة والتصوّرات متعددة ، ولكنَّ الشيء الثابت هو أن المقصود من «الوفاء بالعهد» هو الإلتزام بالاستقامة والسير على خطِّ الاسلام بدون أيِّ إنحراف .

فلو كان المجتمع الشيعي هكذا ، لكان الطريق مفتوحاً له ، يَلتقي بالإمام بصورة مكشوفة واضحة ، لا أنْ يكون غافلاً حين اللقاء ، لأنّ أكثر اللقاءات التي حصَلتْ لبعض الأفراد خلال الغيبة الكبرىٰ كان مقروناً بالغفلة وعدم الإنتباه ، وبعد إنتهاء اللقاء كان ينكشف لهم أنّهم التقوا بالإمام المهدي (عليه السلام) في جَوٍّ من الغَفلة وانصراف الفِكر .

ولو كان المجتمع الشيعي على ما يُحبُّه الإمام المهدي (عليه السلام) لكانت السعادة تغمرهم بالتشرّف بلقاء الإمام مع معرفتهم به ، لا في حالة الغفلة وعدم الإنتباه .

((فما يَحبسنا عنهم إلا ما يتَّصل بنا مما نكرهه ولا نُؤثِره منهم)) إنّ الأحاديث الكثيرة تصرِّح بأنَّ أعمال الناس تُعْرَض على كلِّ إمامٍ من أئمَّة أهل البيت ، في كل أُسبوع مرَّتين ، في أيّام الخميس والاثنين، فمن الطبيعي أنْ الإمام يكره لشيعته أنْ يتلوَّثوا بأيِّ إنحراف ، ولا يرضىٰ لهم ذلك ، ولأن التلوُّث بالمعاصي يسلب منهم توفيق التشرُّف بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) ويكون مانعاً لحصول هذا الشرف .

((وكُتِبَ في غرَّة شوال مِن سنة إثنتي عشرة وأربعمائة))

((نسخة التوقيع باليد العُليا صلوات الله على صاحبها)) :

هذا كتابنا اليك أيها الولي الملهَم للحق العلي ، بإملائنا وخطِّ ثقتنا ، فأخفِه عن كلِّ أحد واْطوِه ، واجعَلْ له نسخةً تُطْلع عليها مَن تَسكُن الى أمانته مِن أوليائنا ، شَمَلهم الله ببركتنا إنْ شاء الله)) .

لقد ذكرنا ـ في شرح الرسالة الأُولى للشيخ المفيد ـ المقصود من كلمة «نسخة التوقيع . . . . ».

لقد أَمَرَ الإمام المهدي (عليه السلام) الشيخَ المفيد بأن يُخفي رسالة الإمام عن جميع الناس، حتى لا يَطَّلع أحد على خطِّ الإمام وخطِّ كاتبه، لأسرار وحِكَم، وأمَره الإمام أنْ يَستنسخ من الرسالة نسخة حتى يُطْلع عليها مَن يطمئنُّ الشيخ المفيد بأَمانته وعدم إفشائه السرّ مِن الشيعة فقط.

فلعلَّ الإمام (عليه السلام) كان يرىٰ كتمان هذا الأمَر عن غير الشيعة وعن السلطات الحاكمة في ذلك الزمان.

الفصل الثاني عشر

مَن الذي رآه في الغيبة الكبرى ؟

إنَّ الذين تَشَرَّفوا بلقاء الإمام الحُجّة المهدي (عليه السلام) ـ في أيام الغَيبة الكبرىٰ ـ كثيرون جدّاً ، ولا يُمكن إحصاؤهم ، كما يَصْعب إستيعاب أسماء مَنْ سجَّلَتْهم كُتُب التاريخ والحديث في هذا المجال .

وقد ذَكَر الشيخ المجلسي ـ رحمه الله ـ أسماء جماعة مِن الذين تشرَّفوا بلقاء الإمام في أيام الغَيبة الكبرىٰ ، في كتاب بِحار الانوار .[1]

كما ذَكَر الشيخ النوري ـ في كتاب النَجْم الثاقِب ـ مائة قصَّة عن الذين ساعدَهم الحَظ ففازوا بلقائه (عليه السلام) ثم إنتخَبَ منها ثمان وخمسين قصَّة وحِكاية ، وذَكَرها في كتاب جَنَّة المأوىٰ .[2]

وقد ألَّفَ علماؤنا القُدامىٰ والمُعاصِرون ـ كتُبُاً مستقلَّة حول الذين تَشرَّفوا بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) مِثْل : كتاب (تَبْصِرةُ الوَليّ ، فيمَن رأىٰ القائم المهدي) للسيِّد هاشم البحراني ، و (تَذْكِرَة الطالِب ، فيمَن رأىٰ الإمام الغائب) ، و (دار السلام فيمَن فاز بسَلام الإمام) للشيخ محمود الميثمي العراقي ، و (بَدائع الكلام فيمَن اجتمع بالإمام) للسيِّد

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١ ـ ٧٧ ، طبع طهران سنة ١٣٩٣ هـ .

(٢) لقد طُبِعَ كتاب (جَنَّة المأوىٰ) مع الجزء الثالث والخمسين من بحار الأنوار

جمال الدين محمد بن الحسين اليَزدي الطباطبائي ، و (البَهْجَة فيمَن فازَ بلقاء الحُجَّة) للميرزا محمد تقي الألماسي الاصفهاني ، و (العَبْقريّ الحِسان في تواريخ صاحب الزمان) للشيخ علي أكبر النهاوندي .

أَما قصص وحِكايات الذين تَشرَّفوا بلقاء الإمام (عليه السلام) في زماننا هذا ـ ممَّن لم يَذْكُر قصصَهم المُحدِّثون ، ولم يُسَجِّل أسماءَهم المؤلِّفون ـ فكثيرة جِدّاً .

وبما أنَّ للقصص أهميَّة كُبرىٰ في التَثْقيف والتَوْجيه والتَعليم ، لذا نَنْتَخِب في هذا الفَصْل ـ مِن مجموع القصص والحكايات ـ عَشْر قصص ، نُوجزها رعايةً للإختصار .

والجدير بالذِكْر أنَّ كثيراً مِن الذين ساعدَهم التوفيق ففازوا بهذا الشَرَف العظِيم ، ما كانوا يُخبرون أحَداً بذلك ، خوفاً مِن الشُهْرة ، أو مِن أنْ يُتَّهَمُوا بالكذب والدَجَلِ فلا يُصدِّقهم أحد ، أو تقيَّة مِن السُلطة أو ما شابه ذلك ، ولهذا كانوا يُفضِّلون السُكوت على الإخبار بذلك .

وأمّا الذين أخبَروا بالتشرُّف بلقاء الإمام (عليه السلام) ـ ممَّنْ وصَلَتْنا أخبارهم ـ فلعلَّ الضرورة اقتضتْ ذلك ، أو أنَّ التكليف الشرعي فَرَضَ عليهم ، إثباتاً للحق وتَثْبيتاً لعقائد الناس .

وفيما يلي نَذْكر القصص المختارة،مع مُراعاة الإختصار :

١ - قصّة الرمّانة في البحرين

لقد كانت بلاد البحرين ـ ولا تَزال ـ آهِلَة بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) ، وفي القَرْن السابع الهِجْري كان والي البحرين مِن النَواصب والأعداء الألِدّاء للشيعة ، وكان وزيره أخبَث منه ، وأكثر بُغْضاً للشيعة .

وفي يوم ٍ مِن الأيام جاء الوزير للوالي بِرُمّانة مكتوب عليها : (لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله) فنظَر الوالي الى كتابة الرُمّانة ، فظن أنَّ تلك الخطوط كُتبتْ بقلم القُدْرة ، وليست مِن صُنْع البَشَر .

فقال للوزير : هذه آيةٌ بيِّنة ، وحُجَّة قويَّة على إبطال مذهب الرافِضة ـ يَقصُد الشيعة ـ .

فاقترح الوزير أنْ يجمع الوالي علماء الشيعة وشخصيّاتهم ، ويُريهم الرمّانة ، فإنْ تَخَلَّوا عن مذهب التَشَيُّع واعتَنَقوا مذهب أهْلِ السُنَّة ، تَرَكهم بحالهم ، وإنْ أَبَوا إلا التمسُّك بمذهبهم ، خَيَّرهم بين ثلاثة أُمور :

الأول : أنْ يَدْفَعوا الجِزْيَة ، كما يَدْفَعُها غير المسلمين مِن اليهود والنصارىٰ والمجوس .

الثاني : أنْ يأتوا بجواب لِرَدٍّ وتَفْنيد الكتابة الموجودة على الرمّانة .

الثالث : أنْ يَقتل الوالي رجالَهم ، ويَسبي نساءهم وأولادَهم ، ويأخذ أموالَهم بالغنيمة !

فأرسل الوالي الى شخصيّات الشيعة وأحضَرهم ، وأراهم الرمّانة ، وخيَّرهم بين الأُمور الثلاثة المذكورة ، فطلبوا منه المُهْلَة ثلاثة أيام .

فاجتمع رجالات الشيعة وأهل الحَلِّ والعَقْد ، يَتذاكرون فيما بينهم حول كيفية التخلُّص مِن هذه المشكلة ، وبعد مذاكرات طويلة ، اختاروا مِن صُلَحائهم عشرة رجال، واختاروا مِن العشرة ثلاثة ، وتَقرَّر أنْ يخرج في كل ليلة واحد مِن الثلاثة الى الصحراء ، ويَستغيث بالإمام المهدي (عليه السلام) للتخلُّص مِنْ هذه المِحْنَة .

فخرج أحَدُهم في الليلة الأُولىٰ ، فلم يَتشرَّف بلقاء الإمام ولم تَنْحلّ المشكلة ، وهكذا حدث للثاني أيضاً ، وفي الليلة الثالثة خرج الشيخ محمد بن عيسى الدَمسْتاني[١] ـ وكان فاضلاً تقيّاً ـ فخرج الى الصحراء حافياً حاسِرَ الرأس ، وقَضىٰ ساعات مِن الليل بالبكاء والتوسُّل والإستغاثة بالإمام المهدي (عليه السلام) لكي يُنقذهم من هذه الورطة والبلاء . وفي الساعات الأخيرة مِن الليل ، حَضَر الإمام المهدي (عليه السلام) وخاطبه : يا محمد بن عيسىٰ مالي أراك على هذه الحالة ؟ ولماذا خرجت الى هذه البَرِّية[٢] ؟ فامتَنَع الرجل أنْ يَذْكُر حاجتَه إلّا للإمام

---

(١) دَمستان : قرية في البحرين .

(٢) البريّة : الصحراء

المهدي (عليه السلام).

فقال له الإمام : أنا صاحبُ الأمر فاذكُر حاجتَك .

قال محمد بن عيسىٰ : إنْ كنتَ صاحبَ الأمر فانت تَعْلَم قِصَّتي ، ولا حاجة الى البيان والشرح .

فقال الإمام : نعم ، خرجتَ لما دَهَمَكم مِن أمْر الرمّانة ، وما كُتِب عليها(١)

فلمّا سمع محمد بن عيسى ذلك ، أقبَلَ الى الإمام ، وقال : نعَم يا مولاي ، تَعلَم ما أصابَنا ، وأنتَ إمامُنا ومَلاذُنا ، والقادر على كشْفِه عنّا .

فقال الإمام : إنَّ الوزير ـ لعَنَهُ الله ـ في داره شجرة رُمّان ، فلمّا حملتْ تلك الشَجَرة ، صَنَعَ الوزيرُ شيئاً (أي : قالَباً) مِن الطِين على شكل الرمّانة ، وجَعَلَه نِصْفين ، ونَحَتَ في داخله تلك الكلمات المذكورة ، ثم جَعَلَ رُمّانةً مِن الشجرة في ذلك القالَب ، وشَدَّ القالَب على الرمّانة ، فلما نَبَتَت الرُمّانة وكَبُرَتْ ، دَخَلَ قِشْرُها في تلك الكتابة المنحوتة .

فإذا مَضَيْتُم غداً الى الوالي(٢) فقُلْ له : جئتُك بالجواب ، ولكنّني لا أُبدِيه إلّا في دار الوزير ، فإذا مَضَيْتُم الى داره ، فانظُرْ عن يمينِك ترىٰ غرفة ، فقل للوالي : لا أُجيبُك إلّا في تلك الغرفة ، وسيمتَنِع الوزيرُ عن

---

(١) دهَمَكم : ساءكم ، وأشغَلَ أفكاركم .

(٢) مَضَيتُم : ذهَبْتم

ذلك ، ولكن عليك بالإلحاح ، وحاوِلْ أنْ لا يَدْخُلِ الوزير تلك الغرفة قَبْلَك ، بل أُدخُلْ معه ، فإذا دخلْتَ الغرفة ورأيتَ كُوَّةً[1] فيها كيس أبيض ، فانهَضْ اليه وخُذْه ، فترىٰ فيه تلك الطينة (القالَب) التي عَمِلَها لهذه الحِيلة ، ثم ضَعْها أَمامَ الوزيرَ ، ثم ضَع الرمّانة فيها حتّى يَنكشف أنَّ الرمّانة على حَجْم القالب .

ثم قال الإمام المهدي (عليه السلام) يا محمد بن عيسى : قُلْ للوالي : إنَّ لنا معجزة أُخرى ، وهي أنَّ هذه الرمّانة ليس فيها إلّاّ الرَماد والدُخان[2] فإن أردتَ صحة هذا الخبر فأْمُرْ الوزير بكسرها ، فإذا كَسَرها طار الرماد والدُخان على وجْهِه ولحيَته !

إنتهىٰ اللقاء ، ورجع محمد بن عيسى وقد غَمَرَه الفَرَح والسُرورِ ، وانصرَفَ الى الشيعة يُبشِّرهم بحلِّ المشكلة .

وأصبَحَ الصَباح ومَضَوا الى الوالي ، ونفَّذ محمد بن عيسى كلَّ ما أمَرَه الإمام (عليه السلام) فسَأله الوالي : مَن أخبرَكَ بهذا ؟

قال : إمامُ زَمانِنا ، وحُجَّة الله علينا !

فقال : ومَنْ إمامُكم ؟

فأخبره بالأئمة الإثني عشر واحداً بعد واحد ، حتّى انتهى الى الإمام المهدي صاحب الزمان (عجَّل الله ظُهوره)

فقال الوالي : مُدَّ يَدَك فأنا أشهد أنْ لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمداً

---

(١) الكُوَّة : ثُقبة في الحائط توضَع فيها الأشياء ، ورُبّما نفَذَ منها الهواء والضوء .

(٢) وذلك لِعَدم وصول الهواء وأشِعَّة الشمس إليها ، بسبب كونها في القالَب .

عبْدُه ورسولُه ، وأنَّ الخليفة بعده بلا فَصْل : أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ثم أقرَّ بالأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وأَمَر بقتل الوزير ، واعتَذرَ الى أهل البحرين[١]

أيّها القـاريء الكريم : هذه القصّة مشهورة عند المؤمنين وخاصّة عند أهل البحرين ، وقَبْرُ محمد بن عيسىٰ في البحرين معروف يَزورُه الناس .

٢ ـ قِصَّة ياقوت الدَهَّان

رُويَ عن الشيخ الجليل العالِم النَبيل الشيخ علي الرَشْتي ـ وكان مِن أجِلّاء العلماء الأتقياء ـ قال : سافرتُ مِن مدينة كربلاء المقدَّسة الى النجف الأشرف عن طريق (طُويريج)[٢] فرَكِبْنا السفينة ، وفيها جماعة كانوا مشغولين باللَهْو واللعب وبعض الأعمال المُنافية للوقار والأدب ، ورأيت رجلًا معهم لا يُشاركهم في أعمالهم ، بل يُحافظ على وقاره وأخلاقه ، ولا يشترك معهم إلّا عند تناول الطعام ، وكانوا يَستهزؤن به ويُخاطبونه بكلام لاذع ، وربما طَعَنُوا في مَذْهَبه !

فسألتُه عن سبب إبتعاده عن تلك الجماعة وعدم إشتراكه معهم في

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥٢ ص ١٧٨ ـ ١٨٠ .

(٢) طُويريج : إسمُ مدينةٍ تَبعد عن كربلاء حوالي ١٥ كيلوا متراً ، وتُعرف اليوم بـ(قضاء الهِنْدِيَّة) وقـد كان النـاس يُسافـرون ـ بالـزَوارِق والسُفُن ـ مِن كربـلاء الى طويـريج ، ومنها الى النجف .

اللهو واللعب ؟

فقال : هؤلاء أقاربي ، وهم أهل السُنَّة ، وأبي منهم ، ولكن والدتي مِن أهل الإيمان (أي : أنّها شيعيَّة) وكنتُ أنا أيضاً على مَذْهَبهم ، ولكنَّ الله تعالىٰ مَنَّ عليَّ بالتَشَيُّع ببركة الإمام الحُجَّة صاحب الزمان (عليه السلام) .

فسألته عن سبب هدايته وتشرُّفه بالتشيُّع ؟

فقال : إسمي : ياقوت ، وأنا دَهّان[1] في مدينة الحِلَّة . ثم بدأ يَحكي لي قِصَّة هدايته فقال : خرجتُ ـ في بعض السنين ـ الى البَراري ، خارج الحِلَّة ، لشراء الدهن ، فاشتريتُ كميَّة مِن الدُهن ورجعت مع جماعة ، ووَصَلْنا ليلاً الى مَنْزِل ـ في الطريق ـ فبِتْنا فيه تلك الليلة ، فلّما انتَبَهْتُ مِن النوم ، رأيتُ أنَّ الجماعة قد رَحَلوا جميعاً ، فخرجت في أَثَرِهم ، وكان الطريق في البَرِّ الأقْفَر ، وأرضٍ ذات سِباع ، فضَلَلْتُ عن الطريق ، وبقيتُ مُتحيِّراً خائفاً مِن السباع والعطَش .

فجعلتُ أستغيث بالخُلفاء !! وأسألهم الإعانة ، فلم يَظْهر منهم شيء ! وكنتُ ـ فيما مضىٰ ـ قد سمِعْتُ مِن أُمّي أنَّها قالت : إنَّ لنا إماماً حَيّاً ، يُكنّىٰ : أبا صالح ، وهو يُرشد الضالّ[2] ويُغيث الملهوف ويُعين الضعيف ، فعاهَدْتُ الله تعالىٰ : إنْ أَغاثني ذلك الإمام أنْ أدْخُل في دين أُمّي (أي : أعتَنِقَ مَذهب التَشَيُّع) .

---

(١) أي : إنَّ مِهْنَتي بيع الدهن .

(٢) أي : التائه الذي ضاع وضلَّ عن الطريق .

فناديتُ : يا أبا صالح !

وإذا برجلٍ في جَنْبي وهو يمشي معي وقد تعمَّم بعمامة خضراء ، فدَلَّني على الطريق ، وأمَرَني بالدخول في دين أُمِّي ، وقال : سَتَصِلُ الى قريةٍ أهلُها جميعاً مِن الشيعة

فقلت له : ألا تَأتي معي الى هذه القرية ؟

قال : لا . . لأنَّه قد إستغاث بي ـ الآن ـ الفُ إنسان في أطراف البلاد ، وأُريدُ أنْ أُغيثهم . ثم غاب عنّي ، فمشِيتُ قليلاً ، فوصلْتُ الى القرية وكانت تَبعُد عن ذلك المنزِل ـ الذي نَزَلْنا فيه ليلاً ـ مسافةً بعيدة ، ووصلت الجماعة الى تلك القرية بعدي بيوم !

ودخلتُ الحِلَّة ، وذهبْتُ الى دار السيِّد مهدي القزويني(١) فذكرتُ له القِصَّة ، وتَعَلَّمتُ منه معالم الدين . . . الى آخر كلامه .(٢)

٣ ـ قِصَّة إسماعيل بن الحسن الهرقلي

حُكيَ عن شمس الدين بن إسماعيل الهِرْقْلي(٣) أنَّ أباه كان ـ في أيام شبابه ـ قد أُصيبَ بِقُرْحة على فخذه الأيسر يقال لها : (تُوثَة) وكانت تَتَشَقَّق ـ في موسم الربيع ـ ويَخرج منها دَمٌ وقَيْح . فخرج مِن

---

(١) كان مِن علماء الشيعة البارزين في عَصْره .

(٢) كتاب (جَنَّة المأوىٰ في ذِكْر مَن فاز بلقاء الحُجَّة عليه السلام في الغَيبة الكبرىٰ) لمؤلِّفه الشيخ النوري ، ص ٢٩٣ ، المطبوع مع الجزء الثالث والخمسين مِن بحار الأنوار .

(٣) هِرَقْل : إسم قرية كانت في ضواحي مدينة الحِلَّة .

قريته (هِرقْل) وقَصَدَ مدينة الحِلّة[١] وشكىٰ الى السيِّد رَضيِّ الدين علي بن طاووس[٢] ما يَجده من الألم ، فأحْضَرَ إبن طاووس الأطبّاء لُمعاينته ، وبعد الفَحْص قال الأطبّاء : إنَّ في إجْراء العَمَليَّة الجراحيَّة على هذه القُرْحة خطر الموت ، وإنَّ نِسْبة نجاح العمليَّة ضئيلة جدّاً . فذهبَ إسماعيل الهِرقْلي مع السيِّد إبن طاووس الى بغداد لمراجعة الأطباء الحاذقين . فكان الجواب نفس الجواب الأوَّل .

فتوجَّه إسماعيل الى مدينة (سامرّاء) للتوسُّل بالإمام المهدي (عليه السلام) وطلب الشفاء منه ، وبعد أيام ذهب الى نهر دجلة ، واغتَسَلَ فيه ولَبِسَ ثوباً نظيفاً ، فالتقىٰ به أربعة فُرْسان ، أحَدُهم بيده رُمْح وعليه فَرَجيَّة[٣] .

فتقدَّم اليه صاحبُ الفرجيَّة ، ووقف أصحابه الثلاثة على جانبي الطريق ، وسلَّموا على إسماعيل ، فسأله صاحبُ الفَرَجيَّة : أنتَ غداً تَروح الى أهْلِك ؟

قال إسماعيل : نعم

فقال له : تَقدَّم حتى أُبْصِر ما يُوجِعُكَ . فجعَلَ يَلْمس جسم الهرقلي ، حتى أصابت يَدُه القُرْحة فعصَرها ثم استوىٰ على سَرْج فَرَسه

فقال أحَدُ الفُرْسان الثلاثة : أفْلَحْتَ يا إسماعيل !

---

(١) الحِلّة : إسمُ مدينة في العراق ، تَقع على نهر الفُرات ، تَبْعُـد عن مدينة كربـلاء حوالي ٤٠ كيلو متراً .

(٢) هو مِن كبار علماء الشيعة وُلِدَ سنة ٥٨٩ هـ ، وتُوفِّي سنة ٦٦٤ هـ

(٣) الفَرَجيَّة : ثوب واسع ، طويل الأكمام ، يَتَزيّا به علماء الدين .

فتعجَّب إسماعيل مِن مَعرفتهم إسمَه ، ولكنّه لم يَنتَبه الى ما يجري عنده ، وقال : أفْلَحْنا وأفلحتم إنشاء الله .

فقال له الرجل : هذا هو الإمام ـ وأشارَ الى صاحب الفَرَجيَّة ـ .

فتقدَّم إسماعيل واحتضَنَ رِجْلَه وقَبَّل فخذه ، فقال له الإمام ـ بِلُطْفٍ ورَأفة ـ : إرجع

قال إسماعيل : لا أُفارِقُك أبداً .

فقال الإمام : المصلحة في رُجوعِك

فأعاد إسماعيل كلامَه الأول

فقال أحَدُهم : يا إسماعيل ما تَستَحي ؟! يقول لك الإمام ـ مرَّتين ـ : إرجع . وتُخالِفُه ؟!

فتوقَّف إسماعيل عند ذلك ، فقال له الإمام : إذا وصلتَ بغداد فلا بدَّ أنْ يَطْلُبَك أبو جعفر ـ يعني الحاكم العباسي : المستَنْصِر ـ فإذا حضَرْتَ عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذْه ، وقُل لِوَلَدِنا الرَضيِّ : ليَكْتُب لك الى علي بن عوض ، فإنّي أُوْصِيه يُعطيك الذي تُريد .

ثم تَرَكَه الإمام وأصحابُه وواصَلوا المسير ، ومضى إسماعيل الى مَشْهد الإمامين العسكريَّين فالتقىٰ به بعض الناس فسألَهم عن الفرسان الأربعة ؟ فقالوا : هم مِن الشُرَفاء أرباب الغَنَم

فقال لهم : بل هو الإمام

فقالوا : أريتَه المرض الذي فيك ؟

قال : هو قَبَضَه بيده . ثم كشَفَ عن رِجْله فلم يَرَ أثَراً لذلك المرض ، فتَداخَله الشك في أنْ تكون القُرْحة في الرِجْل الأُخرى ، فكشف عن رِجْلِه الأخرىٰ فلم يَرَ شيئاً ، فتهافَت الناس عليه ، يُمزِّقون قميصَه تبرُّكاً به .

وجاءه رجل مِنْ قِبَلِ السُلطة العباسيَّة ، وسأله عن إسمه وتاريخ مُغادَرَته بغداد ؟ فأخبره بكلِّ شيء ، فكتَبَ الرجل بالخبر الى بغداد .

وبعد يومٍ واحد خرج إسماعيل مِن مدينة سامراء مُتوجِّهاً الى بغداد ، فلمّا وصَلِ اليها رأى الناس مزدحمين على القنطرة ـ خارج المدينة ـ يسألون كلَّ قادم عن إسمه ونَسَبه وأين كان ؟ فسألوه عن إسمه ، فأخبرهم بكلِّ شيء ، فاجتمعوا عليه يُمزِّقون ثيابه للتبرُّك ، ووصل الى بغداد وقد كاد أنْ يموت مِن كَثْرة الإزْدِحام .

وخرج السيِّد إبن طاووس ومعه جماعة ، فالتقوا بإسماعيل ورَدُّوا الناس عنه ، فلما رآه السيد قال له : أَعنك يقولون ؟

قال : نعم

فنزل عن دابَّته وكشَف عن فخذ إسماعيل ، فلم ير أثَراً مِن القُرْحة ، فغُشي عليه . . ولمّا أفاق أخذ بيد إسماعيل وأدخَلَه على الوزير باكياً ، وقال : هذا أخي وأقرب الناس الى قلبي .

فسأله الوزير عن القِصَّة فحكىٰ له ، فأحضر الوزير الأطبّاءَ ـ الذين عاينوا القُرحة قبل ذلك وقالوا ليس لها دواء إلّا القَطْع بالحديد وفيه خَطَر الموت ـ فقال لهم : فبتقدير أنْ يُقْطَع ولا يموت . . في كَمْ تبرأ ؟[1]

(١) أي : لو فرَضْنا أنَّ العمليَّة أُجريتْ له ونَجَحت ، في كم مدَّة يَندمل الجُرح ويبرأ ؟

قالوا : في شهرين ، ويبقىٰ مكانها حفيرة بيضاء لا يَنْبُت فيها شَعْر !

فسألهم الوزير : متى رأيتم القرحة ؟

قالوا : منذ عشرة أيام .

فكَشَفَ الوزير عن الفخذ التي كانت فيه القُرحة ، فلم يَروا لها أثَراً ، فصاح أحد الأطباء : هذا عَمل المسيح !

فقال الوزير: حيث لم يكن هذا مِن عملكم، فنحن نَعرف مَن عملها.

ثم إنَّ الحاكم العباسي المستنصِر أَحضَر إسماعيل وسأله عن القِصَّة ؟ فقَصَّها عليه ، فأمر له بألف دينار وقال له : خُذْ هذه وأَنفِقها

فقال إسماعيل : ما أجسَر أنْ آخذ مِنه حَبَّة واحدة !!

فقال المستنصِر ـ مُتعجباً ـ ممَّن تَخاف ؟!

قال : مِنَ الذي فَعَلَ مَعي هذا ، فإنه قال : لا تأخذْ مِن المستنصِر شيئاً !

فبكىٰ المستنصر وتكدَّر ، وخرج إسماعيل مِن عنده ولم يأخذ منه شيئاً .

قال شمس الدين بن إسماعيل الهرقلي : رأيت فخذ أبي ـ بعد ما صلحَتْ ـ ولا أثَرَ فيها ، وقد نبَتَ في موضعها الشَعْر[1] .

---

(١) كتاب بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٦١ ـ ٦٤ ، نقلاً عن كتاب (كشف الغُمَّة في معرفة الأئمَّة) لمؤلِّفه علي بن عيسى الإربلي .

٤ـ قِصّة أبي راجح الحمّامي

رَوىٰ الشيخ المجلسي عن الشيخ العابد المُحقِّق شمس الدين محمد بن قارون قال : كان في مدينة الحِلَّة رجل يُقال له : أبو راجح الحمّامي ، وحاكمٌ ناصبيٌ إسمه مَرجان الصغير[1] وذات يوم أخبروا الحاكم بأنَّ أبا راجح يسبُّ بعض الصحابة ! ، فأحضَره وأَمَرَ بِضَرْبه وتعذيبه ، فضربوه ضَرْباً مُهْلِكاً على وجْهِه وجميع بَدنه ، فسقطتْ أسنانُه ، ثمَّ أخرجوا لسانَه وأدخَلوا فيه إبْرَةً عظيمة ، وثَقَبوا أنفَه ، وجعَلوا في الثُقْب خَيْطاً وشدُّوا الخَيط بِحبْل وجعَلوا يَدورُون به في طُرقات الحِلَّة ، والضَرْبُ يأخذه مِن جميع جوانبه ، حتى سقط على الأرض .

فأمَرَ الحاكم بقَتْله ، فقال الحاضرون : إنَّه شيخ كبير ، وسوف يموت مِن شدة الضرب وكثْرة الجراحات . فتركوه على الأرض ، وجاء أهله وحَملوه الى الدار ، وكان بحالةٍ فظيعة لا يَشكُّ أحد أنَّ الرجل سَيُفارق الحياة ، مِمّا نَزَل به من التعذيب الوحشي .

وأصبحَ الصَباح ، وإذا الرجل قائم يُصلِّي على أحسَن حالة ، وقد عادتْ اليه أسْنَانُه التي سقطتْ ، والتأَمَتْ جراحاته ، ولم يَبْقَ في بدنه أثَر مِن ذلك التعذيب !!

---

(١) الناصبي : هو الذي يَتظاهَر بعداوة أهل البيت ، أو شيعتِهم لأجل مُتابعتهم لأهل البيت . مجمع البحرين للطُريحي .

فتعجَّب الناس مِن ذلك ، وسألوه عن واقـع الأمْر ؟ فأخبرهم أنّه أستغـاث بالإمـام المهدي (عجَّـلَ الله ظهوره) وتـوسَّل الى الله تعـالىٰ به، فجاءه الإمام الى داره، فامتلأت الدار نوراً.

قال أبو راجح : فَمَسَحَ الإمام بيده الشريفة علىٰ وَجْهي ، وقال لي : أُخرج وكِدَّ على عيالك[1] فقد عافاك الله تعالىٰ ،فاصبحتُ كما ترون .

ورآه محمد بن قارون وقد عادت اليه نضارة الشباب ، واحمرَّ وجْهه واعتدلَتْ قامتُه .

وشاع الخَبَر في الحِلّة ، فأمَرَ الحاكم بإحضاره ـ وكان قد رآه يوم أمس وقد تورَّم وجْهُه مِن الضَرْب ـ فلما رآه صحيحاً سليماً ولا أَثَر للجراحات في جِسْمه ، خاف الحاكم خوْفاً شديداً ، وغيَّر سُلوكَه مع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وصار يُحسِن المعاملة معهم .

وكان أبو راجح ـ بعد تشرُّفه بلقاء الإمام ـ كأنه إبن عشرين سنة ولم يَزَلْ كذلك حتى أدركتْه الوفاة[2] .

٥ ـ قِصَّة المقدَّس الأَرْدَبيلي

ذَكَر العلاّمة المجْلسي ـ رحمه الله ـ أنَّه سمع مِن جماعة أخبروه عن السيد الفاضل أمير عَلاّم قال : كنتُ في صَحْن الإمام أمير المؤمنين (عليه

(١) كِدَّ على عيالك : أي : أُطْلُب الرِزْق لهم .

(٢) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج٥٢ ص ٧٠ ـ ٧١

السلام)[١] في ساعةٍ متأخرة مِن الليل ، فرأيتُ رجلًا مُقبِلاً نحو الرَوْضة المقدَّسة ، فاقتربْتُ منه فإذا هو العالِم التقيّ مولانا أحمد الأردبيلي ـ قدَّس الله روحَه ـ فاختفيتُ عنه ، فجاء الى باب الرَوضة ـ وكان مُغلَقاً ـ فانفَتَح له الباب ، ودخَل الروضة ، فسمعتُه يتكلَّم كأنَّه يُناجي أحداً ، ثمَّ خرج ، وأُغْلِقَ بابُ الرَوْضة ، فتوجَّه نحو مسجد الكوفة ، وأنا خلْفه أتْبعُه وهو لا يَراني ، فدخل المسجد وقَصَدَ نحو المحراب الذي إستُشْهِدَ فيه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ومَكَثَ هناك طويلاً ، ثمَّ رجَع نحو النجف وكنتُ خَلْفه أيضاً ، وفي أثناء الطريق غَلَبَني السُعال ، فسعلْتُ ، فالتفتَ إليَّ وقال : أنت أمير علّام ؟

قلت : نعم

قال : ما تَصْنَع ها هنا ؟!

قلت : كنتُ معك مُنْذ دخولك الرَوضة المقدَّسة والى الآن ، وأُقْسِمُ عليك بحقِّ صاحب القبر أنْ تُخْبرَني بما جرىٰ عليك مِن البداية الى النهاية ؟

قال : أُخبرك بشرط أنْ لا تُخبر به أحداً ما دُمْتُ حَياً ، فوافَقْتُ على الشَرْط .

فقال : كنتُ أتفكّر في بعض المسائل الفِقْهيَّة الغامِضة ، فقرَّرتُ أنْ

---

(١) الصَحْن : الساحة التي تُحيط ببناء الروضة التي فيها قبر الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) .

أَحضَر عند مَرْقَد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأسأله عنها، فلمّا وصلتُ الى باب الروضة إنفتحَ لي الباب بغير مفتاح، فدخلتُ الروضة وسألتُ الله تعالىٰ أنْ يُجيبني مولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) عن تلك المسائل، فسمِعْتُ صَوْتاً مِن القبر: أنْ ائتِ مسجدَ الكوفة، وسَلْ مِن القائم، فإنَّه إمام زَمانِك.

فأتيتُ المسجد عند المحراب، وسألتُ الإمام المهدي (عليه السلام) عنها فأجابَني عن ذلك، وها أنا راجع الى بيتي.[1]

٦ ـ قِصَّة الشيخ محمد حسن النَجَفي

ذكر الشيخ النوري ـ في كتاب جنَّة المأوىٰ ـ عن بعض علماء النجف الأشرف: أنَّه كان في النجف رجلٌ مِن طُلّاب العلوم الدينيّة، إسمه الشيخ محمد حسن سريرة، وكان يُعاني ثلاث مشاكل:

١ ـ يَقذِف الدَم مِن صدره.
٢ ـ يَعيش في فقرٍ شديد.
٣ ـ يُحبُّ الزواج مِن امرأة إمتنع أَهلُها أن يُزوِّجوها إيّاه، لِفَقره.

فلمّا يَئس مِن ذلك، قرَّر الذهاب الى مسجد الكوفة[2] أربعين ليلة

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٧٥

(٢) مسجد الكوفة: مسجد عظيم مبارك، يَقَع في مدينة الكوفة بالقُرب مِن النجف الأشرف، وقد كان الإمام علي أمير المؤمنين يُصلِّي بالناس فيه، وفيه قُتل، وقد جُدِّد بناؤه عدة مرات.

أربعاء ، لأنَّه قد اشتهر بين المؤمنين أنَّ من واظَبَ على زيارة مسجد الكوفة أربعين ليلة أربعاء ، فلا بدَّ أن يرىٰ الإمام المهدي صاحب الزمان (عليه السلام) .

فواظَبَ الرجل على ذلك ، أمَلاً في أن يتشرَّف بلقاء الإمام ، ويَعرض عليه حوائجه الثلاث .

فلمّا كانت الليلة الأخيرة ـ وكانت ليلة ظَلماء باردة ذات ريح عاصفة ـ جَلَس الرجل على دَكَّة باب المسجد في الخارج ـ لأنَّه لم يَستطع اللبث في المسجد، بسبب الدم الذي كان يقذفه من صدره عند السعال ـ وجعَلَ يُفكِّر في أنَّه لم يُوفَّق لزيارة الإمام المهدي (عليه السلام) بالرغم مِن أنَّه في آخر أُسبوع مِن الأسابيع الأربعين .

كان الرجل مُتعوِّداً على شُرب القَهوة ، فأشعَلَ النار لصُنع القهوة ، وإذا به يرىٰ رجلاً قَصَده ، فانزَعج مِن ذلك وقال في نفسِه : إنَّ هذا الأعرابي سيَشرَب القهوة كلَّها ، ولا يَبقىٰ لي شيء ! .

يقول : فوصَلَ الرجل وسلَّم عليَّ باسمي . فتعجَّبتُ مِن معرفته باسمي وجعلتُ أسأله : مِن أيَّة طائفة أنت ، مِن طائفة فلان ؟ فيقول : لا ، حتى ذكرتُ أسماء طوائف متعدِّدة ، وهو يقول : لا . لا .

وأخيراً سألني : ما الذي جاء بك الى هنا ؟ .

فقلت له : ولماذا تسأل عن ذلك ؟

فقال : وما يَضُرُّك لو أخبرتَني به ؟ ! .

فصببتُ له القهوة في الكأس المعروفة بـ (الفِنجان) وقدَّمته له ،

فشـرب قليلاً منـه ، ثمَّ رَدّ الفِنجـان وقـال لي : أنت إشـربهـا . فـأخـذتُ الكأس منه وشربتُ ما تبقّى مِن القهوة .

ثم بـدأتُ ببيان حـوائجي فقلت له : أنـا في غايـة الفَقر والحـاجة ، ومُصـابٌ بقَذف الـدم مُنذ سنـين ، وقد تعلَّق قلبي بـامرأة ، وامتَنَـع أهلُها مِن تزويجها إيّاي .

وقـد خـدَعَني بعض رجـال الـدين إذ قـالـوا لي : أُقصُـد ـ في حـوائجك ـ الإمـام صاحب الـزمـان (عليـه السـلام) واذهب الى مسجـد الكـوفـة أربعـين ليلة أربعـاء ، فتُقضى حـوائجـك ، وقـد تحمَّلتُ المشـاق والمتاعب في هذه الليالي ، وهذه هي الليلة الأخيرة ولم أرَ فيها أحداً .

فقال لي ـ وأنا غافل ـ : أمّـا صَدرُك فقـد برأ ، وأمّـا المرأة فستَتـزوَّج بهـا قريبـاً ، وأمّا الفَقـر فلا يُفـارِقُك حتى الموت .

. . ولمـا أصبح الصبـاح شعرتُ أنَّ صـدري قد بـرأ ، وبعد أُسبـوع تزوَّجتُ تلك المرأة ، وبقي الفقر على حاله[1] .

٧ ـ قِصَّة آية الله القزويني

ذَكَـر الشيـخ النـوري ـ في كتـاب جَنَّـة المـأوىٰ ـ ثـلاث قصص مِن

(١) جنـة المأوىٰ في ذِكـرَ مَن فاز بلقـاء الحجة (عليـه السلام) في الغيبـة الكبرىٰ . الحكـاية الخامسة عشرة .

تَشرَّف العالِم الجليل آية الله السيِّد مهدي القزويني[١] بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) ونحن نذكر منها قِصَّتين يَرويها السيِّد ميرزا صالح نجل السيِّد المذكور عن رجلٍ من صُلحاء الحِلَّة إسمه علي :

يقول : خرجتُ مِن داري قاصِداً دارَ السيِّد مهدي القزويني ، فَمَررتُ على مَرقد السيِّد محمد المعروف بـ (ذِي الدَمعَة) وهو إبنُ زيد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) وكان للمرقَد شُبّاك على الطريق ، فرأيت رجلاً جليلَ القَدر ، بَهِيَّ المنظر ، واقِفاً عند الشُباك يقرأ سورة الفاتحة على روح صاحب المرقد .

فوقفتُ أنا وقرأتُ الفاتحة ، وبعد الفراغ سَلَّمت على ذلك الرجل ، فردَّ عليَّ السلام وقال لي : يا علي أنت ذاهِب لزيارة السيِّد مهدي القزويني ؟ .

قلت : نعم .

قال : لِنَذهب معاً .

وفي أثناء الطريق قال لي : يا علي لا تَحزَن على ما أصابك مِن الخُسران وذهاب المال في هذه السَنة ، فإنَّك رَجل إمتَحَنك الله بالمال فَوَجدك مؤدِّياً للحقِّ ، وقد قضيتَ ما فَرَض الله عليك، وأمّا المال فإنَّه عَرَضٌ يأتي ويَذهب .

يقول علي : وكنتُ ـ في تلك السَنة ـ قد أُصِبتُ بخسارة كبيرة في

---

(١) كان السيِّد المذكور يَسكن في مدينة الحِلَّة بالعراق ، وقد تُوفِّي سنة ١٣٠٠ هـ .

التجـارة ، ولم يَطَّلع عليهـا أحد ، ولكنّني إغتَممتُ كثيـراً عندمـا رأيتُ أنَّ هذا الرجل الغريب يعلم بخسـارتي ، وظننتُ أنَّ هذا الخبـر قد إنتَشـرَ بين الناس ، بحيث أنَّ هذا الغريب إطّلع عليه .

فقلت له : الحمدُ لله على كلِّ حال .

فقـال : إنَّ مـا ذهب مِن أمـوالـك سـوف يعُـود إليـك بعـد مُـدَّة ، وتُقضىٰ ديـونك ! ولمّـا وصَلنـا الى دار السيِّـد مهـدي ، وقفتُ وقلت لـه : أُدخـل يا مـولاي فأنـا مِن أهل الـدار فقـال : أُدخـل أنت ، أنـا صـاحبُ الدار !

فـامتنعتُ مِن أن أتقدَّم عليـه ، فأخـذ بيدي وأدخَلَني الـدار ، وكان بجوار دار السيِّد مسجد له بـاب الى دار السيِّد ، فـدَخلنا المسجـد فوجـدنا جمـاعة مِن طَلَبـة العلوم الدينيَّـة ينتظرون خـروج السيِّـد مِن داخـل الـدار للتدريس . فجلس الرجل في مكان السيِّد ـ الذي كـان يجلس فيه كـلَّ يوم للتدريس ، وأخذَ كتـاباً كـان هناك ـ وهـو كتاب شـرائع الإسـلام للمحقّق الحـلِّي ـ وفَتَحه، فـوقَع نَـظَره على أوراقٍ كـان السيِّـد قـد كَتَب فيهـا بعض المسـائل وجَعَلهـا في الكتاب ، فجعـل الرجـل يَتصفَّح تلك الأوراق ويقـرأ تلك المسائل .

ودخل السيد مهدي ، فرأى الرَجل جـالساً في مكـانه ، فـرحَّب به ، وتَنحَّى الـرجل عن مكـان السيِّـد ، ولكن السيِّـد أصـرَّ عليـه أن يجلس في مكانه .

يقـول السيِّد مهـدي ـ وهو يحكي لنـا جانبـاً مِن القضيَّة ـ : (رأيتُـه

رجلاً بَهِيَّ المنظَر ، وَسيمَ الشكل[1]، فأقبلتُ عليه أسأله عن حاله ، واستحييت أن أسأله عن إسمه ووَطَنه).

وشرع السيِّد بتدريس الفقه ، فجعل الرجل يُناقشه في المسألة التي طرحها السيِّد على بساط البحث !

فقال أحد الطَلَبة المُتطَفِّلين ـ لذلك الرجل ـ : أُسكُت ! ما أنت وهذا ؟ !.

فتبسَّم الرجل وسكت !

وبعد الفراغ من البحث سأله السيِّد : مِن أين مجيئك الى الحِلَّة ؟

فقال : مِن بَلْدة السُلَيمانيَّة .

قال السيِّد : متى خرجتَ مِن السُليمانيَّة ؟ .

فقال : بالأمس خرجتُ منها . وقد دخلها(نجيب باشا) فاتِحاً ، وقد أُلقي القبض على المتمرِّد : أحمد باشا (وكان أحمد باشا قد تمرَّد على الدولة العثمانيَّة الحاكمة في العراق يومذاك) .

يقول السيِّد : فجعلتُ أتفكَّر في كلامه وأنَّه كيف لم يَصِل خَبر فَتح السُليمانيَّة الى حُكّام الحِلَّة ؟ ! ، ولم يَخطُر ببالي أن أسأله : كيف وصلتَ الى الحِلّة وبالأمس خرجتَ مِن السليمانية ؟ ! لأنَّ المسافة تزيد على عشرة أيام . (أي حوالي أربعمأة كيلو متر) .

---

(١) الوسيم : الجميل الوجه .

ثم طلب الرجل ماءاً لِيَشرَب ، فقام أحد الخَدَم ليأتيه بالماء مِن (الحُب)[1] فناداه الرجل : لا تَفعَل ، فإنَّ في الحُب حيواناً ميتاً ! فنَظر فيه فإذا فيه (سام أبرَص) ميِّت ، فجاء الخادم بالماء من مكان آخر وشرب الرجل ، ثم قام لِيَخرج فقام السيِّد ودَّعه .

فلما خرج الرجل قال السيِّد للحاضرين : لماذا لم تُنكروا عليه خَبَر فتح السُليمانيَّة ؟ !

وهنا شرَع الحاج علي ـ الذي التقىٰ بالرجل عند مَرقد ذي الدَمعة ـ يحدِّث الحاضرين بما سمعه مِن الرجل في أثناء الطريق . فقام الحاضرون ـ وقد أخذَتهم الدَهشة والحيرة ـ وخرجوا مِن الدار يبحثون عنه ، فما وجدوه ، فكأنَّه صعَد الى السماء أو غاب في الأرض !

فقال السيِّد لهم : هو ـ والله ـ صاحبُ الأمر ، روحي فداه .

وبعد عشرة أيام جاء الخبر بفَتح السُليمانيّة . . الى آخر القصة[2].

٨ ـ قصة أُخرىٰ لآية الله القزويني .

وهذه قِصَّة أُخرى لآية الله السيِّد مهدي القزويني ، يَذكُرها الشيخ النوري عن نجل السيِّد أنَّه سمع أباه يقول :

خرجتُ يوم الرابع عشر مِن شهر شعبان ، مِن مدينة الحلَّة قاصِداً

(١) الحُب : إناء خَزَفيّ كبير ، الجَرَّة الكبيرة .

(٢) جَنَّة المأوىٰ للشيخ النوري ، الحكاية الرابعة والأربعون .

كـربـلاء لـزيـارة الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) ليلة النصف من شعبـان[١]فلما وصلتُ الى نهر الهندية (أي : طُـويـريـج) وجدتُ الـزوّار مُتجمهِرين هناك ، وقـد وصَلَهم الخبر أنَّ عشيـرة عُنيزة (عشيـرة بَـدَويّـة) قد نزلت على طريق كربلاء لِسَلب الزُوّار ونَهب أموالهم !

فبينما الناس حيارى ، وقـد أمطَرَت السماء ، توسَّلتُ الى الله تعـالىٰ بـالنبي وآله الأطهـار ، لإغاثـة الزوّار ونجـاتهم . فبينما أنـا كـذلـك ، وإذا بفـارِس بيده رُمـح طويـل ، وقف عندي وسلَّم ، فـرَددنا عليـه السـلام ، فسمّاني باسمي وقـال : ليأتِ الـزُوّار ، فإنَّ عشيـرة عُنيزة ، قـد رَحَلوا عن الطريق ، وصار الطريق مأموناً .

فخرجتُ مع الـزُوّار وهو يُـرافقنا في الـطريق ويمشي أمامَنـا ، وكأنَّـه الأسَد . وفي أثناء الطريق غاب عنّـا فجأة وَبغتـةً ، فقلت لمن معي : أَبَقيَ شَكٌّ في أنّه صاحب الزمان ؟! فقالوا : لا والله .

يقول السيِّد : إنَّني كنت أُطيـل النَظَر اليـه ، كأنّي رأيتُـه قبل هـذا ، فلما غاب عنّا تذكّرت أنّه هو الشخص الذي زارَني في الحِلَّة .

أمّا عشيرة عُنَيزة فلم نَر أحداً منهم ، ورأينا غُبـرة شديـدة مرتفعـةً في البَـر ، فوصَلنـا كربـلاء خلال سـاعة ـ وكـانت المسافـة ثـلاث سـاعـات ـ

---

(١) زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مِن المستحبّات الشَرعيَّة المؤكـدَّة ، وقد وردت في فَضلها وثـوابها أحـاديث كثيـرة، وهي مستحبَّـة في كـلِّ الأيام والسـاعـات ، إلاّ أنَّ الإستحبـاب يتأكّـد والثواب يَتضـاعَف في بعض المنـاسبـات ، كيـوم عـاشـوراء ، وليلة النِصف من شعبان ، وليالي القَدر ، وليالي الجمعة وغيرها .

فوجدنا الحُرّاس على باب البَلَد ، فسألونا : مِن أين جئتم ؟ وكيف وَصلتم ؟ وأين صارت عشيرة عنيزة ؟ ! .

فقال أحدُ الفلاّحين ـ المتواجدين هناك ـ : بينما عشيرة عُنيزة جلوس في خيامهم ، وإذا بفارس بيده رمح طويل ، فصاح في عشيرة عنيزة وأَنذَرهم بالدمار والهلاك ، فألقىٰ الله الخوف في قلوبهم ، وتركوا المنطقة فوراً .

يقول السيِّد : فسألت ذلك الفَلاّح عن وَصف ذلك الفارس ؟ فوَصَفَه لي ، فإذا هو نفسُه الذي رأيتُه عند نَهر الهِنديَّة[1] .

٩ ـ قصَّة أحمد العسكري :

ذكر البحّاثة المعاصر العلاّمة الشيخ لطف الله الصافي ـ صاحب التآليف القيّمة ـ[2] قصةً سمعها في سنة ١٣٩٨ هـ من الحاج احمد العسكري وهو من الأخيار الساكنين في طهران ـ ايران ـ ، والقصّة تتعلّق ببناء مسجد يقع على طريق قم ـ طهران ، وهو الآن على مَدخل مدينة قم المقدسة ويُسمّىٰ : مسجد الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام) .

يقول أحمد العسكري : قبل سبع عشرة سنة ، وفي يوم خميس ، جاءني ثلاثة مِن الشباب ـ وكانت حرفتهم تصليح السيارات ـ وقالوا لي : اليوم يوم الخميس ، ونُريد أن نذهب الى مدينة قم ،الى مسجد جمكران[3]

---

(١) جَنّة المأوىٰ ، الحكاية السادسة والأربعون .

(٢) في كتابه (ياسخ ده برسش) باللغة الفارسيّة .

(٣) مسجد جمكران : مسجد بُني بأمر الإمام المهدي (عليه السلام) يقع في ضواحي ـ

للتوسّل الى الله تعالىٰ بالإمام المهدي صاحب الزمان (عليه السلام) لقضاء بعض الحوائج الشرعيَّة ، ونُحب أن تُرافقنا في هذه الرحلة .

فوافقتُ على ذلك ، وركبنا السيارة واتّجهنا نحو مدينة قم ، وبالقرب من المدينة حصل خَلَل في السيّارة فتوقفت عن السير ، وانشغَل الشباب بتصليحها ، فانتهزتُ الفرصة واخذتُ قليلاً مِن الماء وابتعدتُ عنهم لقضاء الحاجة .

فرأيتُ ـ هناك ـ سيّداً جميلَ الوجه ، أبيض اللون ، أزَجّ الحاجبين[1] أبيض الثنايا[2] وعلى خدّه خال ، وعليه ثياب بيضاء وعباءة رقيقة ، وفي رِجْليه نعلان صفراوان ، وقد تعمّم بعمامةٍ خضراء، وبيده رمح يَخطّ به الأرض .

فقلتُ في نفسي : إنَّ هذا السيّد قد جاء ـ في هذا الصباح الباكر ـ الى هذا المكان ، وعلى جانب الطريق ويخطّ الارض بالرمح ! هذا غير صحيح . لأنَّ الطريق عام يمرّ فيه السُوّاح الأجانب .

كان أحمد العسكري يحكي قصّته هذه ، وهو يُظهر النَدم على ما صدر منه تجاه صاحب الرمح ، مِن سوء الظن وسوء الأدب .

يقول : فتقدّمتُ اليه وقلت له : هذا العصر عصر الدبّابات

= مدينة قم ، ويتهافت المؤمنون أفواجاً أفواجاً اليه ، يُصلّون لله ويتوسّلون اليه بالإمام الحجّة المنتظر ، لقضاء حوائجهم .

(١) أزجّ الحاجبين : أي إنَّ حاجبيه دقيقتان طويلتان ، مُتقوّستان ، أو متصلتان ـ على اختلاف الأقوال ـ .

(٢) الثنايا : أسنان مقدَّم الفم .

والمدافع والذرَّة وأنتَ تأخذ بيدك الرمح ؟ ! إذهب وادرس العلوم الدينيَّة ـ وإنما قال له ذلك لأنَّ الرجل كان بزَيّ رجال الدين ـ .

ثم تركتُه . . واتّجهتُ نحو موضع بعيد ، وهناك جلستُ لقضاء الحاجة . . فناداني باسمي وقال : لا تجلس في هذا المكان لقضاء الحاجة ، لأني قد خطّطتُ هذا المكان لبناء المسجد .

فغفلتُ عن معرفته باسمي ولم أتمالك أن قلتُ : على عيني . وقُمت فوراً .

فقال لي : إذهب وراء تلك الربوة لقضاء الحاجة ، فذهبت هناك ، وتبادرت الى ذهني بعض الأسئلة حول هذا الموضوع ، وقرَّرتُ أن أطرحها على ذلك السيد ، وأقول له : لَمن تبني هذا المسجد؟! للملائكة أم للجن ؟ ! ـ لأنَّ المنطقة كانت بعيدة عن المدينة وفي صحراء قاحلة ـ.

وبعد ذلك . . أقول له : إنَّ المسجد لم يُشيَّد بعد ، فلماذا منَعتَني عن قضاء الحاجة في هذا المكان ؟ ـ لأنَّ المسجد يحرم تنجيسه إذا وُقفت الأرض للمسجد ، أمّا قبل كل شيء فلا يجري عليه هذا الحكم ـ.

فلما فرغتُ مِن قضاء الحاجة . . قصدتُ السيِّد وسلَّمت عليه ، فركزّ رمحه في الأرض ، ورحّب بي وقال : اعرِض علي الأسئلة التي نويتَ أن تسألني عنها ؟ ! .

فلم أنتبه الى أنه يُخبر عمّا في قلبي ممّا لم أتفوّه به ، وأنّ هذا ليس أمراً عادياً ، بل هو خارقٌ للعادة . وعلى كلّ حال . . قلت له : يا سيّد . . تركتَ الدراسة ، وجئتَ الى هذا المكان ، وكأنّك لا تتفكّر بأننا

في عصر الصاروخ والمدفع . . فما قيمة الرمح ؟ .

وجرىٰ بيني وبينه حوار . . ثم قال لي ـ وقد القىٰ نظَرَه الى الأرض ـ : أُخطّط للمسجد .

قلت : للجن أم للملائكة ؟ ! .

قال : للبشر .

وأضاف : سوف تَعمر هذه المنطقة بالسُكّان .

قلت له : أخبرني : حينما أردتُ قضاء الحاجة قلت لي : « هنا مسجد » مع العِلم أنّ المسجد لم يُشيَّد بعد ؟ .

فقال : إنَّ سيّداً من ذريّة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد قُتل في هذا المكان واستُشهد ، وسوف يكون مصرعه محراباً ، لأنَّ عليه أُريق دم ذلك الشهيد .

ثم أشار الى جانبٍ من الأرض وقال : وفي ذلك المكان تُبنىٰ المرافق الصحيّة ، لأنَّ أعداء الله وأعداء رسوله قد صُرعوا في ذلك المكان .

ثم التفت خلفه وقال : وفي هذا الموضع تُبنىٰ الحسينيَّة ، وجرت دموعه على خدَّيه ، حين تذكّر الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) فبكيتُ لبكائه .

ثم قال : وخلف هذا المكان تُبنىٰ مكتبة ، وأنت تُهدي اليها الكُتب ..

قلت : أُوافق . لكن بثلاثة شروط :

١ ـ أن أعيش الى زمان تشييد المكتبة .

فقال : إنشاء الله .

٢ ـ وأن يُبنى المسجد هنا .

فقال : بارك الله .

٣ ـ وأن أهـدي الى المكتبة بقـدر استـطاعتي ، ولـو كتـابـاً واحـداً ، إمتثالاً لأمرك يا بن رسول الله .

فضمّني الى صدره . . فقلت له : مَن الذي يبني هذا المسجد ؟

قال : ﴿ يَدُ الله فَوقَ أيديهم ﴾ .

قلت : أنا أعلم أنّ يد الله فوق أيديهم .

فقـال : سوف تـرىٰ المسجـد حينـما يتم بنـاؤه ، وأبلغ سـلامي الى المتبرِّع لِبناء المسجد .

ثم قال لي : وفّقك الله للخير .

فتركتُ السّيد ، واتّجهتُ نحـو السّيارة التي كـانت واقفة عـلى جانب الشارع ، وقد تمَّ إصـلاحها ، فسـألني الإخوة : مـع مَن كنتَ تتكلَّم تحت حرارة الشمس ؟

قلت : أما رأيتم ذلك السيّد مع الرمح الطويل . . كنت أُكلِّمه ؟

قالوا : وأيّ سيّد ؟

فنظرتُ خلفي . . ها هنا وهناك . . فلم أر أحـداً ، بالـرغم مِن أنَّ الأرض كانت منبسطة لا توجد فيها ارتفاعات وانخفاضات !

فاستولت عليَّ حالة ذهول ودهشة ، وركبت السيارة وأنـا في حالةٍ لا

أستطيع وَصفها ! . .

كان الأصدقاء يتكلّمون معي ولا استطيع ان أُجيبهم . . ولا أعرف كيف صلّيتُ الظهر والعصر ! !

وأخيراً . . وصلنا الى مسجد جمكران وأنـا مُتشتّت الفِكر ، وجلستُ أبكي في المسجـد وكان عن يميني شيـخ وعن شمـالي شـاب ، ثم صلّيتُ الصـلاة التي تُصـلىٰ في هـذا المسجـد ، وأردتُ أن أسجـد بعـد الصـلاة ، فـرأيتُ سيداً تفـوح منه رائحـة طيّبة فقـال لي : آقاي عسكـري . . سـلام عليكم . وجلس عندي ـ وكان صوته يشبه صوت ذلـك السيّد الـذي رأيته في الصبـاح ـ ونصحني نصيحـة . فسجـدتُ وقـرأت مـا ينبغي قـراءتـه في السجــود ، ثم رفعتُ رأسي فلم أره ، فسـألت عنــه مِن الـذي عن يميني وشمالي . . فقالا : لم نر أحداً .

فكـأنّ الأرض ارتجفت تحتي . . وفقدتُ الـوعي ، فجـاء أصـدقـائي وتعجبوا ممّا جرىٰ عليَّ ، ورشُّوا على وجهي الماء .

ورجعنـا الى طهران ، فحـدّثتُ أحد العلماء بمـا جرىٰ . فقـال : إنَّه هو الإمام المهدي ، فاصبِر حتى ننظر هل يُبنىٰ المسجد ! .

وانقضت سنـوات وجئتُ الى قم ـ في احدىٰ المنـاسبات ـ فلما وصلتُ الى تلك المنـطقـة رأيت الأعمـدة مـرتفعـة في ذلـك المكـان ، فسـألتُ عن القائم ببناء المسجد ؟

فقيـل لي : رَجل إسمـه : الحاج يـد الله رَجَبيان ، فلما سمعتُ هـذا الإسم إنهارت أعصـابي وغَمَـر العَـرقِ جسمي ولم أستـطع الـوقـوف عــلى

قَدمي ، فجلستُ على الكرسي وعرفتُ معنى كلام الإمام (عليه السلام) حين سألتُه : مَن الذي يبني المسجد ؟ فقال : يد الله فوق أيديهم .

فذهبتُ الى طهران واشتريتُ أربعمائة كتاب ، وأوقفتُها لتلك المكتبة ، والتقيتُ بالحاج يد الله رَجبيان . . الى آخر القصّة ، وقد ترجمناها الى اللغة العربية وذكرناها بصورة ملّخصة مع حذف الزوائد .

١٠ ـ قصَّة الحاج علي البغدادي :

ذكرَ الشيخ النوري في كتابه (النجم الثاقِب) أنَّ رجلاً مِن أهل بغداد ، إسمه الحاج علي البغدادي ، وكان مِن الصالحين الأخيار ، وقد فاز بلقاء الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) واليك خلاصة قصَّة تشرُّفه بلقاء الإمام :

كان الحاج علي يُسافر ـ بصورة دائمة ـ مِن بغداد الى مدينة الكاظمية ـ التي تقع في ضاحية بغداد ـ وذلك لزيارة الإمامين الكاظم والجواد (عليهما السلام) .

يَقول الحاج علي : كان قد وجَبَ عليَّ شيء مِن الخُمس والحقوق الشرعيَّة ، فسافرتُ الى مدينة النجف الأشرف ، ودفعتُ عشرين توماناً[1] منها الى العالم الزاهد الفقيه الشيخ مرتضىٰ الأنصاري وعشرين توماناً الىٰ المجتهد الفقيه الشيخ محمد حسين الكاظمي ، وعشرين توماناً منها الى الشيخ محمد حسن الشروقي ، وبقيت عندي عشرون منها ، قرَّرتُ أن

(١) التومان : هي العُملة الإيرانية .

أدفعها ـ عند رجوعي الى بغداد ـ الى الفقيه الشيخ محمد حسن آل ياسين .

وعُدتُ الى بغداد في يوم الخميس ، فتوجهتُ ـ أولاً ـ الى مدينة الكاظميّة ، وزُرتُ الإمامين الكاظم والجواد (عليهما السلام) ، ثم ذهبتُ الى دار الشيخ آل ياسين ، وقدَّمتُ له جزءاً ممّا بقي عليَّ من الخمس ، كي يَصرفه في موارده المقرَّرة في الفقه الإسلامي ، واستأذنتُ منه على أن أدفع باقي المبلغ بصورة تدريجيَّة . . إليه أو الى مَن أراه مستحقاً لذلك ، ثم أصَرَّ الشيخ بأن أبقىٰ عنده ، فلم أُجِبه الى ذلك ، معتذراً بأن عليَّ بعض الأشغال الضروريَّة ، وودَّعتُه وتوجَّهتُ نحو بغداد ، فلمّا قطعتُ ثُلُثَ الطريق إلتقيتُ بسيّدٍ جليل القَدر، عظيم الشأن، عليه الهَيبة والوقار، وقد تعمَّم بعمامةٍ خَضراء ، وعلى خَدِّه خال أسود ، وكان قاصداً مدينة الكاظميّة للزيارة ، فاقترَبَ مِنّي وسَلَّم عليَّ ، وصافحني وعانقَني بحرارة وضمَّني الى صدره ، ورحَّبَ بي وسألَني : على خير . . الى أين تذهب ؟

قلتُ : لقد زُرتُ الإمامين الكاظمين ، والآن أنا عائد الى بغداد .

فقال : عُد الى الكاظمين فهذه ليلة الجمعة .

قلت : لا يَسَعني ذلك .

فقال : إنَّ ذلك في وُسعِك ، إرجع كي أشهدَ لك بأنك مِن الموالين لجدِّي أمير المؤمنين (عليه السلام) ولنا ، ويَشهد لك الشيخ ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ **واستشهِدوا شهيدين** ﴾ .

وكنتُ قد طلبتُ من الشيخ آل ياسين أن يدفع اليَّ وثيقة يَشهَد لي

فيها بأنّي مِن الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) كي أجعلَها في كفَني .

فسألتُ السّيدَ : مِن أين عرفتَني . . وكيف تَشهَد لي ؟ .

فقال : كيف لا يَعرف المرءُ مَن وافاه حَقَّه !

قلت : وأيّ حقٍ هذا الذي تقصده ؟

فقال : الحقّ الذي قدّمتَه لوكيلي .

قلت : ومَن هو ؟

قال : الشيخ محمد حسن .

قلت : أهو وكيلك ؟ قال : نعم .

فتعجّبتُ مِن كلامه . . واحتملتُ أن تكون بيننا صداقة سابقة لا أتذكّرها ، لأنّه ناداني باسمي في أول اللقاء ، كما أنّني احتملتُ أن يكون متوقّعاً منّي لأن أدفع اليه شيئاً مِن الخُمس ـ باعتباره مِن ذُرّية رسول الله ـ .

فقلت له : سيّدنا . . لقد بقي في ذمّتي شيء مِن حقكم ـ حقّ السادة ـ وقد استأذنت الشيخ محمد حسن أن أدفعه الى مَن أُحب .

فتبسّم وقال : نعم . . لقد دفعت شيئاً ـ مِن حقّنا ـ الى وكلائنا في النجف الأشرف .

فقلتُ : هل حُظيَ هذا العمل بالقبول ؟

قال : نعم .

ثم انتبهتُ الى أنَّ هـذا السيّـد يُعبِّـر عن أعـاظم العلماء بكلمـة « وكلائي » فاستعظمتُ ذلك ، لكن عادت اليَّ الغفلة مرة أُخرىٰ .

ثم قال لي : عُد الى زيارة جَدِّي . فـوافقتُ فوراً وتـوجَّهنا معـاً نحو مدينة الكاظميَّة ، وكانت يدي اليسرىٰ في يده اليمنىٰ .

وسِرنا نتجـاذب أطراف الحـديث ، وكنتُ أسألُـه عن مسائـل مختلفة ويجيبني عليهـا ، وكان ممّـا سألتُـه : سيِّـدنـا . . إنَّ خـطبـاء المنبـر الحسيني يقولون : إنَّ سليمان الأعمش تذاكر مع رجل حول زيارة سيِّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) فقال له الرجل : إنَّ زيارة الحسين بِدعة ، وكـلُّ بدعـة ضلالـة ـ وكلُّ ضـلالة في النـار ، ثم رأىٰ ذلـك الـرجـل ـ في المنام ـ أنَّ هودَجـاً بين السماء والأرض ، فسأل عن الهـودَج فقيل لـه : إنّ فيه السيدة فاطمة الـزهراء وخـديجة الكُبـرىٰ ، فسأل أين تـذهبان ؟ فقيـل لـه : إلى زيـارة الحسـين في هـذه الليلة ـ وهي ليلة الجمعـة ـ ، وشـاهَـدَ رِقـاعـاً ـ جَمـع رُقعـة ـ تتسـاقط الى الأرض من ذلـك الهـودج ، وقـد كُتِبَ عليهـا : أمانٌ مِن النـار لِزّوار الحسـين (عليـه السـلام) في ليلة الجمعـة ، أمانٌ مِن النار الى يوم القيامة . . فهل صحيح هذا الحديث ؟

فقال : نعم . . تامٌ صحيح .

قلت : سيـدنا . . هـل صحيح مـا يُقال أنّ من زار الإمـام الحسـين (عليه السلام) ليلة الجمعة كان آمناً ؟

فقال : نعم . . ودمعت عيناه وبكىٰ .

فلم تمض علينـا إلاّ فتـرة قصيـرة مِن الـوقت . . وإذا بي أرى نفسي

في روضة الإمامين الكاظمين (عليهما السلام) مِن دون أن نمرّ بالشوارع والطُرُق المؤدِّية الى الروضة الشريفة .

ووقفنا على مَدخَل الحَرم الشريف . . فقال لي : زُر

قلتُ : لا أُحسِن القراءة .

قال : هل أقرأ الزيارة وتقرأ معي ؟ قلت : نعم .

فشرَع في الزيارة . وجعَل يُسلِّم على رسول الله والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) واحداً بعد واحد . . حتى بلغ الى الإمام العسكري . . ثم خاطبني قائلاً : هل تعرف إمام عصرك ؟ فقلت : وكيف لا أعرفه ؟

قال : فسَلِّم عليه ، فقلت : السلام عليك يا حُجَّة الله يا صاحب الزمان يا بن الحسن ، فتبسَّم وقال : عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم دخلنا الحرم الشريف ، وقبّلنا الضريح المقدَّس ، فقال لي : زُر ، قلت : لا أُحسن القراءة قال : هل اقرأ لك الزيارة ؟ فقلت : نعم .

فَشَرع بالزيارة المعروفة بـ (أمين الله) وبعد انتهاء الزيارة ، قال لي : هل تزور جدّي الحسين ؟ قلت : نعم ، فهذه ليلة الجمعة ، فزاره الزيارة المعروفة بزيارة الوارث ، وحان وقت صلاة المغرب ، فأمرني بالصلاة ، وقال لي : التحق بصلاة الجماعة

فوقفت للصلاة وبعد الفراغ من الصلاة غاب عني ذلك السيد ، فخرجت ابحث عنه فلم أجده .

فانتبهت من غفلتي وتذكَّرتُ أنَّ السيد ناداني باسمي ، ودعاني الى العَودة الى الكاظمية مع العلم أنني امتنعتُ عن ذلك ، وكان يُعبّر عن الفقهاء بـ (وكلائي) ثم غاب عني فجأة ، فعَلِمتُ أنَّه صاحب الزمان الإمام المهدي (عليه السلام)[١] .

أقول : إنَّ قصص الذين تشرَّفوا بلقاء الإمام المهدي (عليه السلام) كثيرة جِداً ، وقد انتَخبنا مِن مجموعها هذا العدد اليسير ، وكلٌّ قصة منها تَدلُّ على مواضيع مهمَّة وفوائد جَمَّة ، وقد حَدَثَت هذه الحوادث في خلال قرون عديدة ، مِن أوائل الغَيبة الكبرىٰ الى زماننا هذا .

ففي سامرّاء يَلتقي الإمام المهدي (عليه السلام) بإسماعيل الهِرقلي ويُبرأ قُرحَته ، ويخبره أنَّ المستنصِر العبّاسي سوف يَدفع اليه شيئاً مِن المال ، ويَنهاه عن أخذِه منه .

وفي النجف الأشرف يلتقي (عليه السلام) بالرجل المَسلول وَيَشرَب القَهوة ويدفع سؤره اليه ، فيَبرأ مِن السِلّ المُزمِن ، وَيَتزوَّج تلك المرأة ، بعد أن كان أهلُها يمتنعون عن ذلك .

وفي البحرين يَلتقي (عليه السلام) بمحمد بن عيسىٰ ، ويُخبره عن قصَّة الرمّانة ، والحيلة التي استعملها الوزير ، ويُخبر عن مكان القالب الذي صنَعَه الوزير .

وفي طريق كربلاء المقدَّسة يحضَر (عليه السلام) عند عشيرة

---

(١) كتاب النجم الثاقب ـ الحكاية الواحدة والثلاثون .

عُنيـزة ، ويصيـح فيهم تلك الصيحـة ، فيُلقي الله الـرُعبَ في قلوبهم ، ويَـرحَلون عن ذلك المكـان خائبـين خائفـين ، ويُفتـح الـطريق لـزّوار قبـر الإمام الحسين (عليه السلام) .

وفي مـدينة الحِلَّة يُخبر (عليـه السـلام) الحـاج عـلي بـالخسـارة التي حَلَّت به ، ويُبشِّره بتبدُّل الأحوال وتحسُّن حالته الاقتصاديَّة .

وفي الحِلَّة أيضـاً يحضر (عليـه السلام) في دار العـالِم الجليـل السيِّـد مهدي القزويني ، ويُخبره أنَّه خرج مِن السُليمانية أمس ـ وهي على الحُدود العـراقيَّـة التُـركيـة ، وفي أقصىٰ نقـاط شمـال العــراق ـ ويُخبـره بــالفتـح والإنتصار ، ثم يَغيب عنهم فلا يرونه ، وَيصِـل الخبر الى حُكّـام الحِلّة بعد عشرة أيام .

ويحضـر في مجـالس الشيعــة التي تنعقـد لإحيــاء ذكـريــات الأئمـة الطاهرين (عليهم السلام) .

فانظُر كيف يُثبت (عليـه السلام) وجـودَه لشيعته ، وكيف يُسعفهم ويُغيثهم ويــدفـع عنهم الأعــداء ، ويُخبـرهم عن المؤامـرات والمكــائــد والمخـطَّطات التي يرسمهـا الأعداء لإيـذاء الشيعـة ، ثم يَغيب عنهم فجـأة لتكون غيبته دليلاً على أنَّه هو الإمام لا غير .

وفي هذا المجال يتَّضـح لك ـ أيهـا القارىء الكـريم ـ ما كتَبـه (عليه السـلام) الى الشيخ المفيـد ، مِن قولـه : « فإنّـا نُحيـط علماً بأنبـائكم ، ولا يَعزُب عنّا شيء من أخبـاركم » و قولـه : « إنّا غـير مُهملين لمراعـاتكم ولا نـاسـين لـذِكـركم ، ولــولا ذلـك لَنــزَل بكم الـلأواء واصــطلـمكم

الأعداء » وقوله : « لأنّا من وراء حِفظِهم بالدعاء الذي لا يحجَب عن مَلِك الأرض والسماء » وقوله : « ولو أنّ أشياعَنا ـ وفّقهم الله لطاعته ـ على اجتماع مِن القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لَما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا ، ولَتعجلت لهم السعادة بمشاهَدتنا » .

الفصل الثالث عشر

كيفَ عاشَ الى هٰذا اليَوم ؟

قبل كلّ شيء . . إنّني أعتقد أنَّ المناقشة والمجادلة حول موضوع طول عُمر الامام المهدي (روحي له الفِداء) ليست مناقشة هادفة وبَنّاءة ، بل هي تجاهُل العارِف ، ونوعٍ مِن العِناد ، بدليل أنّنا لا نجد أحداً يُناقش في طول أعمار الملائكة ، أو طول عُمر إبليس (لَعنه الله) أو طول عمر الخِضر (عليه السلام) الذي شرب مِن ماء الحياة وبقي حيّاً من عهد النبي موسىٰ (عليه السلام) الى يومنا هذا[1] وإنّما المناقشات

(١) لقد ورَد في الحديث عن الإمام علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام) أنّه قال « إنَّ الخِضر (عليه السلام) شرب مِن ماء الحياة ، فهو حيٌّ لا يموت حتى يُنفَخ في الصُور ، وإنّه لَيحضَر الموسِم كلَّ سنة ، ويَقِف بعَرَفة فيؤمِّن على دعاء المؤمنين (أي : يقول آمين) وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ، ويَصِلُ به وحدَته » . إكمال الدين ج ٢ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ .
ورُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال : « . . . وأمّا العبد الصالح أعني الخضر (عليه السلام) ، فانَّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ ما طوَّل عُمرَه لِنُبوّةٍ قدَّرها له ، ولا لِكتابٍ يُنزِّله عليه ، ولا لشريعةٍ يَنسَخ بها شريعة مَن كان قبله مِن الأنبياء ، ولا لإمامةٍ يُلزِم عبادَه الإقتداء بها ، ولا لِطاعةٍ يَفرضها له ، بلىٰ . . إنَّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ لمّا كان في سابق عِلمه أن يُقدِّر من عُمر القائم (عليه السلام) في أيّام غيبته ما يُقدِّر ، وعَلمَ ما يكون مِن إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول ، طوَّل عُمرَ العبد الصالح مِن غير سبب أوجَبَ ذلك . . إلاّ لِعلّة الإستدلال به على

والشُبهات كلُّها حول طول عُمر صاحب الزمان (عليه السلام) !

فلماذا هذا التهريج والتجاهل والإستهزاء ؟؟ !! .

هل هو بدافع البُغض والعِداء لِآل رسول الله ؟ !

أم أنَّه إستِبْعادُ لقُدرة الله تعالىٰ ؟ !

وما قيمة الإستبعاد المنبعث مِن الجهل ـ أو العِناد ـ أمام الأمر الواقع ؟ ؟ ! .

أتذكَّر عندما نزل رُوّاد الفَضاء على سطح القمر ، انتشر هذا الخبر في شرق الأرض وغربها ، وتحدَّثت عنه جميع الإذاعات والصُحف ، وظهَرت صورة رُوّاد الفضاء ـ ساعةَ نزولهم علىٰ سطح القمر ـ على شاشة التلفزيون ، ونقلتها الأقمار الصناعيَّة الى كلِّ مكان ، وبالرغم مِن كلِّ ذلك رأيتُ كثيراً ممَّن أعرفهم يستهزؤ ن بهذا الحادث ويعتبرونه مِن أكذَب الأساطير ، حتى قال لي أحدهم : إنِّي أتعجَّب منك كيف تُصدِّق هذا الخبر ؟ ! وكيف يُمكن للنصارىٰ والكفّار أن ينزلوا على القمر ؟ !

فهل انَّ استبعادهم وانكارهم يمنع حقيقة الوصول الى القمر ؟ !

طبعاً . . لا .

إنَّ طول عُمر الإمام المهدي (عليه السلام) حقيقة ثابتة لا مجال

= عُمر القائم (عليه السلام) ، وليَقطع بذلك حُجَّة المعاندين لِئلاّ يكون للناس على الله حُجَّة » إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٥٧ ، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥١ ص ٢٢٢ .

لإنكارها أو التشكيك فيها ، وإنَّ جميع الشُبُهات ـ حول هذا الموضوع ـ لا قيمة لها ، لأنَّها مِن قبيل التشكيك في حرارة النار ، ونور الشمس في مُنتصَف النهار ، وغير ذلك مِن الحقائق الثابتة .

بعد هذه المقدّمة ، نأتي الآن لنبحث حول موضوع طول العُمر على ضوء القرآن الكريم ومِن الناحية العقائديَّة وعلى ضوء العلم الحديث .

طول العمر على ضوء القرآن الكريم

إذا عرضنا مسألة طول العُمر على القرآن الكريم نجد نماذج مِن البشر قدَّر الله تعالىٰ لهم أن يعيشوا قروناً طويلة ، وعند ذلك يكون طول عُمر الإمام المهدي (عليه السلام) أمراً عادياً ، بل يكون طول عمر أيِّ إنسان ـ قدَّر الله له أن يعيش طويلاً ـ أمراً عادياً .

والآن إليك نموذجاً مِن القرآن الحكيم :

قال تعالىٰ : **﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فَلَبِثَ فيهم ألفَ سنة إلّا خمسين عاماً فأخَذَهم الطوفان وهم ظالمون ﴾**[1] .

إنَّ هذه الآية الكريمة تقول : إنَّ الفترة التي دعا فيها نوح (عليه السلام) الى الله تعالى هي ٩٥٠ سنة ، فكم كان عمره يوم أرسله الله نبياً ؟ وكم عاش بعد الطوفان ؟

لقد ورَدَ في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « عاش نوح ألفي سنة وثلاثمأة سنة ، فمنها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن

---

(١) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

يُبعَث ، وألف سنة إلّا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ، وخمسمائة بعدما نَزَل مِن السفينة ونَضَب الماء[١] فَمصَّر الأمصار ، وأسكن وُلده البُلدان . . »[٢] .

وفي رواية أُخرى : إنَّ نوحاً عاش ألفين وخمسمائة سنة ، وعلى كلٍّ حال فمن الواضح أنَّ نوحاً (عليه السلام) عاش هذه القرون الطويلة بقدرة الله تعالىٰ وقد رُويَ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنّه قال : « في القائم سُنَّة مِن نوح ، وهي طول العُمر »[٣].

وَتتجلّىٰ القُدرة الإلهيَّة في تحقيق مشيئته وارادته ، وإخضاع الطبيعة، في قصَّة النبي يونس (عليه السلام) الذي ﴿ **إلتَقَمَه الحوتُ وهو مُليم ، فلولا أنَّه كَان مِنَ المُسبِّحين للبث في بَطنِه الى يوم يبعثون** ﴾[٤] فالظاهر مِن هذه الآية أنَّ يونس لو لم يَكن مِن المسبِّحين في بطن الحوت للبث حيّاً في بطن الحوت الى يوم القيامة .

وأمّا ما ذَكرَه بعض المفسِّرين مِن (أنَّ بطن الحوت كان قبراً له ، أي كان يموت ويَبقىٰ جَسَده في بطن الحوت الى يوم يبعثون) فهو خلاف الظاهر .

---

(١) نَضَب الماء : غارَ الماء . مَصَّر الأمصار : بَنى المُدُن .

(٢) تفسير البرهان للبحراني في تفسير الآية ، نقلاً عن كتاب الكافي للشيخ الكليني . إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٢٣ .

(٣) كتاب إكمال الدين ج ١ ص ٣٢٢ و ٥٢٤ .

(٤) سورة الصّافات ، الآية ١٤٢ ـ ١٤٤ .

وقد ذكر الزمخشري - في تفسيره الكَشّاف - ان الظاهر مِن قوله تعالى : ﴿للبث في بطنه﴾ هو لَبثُه فيه حياً إلى يوم القيامة ، ومِثلُه في تفسير البيضاوي .

ولعلّ المعنى - والله العالِم - أنّ النبي يونس (عليه السلام) كان يبقى حَياً محبوساً في بطن الحوت - مع حياة الحوت - الى يوم القيامة ، فيُستفاد مِن هذه الآية أنّ الله تعالىٰ قادرٌ على أن يحفظ إنساناً من الموت في مكانٍ لا هواء فيه ولا طعام ولا شيء مِن لوازم الحياة والبقاء ، بل ويحفظه مِن الهضم في بطن الحوت وصيرورتِه جزءاً من جسد الحوت ، الى ملايين السنين .

أليس الله تعالى بقادر على أن يحفظ وليَّه من الموت ويُعمِّره مئات السنين ؟ ! .

طول العُمر مِن الناحية العقائديَّة :

وإذا نظرنا الى موضوع العُمر من الناحية العقائديَّة وجدناه أمراً عادياً جداً ، لأنَّ كلَّ مؤمن بالله يعتقد أنَّ الآجال بيد الله تعالىٰ ، ومعنى هذا أنَّ الله هو الذي يُقدِّر الآجال لكلِّ نفس ولكلِّ ذي حياة ، والله قادر على إطالة الأعمار كقُدرته على تعجيل الآجال ، فاذا قدَّر الله تعالى لأحد عباده طول العمر فمن البديهي أن يُهيِّىء له الأسباب المادِّيَّة ، والطبيعيَّة الموجِبة لطول العمر ، ومِن الممكن أن يُسعفه - للعمر الطويل - بالأمور الطبيعيَّة وبالماورائيّات معاً ، أي ما وراء الطبيعة والمادَّة ، ولا يستلزم مِن ذلك خَرق الطبيعة ولا العادة ، فكما أنَّ هناك وسائل وعوامل لِقِصَر

العمر وتعجيل الأَجَل ، كذلك هناك وسائل لإطالة العمر وتأخير الأجل ، وكلا القسمين من الوسائل في قدرة الله تعالىٰ على حَدٍّ سواء .

ولتوضيح هـذا المعنى نقول : مِن الـواضح أنَّ جسم الإنسـان يتعفَّن ويتَلاشىٰ بعد الموت ، وتتفرَّق أجزاؤه وتَنقلب الى ديدان ، هذا مِن ناحية الطبيعة ، ولكنَّنا نجد ـ في مدينة القاهرة ـ عشـرات الأجسام المحنَّـطة ـ مِن عهـد الفراعنـة ـ التي مرَّت عليهـا آلاف السنـين وهي لا تـزال مُتمـاسكـة الأعضاء والأجزاء ، فلا يُقال : هذا خرق الـطبيعة ، بـل الطبيعـة ناقضت الطبيعة ، يعني انَّ التحنيط يُناقض ويمانع تعفّن البدن وتلاشيه .

وإن تجاوزنا مـرحلة تحنيط الأجسام الى مـرحلة أعلىٰ منهـا ، رأينا مـا يـوجب الدهشـة والعَجَب ، فقد انهَدمت قبـور بعض عباد الله الصـالحين فوُجِدت أجسادهم طريَّة لم يَطرأ عليها أيّ تغيـير ، فقد وُجـد جثمان الشيـخ الصدوق ـ في إحدىٰ ضواحي طهران ـ وقد مرَّ عـلىٰ وفاتـه حوالي تسعمـائة سنة ، وكان جسده طريّاً[1] ، وفي زماننا هذا ، أرادوا نَقـل مرقـد الصحّابي الجليل حُذيفـة بن اليَمان مِن شـاطىء نهر دجلة ـ ببغداد ـ الى جـوار مرقـد الصحّابي الجليل سلمان الفارسي ـ بالمدائن ـ فـانهار القبر وظهَـر الجثمان ، فكأنَّه مـات في ذلك اليـوم ولم يتغيَّر جثمـانه ومَـلامحه أبـداً ، وكانت وفـاته سنـة ٣٦ مِن الهجرة ، مـع العلم أنَّـه لم يكن مُحنَّـطاً بـالتحنيط المتعـارف ،

---

(١) تـوفي الشيخ الصـدوق ـ رضوان الله عليـه ـ سنة ٣٨١ ، وقـد جُدِّدَ البنـاء الموجـود على قبره سنة ١٢٣٨ هـ وَوُجِدَ جسده طـرياً حـين تجديـد البناء . ذكـرَ ذلك بـالتفصيل الخـونسـاري في (روضـات الجنّـات) والتنكـابني في (قصص العلماء) ، والمـامقـاني في (تنقيح المقال) وغيرهم .

وإنّما بقي جسَده طريّاً باذن الله تعالىٰ .

والمشهور بين المؤمنين أنَّ مَن واظَبَ على غُسل الجمعة لا يبلىٰ جسده .

إذن : فالطبيعة شيء ، وإرادةُ الله فوق الطبيعة ، ومشيئته فوق المادَّة والماديّات ، لأنّه تعالى خالق الطبيعة والمادَّة ، يُقلِّبها كيف يشاء ويَتصرَّف فيها بما يريد ، فهو الذي مَنح للاشياء طبايعها .

فمن الممكن أن الإمام المهدي (عليه السلام) يُراعي في حياته النواحي الصِحيَّة ، فيَتناول ما ينفع ولا يَضرُّ ، فيعيش سالماً عن جميع الأمراض ، وتكون جوارحه وأجهزة جسمه نشيطة تؤدّي وظائفها على أحسن ما يُرام ، فالشَيب والشيخوخة والضعف والذبُول لا طريق لها الى جسمه (عليه السلام) وإنَّما يتمتَّع بالطراوة والنضارة ، فكأنّه شاب مُتكامل القوىٰ . . سليم الأعضاء ، كلُّ ذلك بسبب القابليّات والإستعدادات والطاقات التي أودعها الله تعالىٰ في جسم الإمام المهدي (عليه السلام) .

وخلاصة القول : إنَّ الله تعالىٰ هو الحافظ للإمام المهدي (عليه السلام) وهو الذي يَصونه مِن نوائب الدهر وحوادث الزمان ، ويمدُّ سبحانه في عُمره (عليه السلام) بما يشاء، ويُحافظ على سلامة جسمه مِن كلِّ مرضٍ وآفةٍ وعاهة .

طول العمر على ضوء العِلم الحديث

قبل أن نَدخل في هذا البحث ، لا بأس أن نَذكر كلمة بالمناسبة :

مِن المؤسف جـداً أنّ بعض الشبـاب ـ في المجتمـع الإسـلامي ـ يقتنعـون بكلمات الغـربيِّين ـ من اليهـود والنصـارىٰ وغيـرهم ـ ويتلقَّـونها بـالتصديق والقبـول حتى لـو كـانت فـوق مستـوىٰ عقـولهم ومَشـاعـرهم ، ولكنَّهم يتردَّدون في قبول الحقائق الماورائيَّة الغَيبيَّة التي تتجـاوز حدود المـادَّة والطبيعة ، ويُشكِّكون فيها .

وهـذا إن دَلَّ على شيء فـانما يَـدلُّ على الإستعمـار الفكري والثقـافي الـذي غزىٰ البـلاد الإسلاميَّـة ، وسَلَب الإيمان واليقـين مِن قلوب كثير من الشباب الغافلين ، وأحـدَثَ فجوة كبيـرة وبَونـاً واسعاً بـين هؤلاء الشباب وبين الحقائق التي لا ترتبط بالمادَّة .

لقد دفع الإستعمـار الشباب الى الإيمـان بالمـاديّات فقط ، والى رفض المعنويّات والغيبيّات .

فإذا قيل : قال المِستر فلان ، وقال المِسيـو فلان ، وكَتَبَ البُـروفسور فلان ، وقال الفيلسوف فلان ، والمكتشِف فلان، والدكتور فلان ، الألماني أو الفـرنسي أو الإمـريكي ، أو الأُستـاذ بجـامعـة كـذا، أو الكـاتب اليهـودي ، أو الخبـير المسيحي ، أو الـزعيم الـوَثَني ، فـإنَّ أقـوال هؤلاء وآراءَهم ونظريّاتهم تُعتبَـر ـ عنـد هؤلاء الشُبّـان ـ وحيـاً يُـوحىٰ ، ويتلقَّـوْنها بصدور رحبة وبكلٍّ تقدير !

أمّـا إذا قلنا : قـال الله تعالى ، أو قـال رسول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) أو قال أمير المؤمنين عـلي (عليه السـلام) أو ذكرنـا حديثـاً أو معجـزة لأحـد أئمـة أهـل البيت (عليهم السـلام) ثَقُـلَ عليهم تصـديقُـه

وصعب عليهم قبولُه !.

لماذا أيها المسلمون ؟ !.

أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عالماً حكيماً فيلسوفاً خبيراً مُكتشفاً ، مرتبطاً بالوحي ، مُتَّصِلاً بالمبدأ الأعلىٰ ؟؟ !.

لماذا لا يُقبَل كلامه ولا تُصدَّق أقوالُه وأخبارُه ؟؟!!

إذا قلنا : إنَّ عُمر الإمام المهدي أكثر مِن ألف ومائتي سنة قالوا : كيف يمكن ذلك ؟ وتردَّدوا فيه ، أمّا أذا قيل : إنَّ المستر فلان قال : إنَّ بإمكان الإنسان أن يَعيش ألوف السِنين ، صدَّقوه وقبِلوا منه !! لماذا ؟ !

قليلاً من التفكُّر والإنتباه .
قليلاً مِن الوعي واليقظة .

إنّنا يجب أن نَفتخر بعظماء الإسلام ، بالنبي العظيم، بالإمام علي العظيم ، بأهل البيت العُظماء ، ويجب أن نرفض الدُخَلاء الذين دَسَّ بهم الإستعمارُ الى مجتمعاتنا وأفكارنا وأذهاننا !

يجب أن لا ننسىٰ أنَّ المسلمين هم رجال العِلم الحديث وأبطاله ، وأنَّهم الذين فتَقوا هذه العلوم وكتَبوا عنها ونشَروها !

ما قيمة الغربيين ؟ ! وما قيمة أقوالهم ونظريّاتهم ؟؟!!

لماذا نسينا أصالتنا ومَجدنا ؟.

إذا ذكروا قولاً أو نظريَّة لداروين اليهودي ، وفرويد اليهودي ، وأينشتاين اليهودي ، وسارتر الوجودي الملحِد، وأمثالهم ـ ممَّن أنكروا

الخالق وجحدوا الصانع ، ورَفَضوا جميع الأديان ، وجاؤا بنَظَريّات فاشلة ، مُضادَّة للإسلام ـ رأيتَ هؤلاء الشباب ، يتلقّون كلمات هؤلاء بالقبول ، ويعتبرونها مِن الحقائق الثابتة التي لا تقبل الشك والجدَل !!

ولهذا ترى كثيراً من المؤلِّفين يَضطرُّون الى الإستشهاد بكلمات الغربيِّين ، لإقناع الشباب بالموضوع الذي يتحدَّثون حوله ! .

لماذا يا أبناء الاسلام ؟ ! .

لماذا يا شباب القرآن ؟ ! .

عودوا إلى إسلامكم ، وافتخِروا به على غيركم .

إرفضوا الغرب ورجَالَه وأفكارَه ، فإنَّه لا يَزيديكم إلاّ وَبالاً وانحرافا .

والآن أعود الى حديثي عن طول العمر على ضوء العلم الحديث :

إن مسألة طول العمر مِن المسائل التي لم يتحقّق تحديدها بالضبط ، فاذا قالوا : فلان عاش مئات السنين أو آلاف السنين ، فليس معنى ذلك أنّه عاش الحدَّ الأقصىٰ مِن العُمر الممكن للبشر أن يُدركه ، لأنَّ العمر الممكن للبشر لَم يتحقّق تحديدُه ـ كما تقول بذلك آخر الإكتشافات العِلميَّة ـ .

وأمّا الأعمار القصيرة ـ في هذا الزمان وقبل هذا الزمان ـ فليست مقياساً تُقاس عليه الأعمار ، لأنَّ الحياة مستلزمة ـ غالباً ـ للحوادث والكوارث والآلام التي تُسبِّب قِصَر العمر ، كسوء التغذية وسوء التَهوية

وعدم رعاية التعاليم الصحيَّة ، والأمراض الفتّاكة ، وتراكم الهموم والاحزان ، التي لها كل الأثَر في هدم الحياة والعُقَد النفسيَّة التي تُسبِّبُ أمراضاً خطيرة على حياة الانسان وغيرها .

وفي هذا المجال ذُكر في صفحة ٢٣٩ مِن مجلة المقتَطَف المِصريَّة ما نَصُه : (... لكن العلماء الموثوق بعلمهم[١] يقولون : إنَّ جميع الأنسجة الرئيسيَّة في جسم الحيوان تَقبل البقاء الى ما لا نهاية له ، وأنه في الإمكان أن يَبقى الإنسان حيّاً أُلوفاً مِن السِنين ، إذا لم تَعرض عليه عوارض تَصرِم حَبل حياته » .

وفي صفحة ٢٤٠ من نفس العدد تقول : «وغاية ما ثبت الآن من التجارب المذكورة أنَّ الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين أو المائة مِن السنين ، بل لأنَّ العوارض تنتاب بعض أعضائه فتُتلفها ، ولإرتباط بعضها ببعض تموت كلُّها ، فإذا استطاع العِلم أن يُزيل هذه العوارض أو يمنع فِعلها ، لم يَبق مانع مِن استمرار الحياة مئات السنين[٢].

ولم نَقرأ في كتاب أو تقرير ، ولم نَسمع مِن أيِّ طبيب أو حكيم أو فيلسوف أنَّ عُمر البَشر قد تَمَّ تحديده ، وأنَّه لا يمكن أن يتجاوز عمرُه ذلك الحَدّ ، أو أنَّ مِن المستحيل أن يعيش الإنسان ألف سنة مثلاً .

---

(١) ليس المقصود مِن كلمة (العلماء) ـ هنا ـ الفقهاء وعلماء الدين ، بل المكتَشِفون وعلماء العلم الحديث .

(٢) مجلة المقتطف المصرية ، في الجزء الثالث الصادر في سنة ١٣٧٩ هـ . في مقال تحت عنوان « هل يُخلَّد الإنسان في الدنيا ؟ » .

بـل نجد أنَّ الـطب الحديث يـأمل في أن يجـد دواءاً لطول العمـر ، ومنْـع الشيخـوخـة ، وحفظ خـلايـا جسم الإنسـان والغُـدَد التي تُنشِّط الأعضاء ، والمحاولات مبذولة في هذا المجال .

نعم . . العمـر الطويـل ـ في هذا الـزمان ـ غـير مألـوف ، نـظراً الى الأعمـار القصيرة التي يعيشهـا البشر اليـوم ، فاذا كـان الشيء غير مـألوف عنـدنا فليس معنـاه أنَّه محـال وغير ممكن[1]، فـالناس ـ فيـما مضىٰ ـ كـانـوا يقـطعون مسـافة الف كيلومـتر في شهر ، واليـوم يقطعـون هذه المسـافة في ساعة واحدة بالطائرة ، فلو أنَّ إنسـانـاً كـان يُخبر النـاس ـ قبل مـائة سنـة ـ أنه يمكن قطع هذه المسافة في ساعة واحدة لَما كانـوا يصدّقـونه ، بـل كانـوا يَستبعدون ذلك ، لأنَّه خلاف المألوف عندهم ، ولكن الخَبَر صحيح .

إنَّ المجتمعـات البشـريَّـة ـ اليـوم ـ تَعـرف الأشيـاء حسب العـادة الجارية ، لا حسب الأُصـول العِلمية ، وحتى الـذين لهم معرفـة بالأُصـول العلمية لا يدَّعون أنَّهم أحاطوا بجميع الأسبـاب والمُسبَّبات ، بـل يَعترفـون أنَّهم لا زالوا في بدايـة الطريق ، ويُقـرُّون بأنَّ الأُصـول العلمية التي خَفِيت عنهم أكثر جداً ممّا ظهرت لهم .

فـالمقاييس العِلميـة ـ في هذا الكـون ـ أكثرهـا مجهولـة ، ولم يستـطع البشـر أن يُحيط بها عِلماً ، وإنمـا استطاع أن يُـدرِك أشياء ظـاهرة بـدون أن يعـرف أسبابهـا وعِلَلها ، فكـلُّ شيء لـه سبب ، وذلـك السبب أيضـاً لـه

(١) رُوِيَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : « كانت اعمار قوم نوح (عليه السلام) ثلاثمائة سنة . . ثلاثمائة سنة » اكمال الدين ج٢ ص ٥٢٣ .

سبب ، وهكذا تجد الأسباب والمسبَّبات متسلسلة ولا تستطيع أن تعرف السبب الأول ـ الذي يُقال له (عِلَّة العلل) ـ إلّا أن تقول : انّها قُدرة الله سبحانه وإرادته . . لا غيرها .

المُعمَّرون :

في تاريخ البشر توجد أسماء كثيرين مِن الذين عاشوا في هذه الحياة قروناً طويلة ، وقد تعرَّض المؤرِّخون الى ذكر أسمائهم وبعض قضاياهم ، كما أفرد بعض العلماء ـ في كُتُبهم ـ فصَلاً خاصّاً لهم تحت عنوان « أخبار المعمَّرين » وذكروا فيه بعض ما يتعلَّق بهم ، ممَّا يَدلّ على أنَّ طول العمر ليس أمراً غريباً في حياة الإنسان ، بل كان شيئاً طبيعيّاً في بعض الأزمنة .

ونحن نَذكر ـ هنا ـ أسماء بعضهم ، مع رعاية الإختصار :

١ ـ النبي آدم (عليه السلام) عاش ٩٣٠ سنة .
٢ ـ النبي سليمان بن داود (عليهما السلام) عاش ٧١٢ سنة .
٣ ـ لقمان الحكيم عاش ٤٠٠٠ سنة وقيل ٤٠٠ سنة .
٤ ـ الربيع بن الضبع الفزاري عاش ٣٨٠ سنة .
٥ ـ شدّاد بن عامر عاش ٩٠٠ سنة .
٦ ـ عمر بن عامر عاش ٨٠٠ سنة .
٧ ـ قس بن ساعدة الأيادي عاش ٦٠٠ سنة .
٨ ـ عزيز مصر عاش ٧٠٠ سنة .
٩ ـ الريّان ـ والد عزيز مصر ـ عاش ١٧٠٠ سنة .

١٠ ـ لقمان العادي عاش ٥٦٠ سنة[١].

وهناك الكثيرون ـ ممّن سجّل التاريخ أسماءهم ـ الـذين عاشـوا مئات السنين ، ولاَ أرىٰ حاجة الى ذِكرهم ، وقـد اكتفينا بـالقرآن العـظيم وقصّة نوح (عليه السلام) وفيها الكفاية .

---

(١) وإن أردتَ المزيد مِن التفصيـل فراجع كتاب إكمال الدين ج ٢ ص ٥٢٣ وما بعده، وكتاب بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٥ وما بعده .

الفصل الرابع عشر

متى يظهر ؟

لقد اقتضَت الحِكمة الإلهيَّة أن يكون وقت ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) مجهولاً عند الناس ومكتوماً عنهم ، فلا يَعلمون في أيِّ وقتٍ ـ بالضبط ـ يَظهر الإمام (عليه السلام) .

وبالرغم مِن وجود الأحاديث الكثيرة الواردة عن الرسول الأعظم والأئمة الطاهرين حول مختلف جوانب حَياة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ بما في ذلك جانب ظهوره ـ لم يجيء التصريح بوقت ظهور الإمام ، في أيِّ خبرٍ أو حديث ، بل بالعكس وردتْ أحاديث شريفة عن النبي والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) تُكذِّب ـ بشدَّة ـ كلَّ مَن يُخبر بوقت الظُهور ، وتَنفي أن يكون أحد المعصومين قد أخبر عن ذلك .

فقد رُويَ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في إخباره عن غَيبة الإمام المهدي : « . . . وَيكذِبُ فيها الوَقّاتون »[1].

وسأل الفُضيل مِن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : هل لهذا الأمر وقتٌ ؟

---

(١) كفاية الأثر للرازي القمِّي . وهو مِن تلامذة الشيخ الصدوق .

فقال (عليه السلام) : « كَذِب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون ، كذب الوقّاتون »[١].

ورُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « كَذِبَ المُوقِّتون ، ما وَقَّتنا فيما مضىٰ ، ولا نُوقِّت فيما يُستقبَل »[٢].

وقال (عليه السلام) : « . . . كَذِبَ الوقّاتون ، وَهَلَك المستعجلون ، ونَجا المُسَلِّمون »[٣].

والمراد مِن عدم التوقيت ـ هنا ـ هو عدم تحديد السَنة التي يَظهر فيها الإمام المهدي بالضبط ، إذ أنَّ الأحاديث التي تذكر العلائم الحَتميَّة لظهوره (عليه السلام) تَجعل ظهور تلك العلائم مقروناً بظهور الإمام المهدي في نفس السنة .

أمّا الحِكمة في إخفاء وقت ظهوره (عليه السلام) فلا نستطيع أن نعرفها بصورة قطعيَّة .

ولعلَّ الحِكمة في هذا السِرِّ المكتوم هو أن يبقىٰ المؤمنون ـ طيلة هذه القرون ـ يَنتظرون ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) فيُثابون على هذا الإنتظار المُر . فالأجيال ـ منذ الغيبة الصغرىٰ الى يومنا هذا ـ كانت

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦٢ ، وكتاب الكافي ج ١ ص ٣٦٨ .
(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦٢ .
(٣) كتاب الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٦٨ ، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦٢ .

ولا تزال ترجو أن تُدرك ظهور الإمام المهدي ، فلو كان وقت الظهور مُحدَّداً لما كان هذا الإنتظار ، بل كانت الآمال تَنقلب الى اليأس ، وكان الملايين يُحرَمون مِن ثواب الإنتظار ، فقد رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : « أفضَل أعمال أُمَّتي إنتظارُ الفَرَج »[1] .

وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) : « المنتظِر لأمْرنا كالمتشَحِّط بدَمه في سبيل الله »[2] .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « مَن مات مُنتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم (عليه السلام) في فسطاطه[3] لا .. بل كان بمنزلة الضارب بين يَدَي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف »[4] .

وفي إنتظار الفَرَج فائدة أُخرىٰ وهي أنَّ الإنتظار يُعتبر تصديقاً لكلام الله تعالىٰ وكلام رسوله والأئمة الطاهرين مِن وُلده ، وهذا التصديق مِن مراتب الإيمان ودَرَجات التسليم والإطاعة .

وهناك حكمة أُخرىٰ في هذا الموضوع وهي : الإمتحان والإختبار ، فانَّ الله سبحانَه يَمتحن عباده بشتّىٰ أنواع الإمتحانات ، ومنها القضايا

---

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٦٤٤ ، ورواه الجويني الشافعي في (فرائد السمطين) .

(٢) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٤٥ .

(٣) فسطاطه : الخيمة التي يُعسكر فيها الإمام .

(٤) إكمال الدين ج ٢ ص ٣٣٨ .

العقائديَّة ، فالذين آمنوا بالله وبالرسول وبما جاء به مِن عند رَبِّه حول الإمام المهدي لا يُهمُّهم طولُ الغَيبة، مهما طالت المدَّة وطالَ الإنتظار .

وأمّا المنافقون فانَّهم يجدون المجال المناسب للإستهزاء والتهريج ضدَّ هذه العقيدة المقدَّسة ، ويَضربون الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة عَرض الجدار ، وهذه عادة أهل الباطل في كلِّ زمان ومكان .

وقد رُويَ عن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) أنَّه قال - في حديثه عن غَيبة الإمام المهدي - : « . . . إنَّما هي مِحنَةٌ مِن الله - عزَّ وجَلَّ - إمتحَنَ بها خَلقَه . . . »[١] .

وليس معنى الإمتحان أنَّ الله سبحانه لا يَعلم حقائق عباده ولا يَعرف ما في ضمائرهم وسرائرهم إلاّ بعد الإمتحان . كلاّ . . بل إنَّ الله بكلِّ شيء عليم ، ويَعلم ما في الصدور ، ولا يَخفىٰ عليه شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ أَحَسِبَ الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمَنَّا وهم لا يُفتَنُون ، ولقد فَتَنَّا الذين مِن قَبلهم فَلَيعلَمنَّ الله الذين صَدقوا وَلَيعلمنَّ الكاذبين ﴾[٢] .

فلماذا الإمتحان إذن ؟

---

(١) كتاب الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٣٦ .
(٢) سورة العنكبوت الآية ٣ - ٥ .

الجواب : إنَّ الله سبحانه يمتحن عباده لِعدَّة أُمور :

منها : إتمام الحُجَّة على الخَلق ، لئلاّ يكون للناس على الله حُجَّة .

ومنها : لكي ينجح المؤمن في الإمتحان ، فيستحقَّ بذلك الأجر والثواب .

وقد ورَد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أن يدعو الإنسان ـ في عصر الغَيبة ـ بهذا الدعاء المسمّىٰ بـ (دعاء الغَريق) :

« يا الله يا رحمن يا رحيم ، يا مُقَلِّبَ القلوب ، ثَبِّت قلبي على دِينك »[(١)]

ورُوي ـ أيضاً ـ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه أمَرَ بهذا الدعاء : « اللهمَّ عَرِّفني نفسَك ، فإنَّك إن لم تُعرِّفني نفسَك لم أعرِف نَبيَّك ، اللهمَّ عرِّفني رسولَك ، فإنَّك إن لم تُعرِّفني رسولَك لم أعرِف حُجَّتك ، اللهمَّ عرِّفني حُجَّتك ، فإنَّك إن لم تُعرِّفني حُجَّتك ضَلَلْتُ عن دِيني »[(٢)] .

هذا . . بالاضافة الى وجوه الحِكمَة الأُخرى ، التي خَفِيت علينا .

أيها القارىء الكريم : هناك أحاديث شريفة تتحدَّث عن بعض ما يتعلَّق بوقت الظهور ، نذكر بعضها بالمناسبة :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « يَخرج قائمنا أهلَ البيت يوم الجمعة ».

---

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٢) كتاب الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٣٧ ، إثبات الهداة للشيخ الحر العامِلي ج ٧ ص ٣١ .

وقال (عليه السلام): لا يَخرج القائم (عليه السلام) إلّا في وترٍ مِن السِنين: سنة إحدىٰ أو ثلاث أو خمس أو سَبع أو تسع[١].

وقال (عليه السلام): «يُنادىٰ باسم القائم (عليه السلام) في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن علي (عليهما السلام)...»[٢].

والمستفاد مِن مجموع الأحاديث التي تتحدَّث عن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) أنَّ الظهور يكون قبل القيام بفترة غير قصيرة، فلعلَّ الإمام (عليه السلام) يَظهر من الإختفاء حين يُنادى باسمه، في شهر رجب أو شهر رمضان، ويَنقضي شهر شوّال وذي القعدة وذي الحجَّة وعشرة أيام مِن شهر محرَّم، ثم يقوم (عليه السلام) ويَنهض تلك النهضة المباركة، فهو - في خلال هذه الفترة - يَتَّخذ التدابير اللازمة، ويَنتظر الوقت والزمان المناسب الذي يأذن الله له كي يَبدأ حملةَ التطهير ويُزيل الظلم والجور، وينشر العدل والعدالة في رُبوع الكُرة الأرضيَّة، وسنذكر بعض التفصيل في المستقبل القريب إنشاء الله تعالىٰ.

وأمّا حساب المُنجِّمين وأهل الرَمل والجَفر والمكاشَفات، والمُرتاضين وغيرهم مِن الذين يدَّعون الإخبار عن المغيَّبات - في هذا الزمان - فليس

---

(١) كشف الغمة ج ٣ باب ٤ ص ٥٣٤.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٨٢، إثبات الهُداة بالنُصوص والمعجزات للشيخ الحُر العامِلي ج ٧ ص ٣١، وكتاب عقد الدرر للشافعي ص ٦٥.

بشيء يُعبأ به أو يُعتمَد عليه ، خاصَّة مع الإخبار المُسبَق من الرسول الأعظم والأئمة الطاهرين بتكذيب كلّ مَن يُخبر بوقت الظهور ، كائناً مَن كان ، ولقد رأينا وقرأنا وسمعنا تنبُّؤات كثيرة حول العالَم وحول ما يَحدُث لبعض الأفراد ، فكان أكثرها كذِباً وزوراً ! .

نعم يمكن أن نَعرف إقتراب الظهور إذا ظهرت العلامات القطعيَّة والحتميَّة ، ولنا بحث حول تلك العلامات ، سنذكره في فصلٍ قادم باذن الله تعالىٰ .

الفصل الخامس عشر

اوصاف الامام المهدي وعلائمه

لقد تَعرَّضت الأحاديث الشريفة لِذِكْر علائم الإمام المهدي (عليه السلام) وأوصافه، وكان هذا ضرورياً جداً، حتى يُعرَف الحقُّ مِن الباطل، وليكون حاجزاً قويّاً أمام مَن سَوَّلَتْ له نفسُه أن يَدَّعي ما ليس له.

وهذه العلامات يتعلَّق بعضها بجسم الإمام المهدي (عليه السلامَ) وبعضها يَصف أخلاقَه، وبعضها يُبيِّن كيفية ظهوره، وبعضها يشرح حياة المجتمع في عصره.

والجدير بالذِكر أنَّ علائم الإمام المهدي ـ المذكورة في الأحاديث الشريفة ـ تُعتبر مِن العلائم التي لا تجتمع في غيره. فالعلائم التي تَحدُثُ قبل الظهور وبعد الظهور وحين قيامه بالحكم، وأيام حكومته، وفتوحاته، وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجورا، وغيرها.. كلُّ هذه الأُمور تُعتبر شواهد صِدق على حقيّة الإمام المهدي (عليه السلام) وتعيين شخصِه.

ومِن الصحيح أن نقول: إنَّ أكثر الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي (عليه السلام) إنّما هي علائم لتعيين شخصِهِ، كالأحاديث التي

تَشرح نَسَبَه الشريف ، وأنّه إبن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وأنّه يَملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وأنَّه يَستولي على الكُرة الأرضيَّة ، فلا يَبقىٰ على وجه الأرض دينٌ غيرَ دين الإسلام . . والى ما شاء الله من العلائم التي لم تَتحقَّق الى الآن ولم تتوفَّر في أحدٍ مِن مُدَّعي المهدويَّة .

والسؤال الآن : ما هي الحِكمة من ذِكر أوصاف الإمام المهدي وعلاماته ؟ .

الجواب : يمكننا أن نُشير الى بعضها فيما يَلي :

١ ـ إنّ بتحقق هذه العلامات وانطباق هذه الأوصاف على الإمام المهدي ـ حين ظهوره ـ يرتفع كل شكٍ وريب ، ويَتلقّىٰ الناس خبر ظهور الإمام بكلّ يقينٍ ، ولا يَبقىٰ مجالٌ لأصحاب القلوب المريضة أن يَشكّوا أو يُشكِّكُوا في الإمام المهدي (عليه السلام) مع توفُّر العلائم وتحقُّق الصفات فيه ، وتلزمهم الحُجَّة القطعيَّة التي تأخذ بأعناقهم وتَسدّ عليهم أبواب الشكوك والمناقشة .

٢ ـ إنَّ الله تعالىٰ كان يَعلم أنَّ عدداً كثيراً مِن أهل الضلالة وأتباع الشيطان الرجيم سيدَّعون المهدويّة كذباً وزوراً ، وافتراءاً وخداعا ، ولهذا جعل الله تعالى هذه العلائم المهمّة ـ التي لم تحدث في الكون أبداً ـ من العلائم القطعيَّة للإمام المهدي (عليه السلام) ولظهوره ، كي لا ينخدع الناس بأباطيل الضالّين ووساوس الشياطين ، بل وحتى تفشل الدعاوي الباطلة التي يدَّعيها المبطلون المدَّعون للمهدويَّة .

وحينما نَستعرض التاريخ الإسلامي نجد أنَّ جماعة من أهل الضلال والباطل ، إدَّعوا المهدويّة كذباً وزوراً ، ولكنَّهم كانوا فاقدين لهذه الصفات ولم تتوفَّر فيهم العلامات .

فقد كان قيام بعضهم ضيّق النطاق ، قصير المدة، فاقد الشرائط ، لم يستطع ان يملأ بلدة واحدة قسطاً وعدلا ، فكيف بأن يملأ الأرض كلَّها قسطاً وعدلا ؟ !

وكثير من هؤلاء فشلوا في إدعّائهم الكاذب ، ولم يتّبعهم سوى بعض البسطاء الضعفاء من الناس ، فباؤا بالفشل ولاذوا بالفرار ، وجرّوا الويلات على أتباعهم ، فكانوا لعنة التاريخ وأُضحوكة المجالس .

وسنذكر في فصلٍ قادم ـ إن شاء الله تعالى ـ أسماء بعض الذين ادَّعوا المهدويَّة ، ونذكر بعض انحرافاتهم وأباطيلهم .

وفيما يلي نُشير الى بعض الأحاديث الواردة في أوصاف الإمام المهدي (عليه السلام) وعلائمه :

١ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): « المهديُّ مِن وُلدي ، إبن أربعين سنة[1] كأنَّ وجهَه كوكبٌ دُرِّي[2]في خَدِّه الأيمن خالٌ

---

(١) إبنُ أربعين سنة : أي يَبدو كأنّه إبن أربعين سنة ، إذ لا طريق للذُبول وآثار الشيخوخة اليه .

(٢) الدُرِّي : المضيء الشديد الإضاءة ، نُسِبَ الى الدُرِّ لبياضه وشِدَّة توقُّده وإنارته .

أسود ، عليه عباءتان قَطوانيتان(١) كأنَّه مِن رجال بَني إسرائيل(٢) يَملك عشرين سنة ، يَستخرج الكُنوز ، ويَفتح مَدائن الشِرك »(٣).

٢ ـ وقال (صلى الله عليه وآله وسلَّم) : « يَخرج المهديُّ وعلى رأسه غَمامة ، فيها مُنادٍ يُنادي : هذا المهدي خليفة الله فاتَّبِعوه »(٤) .

٣ ـ وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « المهديُّ مِنّي ، أجلىٰ الجبهة ، أقنىٰ الأنف »(٥) .

٤ ـ وقال (صلى الله عليه وآله وسلّم) : « المهديُّ مِن وُلدي ، وجهُه يَتلألأ كالقمر الدُرِّي ، اللون لونُ عَرَبي ، والجسم جسمُ

---

(١) القطوانية ـ نِسبة الى قطوان ـ : وهو موضع في الكوفة ، كان يُصنَع فيه العباءة ، وقيل : القطوانية : عباءة بيضاء قصيرة الخمل .

(٢) كأنَّه مِن رجال بَني إسرائيل : أي : انَّه جسيم وطويل القامة .

(٣) كتاب البيان للكنجي الشافعي ص ١٣٧ ، ورواه الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين ، والجويني في (فرائد السمطين) ج ٢ ص ٣١٤ ، ويوسف بن يحيىٰ الشافعي السلمي في (عقد الدُرَر) ص ٣٦ .

(٤) وفي نسخة « يَخرج المهدي وعلى رأسه مَلَك يُنادي : هذا المهدي ... » . فرائد السمطين للجويني ج ٢ ص ٣١٦ ، وكتاب البيان للكنجي الشافعي ص ١٣٢ ، ورواه الحافظ أبو نعيم في كتاب الأربعين ، والمتّقي الهندي في (البرهان) والخطيب البغدادي في (تلخيص المتشابه) .

(٥) أجلىٰ الجبهة : واسع الجبهة ، أو : هو الذي انحسر الشعر عن مُقدَّم رأسِه . أقنى الأنف : القنا في الأنف : هو طولُه ورِقَّة أرنَبته .. مع حَدبٍ في وسَطه . مصدر الحديث : البرهان للمتقي الهندي ص ٩٩ ، والبيان للكنجي الشافعي ص ١١٧ .

إسرائيلي ، يملأُ الأرض عدلاً . . كما مُلئت جوراً »[١] .

٥ ـ وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ في خطبةٍ له ـ : « . . . المهدي مِن ذُرِّيتي ، يَظهَر بين الرُكن والمقام ، عليه قميص إبراهيم ، وحُلَّة إسماعيل ، وفي رِجله نَعل شيث[٢]، والدليل عليه قولُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) : عيسىٰ بن مريم يَنزل مِن السماء ويكون مع المهدي مِن ذُرِّيتي . . »[٣].

٦ ـ وقال (عليه السلام) أيضاً ـ في خُطبة البيان ـ : « . . . هو صاحب الوجه الأقمر ، والجَبين الأزهر[٤] وصاحب العلامة والشامة ، العالِم غير مُعلَّم ، المُخبِر بالكائنات قبل أن يُعلَم[٥] . . .

ألا وإنَّ المهدي يَطلب القِصاص ممَّن لا يَعرف حَقَّنا ، وهو الشاهد بالحق وخليفة الله على خَلقه ، إسمُه كإسم جَدِّه رسول الله (صلى الله

---

(١) البيان للكنجي ص ١١٨ ، وعِقد الدُرَر ليوسف بن يحيىٰ السَلَمي الشافعي ص ٣٤ ، وأخرجَه الحافظ أبو نعيم في (مناقب المهدي) والحافظ أبو القاسم الطبراني في مُعجمه .

(٢) شيث : هو إبن النبي آدم ـ أبي البَشر ـ (عليهما السلام) . ولا يخفى أنَّ هذه مواريث الأنبياء وودائع النبوَّة ، التي انتقلت مِن نبيٍ الى نبي ، الى خاتم الأنبياء ، الى الأئمة الطاهرين ، حتى وصلت الى الإمام المهدي (عليه السلام) .

(٣) كتاب إثبات الهُداة للشيخ الحُر العاملي ج ٧ .

(٤) الأقمر : الأبيض ، الأزهر : المُشرق اللون .

(٥) أي : قبل أن يُخبَر عنها . وفي نُسخةٍ : « قبل أن تُعلَم » .

(٦) المقصود هو الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي (عليهما السلام) .

عليه وآله وسلم) إبن الحسن بن علي(عليه السلام)[١]،مِن وُلد فاطمة ، مِن ذريَّة الحسين وَلَدي . . . » الى آخر خطبته[٢].

٧ ـ وقال الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) : « لو قام المهدي لأنكرَه الناس ، لأنَّه يَرجع اليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً[٣].

٨ ـ وعن الهروي قال : قلت للإمام الرضا (عليه السلام) : ما هي علامات القائم منكم إذا خَرَج ؟

قال (عليه السلام) : « علامتُه : أن يكون شيخ السِنّ ، شابَّ المَنظَر ، حتى أنَّ الناظر اليه لَيَحسبُه إبن أربعين سنة أو دونها ، وإنَّ مِن علاماته أن لا يَهرم بمرور الأيّام والليالي ، حتى يأتي أَجَلُه[٤].

---

(١) المقصود هو الامام الحسن العسكري إبن الامام علي الهادي (عليهما السلام) .
(٢) كتاب إلزام الناصب ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٣) كتاب عقد الدرر ليوسف بن يحيىٰ الشافعي السَلمي ص ٤٢ .
(٤) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٥٢ .

عَلَائِمُ ظُهُوره

يُمكننا أن نُقسِّم علائم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) المرويَّة في كُتُب الأحاديث ، إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : العلائم العامَّة ، التي تتحدَّث عن الإنحرافات التي تَنتشر في الأوساط الإسلاميَّة وغيرها ، وتتلوَّث بها المجتمعات البشريَّة .

وهذه العلائم ليست مِن العلائم المُقارنة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) بل يُمكن أن تَحدث قبل ظهور الإمام بعشَرات السِنين .

القسم الثاني : العلائم التي تَحدث قريباً مِن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) بسنوات غير كثيرة ، ولكنَّها لا تَدلُّ على وقوع الظهور في تلك السنة ، بل تُعتبر مِن أنواع المَلاحم والفِتَن في القرون المتأخِّرة عن زَمَن صدور هذه الأحاديث .

القسم الثالث: العلائم التي تَحدث في السنة التي يَظهر فيها الامام (عليه السلام) أو في السنة السابقة على سنة الظهور .

وهذا القسم الأخير ينقسم الى نوعين :

النوع الأول : العلائم غير المَحتومة ، ومعنى ذلك أنَّها ليست قطعيَّة ، فيمكن أن تَقع ويمكن أن لا تَقع .

النوع الثاني : العلائم المحتومة التي لا تَقبل الشك والترديد ، وهي قطعيَّة الوقوع . . لا محالة .

ثم إنَّ هـذه العـلائم ـ مِن حيث المجمـوع ـ بعضُهـا ظـاهـر المعنىٰ وواضح المراد ، وبعضُها في غاية الإبهام والإجمال والغُموض .

وقـد سَبَقَني الكثيرون الى ذِكـر تلك الأحـاديث ، وخـاصَّـة الكُتّـاب المعـاصِرون ، وقـد فسَّروهـا وأوَّلـوهـا حسب آرائهم الخـاصَّـة ونـظريّـاتهم الشخصيَّة .

وإنَّني أظن أنَّهم لا يَستـطيعـون إثبـات تلك الآراء لا عِلميـاً ولا تـاريخيـاً ، ولهـذا فـإنَّني لا اتجـرَّأ في أن أتّبعهم في تلك التـوجيهـات ، أو أقتـدي بهم في آرائهم وتأويـلاتهم لتلك الأحاديث ، فـالله ورسـولُـه وأهـل البيت أعلم بحقائق الأُمور .

وهاكَ مثالاً في هذا المجال :

ذَكـر الشيـخ المفيـد في كتـابـه الارشـاد ـ في ضمن العـلائم ـ : : « . . . ونُزولُ التُرك الجزيرة ، ونزول الروم الرَملة . . » .

إنَّ الأتـراك يَسكنون ـ حـاليـاً ـ في إيـران وفي شمـال العـراق ، وفي تـركيا ، وفي القفقـاس ، مِن الإتحاد السـوفياتي ، فيـا ترى مـا هو المقصـود مِن التُرك هنا ؟ .

والجزائر كثيرة فما هي الجزيرة التي تَنزل بها التُرك ؟ واين هي؟

وأما الروم فهم ـ على الاكثر ـ الأوروبيّون ، ومن الواضح أنّ أوروبا قـارَّة مُشتملة على دول عـديدة وحكـومات متعـدِّدة ، وكلُّهم روم ، فما هـو المقصود من الروم ،

هل يُمكن أن يكون المقصود مِن الروم اسرائيل ؟ ![1].

ويمكن أن يكون المقصود امريكا ، لأنَّ أكثر الإمريكيين هم من المهاجرين مِن القارَّة الأُروبيَّة .

وهكـذا وردت في الأخبار كلمـة « المشـرق « أو « المغـرب » فـما هـو المقصود من المشرق والمغرب ؟

المشرق الأقصى ؟ أم الشرق الأوسط ؟

المغـرب الأقصىٰ ؟ أم المغـرب العـربي المشتمـل عـلى ليبيـا وتـونس والجزائر والمغرب ؟

وهكذا وردت كلمة : « بَنو فلان » أو « ألا أُخبـركم بآخـر مُلك بَني فلان » فما هو المقصود مِن بَني فلان ؟ .

يُقال : إنَّهم بنو العبـاس ، مع العلم أنَّ العبـاسيّين إنقـرض مُلكهم سنـة ٦٥٦ مِن الهجـرة ، فهـل يمكن أن يكـون بعض الـرؤسـاء في البـلاد العربية عباسيّين في النَسب ؟ .

---

(١) باعتبار أن الروم الذين جاءوا لحرب المسلمـين ـ في غزوة مؤتـة ـ كانـوا يسكنون الأُردن وفلسطين .

وعلى كلٍّ حال .. لا نستطيع أن نَتأكَّد من معرفة هذه الأسماء في هذه الأحاديث التي تشبه الرموز ، ولا نتمكن أن نعرف المقصود منها بالضبط .

إذن .. فالأفضل أن نذكر العلائم كما هي ، والمستقبل يَضمن تفسير هذه الكلمات وتطبيقها على مصاديقها .

القسم الأول : العلائم العامَّة :

أمَّا العلائم العامَّة ـ وهي القسم الأول من العلائم ـ فهي كثيرة ، ونقتطف من مجموع الأحاديث حديثاً واحداً وفيه الكِفاية ، ثم نشرح بعض الكلمات الواردة فيه :

رُويَ عن النزال بن سبرة قال : خَطَبَنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فحمد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأثنىٰ عليه ، وصلى على محمد وآله ، ثم قال : سَلوني ـ أيها الناس ـ قبل أن تَفقدوني ـ قالَها ثلاث مرات ـ .

فقام اليه صَعصَعة بن صوحان فقال : يا أمير المؤمنين متى يَخرج الدَجّال ؟ .

فقال (عليه السلام) له : أُقعُد ، فقد سَمِع الله كلامَك ، وعَلِم ما أردتَ . .

الى أن قال : ولكن لذلك علامات وهيئات يَتبع بعضها بعضا كحذو النعل بالنعل ، وإن شئتَ أنبأتُك بها .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

فقال (عليه السلام) : « إحفَظ . . فإنَّ علامة ذلك : إذا أماتَ الناسُ الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، واستَحلُوا الكذب ، وأكَلوا الربا ، وأخَذوا الرشا . . وباعوا الدين بالدنيا ، واستعملوا السفهاء ، وقطَعوا الأرحام ، واتَّبعوا الأهواء ، واستخفُّوا بالدماء .

وكان الحِلم ضَعفاً ، والظُلم فَخراً ، وكان الأُمراء فَجَرَة ، والوزراء ظَلَمَة ، والعُرَفاء خَوَنَة ، والقُرّاءُ فَسَقة ، وظهرت شهادات الزُور ، واستُعلِن الفجور وقولُ البهتان ، والإثم والطغيان .

وحُليت المصاحف ، وزُخرفَت المساجد ، وطُوِّلت المنارات ، وأُكرم الأشرار ، وازدحمت الصفوف ، واختلفت الأهواء ، ونُقضَت العهود ، واقترب الموعود ، وشارَكَ النساءُ ازواجَهنَّ في التجارة حِرصاً على الدنيا ، وعَلَت أصوات الفُسّاق واستُمع منهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، واتُّقي الفاجرُ مخافة شَرِّه ، وصُدِّق الكاذب ، واؤتُمن الخائن ، واتُخذت القيان والمعازف[١] ولَعَن آخرُ هذه الأمّة اوَّلها ، ورَكبَت ذوات الفُروج السروجَ ، وتَشبَّه النساء بالرجال والرجال بالنساء ، وشهَد شاهدٌ مِن غير أن يُستشهد وشهد الآخر قضاءاً لِذمامٍ بغير حقٍ عَرَفه ، وتفقُّهٍ لغير الدين ، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة ، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب ،

---

(١) القيان : الإماء المُغنّيات : وقيل : المغنّيات . . سواء كُنَّ مِن الإماء أولا . والمعازف : هي آلات اللهو يُضرَبُ بها . . مِن الدُفوف وغيرها .

وقلوبُهم أنتَنُ من الجيَف وأمـرُّ مِن الصَبـر ، فعنـد ذلـك .. ألـوَحَـا .. الوَحَا .. ثم العَجَل العَجَل ... » الى آخر الحديث[١].

والآن ... نـذكـر بعض الجمـلات الـواردة في هـذا الحـديث ، مـع شيء من الشرح والتفصيل ، حسَب ما يتبادر الى الذهن ، والله العالِم :

الحديث المذكور يُشير الى بعض المفاسد في المجتمعـات الإسلاميَّـة ؛ وقلب المفـاهيم ، وتبدُّلِ المقـاييس ، وضعف الجـانب العقـائـدي ، وعـدم المبالاة بالنواميس الإسلامية ، وكثرة الإهتمـام بالأشيـاء التافهـة ، واستيلاء المنحـرفين عـلى الحكم ، وسقوط الفضـائل عن الإعتبـار وانتشار المنكـرات بلا خوف ولا خجل .

فـالصلاة ـ التي هي عمـود الـدين ـ تَفقـد جـوهَـرَهـا ، والأمـانـات تضيع ، ويصبح الكذب الحرام حلالاً ، والربا مباحاً ، ويَستولي الفاقدون للمؤهـلات عـلى الحُكم ، والعـلاقـات الـوُدِّيـة بـين الأقـارب والأرحـام تنقـطع ، ويُستهان بـإراقة دمـاء الأبريـاء والظالم يفتخـر بالـظلم ، وينتشـر الفجور بين الأمراء ، والظلم بين الوزراء ، والخيانة بين العُرَفـاء[٢] والفِسق بين القُرّاء ـ قُرّاء القرآن أو الخطباء ـ .

ويكـون إحترام القـرآن العظيم بـإناقـة الطبـاعة وتلوين الغـلاف وما

---

(١) الوحا .. الوحا : أي العَجَل .. العَجَل .. إكمـال الدين للشيـخ الصدوق ج ٢ ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦ .

(٢) الظاهر أنّ العُرَفاء : هم الشرطة والجواسيس ، وما يُسمّون برجال أمن الدولة .

شابه ذلك ، لا تلاوته ولا العمل به .

وصفوف صلاة الجماعة تكون مزدحِمَة بالمُصلِّين الـذين يحملون قلوباً مُتنافِرة ، فالأجساد مُتقاربة والقلوب مُتباعدة .

وتَنـزل النسـاء والفتيـات الى الأسـواق والحـوانيت ، جلبـاً للمـال ، وأصـواتُ الفُسّاق تَعلو وتَنتشـرُ مِن الإذاعات وغيـرها ، والنـاس يُصدِّقـون كلامَهم ويَعتبرونه وحياً يوحىٰ .

وتكون الزعـامة والـرئاسـة للسَفَلة الاراذل الذين لا يؤمنـون بالقِيَم والشرَف ، والناس يخافون مِن شرِّ الفُجّار فيُداورنهم إتّقاء شرِّهم .

وأمّا اصوات المغنّيـات والراقصـات والمطرِبـات ـ المقرونـة بالمـوسيقىٰ والـدفّ وأمثال ذلـك ـ فهي مرتفعـة مِن أكثر البيـوت ، وتَسمعها في الجـوِّ والبَـرِّ والبحر ، وفي الشـوارع والأسواق وحتى في الصحـاري والبَراري ـ في الوسائل النَقَليَّة ـ كلُّ ذلك عَبر الإذاعات وأجهزة التسجيل والأشرطة .

ورُكوب النساء الدَرَّاجات الهوائيَّة أو النـاريّة أو الخيـول . . ولا شكَّ أنَّ رُكـوب المرأة عـلى السَرج يُهيِّـج فيهـا غـريـزة الجنس ، بسبب الحـركـة العنيفـة ، المصحوبـة بكيفية جلوسهـا على السَـرج ، مـع العلم أنَّ ركـوب السيّارة وأمثالها ليس فيه هذا التأثير .

وأمـا تَشبُّه النسـاء بـالـرجـال فقـد صـار مِن أرقىٰ مـراتب الحضـارة والتقـدُّم ، فالفتـاة تَلبس البَدلـة الرِجـاليَّة ، وتُقصِّـر شَعر رأسهـا ، بحيث يَصعُب التمييز بينها وبين الرجل . هذا من ناحية الملبس والمَظهَر .

وأمّـا التوظُّف في الـدوائر والإستخـدام في المحلّات ، والمشـاركـة في بقيّـة مرافق الحيـاة الخاصَّـة بالـرجل ـ كـالوزارة والمجلس النيـابي والمُحامـاة وأمثالها ـ فحدِّث ولا حَرج !!.

وأما تَشبُّه الرجال بـالنساء . . فتَـراه في كلِّ مكـان ، فالـرجل يَلبَس القميص الملوَّن والبنـطلون الضيِّق ، ويضَـع السِلسِلة الـذَهبيَّـة في رقبتـه ، ويتختَّم بـالـذهب ، ويَحلِق اللحيـة مـع الشـارب ويُـرقِّق حـاجبيه عنـد الحَلّاق ، ويَستعمل المساحيق الخاصَّة لطراوة الـوجه ولَمعـانِه ، وكـأنَّه يَجلب الأنـظار الى نفسـه ! وكـأنَّ هنـاك إتفـاقيَّـة بـين الـرجـال والنسـاء للتبـادل الثِقافي !! .

نعم . . هذا بعض مظاهر تَشبُّه الرجال بالنساء ! .

وأمّـا في المحاكم فـالشاهـد يَشهَد مِن غـير أن يُطلَب منـه الشهادة ، والآخر يشهد لصديقه رعـايةً لحَقِّـه ، وهو لا يعـرف القضيَّة ولا يَعلم الحقَّ مع من ؟ !.

ولا تسأل عمّا يجري في هذه المحاكم مِن بَذل المـال والرشـوة والهدايـا الى الحـاكم أو الوسيط ، جلبـاً لرضـاه ورعايتـه . فذلـك ممّا لا يخفى عـلى أحد .

وأمّـا التَفقُّه لغـير الدين ، فقـد صار متعـارفـاً عنـد البعض ، فتـراه يَتفقَّه لا للدين . . بل للدنيا ، يَدرُس العلوم الدينيَّة لكي يتخرَّج ويصبح قاضياً ، فيُجرىٰ له راتبٌ يوفِّر له الحياة المرَّفهة ، ولا يُهمّـه مِن أُمور الـدين

شيء أبداً .

وهناك أفراد يتظاهرون بالصلاح والوَرَع ، ولكنَّهم يحملون نفوساً شِرِّيرة ، ونوايا سيِّئة وضمائر قذِرة ، فاذا أُتيحت لهم الفُرصة فلا وجدان ولا عطف ولا إنسانيَّة ولا دين ولا مذهب ، تماماً كالذئب الذي لا يَعرف شيئاً سوىٰ تمزيق فريسته ، وشرب دمائها وتقطيع أعضائها ! .

أيها القارىء الكريم : كان هذا شرحاً موجزاً لبعض الجُمَلات التي وردت فيها رُويَ عن مولانا وسيِّدنا علي أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) والأحاديث التي تتضمَّن هذه المواضيع كثيرة ، وقد اكتفينا بهذا الحديث رِعايةً للإختصار .

القسم الثاني : العلائم القريبة من زَمن الظهور :

وأمّا القسم الثاني مِن العلائم ، وهي التي تَحدُث قريباً مِن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) فكثيرة جِداً ، وقد ذَكر الشيخ المفيد (رحمه الله) ـ في كتاب الإرشاد ـ علائم كثيرة إستخلَصَها مِن الأحاديث التي إعتبرَها صحيحة وثابتة عنده ، وقد جَمع بين العلائم القريبة والمقارنة للظهور والقيام ، بصورة مُجملة وموجزة ، وفيما يَلي نَذكر كلامه ، تتميماً للفائدة ، ثم نَشرح بعض ما يَستدعي الشرح والتوضيح :

قال (رحمه الله) : « قد جاءت الآثار بذِكر علامات لزمان قيام القائم المهدي (عليه السلام) وحوادث تكون أمامَ قيامه ، وآيات ودلالات ، فمنها :

خروج السُفياني ، وقَتل الحَسَني ، واختلاف بَني العباس في المُلك الدُنياوي[١] وكسوف الشمس في النصف مِن شهر رمضان ، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات ، وخَسفٌ بالبيداء ، وخَسفٌ بالمشرق ، وخَسف بالمغرب ، ورُكود الشمس مِن عند الزوال الى وسط أوقات العصر ، وطلوعها من المغرب ، وقَتلُ نَفسٍ زكيَّةٍ بظَهر الكوفة في سبعين مِن الصالحين ، وذَبحُ رجلٍ هاشمي بن الركن والمقام ، وَهدمُ حائِط مسجد الكوفة ، وإقبال راياتٍ سُود مِن قِبَل خراسان ، وخروج اليماني ، وظهور المغربي بمصر وتَمَلّكه الشامات ، ونزول التُركُ الجزيرَة ، ونزول الرومُ الرَملةَ .

وطُلوعُ نَجمٍ يُضيء كما يُضيء القمر ، ثم يَنعطِفُ حتى يكاد يَلتقي طَرَفاه ، وحُمرة تَظهر في السماء وتَنتشر في آفاقها ، ونارٌ تَظهرَ بالمشرق طولاً وتبقىٰ في الجوّ ثلاثة أيام أو سبعة أيام .

وخَلعُ العَرَب أعِنَّتَها[٢] وتملّكها البلاد ، وخروجها عن سُلطان العَجَم ، وقتلُ أهلِ مصر أميرَهم[٣] وخَرابُ الشام واختلاف ثلاث رايات فيه ، ودخول رايات قيس والعرب الى أهل مصر ، ورايات كِندة الى خراسان ، وورودخَيلٍ مِن قِبَل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة ، وإقبال

(١) هكذا وجدنا في المصدر ولعل الأصح : المُلك الدنيوي .
(٢) الأعِنَّة جَمع عِنان ، مِثل أزِمَّة جَمع زِمام وَزناً ومعنىً .
(٣) لعلَّ هذا قد تحقّق ، فقد قتلَ المصريّون أنورَ السادات رئيس الجمهورية ، والله العالِم .

راياتٍ سود من قِبَل المشرق نحوها ، وثَبقٌ بالفرات[١]حتى يَدخل الماء أزقَّة الكوفة .

وخروجُ ستّين كذّاباً كلُّهم يدَّعي النُّبوة ، وخروج إثني عشر مِن آل أبي طالب كلُّهم يدَّعي الإمامة لنفسه ، وإحراقُ رجلٍ عظيم القَدر مِن شيعة بَني العباس ، بين جلولاء وخانقين[٢]وعَقد الجسر مما يَلي الكَرخ بمدينة بغداد وارتفاع ريحٍ سوداء بها في أول النهار ، وزلزلة حتى ينخسف كثيرٌ منها ، وخوفٌ يَشمُل أهلَ العراق وبغداد ، وموتٌ ذريع فيه ، ونقصٌ في الأموال والأنفس والثمرات .

وجَرادٌ يَظهَر في أوانه وغير أوانه حتى يأتي على الزرع والغَلّات ، وقِلَّة رَيعٍ لما يَزرعه الناس[٣]، واختلافُ صِنفين مِن العَجَم وسَفكُ دماءٍ كثيرة فيما بينهم ، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقَتلهم مَواليهم ، ومَسخٌ لقومٍ من أهل البِدَع حتى يَصيروا قردةً وخنازير ، وغَلبة العبيد على بلاد السادات ، ونداء مِن السماء حتى يَسمعه أهل الأرض كلُّهم ، اهلُ كلٍّ لغةٍ بلُغَتِهم ، وَوجهٌ وصَدرٌ يظهران من السماء للناس في عين الشمس ، وأمواتٌ ينشَرون من القبور حتى يرجعوا الى الدنيا فيَتعارفون فيها ويتزاورون ، ثم يختم ذلك بأربع وعشَرين مطرة تتَّصِل ، فتُحيىٰ بها

---

(١) ثَبَقَ النهرُ : أي كَسَرَ سَدَّه ، وفاض منه الماء ، والثبق: موضع الكسر مِن النهر . المنجد .

(٢) جلولاء وخانقين مدينتان في العراق تقَعان بين بغداد والحُدود الإيرانية .

(٣) الرَّيع : ما فضل وزاد مِن الزرع .

الأرض بعد موتها ، وتُعرف بركاتها ، ويزول بعد ذلك كلُّ عاهة عن مُعتقِدي الحقِّ مِن شيعة المهدي (عليه السلام) فيَعرفون عند ذلك ظهورَه بمكّة ، ويَتوجَّهون نحوه لنصرته ».

أقول : لعل بعض ما ذَكره الشيخ المفيد مِن العلائم قد وقَع ، وبعضها سوف يقع في المستقبل القريب أو البعيد .

وبعض هذه العلائم يحتاج الى شيء من الشرح والتوضيح ، وبعضها غير واضح المراد ، ولا نستطيع بالتأكيد أن نُفسِّر ما أُبهِمَ منها ، ولكنّنا نبدأ ـ بعَون الله تعالى ـ بشرح ما هو المظنون ، ولا نَدَّعي أنَّ هذا هو المقصود لا غير :

أمّا السُفياني والحَسَني فسوف نتحدَّث عنهما قريباً ، وسيأتي الكلام كذلك عن كسوف الشمس وخسوف القمر وعن الخسف بالبيداء ، في ضمن الحديث عن السفياني . وهكذا سيأتي الكلام عن قتل النفس الزكيّة والرجل الهاشمي .

وأمّا إختلاف بَني العباس في المُلك ـ مع العلم أنَّ حكومتهم قد انقرضت قبل حوالي ثمانمائة سنة ـ فلا بدّ لنا مِن القول : إنّ بعض الحُكّام في البلاد العربيَّة هم عَباسيّون في النَسَب ولكنَّهم غير معروفين بذلك .

وأمّا رُكود الشمس ، أو طلوعها مِن المغرب ، فلا يؤمن به العلم الحديث ـ اليوم ـ ولكنّنا نقول : إنَّ الله على كلِّ شيء قدير ، ولَسنا

بحاجة الى تصديق العلم الحديث وتأييده في هذه الأمُور .

وأما إقبال راياتٍ سود من قِبَل خراسان ، فلا نعلم هل هو إشارة الى واقعة التتار وسقوط حكومة العباسيِّين ، وقد وقَعَ هذا قبل مئات السنين ؟ ! أم أنَّه إشارة الى ما سيقع في المستقبل ؟ ! .

و (خراسان) أسم منطقة واسعة تشمل شيئاً مِن أرض الأفغان والإتّحاد السوفياتي ، بالإضافة لشمُولها لمدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) وضواحيها ونواحيها . والله يَعلم ماذا خَبَّأ الدهر لهذه المنطقة وتلك البلاد .

وأمّا خروج اليماني وظهور المغربي بمصر ، فالتاريخ يَذكر إستيلاء المصريِّين على الشام مرّات عديدة ، ويُمكن أنَ يتكرَّر ذلك في المستقبل .

وأمّا الحُمرة التي تَظهر في السماء فيمكن أن تكون مِن إنعكاسات أشِعَّة الشمس في الأُفق أو الفضاء بصورة عامَّة ، ويُعتبر هذا من آثار غضب الله تعالى على أهل الأرض ، وقد حدث نظير هذا بعد إستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) .

قال أبو العَلاّء المعَرِّي :

وعلى الأفْق مِن دِماء الشهيدين
علي ونَجلِهِ شاهدانِ

وأمّا النار التي تَظهر بالمشرق طولاً وَتبقىٰ في الجوّ ثلاثة أيام أو سبعة أيام ، فلعلَّها مِن الحرائق الرَهيبة التي تَظهرَ ، وما يُدرينا لعلٍّ آبار

البترول ـ في بعض المناطق ـ تُصاب بالحريق فيمتلأ الفضاء بالنار والدُخان ، ولا يُستطاع إخماد النار الى ثلاثة أيام أو سبعة أيام . والله العالِم .

وأما خَلع العَرب أعنَّتَها وتملُّكها البلاد وخروجها عن سُلطان العجم ، فلعلَّه قد وقَع ، ويَنبغي أن لا نَنسىٰ أنَّ العجم هم : غير العرب ، سواء في ذلك الفُرس والتُرك وغيرهما .

فبعد أن كانت الإمبراطورية العُثمانيَّة تَحكُم على أكثر البلاد العربيَّة ـ كالعراق والأُردن وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر والسودان والحجاز واليمن وغير ذلك ـ إنهارت تلك الإمبراطورية وخرجت البلاد العربية عن السُلطة العثمانية .

وأمّا خراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيها ، فسنذكره قريباً .

وأمّا دخول رايات قيس والعرب الى أهل مصر، فالمستقبل كفيلٌ بتوضيحه .

وأمّا ورُود الخيل مِن قِبَل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة ـ في العراق ـ ، فحيث أنّنا لا نعلم المقصود مِن المغرب . لا نستطيع أن نتأكَّد مِن معرفة الخيل القادم من المغرب نحو العراق .

ونفس هذا الكلام بالنسبة الى الرايات السود القادمة من قِبَل المشرق نحو الحيرة .

وأما النَبق في الفرات ، فلعلَّه يحدث مِن إنهيار السَدِّ على شطِّ

الفرات وتفايض الماء وطغيانه ، فيدخل الماء أزقّة الكوفة . وقد تفايض الماء ـ فيما مضىٰ مِن السنين ـ بصورة مكرَّرة .

وأمّا خروج ستين كذّاباً كلُّهم يدَّعي النُبوَّة ، فقد خرج عددٌ مِن هؤلاء في خلال قَرنين أو أكثر ، أمثال علي محمد الباب ـ رئيس البهائية الباطلة ـ وأحمد القادياني ـ رئيس القاديانيَّة المنحرفة ـ وغيرهما ممَّن لا داعي لِذِكرهم .

وأما إحراق رَجلٍ عظيمٍ من شيعة بني العباس ـ بين جلولاء وخانقين ـ فلا يتبادر الى الذهن ـ الآن ـ شيء حوله ، ولعلَّه يَتَّضح ذلك في المستقبل .

وأما عَقدِ الجِسر ممّا يلي الكرخ وبغداد ، فقد بُني الجسر قبل عشرات السنين ، بل بَلَغ عدد الجسور التي بُنيت في بغداد سبعة .

وأمّا إرتفاع الريح السوداء بها في أوّل النهار ، فيمكن ان يكون ذلك بسبب الحرائق والمتفجّرات ، أو يكون عذاباً مِن عند الله ، كما حَدَث ذلك بالنسبة لبعض الأُمم السابقة .

وأما الزلزلة التي ينخسف منها كثير من بغداد ، فلعلَّها إشارة الى القصف الذي يزلزل المدينة ويهدم بناياتها ، أو أنَّها زلزلة حقيقية ، لم تقع بعد .

وأمّا الخوف الذي يَشمل أهل العراق ، فلعلَّه إشارة الى ما هو موجود الآن ـ ونحن في عام ١٤٠٣ هجريَّة ـ حيث لم يَبق في العراق

إنسان إلّا وشمله الخوف .

وأمّا الموت الـذريع ، فلعلّه اشـارة الى الإعدامـات الكثيرة الجمـاعية وغيـرهـا ، التي تحدُث ـ حـالياً ـ بصـورة مستمـرة في كـلّ يـوم . . بـل في كلّ ساعـة !

وأما النقص في الأموال ، فلعلّه إشارة الى آثار الإشتراكيّة وما تتركه من الفقر والجوع والحرمان ، كما هو موجود ـ حالياً ـ في العراق ، وفي كل دولة تطبق فيها الإشتراكية السوداء .

وأمّـا النقص في الأنفس ، فلعلّه إشـارة الى الحـرب التي لا تـزال قائمة ـ حين كتابة هذا الفصل ـ بين العراق وإيران .

وأمّا النقص في الزرع والثمـرات ، فهو بسبب مـا يُسمّى بالإصـلاح الزراعي الذي حوّل بلاد السَواد الى أرضٍ جرداء .

وأمّا الجرَاد الذي يَظهر في أوانه وغير أوانه . . حتى يـأتي على الـزرع والغَلّات ، فالظاهر أنّه لم يأت حتى الآن . .

وأمّا قِلّة الرَيع في الزرع، وسلب البـركة مِن المـزروعات ، فيمكن أن يكـون بسبب الحشـرات التي تُفسِـد الـزرع ، أو الأمـطار الغـزيـرة التي تُتلف الزرع ، أو غير ذلك .

وأمّـا إختلاف صِنفـين مِن العَجَم ، فليس واضحاً ، بعـد أن عرفنـا أنّ المقصـود مِن العجم هم غـير العـرب وليس الفـرس فقط ، والله يَعلم

حقائق الأُمور .

وأمّا خروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم موَاليهم ، فهو يُشير الى تمرُّدٍ ـ حَدَث أو يَحدث ـ بين طوائف مِن الناس ، كالفَلّاحين الذين يَتمرّدون على المَلّاكين ، أو العُمّال الذين يَثورون ضد أرباب المعامِل ، أو الجُنود الذين يَخرجون عن طاعة القُوّاد ولا يُنفِّذون أوامِرَهم ، ويُوجّهون بنادقهم الى صُدور أُمرائهم ويَقتلونهم ، ويمكن أن يكون المراد بذلك ما حَدَث في ثورة صاحب الزنج في البصرة . والله العالم .

وأمّا النداء مِن السماء حتى يسمعه أهل الأرض ، فسنذكره قريباً .

وأمّا الوجه والصدر اللذان يَظهران من السماء للناس في عين الشمس ، فيُعتبر من الأُمور المُبهمَة الغامضة ، ولا مجال للظنِّ والحَدس في تفسيره وتحليله .

وأمّا الأموات الذين يُنشَرون مِن قبورهم فهو إشار الى الرجعة ، ولنا حديثٌ مُفصَّل حول هذا الموضوع يأتي في أواخر الكتاب .

وأمّا الأمطار الغزيرة الكثيرة ، فهذا أيضاً يأتي شرحه في المستقبل القريب إنشاء الله تعالىٰ .

وختاماً لهذا البحث أعود لأقول ـ مرَّةً ثانية ـ : إنّ ما ذَكرتُه في شرح وتوضيح ما ذَكره الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) إنّما هو ما تَبادر اليه الظن ، ومِن الممكن أنّ تُشير مجموعة هذه الأحاديث الى معانٍ أُخرى لم تَتبادر الى الذِهن ، والله العالِم .

القسم الثالث : العلائم التي تَحدُث في سَنة الظهور :

القسم الثالث والأخير : العلائم التي تَحدُث في السَنة التي يَظهر فيها الإمام المهدي (عليه السلام) أو في السنة السابقة على سنة الظهور ، وقد ذكرنا أنّها على نوعين:

الأول : العلائم غير المحتومة وهي التي يُحتمل وقوعها كما يُحتمل عدمه ، فهي ليست قطعيّة . . والآن نشير الى بعضها كالتالي :

الهاشمي :

خروج راية (الهاشمي) مِن العلائم غير المحتومة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وقد ورَد ذِكر (الهاشمي) في أحاديث عديدة ، والمستفاد مِن مجموعها أنه رجلٌ مِن بَني هاشم ، ومن ذُرِّية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنّه في سِنّ الشباب وبِكفِّه اليُمنى خال وأنّه يخرج مِن خُراسان ، وقد ذكرنا ـ فيما مضىٰ ـ أنَّ خراسان إسم منطقة واسعة تشمل جزءاً مِن إيران والأفغان والإتّحاد السوفياتي ، ولا نستطيع التأكّد مِن نقطة إنطلاقه ومركز نهضته .

وتقول الأحاديث : إنَّ الهاشمي يصل بجيشه الى العراق ، بعد خروج جيش السفياني مِن الكوفة ، وارتكابه الفجائع واراقته للدماء، وسَبيه للنساء ووَضعهِنَّ في الوسائل النَقليَّة وحَملهنَّ الى الشام .

في هذا الوضع المأساوي المؤلم يَصِل السيِّد الهاشمي الى الكوفة فيَعلم أنَّ جيش السفياني قد خرج ـ حديثاً ـ مِن الكوفة مُتوجِّهاً نحو

الشام ، ومعه السبايا ويَصِل الى الكوفة ـ أيضاً ـ اليماني بجيشه الجَرّار ، ثم يخرج الهاشمي واليماني بجيشهما لمُلاحقة جيش السفياني ، ويَلتقي الجيشان ـ جيش الهاشمي واليماني من جهة ، وجيش السفياني من جهة أُخرىٰ ـ ويقع بينهما قتلٌ كبير ، وأخيراً يَنتصِر السيِّد الهاشمي ، ويقضي على جيش السفياني بكامله ، ويرجع الى الكوفة مُظفَّراً ، بعد أن استنقذ السبايا .

وقد اختلفت الأحاديث في نَسَب الهاشمي ، فبعضها يقول : إنَّه حَسَني ، وبعضها يقول : إنّه حسيني ، ومِن المحتمل قويّاً كونُه حَسَني النَسَب وإنِّي أظنّ ظنياً قويّاً ـ أنَّ الهاشمي هذا ، هو الذي يُعَبَّر عنه في بعض الأحاديث بـ « الحَسَني » و « النفس الزكية » ولا مانع مِن أن يكون هناك سادة حَسَنيّون ذَوُو نفوسٍ زكيَّة .

نعم . . قد اشتهر الرجل المذبوح بين الرُكن والمقام بـ « النفس الزكية » وهو حَسني النَسب .

ومِمّا لا شكَّ فيه أنَّ السيِّد الهاشمي شيعيُّ المذهب ، متمسِّك بعقيدته ، وله شَعبيّة واسعة ومحبَّة في القلوب .

وفيما يَلي نَذكر بعض الأحاديث المرويَّة في هذا المجال :

عن عبد الله بن مسعود قال : أتينا رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرج الينا مُستبشِراً يُعرف السرورُ في وَجهه ، فما سألناه عن شيء إلاّ أخبرَنا به ، ولا سَكتنا إلاّ ابتَدأنا ، حتىٰ مرَّت فِتيةٌ مِن بَني

هـاشم ، فيهم الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فلما رآهم إلتزمهم وانهملت عيناه .

فقلنا : يا رسول الله ما نزال نرىٰ في وجهك شيئاً نكرهه ؟ ! .

فقال : « إنا أهلُ بيتٍ إختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنّه سَيلقىٰ أهلُ بيتي مِن بعدي تَطريداً وتَشريداً ، حتى تُرفَع رايات سُودٌ مِن المَشرق ، فيَسألون الحقَّ فلا يُعطَونَه ، فيقاتِلون فيُنصرون ، فَمن أدركَهم منكم أو مِن أعقابكم فليأتِ إمام أهل بيتي ، ولو حَبواً على الثلج[1] فإنّها رايات هُدىٰ ، يَدفعونها الى رجل مِن أهل بيتي[2] .

أقول : لعلَّ بعض الناس يَتوهَّم أن المقصود مِن الرايات السُود ـ في هذا الحديث ـ هي الرايات السود التي كانت مع أبي مسلم الخراساني حين نهض وقوَّض حكومة بَني أُمية ، وأسَّسَ حكومة العبّاسيِّين في سنة ٦٥٦ هجريَّة .

والصحيح أنَّ هذه الرايات القادِمة مِن خراسان ليست لها علاقة برايات أبي مسلم الخراساني ، وقد قال المؤرِّخ إبن كثير : « هذه الرايات

---

(١) الحبو : يقال : حبىٰ الطفل : أي زحَف على يديه وبطنه ، والتعبير بـ « الحبو على الثَلج » مبالَغةٌ في تحمُّل المصاعب وبَذل الجهود للإلتحاق بجيش الهاشمي .

(٢) مستدرك الصحيحين للحاكم ج ٤ ص ٤٦٤ ، ورواه القندوزي الحَنفي في (ينابيع المودَّة) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ ، ورواه الحافظ أبو نعيم الإصفهاني ، وإبن ماجة في السُنَن ج ٢ ص ١٣٦٦ باب خروج المهدي مِن كتاب الملاحم والفتن .

السود ليست هي التي أقبَل بهـا أبو مسلم الخـراساني فـاستَلَب بها دولـة بَني أُمية ، بل رايات سود اخرىٰ تأتي صحبة المهدي[(١)].

وعن أبي الطفيل قـال : إنَّ علياً (عليـه السـلام) قـال لي : « إذا سمعتَ الـرايات السـود مُقبِلة مِن خـراسـان ، فكنتَ في صُنـدوقٍ مُقفَـلٍ عليك ، فاكسِر ذلك القُفل وذلك الصنـدوق حتى تُقتَل تحتَهـا (أي : تحت الرايات) فإن لم تَستطع فَتَدحرَج »[(٢)].

أقـول : بما أنَّ الـرايات متعـدِّدة في ذلك الـزمان ، وrايـةُ الهـاشمي هي الراية التي تَسـير على الحق ولا يَشـوبها البـاطل ، لهـذا ذَكَر الإمـام علي أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) هـذه الكلمـات ، مبَـالغـةً في بَـذل جميـع المحاولات وأقصىٰ الجهُود ، مِن أجل الإلتحاق بِجيش السيِّد الهاشمي .

وروي عن الإمـام محمد البـاقر (عليـه السلام) أنَّـه قال : « يَخـرج شـابٌ مِن بَني هاشم ، بِكفِّـه اليمنىٰ خال ، ويـأتي مِن خـراسـان بـرايـات سـود ، بـين يـديـه شعيبُ بن صـالـح ، يُقـاتـل أصحـاب السفيـاني فيهزمهم »[(٣)].

وقـال (عليه السـلام) أيضاً : « تَنـزل الرايـات السُود ـ التي تَخـرج

(١) ذَكَرَ كلامَ ابن كثير ، السيوطي في كتابه (العرف الوردي في أحوال المهدي) ص ٦٠ .

(٢) كنز العمال للمتّقي الهندي ج ٦ ص ٦٨ .

(٣) كتاب الملاحم والفتن للسيد إبن طاووس باب ٧٧ .

مِن خراسان ـ الكوفة ، فإذا ظَهَرَ المهدي (عليه السلام) بمكّه بَعثت إليه بالبيعة »[١].

وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ في خُطبة البَيان ـ : « ... فيلحقه (أي : يلحق بالإمام المهدي) رجلٌ مِن أولاد الحسن ، في إثني عشر ألف فارس ، ويقول له : يا ابن العَم أنا أَحَقُّ منك بهذا الأمر ، لأنّي مِن وُلد الحسن وهو أكبر مِن الحسين .

فيقول المهدي : إنّي أنا المهدي .

فيقول له : هل عندكَ آية أو معجزة أو علامة ؟ .

فيَنظرُ المهدي (عليه السلام) الى طيرٍ في الهواء ، فيومي اليه فيَسقط في كَفِّه ، فيَنطق بقدرة الله تعالىٰ ويَشهد له بالإمامة ، ثم يَغرِس قضيباً يابساً في بقعةٍ من الأرض ليس فيها ماء[٢]، فيَخضَرّ ويورِق ، ويأخذ جُلموداً كان في الأرض مِن الصخر[٣]فيفركه بيده ويعجنه مِثل الشمع .

فيقول الحَسني : الأمر لك . فيُسلِّم وتُسلِّم جنودُه »[٤] .

---

(١) كتاب الملاحم والفتن باب ١٠٤ .

(٢) القضيب : الغُصن المقطوع .

(٣) الجُلمود : الصخر .

(٤) إلزام الناصب ج ٢ ص ٢٠٥ ، وعِقد الدُرَر ص ٩٧ .

الكسُوف وَالخسُوف

مِن الـواضح أنّ كُسـوف الشمس وخَسوف القمـر يَعود تـاريخهما الى مـلايـين السنـين . . ولا يُهمّنـا ـ الآن ـ أن نَعـرف سبب الخسـوف والكسوف . . لأنه ليس مقصوداً في هذا الكتاب .

وإنما المقصـود هــو أنَّ كسـوف الشمس يَحـدث في أواخِـر الشهـر القمري ، وخسوف القمر يحدثُ في أواسط الشهر القمري ايضاً .

والظاهر أنَّ هـذه المسألـة مِن المسائـل المتَّفق عليها عنـد علماء الفَلك والنجوم ، منذ مئات السنين ، بل كان هذا محسوساً عند البشر ومَرئيّاً منذ أقـدَم العُصـور ، ولم يقـع خـلاف ذلـك أبـداً ، منـذ هبـوط آدم (عليـه السلام) الى الكرة الأرضيّة .

ولكن هذه القاعدة الطبيعيّـة الفلكية سـوف تنحرق قُبيـل قيام الإمـام المهـدي (عليـه السـلام) فتنكسف الشمس في وسط الشهـر ، وينخسف القمر في آخره ، على خلاف المعتاد .

وفيما يَلي نذكر بعض الأحاديث التي تُصرِّح بهذا المعنى :

قـال الإمام محمـد البـاقـر (عليه السـلام) : « آيَتان بـين يَدي هـذا الامـر[1] : خسوف القمـر لخَمس[2] وكسـوف الشمس لخمس عشـرة ، ولم

(١) أي : قبيل ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

(٢) أي : قبل خمسة أيام مِن نهاية الشهر .

يكن ذلـك منذ هبط آدم (عليـه السلام) الى الأرض ، وعنـد ذلك يَسقط حساب المنجِّمين »[1].

وعن بـدر بن خليل الأسـدي قال : كنتُ عنـد أبي جعفـر محمـد بن عـلي الباقـر (عليه السـلام) فذكـر آيتين تكـونان قبـل قيام القـائم (عليـه السـلام) لم تكونـا منذ أهبَط الله آدم (صلوات الله عليـه) أبـداً ، وذلـك أنَّ الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره .

فقال له رجل: يا بن رسول الله .. لا .. بل الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف !.

فقال له (عليـه السلام) : « إني لأعَلم بـالذي أقـول .. إنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم »[2].

لقد اعترض هذا الرجل على الإمـام (عليه السـلام) بأنَّ الكسـوف لا يقـع إلاّ في آخر الشهـر ، والخسوف في وسَـطه ، فردَّ الإمـام عليـه بـأنَّ هذه القاعـدة سوف تنخرق ، دلالةً عـلى قرب ظهـور الإمام المهـدي (عليه السلام) .

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً : « إنَّ بين يـدي هذا الأمـر

---

(١) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٥٥ .

(٢) كتـاب الغيبة للنعمـاني ص ٢٧١ ورُويَ هـذا الحـديث أيضـاً في كتـاب الغيبـة للشيـخ الـطوسي ص ٢٧٠ مع اختـلاف يَسـير في بعض الألفـاظ . عقـد الـدُرَر للشـافعي ص ٦٥ ـ ٦٦ .

إنكساف القمر لخمسٍ تبقى[1]والشمس لخمس عشرة ، وذلك في شهر رمضان ، وعنده يسقط حساب المُنجّمين »[2].

أيُّها القارىء الكريم : بعد إستعراض هذه الأحاديث يَظهر لنا أنَّ تغييراً سوف يحدث في المنظومة الشمسية ، بحيث يتغيَّر زمان الكسوف والخسوف ، ويَتبدَّل المجرىٰ الطبيعي لسَير الشمس والقمر والكُرة الأرضيَّة .

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه التصرُّفات لا يمكن أن تكون مِن صُنع البشر ، كما لا يمكن إسنادها الى الطبيعة أو الصدفة

والجدير بالذِكر هو أنِّي لم أجد مذكوراً ـ في الكُتُب المناسبة ـ أنَّ خسوفاً وكسوفاً وَقَعا في شهرٍ واحد .

وينبغي أن لا ننسىٰ أنَّ هذه الأحاديث تجعل الخسوف والكسوف مرتبطين بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ومِن علائم ظهوره .

وتُعتبر هذه الظاهرة الكونيَّة مِن العلائم السماويَّة التي لا يمكن لأحد تجاهلَها أو التغافُل عنها ، لئّلا يكون للناس على الله حُجّة .

---

(١) قد يُطلق ـ مجازاً ـ الكسوف على القمر وكذا العكس .

(٢)الغَيبة للنعماني ـ مِن علماء القرن الرابع الهجري ـ ص ٢٧٢ .

كثرة الأمطار

مّما لا شكَّ فيه عند كلِّ مسلمٍ يؤمن بالله تعالىٰ ، أنَّ الأمطار إنَّما تهطل بإذن الله سبحانه ، وليس للطبيعة ـ وحدَها ـ نصيبٌ أو دور في الأمطار .

وإليك بعض الآيات القرآنيَّة التي تُصرِّح بهذا المعنىٰ :

قال سبحانه : ﴿ وهو الذي أرسَلَ الرياحَ بُشراً بين يَدي رَحمته وأنزَلنا مِن السماء ماءاً طهوراً ﴾[1] .

﴿ والله الذي أَرسلَ الرِياح فتُثير سحاباً ﴾[2] .

﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ﴾[3] .

﴿ وأرسلنا الرياحَ لَواقح فأنزَلنا مِن السماء ماءً ﴾[4] .

﴿ وَلئن سَألتَهم مَن نَزَّل مِن السماء ماءً فأحيىٰ به الأرض من بعد موتها لَيَقولُنَّ الله ﴾[5] .

﴿ وَنـزّلنا مِن السماء ماءً مُباركاً فأنبَتنا به جنّاتٍ وحَبَّ الحَصيد ﴾[6] .

---

(١) سورة الفرقان ـ الآية ٤٨ .

(٢) سورة فاطر ـ الآية ٩ .

(٣) سورة الأنعام ـ الآية ٦ .

(٤) سورة الحِجر ـ الآية ٢٢ .

(٥) سورة العنكبوت ـ الآية ٦٣ .

(٦) سورة ق ـ الآية ٩ .

﴿ ويُنزّل عليكم من السماء ماءً ليُطهِّركم به ﴾[١].
﴿ وأنزَلنا مِن السماء ماءً بقَدَر ﴾[٢].

هذه الآيات الكريمة تُصرِّح بأنَّ الرِياح التي تَحمل السَحاب وتُسيِّرها شَرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً إنَّما هي بأمر الله تعالىٰ وإرادته وقُدرته ، وتُصرِّح ـ أيضاً ـ بأنَّ نِسبة الأمطار وكَمِّيتها تكون ـ أيضاً ـ بتعيين مِن الله سبحانه ، كما يتَّضح ذلك مِن قوله عزّ وجل : ﴿ وأنزلنا مِن السماء ماءً بقَدَر ﴾.

بعد الإنتباه الى هذه الآيات المباركات ، لا يَبقىٰ أيُّ شك في أنَّ هذه الرحمة السماويَّة كانت ولا تزال تنزل الى الأرض بأمر الله تعالىٰ وإذنه .

وقد تَنقطع هذه الرحمة عن بعض البلاد في بعض السِنين ، لِأسباب خاصَّة ، ولهذا ورَدَ في الفِقه الإسلامي الأمر بصلاة الإستِسقاء ـ أي : طَلَب السَقي مِن الله سبحانه ـ عند قِلَّة الأمطار وغَور الأنهار .

وقد ذكر المؤرِّخون والمحدِّثون أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إستَسقى رَبَّه ، فأمطَرت السماء مطراً غزيراً إمتلأت منه الصحاري والبوادي .

وهكذا ورد في الأحاديث أنَّ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ١١ .
(٢) سورة المؤمنون ـ الآية ١٨ .

(عليهما السلام) وبعض أئمَّة أهل البيت (عليهم السلام) خرجوا لِصَلاة الإستِسقاء ، فأمطرت عليهم السماء بعد الفراغ مِن الصلاة ، ممّا يؤكِّد أنّ الأمطار بأمر الله تعالىٰ . . وجوداً وعَدَماً .

فلا عَجَب إذا أفاض الله تعالىٰ على أهل الأرض المزيد مِن فَضله ورحمته ، فأمطرت السماء مطراً غزيراً لا مَثيلَ له في تاريخ البَشر - إلّا في زَمَن النبي نوح (عليه السلام) حينما غمر الماء وجه الكُرة الأرضيَّة - .

ويكون هُطول هذه الأمطار الغزيرة، في السنة التي يَظهر فيها الإمام المهدي (عليه السلام) . ولا نعلم - بالضبط - هل تكون هذه العناية الإلٰهية خاصَّة بمنطقة الشرق الأوسط - كالحجاز والعراق وغيرهما - أم أنَّها تَشمل العالَم كلَّه ، حتى تَعُمَّ البُشرىٰ أهلَ الأرض جميعَهم ، فتكون إعلاماً للناس أجمعين باقتراب ظهور مُنقِذ البشر الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) الذي يكون عصرُه عصرَ الخيرات والبركات والإنعاش في الأرض والإنسان والحيوان والنبات .

والآن . . إليك حديثاً واحداً مِن الأحاديث التي تَزُفّ هذه البُشرىٰ لأهل الأرض :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « إذا آن قيامُه ، مُطِرَ الناسُ في جمادىٰ الآخرة وعشرة أيام مِن رَجَب مَطَراً لم يُرَ مِثله »[١] .

وقد مرَّ عليك كلامُ الشيخ المفيد - عند ذِكره علائم الظهور - حيث

---

(١) إعلام الوَرىٰ للشيخ الطبرسي ، وإلزام الناصب ج ٢ ص ١٥٩ ، نقلاً عن العوالم .

قـال : ثم يُختم ذلك بـأربع وعشـرين مَطرة تتصِـل ، فتُحيىٰ بها الأرضُ بعد موتها وتُعرف بركاتها » .

الحرب العالميّة الثالثة

لم أجِد في المصادر وكُتُب الأحاديث ـ التي تحضرني ـ إسماً أو ذِكراً صريحاً للحرب العالمية الثالثة ، ولكن وردت أحاديث متعددة تصرح بهلاك الناس بسبب الجوع أو المرض او القتل ، فهل معنى ذلك هو الحرب العالمية التي تطحن الملايين ؟! أم انَّها شيء آخر ؟!

الأفضل الآن . . أن نَذكر بعض تلك الأحاديث لنرىٰ النتيجة المستفادة منها :

رُويَ عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال : « لا يَخرج المهدي حتى يُقتَل ثلثٌ ، ويموت ثلثٌ ، ، ويبقىٰ ثلث[1] .

ورُويَ عنه (عليه السلام) أيضاً أنَّه قال : « بين يدي المهدي (أي قبل ظهوره) موتٌ أحمر ، وموتٌ أبيض ، وجرادٌ في حينه ، وجراد في غير حينه كألوان الدم ، فأمَّا الموتُ الأحمر : فالسيف ، وأمّا الموت الأبيض : فالطاعون[2] .

---

(١) عقد الدرر وذكر هذا الحديث نعيم بن حمّاد ـ شيخ البخاري ـ في كتاب الفِتن ، كما ذكره المقري في سننه . ٠

(٢) عقد الدُرَر ص ٦٥،، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦٧ ، كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٧٨ .

ورُويَ عنه (عليه السلام) أنه قال - في حديثه عن علائم الظهور - : « فيُقتَل - يومئذٍ ما بين المشرق والمغرب - ثلاثة آلاف ألف ، يَقتل بعضُهم بعضاً ، فيومئذٍ تأويل هذه الآية « فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حَصِيداً خامِدين » بالسيف »[١].

ورُويَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « قُدّام القائم مَوتان : موتٌ أحمر وموتٌ أبيض ، حتى يذهب مِن كلِّ سبعةٍ خمسة ، الموت الأحمر : السيف ، والموت الأبيض ، الطاعون[٢].

ورُويَ عنه (عليه السلام) أيضاً أنَّه قال : « لا يكون هذا الأمر حتى يَذهب ثُلُثا الناس » .

فقيل له : فإذا ذهب ثُلُثا الناس فما يبقىٰ ؟ ! .

فقال (عليه السلام) : « أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي ؟ !»[٣].

أيّها القارىء الكريم : هذه نُبذة من الأحاديث التي تُخبر عن هلاك مئات أو أُلوف الملايين مِن البشر ، بالقتل أو مرض الطاعون .

وبصرف النَظَر عن سَنَد هذه الأحاديث ومدىٰ صحَّتها ، فإنَّها لا تُصرِّح بوقوع الحرب العالميَّة الثالثة ، بل مِن الممكن أن تحدث ثورات

(١) سورة الأنبياء - الآية ١٥ ، والحديث مذكور في (بحار الأنوار) ج ٥٢ ص ٢٧٤ .
(٢) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٥٥ .
(٣) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٥٦ .

داخليَّة في كثير من البلاد ، وتذهب ضحيَّتُها مئات الملايين .

وأمّا الطاعون فهو مِن الأمراض الخبيثة الفتّاكة بالبشر ، ويشبه الوباء (الكوليرا) في سرعة انتشاره وكثرة ضحاياه .

علائم متفرّقة

في ختام الحديث عن العلائم غير الحتميّة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) نَذكر جانباً مِن خُطبةٍ مُفصّلة للإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) تُسمّى بـ (خُطبة البيان) وهي تتضمّن أُموراً كثيرة ، وعلائم مُتفرِّقة عديدة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) .

فقد رُوي أنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال ـ يوماً على المنبر ـ : أنا أبو المهدي القائم في آخر الزمان .

فقام مالك الأشتر وقال : متىٰ يقوم القائم مِن وُلدك يا أمير المؤمنين ؟ .

فكان ممّا قال (عليه السلام) في ذِكر العلامات :

« . . ويا ويلَ للرَيّ[1] وما يحلّ بها من القتل العظيم ، وسَبي الحريم ، وذَبح الأطفال ، وعُدم الرجال . . .

فيا ويلَ لجزيرة قيس[2] مِن رجلٍ مُخيف يَنزل هو وَمن معه بها ، فيَقتل جميعَ مَن فيها ، ويفتك بأهلها .

---

(١) الري : مدينة في ضواحي طهران ، والظاهر أنَّ المراد مِن الرَي ـ هنا ـ منطقة طهران كلّها .

(٢) لعلَّ جزيرة قيس هي الجزيرة المشهورة بجزيرة كيش ، الواقعة في الخليج ، وهي ـ حالياً ـ تابعة لايران ، وتقع بالقُرب من دُبي وبَندر عباس .

ألاَ يا ويلَ لأهـل البحرين مِن وقعـاتٍ تَترادف عليهـا مِن كلٍّ نـاحية ومكان ، فيؤخذ كبـارها وتُسبىٰ صغـارها ، وإنّي لأعـرف بها سبـع وقعات عِظام :

١ ـ فأوّلُ وقعةٍ منها في الجزيرة المنفردة عنها منِ قرنها الشمالي تُسمّى (سماهيج)[١] .

٢ ـ والوقعة الثانية تكون في القاطع وبين النهر عن عين البلد وقرنها الشمالي الغربي

٣ ـ وبين الأُبلّة والمسجد.

٤ـ وبين الجبل العالي وبين التلتين المعروف بجبل حنوة .

٥ ـ ثم يُقبل الى الكرخ بن التل والجاد .

٦ ـ وبـين شجـرات النَبْق المعـروفـة بـالسُـديـرات[٢]بجـانب شط الماحي[٣]

٧ ـ ثم الحورتين . . وهي سابعة الطامة الكبرىٰ .

وعـلامة ذلـك : يُقتل فيهـا رجلٌ مِن أكـابر العـرب في بيتـه ، وهـو قـريب من ساحـل البحر ، فيُقـطع رأسه بـأمـر حـاكمهـا ، فتُغـير العـرب

---

(١) سماهيج ـ كانت ـ سابقاً ـ مُنفصِلة ، ولكنّها ـ اليوم ـ صارت مُتّصلة ببلاد البحرين .

(٢) وفي نسخة : بالبديرات .

(٣) وفي نسخة : شط الماجي .

عليه[١]فتقتل الرجال وتنهب الأموال ، فتخرج ـ عند ذلك ـ العجم على العرب ، ويَتبعونهم الى بلاد الخَط[٢] .

ألا يا ويَل لأهل الخَطّ من وقعاتٍ مختلفات يَتبع بعضُها بعضاً :

فأوَّلها : وقعةٌ بالبطحاء ، ووقعةٌ بالدبيرة[٣]ووقعةٌ بالصفصف، ووقعةٌ على الساحل ، ووقعةٌ بسوق الجزّارين ، ووقعةٌ بالسكك ، ووقعة بين الزرافة[٤]ووقعة بالجرارة[٥]ووقعة بالمدارس ، ووقعةٌ بتاروت . .

ألا يا ويَلَ بغداد مِن الرَيّ ، مِن موتٍ وقتل وخوف يشمل أهل العراق إذا حلَّ فيما بينهم السيف ، فيُقتل ما شاء الله .

وعلامة ذلك : إذا ضعف سلطان الروم ، وتسلّطت العرب ، ودبَّت الى الناس الفتن[٦] كدبيب النمل ، فعند ذلك تخرج العجم على العرب ويملكون البصرة .

ألا : يا ويلَ لفلسطين وما يحلّ بِها من الفِتَن التي لا تُطاق .

ألا : يا ويلَ لأهل الدنيا وما يحلّ بها مِن الفتن في ذلك الزمان ، وجميعِ البلدان : الغرب والشرق والجنوب والشمال .

---

(١) تَغير ـ من الإغارة ـ : وهي بمعنى الهجوم .
(٢) بلاد الخط : القطيف .
(٣) وفي نسخة : بالديورة .
(٤) وفي نسخة : الزراقة .
(٥) وفي نسخة : بالجرار .
(٦) وفي نسخةٍ : دبّت الناس الى الفتن .

ألا : وإنه يركب الناس بعضُهم على بعض وتتواثب عليهم الحروب الدائمة ، وذلك بما قدّمت أيديهم وما ربُّك بظلّامٍ للعبيد[١] .

أيّها القارىء : نكتفي بذِكر هذا المقدار من العلائم غير المحتومة ، وقد مرّ عليك قسمٌ منها عند ذِكر كلام الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) . والآن نبدأ بذِكر العلائم المحتومة .

(١) إلزام الناصب ج ٢ ص ١٨٩ ـ ١٩١ .

العَلائم المحتُومَة

وأمّا العلائم المحتومة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) - وهي التي تَحدُث قطعاً ، ولها أشدُّ الإرتباط بالظهور وتكون مقارنة لظهور الإمام - فهي خمس .

وهذه العلائم الخمس يَحدث بعضها قبل الظهور بأيام ، أو بعده بشهور ، وبعضها يحدث قبل قيام الإمام وابتداء نهضته .

وهناك أحاديث كثيرة ، تُذكر هذه العلائم .. مع اختلاف يسير في ترتيب العلامات ، وتقديمها وتأخيرها .

والآن نذكر بعض الأحاديث المُتضمِّنة لهذه العلائمة بصورة موجزة ، ثم نَذكر كلَّ علامة مع بعض التفاصيل الواردة في الأحاديث ، والتعليقات المناسبة المتبادرة الى الذهن .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « خمسٌ قبلَ قيام القائم (عليه السلام) : اليماني ، والسفياني ، والمُنادي يُنادي من السماء ، وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية [1] » .

وقال (عليه السلام) ايضاً : « قبل قيام القائم خمس علامات

---

(1) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٦٤٩ . ورواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة ص ٢٦٧ ، مع اختلاف في ترتيب العلامات .

محتومات : اليماني والسفياني ، والصيحة ، وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء »[١] .

وقال (سلام الله عليه) : « النِداء مِن المحتوم ، والسفياني مِن المحتوم ، وخَسف البَيداء من المحتوم ، واليماني من المحتوم ، وقتل النفس الزكيَّة من المحتوم »[٢].

---

(١) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٥٠ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٥٢ و ٢٥٧ .

الصَّيحَة السمَاويّة

تُعتبر الصيحة السماويَّة ـ أو النداء السماوي ـ من أبرز الآيات ، وأوضح العلامات ، وأقوىٰ البَراهين على ظهور الإمام المهّدي (عليه السلام) .

ولا مانع مِن أنَّ نقول : إنَّ الصيحة السماويَّة بمنزلة إعتراف السماء بشرعيَّة قيام القائم المهدي (عليه السلام) وإثبات الحقيقة التي أخبر بها القرآن الكريم والنبي العظيم وأهل بيته الطاهرون (صلوات الله عليهم أجمعين) .

وقد صرَّحت الأحاديث أنَّ الصيحة السماويَّة تكون مِن جبرئيل ، وأنَّه هو المُنادي ، .

ومِن البديهي أنَّه ليس المقصود مِن الصيحة السماويَّة هو صوت الرعد ، أو صوت المدافع أو الصواريخ أو ما شابه ذلك ، ممّا هو مِن فِعل البَشر ، بل هو كلام واضح المعنى ، مفهوم عند الناس أجمعين .

وستعرف ـ مِن الأحاديث التي سنذكرها ـ مدى تأثير ذلك الصوت في نفوس أهل الأرض ؟ فالنائم يَستقيظ فَزَعاً ، والقاعد يقوم ذُعراً ، والواقف يَقعد إنهياراً ، والمرأة المُخدَّرة تَخرج مِن خِدرها خوفاً وهَولاً !

وبعبارة أُخرى : تجتاح المجتمع البشري موجةٌ مِن الإضطراب والإهتزاز ، وتَسلب مِن الناس كلَّ قرار واستقرار ، بحيث لا يستطيع

أحد أن يَتجاهل تلك الصيحة أو يَستخفّ بها ، أو يُسندها الى الطبيعة ، لأنَّ الصوت مسموع ومفهوم للجميع ، ولا يُقبل أيّ شكٍ أو ترديد أو تأويل ، مهما حاول المُنحرفون ذلك .

ومِن الطبيعي : أنَّ حادثةً كحادثة ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) تَتطلَّب الإعلام على أوسع مستوىٰ ، وأوضح معنىً مفهوم .

وحيث أنَّ تلك النهضة عالَميَّة ، ـ أي : تتعلَّق بجميع العالَم ـ لذلك يَنبغي أن يَطَّلع العالَم كلّه على هذا الحدَث العظيم ، الذي سوف يُغيِّر مجرىٰ حياة البشر أجمعين .

وقد رُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال ـ في حديثه عن النداء السماوي ـ : « يَسمعه كلُ قومٍ بألسنتهم »[1] وقال (عليه السلام) ـ في حديثٍ آخر ـ : « يَسمع كلُّ قوم بلسانهم »[2] .

ولا نَعلم ـ بالضبط ـ كيفيَّة وصول الخبر الى جميع البشر ، وفي المسألة إحتمالان :

الأول : أن يكون النداء السماوي باللغة العربية الفُصحىٰ فقط ، ويكون له دَويٌ عظيم وردُّ فعلٍ حول الكرة الأرضيَّة في ثوانٍ قليلة ، فيَسمع الذين يُحسِنون اللغة العربية هذا الصوت ويفهمون معناه في نفس الوقت .

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦٦ .

(٢) بحار الأنوارج ٥٢ ص ٢٠٥ ، نقلاً عن إكمال الدين للصدوق .

وأمّا الذين لا يُحسنون اللغة العربية فيسمعون النداء ولكنّهم لا يَفهمون المعنى في نفس الوقت ، فيُحقّقون عن معنى هذه الصيحة ، ولا يَبعد أن تُذيع وكالات الأنباء في العالَم كله هذا الخبر ، وتَنشره الى كلّ قُطر على اختلاف اللغات والأديان ، فيُترجَم النداء في لحظات ، ويَسمعه كل قوم بِلُغَتهم ، مِن الإذاعة أو التلفزيون مباشرةً ، أو ممّن سمع ذلك منها .

هذا . . ومن الواضح أنّ النبي والأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم) كانوا يُراعون مستوىٰ عقول الناس حين التحدُّث معهم ، فالعقول ـ في ذلك اليوم ـ ما كانت تستطيع أن تُدرك الوسائل الاعلاميّة المتوفرّة في هذا اليوم ، ودَورها في نشر الأخبار بأقصىٰ سرعةٍ ممكنة ، ولهذا السبب ـ وبناءاً على هذا الإحتمال الأول ـ إكتفىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : « يَسمعه كلُّ قومٍ بألسِنَتهم » ولم يُصرّح بكيفية ذلك بأكثر من هذا . . والله العالِم .

الإحتمال الثاني : أن يكون سماع كلّ قوم بلُغتهم بشكلٍ إعجازي ، بحيث يَسمع الجميع النداء في نفس الوقت ، كلٌ بلغته الخاصّة به ، وبدون ترجمة وكالات الأنباء .

وهذا الإحتمال ليس ببعيد لأنّ الله على كلّ شيء قديرٍ ، وظهور الإمام المهدي (عليه السلام) محفوف بمثل هذه المعاجز والخوارق .

بالإضافة الى عدم إستحالة هذا الإحتمال مِن الناحية المادّيّة ، لأنّنا نرىٰ ـ اليوم ـ أن الإنسان المخلوق إستطاع أن يَصنع جهازاً يُترجم

الخطاب الى لُغات متعدِّدة خلال ثوانٍ قليلة ، ويَستخدم هذا الجهاز في الإجتماعات الدوليَّة ، حيث يَضَع مندوب كلّ دولة سمّاعة خاصة على أُذنيه ، فيسمع ترجمة كل خطاب بلغته الخاصّة به .

أليس الله سبحانه بقادرٍ على أن يُسمع البَشر كلَّهم هذا النداء في وقت واحدٍ ، فيسمعه كلُّ قومٍ بلُغتهم ؟ ! .

بلىٰ إنَّ الله على كلِّ شيء قدير ﴿ **وَمَا أُوتيتُم مِنَ العِلم إلاّ قليلاً** ﴾ .

ويُستفاد مِن مجموع الأحاديث ـ التي ستقرأُها ـ أنَّ النداءات السماويَّة متعدِّدة ، ومُتباعِدة مِن حيث الزمان ، ومختلفة مِن حيث اللفظ والمعنىٰ ، فالنداء الأول يكون في شهر رجب ، والنداء الثاني يكون في شهر رمضان ، والنداء الثالث يكون في شهر محرم .

والظاهر مِن الأحاديث أن الصيحة التي لها الأهميَّة الكُبرىٰ ، والتي تُعتبر مِن العلائم المحتومة ، هي التي تكون في شهر رمضان .

وتكون هذه الصيحة ـ أو النداء ـ أعظم بُشرىٰ تَزفُّها السماء الى أهل الأرض ، وأكبر تهديد وإنذار للطُغاة الجبابرة الذين لا يُعجبهم الخضوع للحق مهما كان .

ولا نستطيع أن نَتصوَّر صدىٰ ذلك النداء في المجتمعات البشريَّة ، يومذاك ، فالفرَح والسُرور يتجلّى على وجوه المؤمنين ، والقَلق والإرتباك والرُعب والذُعر يَستولي علىٰ قلوب المجرمين ، وخاصَّة إذا عرفوا أنَّهم لا يستطيعون الهرب مِن سُلطة ذلك الحاكم المقتدِر الذي يَشترك في نُصرَته

أهل السماء قبل أهل الأرض ، وتَخضَع لحكمه كافَّة مَرافق الطبيعة ، بل ويتصرَّف في ما وراء الطبيعة .

فسلام الله على رسول الله وأهل بيته الطاهرين الذين وضَعوا النقاط على الحروف ، وذكروا كل ما يتعلَّق بتلك الصيحة من العلائم ، بمقدار ما كانت العقول تَتحمَّله في ذلك العهد .

وإليك بعض تلك الأحاديث:

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة ، لِثلاث وعشرين مَضَين مِن شهر رمضان »[١].

وعن أبي حمزة الثمالي أنَّه قال للإمام الصادق (عليه السلام) : . . . فكيف يكون النداء ؟ .

قال : « يُنادي منادٍ من السماء أوَّلَ النهار يَسمَعُه كلُّ قومٍ بألسنتهم : « ألا : إنَّ الحق في عليٍ وشيعته » ثم يُنادي إبليس ـ في آخر النهار ـ : « ألا : إنَّ الحق في السُفياني وشيعته »[٢]فيرتَاب عند ذلك المُبطلون[٣][٤]

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٦٥٠ .

(٢) وفي نسخةٍ : « في عثمان وشيعته » والظاهر أن المراد مِن « عثمان » ـ هنا ـ : هو السفياني الذي إسمه : عثمان بن عَنبسة .

(٣) وفي نسخة : « فعند ذلك يرتاب المُبطلون » . يَرتاب : أي يَشك .

(٤) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٦٦ ، وإكمال الدين ج ٢ ص ٦٥٢ .

وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : « يُنادي مُنادٍ مِن السماء باسم القائم (عليه السلام) فيَسمع مَن بالمشرق ومَن بالمغرب ، لا يَبقىٰ راقدٌ إلّا استيقَظ ، ولا قائم إلّا قَعد ، ولا قاعِد إلّا قام على رِجليه ، فَزَعاً مِن ذلك الصوت ، فرَحَم الله من اعتَبَر بذلك الصوت فأجاب[١] فإنَّ الصوت الأول هو صوت جبرئيل .

ثم قال (عليه السلام) : « يكون الصوت في شهر رمضان، في ليلة جمعة ، في ليلة ثلاث وعشرين ، فلا تَشكُّوافي ذلك ، واسمعوا واطيعوا .

وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس ، يُنادي : « ألا : إنَّ فلاناً قُتل مظلوماً[٢] ليُشكِّكَ الناس ويَفتِنَهم ، فكم في ذلك اليوم مِن شاكٍ مُتحيرٍ قد هوىٰ في النار .

فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان ، فلا تشكُّوا فيه ، إنّه صوت جبرئيل ، وعلامة ذلك أنَّه يُنادي باسم القائم وإسم ابيه حتى تسمعه العذراء في خِدرها ، فتحرِّض أباها وأخاها على الخروج »[٣] .

ثم قال (عليه السلام) : « لا بدَّ مِن هذين الصوتين قبل خروج

---

(١) اعتبر بذلك الصوت فأجاب : أي إهتمَّ به وإلتحق بالامام المهدي (عليه السلام) .
والإعتبار : هو الاستدلال بالشيء على شيء آخر ، فيكون معناه ـ هنا ـ : معرفة قُرب ظهور الامام مِن النداء .

(٢) قوله « فلاناً » يُحتمل أن يكون عثمان بن عفّان كما في بعض الأحاديث ـ .

(٣) أي : الخروج مِن الدار ، والالتحاق بالإمام المهدي (عليه السلام) .

القائم (عليه السلام) »[١].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : « الصوت في شهر رمضان في ليلة ثلاث وعشرين ، فلا يَبقىٰ شيءٌ خَلَق الله فيه الروح إلّا سمع الصيحة ، فتُوقِظ النائم ويَخرج الى صحن داره ، وتخرج العذراء من خِدرها »[٢].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « إنَّ أول مَن يُبايع القائم (عليه السلام) جبرئيل ، يَنزل في صورة طيرٍ أبيض ، فيُبايعه ثم يَضع رِجلاً على بيت الله الحرام ورِجلاً على بيت المقدس ، ثم يُنادى بصوتٍ طَلق ذَلق[٣] تَسمعه الخلائق : « أتىٰ أمرُ الله فلا تَستعجلوه »[٤].

وقال الإمام علي الرضا (عليه السلام) : « يُنادَون في رجب ثلاثة أصوات مِن السماء :

صوتاً منها : ألا لعنةُ الله على الظالمين .

والصوت الثاني : أُزِفَتِ الآزِفَة يا معشر المؤمنين[٥].

والصوت الثالث : إنَّ الله بعَثَ فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا »[٦].

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٥٤ ، الباب الرابع عشر ، الحديث الثالث عشر . ورواه الشافعي السلمي في عقد الدُرر ص ١٠٥ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني الخِدر : سِترٌ أعدّ للبنت البِكر في ناحية البيت .

(٣) طَلق اللسان : فصيحه . الذَلق : البليغ الفصيح .

(٤) إكمال الدين

(٥) أَزِف مجيء فلان : قرُب .

(٦) المراد بـ « فلاناً » هو الإمام المهدي (عليه السلام) ولعلَّ عدم تصريح الإمام الرضا

عن زرارة بن أعين أنه سمع الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : . . . وينادي منادٍ : إنَّ علياً وشيعتَه هم الفائزون .

قلت : فَمن يُقاتل المهدي بعد هذا ؟ .

فقال : إنَّ الشيطان يُنادي : إنَّ فلاناً وشيعته هم الفائزون ـ لرجل مِن بني امية[١].

قلت : فمَن يَعرف الصادق مِن الكاذب ؟ .

فقال : يَعرفه الذين كانوا يَروون حديثنا ويقولون إنه يكون قبل أن يكون ، ويَعلمون أنَّهم هم المُحِقّون الصادقون[٢].

قال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) : « . . . فيقول جبرئيل في صيحته : « يا عباد الله ، إسمَعوا ما أقول : إنَّ هذا مهديُّ آل مِحمد ، خارج مِن أرض مكة فاجيبوه »[٣].

= باسم الإمام المهدي انما كان للتقية ، أو لوضوح ذلك ، والحديث مذكور في كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٦٨ .

(١) والظاهر انه عثمان بن عفّان ، أو عثمان بن عنبسة السفياني .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٦٤ ، الباب الرابع عشر ، الحديث ٢٨ .

(٣) خطبة البيان . إلزام الناصب ج ٢ ص ٢٠٠ .

السّفياني

لقد وردَ ذِكر السُفياني في أحاديث كثيرة جداً ، وقـد صرَّحت طـائفة منهـا بأنَّ إسمـه : (عثمان بن عَنبسـة) فهوَ إذَن ـ فـردٌ مِن أفراد البَشـر ، وليس كما زعم البعض أنَّ السفياني هـو الإتّحاد السـوفياتي ، ويُعتبـر خروج هذا الطاغي مِن العلائم المحتومة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) .

والأحـاديث التي تتحـدَّث عن السفيـاني وعن أعمـالـه ، وجـرائمـه تَقشَعرُّ منه الجلود ، وتَفزع منها القلوب ، فهـو مِن أقسىٰ البشر قلبـاً ، ولا يَعرف معنى العاطفـة والرَحم ، وأكثـرهم جنايـةً وجريمـة وجرأةً عـلى الله تعالى ويَضرب الرقم القياسي في القساوة والفظاظة . . !

وهــو أمـويُّ النَسَب ، سفّــاك للدمـاء ، يَقتـل البشر كـما تُقتـل الحشـرات ، بلا هـوادة ، ويهتـك ستـور النسـاء المسلمـات بكـلِّ صـلافـة واستهتار ، ولا يَدَع حراماً إلّا أباحه ، ولا جريمة إلّا أرتكَبَها .

وهو وأصحابـه قد امتـلأت قلُوبهم حِقداً وغيـظاً وبُغضاً وعداوةً لآل رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لأنَّ السفيــاني وارثُ أسـلافـه الأمـويِّـين ، الـذين تَلَطَّخت أيـديهم ـ الى المـرافق ـ بـدمـاء آل رسـول الله وشيعتهم ، فهو يحاول أن يُكمـل تلك الجرائم المتسلسلة ، والجنـايات التي اهتزَّ منها عرشُ الرحمٰن ، ويَضِجُّ أهل السماوات مِن فضائعه وفجائعه

فما تَظنُّ في خبيث إبـاحي حقود ، يَتّبعـه أمثالُـه ونُظراؤه ، ويَفـرض نفسه على البلاد ، ويَستغلُّ قُدرته فيما تَشتهي نفسُه الشِـرِّيرة . . بـلا خوف

ولا حياء ولا خجل ولا إحساس بالضمير ؟؟ .

والحقُّ انَّ الفترة التي يَحكم فيها السفياني هي مِن شَرِّ الفَترات في تاريخ الإسلام وأيام حكومته الطاغية الطائشة هي مِن شرٍّ أيام الدنيا ، فهو يَسير ويَنشر الظلم ، ويزرع الفجائع والمآسي والكوارث ، ويُقيم المجازر والمذابح بين الرجال والنساء والأطفال ، وتصبح حياة البشر في عهد حكومته مسلوبة الكرامة ، مهدورة القيمة .

فهو بلاء عظيم مبين ، ومِحنة كُبرىٰ على الشرق الأوسط : مِثل سوريا والعراق والمدينة المنوَّرة ، والمناطق المجاورة لتلك الأقطار .

ولهذا تَجد الإخبارات واردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعن الإمام علي أمير المؤمنين والأئمة الأحد عشرة (سلام الله عليهم) حول هذه البَليَّة والنقمة التي تَشمل الناس .

وإليك بعض الأحاديث الواردة حول السفياني :

١ ـ رُوِيَ عن حذيفة بن اليمان ، أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذَكَرَ فتنةً تكون بين أهل المشرق والمغرب ، قال : « فبينما هم كذلك يَخرج عليهم السفياني مِن الوادي اليابس في فور ذلك[١] حتى ينزل دمشق ، فيَبعث جيشين : جيشاً الى المشرق[٢] وآخَرَ إلى المدينة ، حتى

(١) الوادي اليابس : منطقة في ضواحي دمشق . في فور ذلك : أي : في أوج تلك الفتنة المُشار اليها .

(٢) لعلَّ المراد مِن كلمة « المشرق » ـ هنا ـ : هو مدينة الكوفة ، بإعتبار أنها تقع في العراق . . شرق سوريا . ويُستفاد من هذه الخطبة أنَّ جيش السفياني يمُرُّ ـ في طريقه

ينزلوا بأرض بابـل مِن المدينـة الملعونـة ـ يعني بغداد[١] ـ فيقتلون أكـثر مِن ثلاثة آلاف ، ويَفضحون أكثر مِن مائة إمرأة ، ويَقتلون بها ثـلاثمائـة كَبش مِن بَني العباس[٢].

ثم ينحدرون الى الكوفة فيخربون ما حـولها، ثمَ يخـرجون مُتـوجِّهين الى الشـام ، فتخـرج رايـةُ هُـدىً مِن الكـوفـة فتَلحق ذلـك الجيش فيَقتلونهم ، لاَ يَفلت منهم مُخبـر ، ويَستنقـذون مـا في أيـديهم مِن السَبي والغنائم .

ويَحـلُّ الجيش الثاني بـالمدينـة ، فيَنتهِبونها ثـلاثـة أيـام بِلَيـاليهـا ، ثم يَخـرجون مُتـوجِّهين الى مكـة ، حتى اذا كانـوا بـالبيـداء بَعث الله جبـرئيـل فيقول : يا جبرئيل ! إذهب فَـأَبِدهُم . ، فيَضـربها ـ أي يَضـرب الأرض ـ بـرجله ، ضربـةً يَخسِف الله بهم عنـدهـا ، ولا يفلت منهـا إلاّ رجـلان مِن جهينة . . » الى آخر الحديث[٣].

هـذا . . وللإمـام أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) خُـطبـة مشهـورة تُسمّىٰ بخـطبة البيـان ، فيهـا شيء مِن المـلاحم والفِتن ، ومنهـا : خـروج

= الى الكوفة ـ على بابل ، وبابل : إسم منطقة تقع بين بغداد ومدينة الحِلّة .

(١) المدينة الملعونة هي بابل، لأن اهلها عُذِّبوا، وقد مرَّ عليها الإمام علي امير المؤمنين(عليه السلام) بجيشه فلم يُصلِّ فيها . أمّا تفسير المدينة الملعونة ببغـداد ، فلا أعلم قـائله ولعلَّه مِن الراوي . والله العالم . خاصةً مـع أنَّ هذه الكلمة « يعني بغداد» لم تَـرِد في كثير مِن مصادر هذا الحديث .

(٢) الكبش: سيد القوم.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٦ عن تفسير الثعلبي الشافعي ، ورواه أيضـاً ـ الطبَـري في تفسيره والسَلَمي في كتابه عِقد الدُرَر .

السفيـاني ، ونَقتطف مِن تلك الخـطبة بعض مـا يتعلَّق بـالمـوضـوع : قـال (سلام الله عليه) :

« ... ألا ، يـا ويل لِكـوفانكم هـذه .. وما يَحِـلُّ بها مِن السفيـاني في ذلك الزمان !!

يأتي اليها مِن ناحية هَجَـر ، بِخَيلٍ سبّـاق تقودُهـا أُسُود ضـراغمة ، وليوث قشاعمة[١] أول إسمه شين[٢] ..

فيـا ويلٌ لكـوفانكم مِن نُـزوله بِـداركم ، يملك حـريمكم ، ويَـذبـح أطفـالكم ، ويهتك نسـاءكم ، عُمـرُه طـويـل ، وشُـرّه غـزيـر ، ورجـالُـه ضراغمة ..

ألا : وإنَّ السفيـاني يـدخـل البصـرة ثـلاث دَخـلات ، يُـذلُّ فيهـا العزيز ، ويَسبي فيها الحريم ، ..

وعلامة خروج السفياني : إختلاف ثلاث رايات :

رايةٌ مِن المغرب ، فيا ويل لمصر ، وما يحِلُّ بها منهم .

ورايةٌ مِن البحرين مِن جزيرة أوال من أرض فارس[٣].

---

(١) قشاعمة ـ جَمع قشعم ـ : الضخم المُسنّ .

(٢) أول إسمه شين ، هكذا وجدتُ في المصادر الموجـودة لدي ـ حـالياً ـ ، ولعـلَّ الصحيح هـو : « عين » فيكـون « شين » مِن أخـطاء النُسّاخ ، خـاصةً مـع الإنتبـاه الى التَشـابُـه الكثير بين « شين » و « عين » .

(٣) اوال: هذا الاسم كان يطلق ـ قديما ـ على بلاد البحرين.

وراية من الشام .

فتَدومُ الفِتنة سنة ، ثم يخرج رجل مِن وُلد العباس ، فيقول أهل العراق : قد جاءكم قومٌ حفات[1]أصحاب أهواء مختلفة ، فيضطرب أهل الشام وفلسطين ، ويرجعون الى رؤساء الشام ومصر فيقولون : أُطلبوا ولد المَلك . (يعني : السفياني).

فيطلبونه ، ثم يوافقونه بِغُوطة دمشق ، بموضع يُقال لها : (حرستا) فاذا حلَّ بهم ، أخرج أخواله : بَني كلب وبني دهانة ، ويكون له بالوادي اليابس عِدَّة (أي : جماعة) عديدة » .

ثم إنَّه يُجيبهم ، ويَخرج معهم في يوم الجمعة ، فيَصعد منبر دمشق ، وهو أول منبر يَصعده ، ثم يخطب ويأمرهم بالجهاد ، ويُبايعهم على أن لا يُخالفوا أمرَه ، رضوه أم كرهوه ، ثم يخرج الى الغوطة ، ولا يلج بها حتى يجتمع الناس عليه .

فعند ذلك يخرج السفياني في عصائب أهل الشام ، فتختلف ثلاث رايات :

فَراية التُرك والعَجم ، وهي سوداء .

وراية للبريين لابن العباس ـ صفراء.

وراية للسفياني .

فيقتتلون ببطن الأزرق[2]قتالا شديداً ، فيُقتَل منهم ستّون ألفاً ، ثم

(١) وفي نسخةٍ : جُفاة .

(٢) وفي نسخة : ببطن الأُردن .

يَغلبهم السفياني ، فيَقتُل منهم خلقـاً كثيراً ، ويملك بُـطونهم[١] ويَعدِل فيهم حتى يُقال فيه : « والله ما كان يُقال عليه إلّا كذباً »[٢].

والله : إنَّهم لكـاذبون ، ولا يَعلمـون ما تلقىٰ أُمـة محمـد (صـلى الله عليه وآله وسلم) ولو علموا لما قالوا ذلك ،

ولا يـزال يَعـدِل فيهم حتى يَسـير ، فـأوَّلُ سَيـرِه الى حِمص ، وإنَّ أهلها بأسوء حال ، ثم يَعبـر الفرات مِن بـاب مصر، يسـير الى موضـع يُقال له : (قرية سبا) فيكـون له بهـا وقعة عـظيمة ، فـلا يبقىٰ بَلد إلّا وبلَغَهم خَبَـره ، فيدخلهم مِن ذلـك خوف وجـزع ، فـلا يـزال يـدخـل بلداً بعـد بَلَد . .

ثم يـرجع الى دمشق ، وقـد دانت لـه الخَلق ، فيجيش[٣] جيشـاً الى المدينة ، وجيش الى المشـرق ، فيَقتل بـالزوراء سبعـين ألفاً ، ويَبقـر بطون ثلاثمأة إمرأة حامل ! .

ويخرج الجيش الى كوفانكم هذه ، فكم من باكٍ وباكية . .

وأمّا جيش المدينة ، فإنَّه اذا توسَّط البيـداء صاح بـه جبرئيـل صيحة عظيمة ، فلا يبقىٰ أحد إلّا وخسف الله بـه الأرض إلّا رجلان . . فيهـرب قـوم مِن أولاد رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وهُم أشراف ـ الى

(١) البطون : القبائل .
(٢) أي : إنَّ الناس يُكذّبـون الإشاعـات المنتشرة بـذمِّ السفياني ، فيعتبـرونه رجـلاً صالحـاً عادلاً ، لما يَرون مِن عَدله أيام حكومته .
(٣) يجُش : يُسَيِّر ، أو يجهِّز .

بلد الروم ، فيقول السفياني لملك الروم : تَردُّ عليَّ عبيدي !!

فيردُّهم إليه ، فيضرب أعناقهم على الدرج الشرقي لجامع دمشق ، فلا يُنكر ذلك عليه أحد .

ألا : وإنَّ علامة ذلك تجديد الأسوار بالمدائن . .

فقيل : يا أمير المؤمنين أُذكُر لنا الأسوار ؟ .

فقال : تَجدُّد سُورٍ بالشام ، والعجوز والحرّان يُبنىٰ عليهما سُوران ، وعلى واسط سور ، والبيضاء يبنى عليها سور ، والكوفة يبنى عليها سوران وعلى شوشتر سور ، وعلى ارمينيَّة سور ، وعلى الموصل سور ، وعلى همدان سور ، وعلى الرقَّة سور ، وعلى ديار يونس سور ، وعلى حمص سور ، وعلى مطر دين سور ، وعلى الرقطاء سور ، وعلى الرحبة سور ، وعلى دير هند سور ، وعلى القلعة سور[1] .

معاشر الناس : ألا وانَّه اذا ظَهَرَ السفياني تكون له وقايع عِظام ، فأول وقعة بحمص ، ثم بحلَب ، ثم بالرِقَّة ، ثم بقرية سبأ ، ثم برأس العين، ثم بنصيبين ، ثم بالموصل ، وهي وقعة عظيمة ، يَقتل منهم ـ السفياني ستين ألفاً .

. . ولا يزال السفياني يَقتل كلَّ مَن إسمه : محمد وعلي وحسن

---

(١) لعلَّ المقصود مِن السُور ـ هنا ـ القاعدة العسكرية ، لا الجدار المحيط بالبَلَد ، وقد حدثت القواعد العسكرية في أكثر البلاد المذكورة في هذا الحديث .

وحسين وفاطمة وجعفر وموسى وزينب وخديجة ورقية ، بُغضاً وحَنقاً لآل محمد !! .

ويرجع منهزماً الى الشام . . فاذا دخل الى بَلَدِه إعتكَف على شرب الخمر والمعاصي ، ويأمر أصحابه بذلك ، فيخرج السفياني وبيده حَربة ، ويأمر بالإمرأة فيدفعها الى بعض أصحابه فيقول له : « أفجُر بها في وسَط الطريق) فيَفعل بها ، ثم يبقر بطنها ، ويسقط الجنين مِن بطن أُمِّه ، فلا يقدر أحد أن ينكر عليه ذلك[1] .

فعند ذلك تَضطرب الملائكة في السماوات ، ويأذن الله بخروج القائم مِن ذريتي ، وهو صاحب الزمان ، ثم يَشيعُ خبره في كلِّ مكان ، فيَنزل ـ حينئذ ـ جبرئيل على صخرة بيت المقدس ، فيصيح في أهل الدنيا : « جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً » .

فيقول جبرئيل في صيحته : « يا عبادَ الله ! إسمَعوا ما أقول : إنَّ هٰذا مَهديُّ آلِ محمد ، خارجٌ مِن أرض مكة فأجيبوه . . »[2] .

وعن إبن أُذينة قال : قال أبو عبد الله ـ الصادق ـ (عليه السلام) : قال أبي (عليه السلام) : قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) : « يَخرج إبنُ آكِلَة الأكباد مِن الوادي اليابس[3] ، وهو رجل

---

(١) لعلَّ ذلك الرجل يَزني بها وهي حامل ، ولهذا يسقط جنينها إذا شُقَّ بطنُها .

(٢) المصدر: إلزام الناصب ج ٢ ص ١٨٨ ـ ٢٠٠ وكتاب (نَوائب الدهور في علائم الظهور) للمير جهاني الطباطبائي .

(٣) إبن آكِلَة الأكباد : هو معاوية بن أبي سفيان ، وآكِلة الأكباد : هي هند زوجة أبي =

رَبعـة[١] وحش الوجـه[٢] ضخم الهامـة ، بِوَجهـه أثـر الجُـدَري ، اذا رأيتَـه حسِبته أعور ، إسمه : عثمان بن عنبسـة ، وهو مِن وُلـد أبي سفيان، حتى يأتي أرضَ ذات قرارٍ ومَعين »[٣] [٤] .

ورَوىٰ جـابر الجُعفي عن الإمـام محمد البـاقر (عليـه السـلام) أنـه قـال : « يا جـابر : إلـزم الأرضَ ، ولا تُحـرِّك يَـداً ولا رِجـلاً[٥] حتى تـرىٰ علاماتٍ أذكُرها لك . . إن أدرَكتها :[٦] .

= سفيـان . . أُم معـاويـة ، وهي التي مَثَّلتْ بجسد سيِّدنـا حمزة ـ عمِّ رسـول الله ـ وأخـرجَت كبـدَه ، ووَضعت الكبـد في فمِهـا لِتـأكلَه ، فلم تُؤثِّـر أسنـانُها في الكبـد ، فلَفَظته مِن فمها ، وعُرِفت مِن ذلـك اليوم بـ « آكلة الأكبـاد » . وبما أن نَسَب السفيـاني ينتهي الى آكلة الأكباد عن طريق معـاوية ، وهـو ـ أيضاً ـ إمتـداد لِأسلافـة الأمويـين في عـدائه وبُغضه لِآل الـرسول ، عَبَّـر عنه الإمـام أمير المؤمنـين (عليه السـلام) بـ « إبن آكلة الأكباد .

(١) رجلٌ رَبعة : أي متوسِّط القامة .

(٢) وحش الوجه : أي يَستوحش مَن يراه ، ولا يَستأنس به أحد .

(٣) للمفسِّرين أقـوالٌ في معنى « ذات قـرار ومَعـين » ، فمنهـا : أنَّ ذات قـرار : مسجـد الكـوفة ، والمعـين : هو نهر الفـرات . وهذا القـول مَرويٌّ عن الإمـامـين : البـاقـر والصادق (عليهما الصلاة والسلام) .

(٤) بحـار الأنـوار للشيـخ المجلسي ج ٥٢ ص ٢٠٥ . نقـلاً عن إكمـال الـدين للشيـخ الصدوق .

(٥) لعـلَّ المعنى : لاَ تَنخَدِع بكـلِّ مَن يَدَّعي المهـدوية ، بـل إنَّ هنـاك عـلامـات لا بـدَّ أن تتحقَّق قبل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) .

(٦) ليس جابر ـ نفسه ـ المقصود مِن هـذا الخطاب ، إذ أنّـه مات ، والإمـام كان يَعلم بـأنّه يموت ولا يُدرِك زَمَن وقوع علامات الظهور ، بل المقصود : هو أنَّ جـابر يَنقـل الحديث الى الآخرين ، حتى يصل الى الأفراد الذين يُدرِكون زَمَن وقوع تلك العلامات .

أوَّلها : إختلافُ بَني العباس ، وما أراكَ تُدرِكُ ذلك ، ولكن حَدِّث به ـ من بعدي ـ عنّي .

ومُنادٍ يُنادي مِن السماء ، ويجيئكم الصوت مِن ناحية دمشق بالفتح ، وتخسف قرية من قُرى الشام تُسمّىٰ (الجابية) وتسقط طائفة مِن مسجد دمشق الأيمن ، ومارقة تمرق مِن ناحية التُرك . ويعقبها هرج (أي : قتلُ) الروم ، وسيُقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة ، وستُقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة .

فتلك السَنة ـ يا جابر ـ فيها إختلاف كثير في كلِّ أرضٍ من ناحية المغرب ! فأوّل أرض تخرب أرض الشام . ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات :

راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفياني ، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون ، ويقتلُه السفياني ومَن تبِعه ، ويقتل الأصهب

ثم لا يكون له هِمَّة إلّا الإقبال نحو العراق ، ويَمرُّ جيشه بِقرقيسا[١] فيقتتلون بها ، فيقتل بها من الجبّارين مائة الف ، ويَبعث السفياني جيشاً الى الكوفة وعِدُّتهم سبعون ألفاً ، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسَبياً فبيناهم كذلك ، إذ أقبلت رايات مِن قِبَل خراسان ، تَطوي المنازِل طَياً حَثيثاً ، ومعهم نَفَرٌ (أي : جماعة) مِن أصحاب القائم،

(١)قرقيسا : اسم بلدة تقع في سوريا، وهي ـ الآن ـ قريبة من الحدود السورية ـ العراقية .

ثم يخرج رجلٌ مِن موالي أهل الكوفة في ضُعَفاء ، فيَقتلُه أميرُ جيش السفياني بين الحِيرة والكوفة .

ويَبعث السفياني بَعثاً الى المدينة ، فينفر (أي : يخرج) المهدي منها الى مكّة ، فيَبلُغ أمير جيش السفياني أنَّ المهدي قد خرج الى مكّة ، فيبعث جيشاً على أثره ، فلا يدركه حتى يدخل (الإمام المهدي) مكة خائفاً يترقّب ، على سُنَّة موسىٰ بن عمران[1].

ويَنزِل أمير جيش السُفياني البيداء ، فيُنادي منادٍ مِن السماء : « يا بَيداء أبيدي القوم »[2]فيخسف بهم ، فلا يفلت منهم إلّا ثلاثة نفر ، يُحوِّل الله وجوهَهم الى أقفِيَتِهم[3]وهم مِن كلب[4]وفيهم نَزَلت هذه الآية : ﴿ يا أيّها الذينَ أُوتوا الكتاب آمِنوا بما نَزَّلنا مُصَدِّقاً لما معَكم مِن قَبلِ أن نَطمِسَ وجوهاً فنَرُدَها على أدبارِها . . ﴾[5].

---

(١) يترقّب ـ في اللغة ـ بمعنىٰ: ينتظر ، ولعل الامام ينتظر وصول الأخبار، أو ينتظر إذن الله بالظهور والقيام. السُنَّة ـ في اللغة ـ : الطريقة والسيرة، « على سُنَّة موسىٰ » أي: كما حدث ذلك لموسى، ، حيث أنه خرج من مدينة فرعون ـ مصر ـ خائفاً ينتظر ملاحقة اعوان فرعون له، قال تعالىٰ: « فخرج منها خائفاً يترقب »، سورة القصص ـ الآية ٢١ .

(٢) البيداء: الفَلاة . أبيدي : أي أهلِكي ، يُقال : أبادهُ: أي أهلكه ، مِن الإبادة .

(٣) اقفية ـ جمع قفا : اي يُقلِّب الله وجوههم الى الخلف .

(٤) مِن كلب : أي مِن قبيلة كلب .

(٥) سورة النساء ـ الآية ٤٧ ، وقوله (عليه السلام) : « وفيهم نَزَلت هذه الآية » : أي تأويلاً . وهذا الحديث رواه النعماني في كتاب الغَيبة ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ . وذكره الشيخ المجلسي في كتاب بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٧ .

ورُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « كأنّي بالسفياني - أو بصاحب السفياني[١] قد طرح رحله في رُحبَتكم بالكوفة[٢] فنادىٰ مُناديه : « مَن جاء برأس شيعة علي فَلَه ألف درهم » فيَثِب الجارُ على جارِه ويقول : « هذا مِنهم »، فيضرب عُنقَه ، ويأخذ ألف درهم »[٣] .

ورُويَ - أيضاً - عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « السُفياني مِن المحتوم ، وخروجُه في رَجَب ، ومِن أول خروجه الى آخره خمسة عشر شهراً ، ستة أشهر يُقاتل فيها ، فإذا مَلَكَ الكُوَر الخَمس[٤] مَلَك تسعة أشهر ، ولم يَزِد عليها يوماً واحداً »[٥].

ورُويَ عن مُعلّىٰ بن خنيس قال : سمعتُ أبا عبد الله - الصادق - (عليه السلام) يقول : « مِن الأمر مَحتوم ، ومنه ما ليس بمحتوم ، ومِن

---

(١) مِن الواضح أن الترديد مِن الراوي . . لا مِن الإمام .

(٢) الرُحبة : محلّة في الكوفة ، والرُحبة - في اللغة - : الساحة الواسعة المُنبسِطة . وعليه يكون المعنىٰ : « نَزَل في ساحتكم بالكوفة » .

(٣) كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي ، وذَكرَه الشيخ المجلسي في كتاب بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٥ .

(٤) الكُوَر - جمع كُورَة ، على وَزن غُرَف وغُرفة - : هي المدينة، والناحية ، كما في مجمع البحرين للطُريحي . والكُوَر الخمس هي : دمشق ، وحمص ، وفلسطين ، والأُردن ، وقِنسرين . كما فُسِّر ذلك في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) مَروي في بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٦ .

(٥) كتاب الغَيبة للنعماني ص ٣٠٠ ، وذكره المجلسي في بحار الانوار ج ٢ ٥ ص ٢٤٨ .

المحتوم : خروج السفياني في رجب »[١]

ورُويَ عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنَّه قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إذا اختلف الرُمحان بالشام لم تَنجَلِ إلاّ عن آيةٍ من آيات الله »[٢].

قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟

قال : « رَجفةٌ تكون بالشام يَهلك فيها أكثر مِن مائة ألف ، يَجعلها الله رحمةً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين ، فإذا كان ذلك فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة[٣] والرايات الصُفر ، تُقبِل مِن المغرِب حتى تحلَّ بالشام ، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر .

فإذا كان ذلك فانظروا خَسفَ قريةٍ مِن دمشق يُقال لها :

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٠ ، وبحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٩ .

(٢) لم تَنجَل : أي لم تَنكشِف ، مِن الإنجلاء : بمعنى الإنكشاف .

(٣) البَراذين ـ جَمع بِرذَون ـ : التركي مِن الخيل ، وقد يُطلَق هذا الإسم على الدابة التي تحمل الأثقال .

الشُهب : صفة لون البراذين ، والشُهبة : اللون الأبيض الذي يَتخلَّله سواد .

المحذوفة : أي مَقطوعة الآذان أو الأذناب أو قصيرتها ، ويُحتمل أن يكون الصحيح « المخذرفة » أي المُسرعة ، والخَذرفة : ما تَرمي الإبل بأخفافها مِن الحصىٰ إذا أسرعت . كما في كتاب (لسان العرب) مادَّة خذرف . ويُحتمل أن تكون هذه الألفاظ إشارة الى الوسائل النقليَّة أو الحَربيَّة ، كالدبابات وناقلة الجنود ، ويكون الشُهب : لون تلك السيارات والوسائل ، ويكون التعبيرُ عن تلك الوسائل بـ « البَراذين » تكلُّما مع الناس بِلُغَتِهم ، في ذلك العصر الذي لم تكن فيه سيارة أو دبّابة أو ما أشبهَها من الوسائل المتطوِّرة الحديثة الموجودة حالياً .

(حرستا)[١] فاذا كان ذلك خَرج إبن آكِلَة الأكباد[٢] مِن الوادي اليابس ، حتى يَستوي على منبر دمشق ، فإذا كان ذلك فانتظِروا خروج المهدي (عليه السلام) »[٣].

ورُويَ عن الأصبع بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول للناس :

« ... ولذلك علامات : .. وخروج السفياني برايةٍ حمراء ، أميرُها رجل مِن كلب[٤] وإثنىٰ عشر ألف عنان[٥] مِن خيل السفياني يتوجَّه الى مكّة والمدينة ، أميرُها[٦] رجل مِن بَني أُميَّة يُقال له : خزيمة ، أطمس العين الشمال[٧] على عينه ظَفَرة غليظة[٨] يَمثّل بالرجال[٩] لا تُرَدُّ له

(١) حرستا : إسم قرية كبيرة عامِرة ، تَقع في ضواحي دمشق .. على طريق حمص .. كما في مُعجم البلدان ومراصِد الإطّلاع .

(٢) إبن آكلة الأكباد : يعني السفياني .

(٣) كتاب الغَيبة للنعماني ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، وكتاب عِقد الدُرَر ليوسف بن يحيىٰ الشافعي ص ٥٣ ، طبع مصر سنة ١٣٩٩ هـ . (٤) كلب : إسم قبيلة .

(٥) عِنان ـ بكسر العين وتخفيف النون ـ : هو سير اللجام . وعَنّان ـ بفتح العين وتشديد النون ـ : السَبّاق .(٦) أميرُها : أي قائد الراية المرسَلة الى مكة والمدينة هو خزيمة

(٧) أطمس العين الشمال ، الطمس : ذهاب ضوء العين ، والشمال : أي العين اليُسرىٰ هي المُصابة بالطمس .

(٨) الظَفرَة : جِلدَةٌ تُغشّي العين ، وهي تُشبه الظُفر في بياضها وصلابتها ، تَنبُت من الجانب الذي يَلِي الأنف على بياض العين الى سوادِها . يُقال ظفَرَت عينُه : أي نبت فيها الظَفَرَة .

(٩) لعلَّ الأصح : يُمثّل بالرجال ، مِن المُثلة : وهي قطع أعضاء القتيل ، كالأنف والأُذنين وأصابع اليدين والرِجلين .

راية[١] حتى يَنزل المدينة في دار يُقال لها : دار أبي الحسن الأموي .

ويَبعث خيلاً في طَلب رجلٍ من آل محمد[٢] وقد اجتمَع اليه ناسٌ مِن الشيعة يَعودُ الى مكّة ، أميرها رجلٌ من غطفان ، اذا توسَّط القاع الأبيض ، خُسِفَ بهم ، فلا يَنجو إلاّ رجل يُحوِّل الله وجهَه الى قَفاه ، لِيُنذرهم ، ويكون آيةً لمن خلفهم ، ويومئذٍ تأويلُ هذه الآية : ﴿ **ولو ترىٰ إذ فَزِعُوا فلا فَوت وأُخِذوا مِن مكانٍ قريب** ﴾[٣].

ويَبعثُ مائة وثلاثين ألفاً الى الكوفة ، وينزلون الروحاء والفارق ، فيسير منها ستون ألفاً حتى يَنزلوا الكوفة موضع قبر هود (عليه السلام) بالنُخيلة يوم الزينة [٤] وأميرُ الناس جَبّار عَنيد ، يُقال له : الكاهن الساحر . فيخرج مِن مدينة الزوراء (أي : بغداد) اليهم أميرٌ في خمسة آلاف من الكهنة ، ويَقتل على جِسرها سبعين ألفاً[٥]، حتى

---

(١) أي يَنتصر ويتغلَّب على كل بلدةٍ قصَدَها .

(٢) الظاهر من هذا الحديث ـ هو ان قائد الجيش (خزيمة) يبقى في المدينة ، ويرسل الجيش الى مكة لإلقاء القبض على الامام لمهدي (عليه السلام) . ويكون قائد الجيش المرسل الى مكة رجلاً من غطفان .

(٣) سورة سبأ ـ الآية ٥١ . ورُوي في تفسير علي بن ابراهيم عن الامام الباقر (عليه السلام) ـ في تفسير هذه الآية ـ انه قال : « ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت » من الصوت ، وذلك الصوت من السماء ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ من تحت اقدامهم ، خسف بهم .

(٤) يوم الزينة : أي يوم العيد .

(٥) جسرها : اي جسر الكوفة .

تَحتمي[١] الناس مِن الفرات ثلاثة أيام ، مِن الدماء ونَتن الاجساد ، وتُسبىٰ مِن الكوفة سبعون ألف بِكر ، لا يُكشف عنها كفٌّ ولا قناع حتى يوضَعن في المحامل[٢] ، ويُذهب بهنَّ الى الثويّة وهي الغَري[٣] . . »[٤].

ورُويَ عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال ـ في حديثه عن السُفياني ـ : « . . ثم يَسير ـ في سبعين ألف ـ نحو العراق والكوفة والبصرة .

ثم يدور الأمصار والأقطار ، ويَقتل أهل العِلم ، ويُحرِق المصاحِف ، ويُخرِّب المساجد ، ويَستبيح الحرام ، ويأمر بضَرب الملاهي والمزامير في الأسواق ، والشُرب على قوارع الطُرُق ، ويُحلِّلُ لهم الفواحش ، ويُحرِّم عليهم كلَّ ما افترَضَه الله (عزَّ وجلَّ) مِن الفرائض ، ولا يرتدع عن الظُلم والجور ، بل يَزداد تمرُّداً وعُتُواً وطغياناً . . .

ثم يَبعث فيَجمع الأطفالَ ، ويَغلي الزيت لهم ، فيقولون : إن كان أباؤ نا عَصوك فنحن ما ذنبُنا ؟ .

فيأخذ منهم إثنين ، اسمهما : حسن وحسين ، فيَصلبهما ، ثم يَسير

---

(١) تحتمي : اي تمتنع وتجتنب .
(٢) الظاهر ان المراد من المحامل ـ هنا ـ : الوسائل النقلية كالسيارات وغيرها .
(٣) الغري : مدينة النجف الأشرف .
(٤) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٥٢ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ : نقلا عن كتاب (سرور اهل الايمان) .

الى الكوفة ، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال ويَصلب على باب مسجدها طفلين ، إسمهما حسن وحسين ، فتَغلي دِماؤهما ، كما غلىٰ دم يحيىٰ بن زكريا ، فإذا رأى ـ السفياني ـ ذلك أيقَنَ بالهلاك والبلاء ، فيخرج هارباً منها متوجهاً الى الشام ، فلا يَرىٰ في طريقه أحداً يُخالفُه .

فإذا دخلَ دمشق ، إعتكَف على شرب الخمر والمعاصي ، ويأمر أصحابه بذلك . . [1].

وَروىٰ محمد بن مسلم عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : « السفياني أحمر أشقر أزرَق[2]، لم يَعبد الله قَطّ ، ولم يَرَ مكّة والمدينة قَطّ ، يقول : يا رب . . ثاري والنار ، يا رب . . ثاري والنار[3]»[4].

---

(١) عِقْد الدُرر للشافعي ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) لعلَّ المراد: أنَّه أحمر اللون، أشقر الشَعْر، أزرَق العين .

(٣) أي : إني أطلب ثاري ولو كان بدخول النار. ويَقصد مِن الثار: ما فَعَلَه السيِّد الهاشمي، مِن قِتْل بَني أُمية وإبادتهم، فقد رَوىٰ نعيم بن حمّاد ـ شيخ البخاري ـ في كتاب الفِتن، عن أبي قبيل، قال : يملك رجلٌ مِن بَني هاشم، فيقتل بَني أُميَّة، فلا يَبقىٰ منهم إلاّ اليسير، لا يَقتُل غيرَهم، ثم يَخرج رجلٌ مِن بَني أُميَّة، فَيَقتل بكلِّ رجلٍ رجلين، حتى لا يَبقىٰ إلاّ النساء، ثم يخرج المهدي .
ورَوىٰ ـ أيضاً ـ عن أبي قبيل قال: يَبعث السفياني جيشاً الى المدينة، فيأمر بقتْل كلّ من كان فيها مِن بَني هاشم حتى الحُبالىٰ، وذلك لما صَنَعَ الهاشمي الذي يخرج مِن الشرق يقول : ما هذا البلاء كلُّه وقتْل أصحابي إلا مِن قِبَلهم، فيأمر بقتلهم فيقتلون، حتى لا يُعرَف بالمدينة منهم أحد، ويفترقوا منها هاربين الى البوادي والجبال والى مكّة، حتى نساؤهم يضع فيهم السيف أيّاماً، ثم يكُفُّ عنهم، فلا يَظهر منهم إلا خائف، حتى =

أيها القاريء الكريم : هذه نُبذة مِن الأحاديث المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) حول السفياني ومُنكراته وجرائمه .

واعلم أنَّ الشيعة لم يَنفردوا بِذكر السُفياني ، بل ذَكره علماء السنة في كتُبهم أيضاً ، والأحاديث متواترة في كُتب الفريقين ، وفيما يلي نذكر أسماء بعض المصادر المتضمِّنة لأخبار السفياني مِن كُتب السُنَّة :

١ ـ العَرف الوَردي للسيوطي الشافعي ج ٢ ص ٧٥ .
٢ ـ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٣١٤ .
٣ ـ صحيح مسلم ج ٢ ص ٤٩٣ .
٤ ـ عِقد الدُرَر للشافعي في كثير من فصوله وأبوابه .
٥ ـ كنز العُمّال للمتّقي الهندي ج ٦ ص ٦٨ .
٦ ـ كتاب الفتن لنعيم بن حَمّاد ـ أُستاذ البُخاري ـ في باب (علامات المهدي) .
٧ ـ مُستدرك الصحيحين للحاكم الحسكاني ج ٤ ص ٤٦٨
٨ ـ تفسير القرآن للثعلبي الشافعي .
٩ ـ تفسير القرآن للطبري . وغيرها من عشرات المصادر التي يصعب إستيعابها .

= يَظهر أمْر المهدي بمكّة . المصدر: عِقد الدُرَر ليوسف بن يحيىٰ الشافعي .

(٤) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٦، وذكره المجلسي في بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥٤ .

خلاصة مَا رويَ في السّفياني

إنَّ هذه الأحاديث - التي مرَّت عليك حول السفياني وعاقبة أمره - تُعتبر بمنزلة الإضبارة السوداء لحياته المليئة بالجرائم والجنايات ، ويُمكن أن نُلخِّصها فيما يَلي :

إنَّ السفياني رجل إباحي مُستهتر ، أمويُ النَسَب والنَزعة ، يَثور في سوريا ، وتَنجح ثورتُه بعد أن يَقضي على طائفتين مُعارضتين له ، إحداهما يَقودُها رجل أحمر ، والثانية يقودها رجل أبرص ، ويَصفو له الجوّ ، ويستولي على دمشق وحِمص وحَلَب والأُردن وفلسطين (إسرائيل) ، ويَتبعه اليهود وغيرهم مِن أولاد الشوارع واللُقَطاء ، كلُّ ذلك في خلال ستة أشهر.

ثمّ يُجهِّز جيشاً مؤلفاً مِن حوالي مائة وإثنين وأربعين ألف رجل ، فيُرسل قسماً مِن الجيش الى المدينة ، وقسماً آخرَ الى العراق .

ويتوجَّه الجيش المؤلَّف من ١٢,٠٠٠ رجل نحو المدينة لإلقاء القبض على الإمام المهدي (عليه السلام) ، بعد سماعهم خبَر ظهوره ، ويمكثون في المدينة ثلاثة أيام، ويُكثرون فيها النَهب ، ثمّ يَتَّجِه عدد كبير منهم نحو مكَّة المكرَّمة لملاحقة الإمام ، لأنَّهم يَعلمون أنَّ الإمام خرجَ مِن المدينة نحو مكَّة ، فإذا وصلَ الجيش الى الصحراء - بين المدينة ومكّة - تَبتلعُهم الأرض ، ولا ينجو منهم إلاّ رجلان :

رجلٌ يذهب الى الإمام المهدي (عليه السلام) لِيُبَشِّره بهلاك العدو ورجل يذهب الى السفياني لِيُخبِره بمصير جيشه .

وأما الجيش الذي يَقصد العراق ، فينزل بالروحاء ـ وهي منطقة تقع في ضواحي مدينة النجف الأشرف ، وتَشمَل مدينة الحِلَّة وبابل ـ ثم يَتجِّه ستون ألفاً أو سبعون ألفاً منهم نحو النجف والكوفة ، ويكون ذلك في يوم عيدٍ من الأعياد ، ويَخرج مِن بغداد خمسة آلاف جندي نحو الكوفة لمحاربة جيش السفياني ، وتُقام المذابح الرَهيبة بين العسكَرين ، ويكون الإنتصار لجيش السفياني .

ويَبقىٰ جيش السفياني في الكوفة ويُكثر فيها الفساد، من إراقة الدماء والصَلب وسَبي العَوائل ، ويثور ثائرٌ مِن أهل الكوفة ضدَّهم ، فيَقتلُه أميرُ جيش السفياني .

وأخيراً : يرجع جيش السفياني نحو الشام ويُقدَّر عددهم بمائة ألف ، ولكنَّ طائفةً تَخرج مِن الكوفة لُملاحَقتهم ، فتقضي على جيش السفياني بكامله ، ولا يفلت منهم ذو حياة ، وتَستنقذ هذه الطائفة جميعَ الأسرىٰ وتأخذ الغنائم(١) .

وأمّا نهاية السفياني وعاقبة أمره : فإنّ الإمام المهدي (عليه

---

(١) الطائفة التي تخرج لملاحقة جيش السفياني هي : السيد الهاشمي وجيشه ، واليماني وجيشه الزاحف . وقد تقدم بعض التفصيل حول ذلك عند الحديث عن الهاشمي في العلائم غير المحتومة .

السلام) ـ بعد أن يَظهر ويَقصد الكوفة وتستقيم له الأُمور ـ يتوجّه نحو الشام للقضاء على السفياني ، حتى يَصل الإمام الى الشام ، وقد التحق به (عليه السلام) أُناس كثيرون ، والسفياني ـ يومذاك ـ بوادي الرَملة[1] ويلتقي الجيشان هناك ، ويلتحق أُناس من جيش السفياني بمعسكر الامام المهدي (عليه السلام) وأُناس يخرجون من جيش الامام ويلتحقون بالسفياني .

وفي هذا المجال . . رُويَ عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنَّ السفياني ـ إذا بَلَغَه خبَرُ توجُّه الإمام المهدي (عليه السلام) اليه مِن ناحية الكوفة ـ يتحرَّك بجيشه حتى يلتقي بجيش الإمام ، فيخرج ويقول : أَخرِجوا إليَّ إبنَ عَمِّي ؟[2].

فيخرج الإمام المهدي (عليه السلام) ويلتقي بالسفياني ويجري بينهما حوارٌ يَنتهي الى مبايعة السفياني للإمام (عليه السلام) .

ثم يَنصرف السفياني الى أصحابه[3] فيقولون له : ما صنعتَ ؟

فيقول : أسلمتُ وبايعتُ !

فيقولون : قبَّح الله رأيك ، بينما أنت خليفةٌ مَتبوع صِرتَ تابعاً ؟ !

---

(١) الرملة : بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس .

(٢) باعتبار ان بني امية كانوا يعتبرون انفسهم اولاد عم لبني هاشم ، وقد تقدم ان السفيان أمَويُّ النَسَب .

(٣) وفي رواية : انه ينصرف الى اخواله من قبيلة كلب . نقلناها بالمعنى .

فيَستقيل السفياني وينكث البيعة ويستعدّ لمحاربة الإمام .

وفي الصباح تقع الحرب بين الجيشين ويقتتلون يومهم ذلك .

ثم إنَّ الله تعالىٰ ينصر الإمام المهدي وأصحابه عليهم ، فيقتلونهم حتى يفنوهم[1] .

وفي رواية أُخرىٰ : إنَّ السفياني يَعتبِر ممّا جرىٰ على جيشه المرسَل الى مكّة ، وكيف إبتلعتهم الأرض ، فيُحاول أن يَنقاد للإمام المهدي (عليه السلام) فيُبايع ثم ينكث البيعة وينقض عهده ، ويتمرَّد على الإمام ويُقاتله .

وأخيراً . . يُؤخَذ أسيراً ، فيذبحه الإمام المهدي .

وفي رواية ثالثة : فيأمر الإمام به فيُذبح على بلاط باب ايليا[2] .

وهكذا يُريح الله العبادَ والبلادَ مِن شرور تلك الجراثيم التي يستأصلها الامام ويُزيلها عن الوجود .

ويأتي ـ هنا ـ سؤال وهو :

لماذا تَنزل بالناس هذه المصائب والكوارث والفجائع التي تُشيِّب الأطفال وتشمل الرجال والنساء ، والصغار والكبار ؟ ! .

---

(١) نقلناها بالمعنى .

(٢) بلاط باب إيليا : صخرة عند مدخل مدينة القدس . عقد الدرر ص ٨٥ ، والحديث مروي عن الامام الباقر (عليه السلام)

وبماذا إستحق البشر هذه البلايا والمحن والآلام ، حتى يتسلّط عليه الأشرار ويَلعبون به تَلاعُب الصِبيان بالكُرة ؟ لماذا ؟ .

الجواب :

قبل كلِّ شيء . . يجب أن لا نَنسىٰ أنَّ الإنسان الذي يُخالف القانون مرَّةً واحدة يُعاقَب بالسجن أو الغرامة أو التعذيب أو التسفير ، وقد يُحكَم عليه بالسجن المؤبَّد مع الأعمال الشاقَّة ، كلُّ ذلك لمخالفته مادَّةً واحدة مِن القانون البشري .

فكيف بمَن خالف القوانين الإلٰهية ، بل إعتاد على ترك القانون ومخالفته في كل يوم مرات وكرّات ؟ .

فالواجبات الشرعيَّة . . أكثرها متروكة ، والمحرّمات (الممنوعة) أكثرها أصبحت مباحة عند البشر ، ولا تسأل عن الإنحرافات العقائديَّة المنتشرة بين الشباب (فتيات وفتيان) حتى بَلَغَ الأمر عند بعض المسلمين أنَّه أصبح مُلحِداً يُنكر الخالق ويَجحَد الصانع ، ويَستهزء بجميع المقدَّسات والمُعتقدات ؟ .

ولو أردنا إستعراض هذه الجوانب لَتبدَّل طابع الكتاب الى طابع آخر ، ولكنَّنا نُراعي الإيجاز والإختصار ، فنقول :

إنَّ الكثيرين من المسلمين لا يُصلّون ، والكثير منهم لا يصومون شهر رمضان ، والذين يؤدّون الزكاة المفروضة عليهم قليلون جِداً ، وفي أكثر البلاد الإسلاميَّة تجد المنكرات والمحرمات مباحة ، والجرائم مَسموح بها ، فهل تَعرف في البلاد الإسلاميَّة والأجنبيَّة بلدةً واحدة لا توجد فيها

جريمة السرقة ؟ .

ولقد رأينا الكثير مِن الحُجّاج ، الذين سُرقت نقُودهم في حال الطواف حول الكعبة في المسجد الحرام !!

وقد شُوهِدَ بعض السُرّاق وهو يَسرق المصاحف مِن المساجد ويَبيعها بأسعار زَهيدة ، جَلباً للمال التافه ! !.

والخمور تُصنَع أو تُستورَد بكلِّ حُريَّة ، وتُباع وتُشرَب علناً بلا مانع ، بل انَّ القانون يُعطيهم الحقَّ لممارسة هذه الأعمال ! .

ثم البغاء والفواحش . . فهي مِن مُتطلَّبات هذا العصر ! والسفور والخلاعة تَكيّفٌ مع المَدّ الحضاري ! وتحرّرٌ مِن الأفكار القديمة البالية !! .

والربا جزءٌ لا يَتجزّأ مِن الإستيراد والتصدير والتجارة العامَّة ، فالبنوك تَبتلعُ الملايين مِن الأموال الرِبويَّة بمساعدة القانون ، ولا تسأل عن الذين يعيشون بالربا ، وتَنبت لحومهم مِن الربا ؟ .

ثمّ اللحوم المُثلَّجة والمُعلَّبة المستورَدة مِن بلاد الكُفّار يأكلها المسلمون بصورة عاديَّة ، مع العِلم أنّها فاقدة لشروط الذباحة الشرعيَّة ومحكومة بالحُرمة في الإسلام .

والأفظع الأفجع : هو أنَّ الكثيرين - في بعض البلاد الإسلاميَّة - قد تَعوَّدوا على سَبِّ الدين والمذهب وبقيَّة المقدسات ، ممّا يَخجل الإنسان عن ذِكره ، وتَندىٰ جبهة الإسلام عن تَصوُّره !!

والأحزاب الباطلة والتنظيمات المنحرفة قد غَزت بلادَنا ، وجرَفَت

شبابَنا ، واستهزأت بمقدَّساتنا .

الى غير ذلك مِن ملايين الملايين مِن الخطايا والمعاصي والذنوب التي أصبحت أشياء طفيفة ، وفاقدة لكلِّ أهميَّة عند بعض المسلمين .

إنَّك لا تجد في قاموس المعاصي معصيةً إلّا وجدتَها عند بعض المسلمين .

وأمّا غير المسلمين فجميع المعاصي مباحة في دينهم وفلسفتهم وقد تجاوزوا حتى حدود الإنسانيَّة وخالفوا حتى نوامِيس الفطرة ! .

ففي أكثر بلاد الغَرب وشرق آسيا توجَد نوادي للعُراة ، يدخلها الرجال والنساء والأطفال وهُم عُراة ، بلا أيِّ ساتر ، كأنَّهم حيوانات وبهائم لا تَعرف معنى الحياء والعِفَّة ! .

ثم المراقِص التي تَرقص فيها الفَتَيات عاريات بجميع معنى الكلمة ، والملايين مِن الناس يرتادون تلك المراقص ، ويَتفرَّجون على تلك الأبدان العارية وكأنَّهم لم يَصنعوا شيئاً ! .

أيّها القارىء : هذه رؤوس أقلام عن المجتمع الاسلامي أو المجتمع البشري المعاصِر ، الذي نَبَذَ الأخلاق والقِيَم والعقائد والفضائل ، وتبرّأ عنها عملياً .

وبإمكانك أن تُراجع معلوماتك الشخصيَّة التي رأيتَها وسمعتَ بها ، وقرأتَها في الصحف والمجلّات ، مِن حوادث القتل والسرقة ، والإختطاف والإغتصاب ، والاعتداء ، وأنواع الظلم والجور .

أمَا يَستحق هـذا البشـر أن يتسلَّط عليـه السُفيـاني وجيشـه السفّـاك الإبـاحي ، ويحصـد الـرؤوس حَصـد السُنبـل ، ويَقتـل البشـر قتـل الحشرات ؟؟؟!!!

نعم . . إنَّه يَستحقُّ هذا وأكثر مِن هذا ولَعذاب الآخرة أخزىٰ ! .

وهنا يَسهل عليك أن تعرف السبب الأصـلي للحرب العـالميَّة الثـالثة المتـوقَّعة ، التي يفنىٰ فيهـا أكثر أهـل الأرض ، وتصبح البـلاد خـالية عن البشر ، والمساكن مُعطَّلة أو مُدمَّرة .

إنَّ السبب الأصـلي هي كـثـرة المعـاصـي والـذنـوب والجـرائم والإنحـرافـات الأخـلاقيَّـة والعقـائـديَّـة التي تنتشـر في كـلِّ بلدةٍ وفي كـلِّ بيت ! .

فما قيمة هـذا البشر ومـا كرامتـه ؟ ! ولماذا يـدفع الله البـلاء عن هذا الموجود المستهتر الذي تمرَّد على أحكام خالقة ؟ ! .

إنَّ الله تعـالىٰ يُطهِّـر الأرض عن هذه الكـائنات القـذِرة ، كـما يُعقِّم الجَـوّ والمزارع من الجـراثيم الضارة ، والميكـروبات التي تَقضي عـلى الزرع والضَرع ، وعلى الإنسان والحيوان .

الخسفُ بالبيداء

الخسف بالبيداء من العلائم المحتومة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وقد تكرَّر ذِكر الخسف في الأحاديث التي تحدَّثت عن السفياني ، ولا نُعيد شيئاً مِن تلك الأحاديث ، بل نكتفي بالإشارة الى هذه العلامة بصورة مستقلَّة ، لأنَّها إحدىٰ العلائم المحتومة .

لقد عرفنا مِن الأحاديث المتقدِّمة أنّ السفياني يُرسل جيشاً إلى المدينة المنوَّرة لملاحقة الإمام المهدي ومحاربته ، فإذا وصل الجيش الى المدينة يَسمع بأن الإمام قد خرج نحو مكّة ، فيخرج الجيش مِن المدينة نحو مكّة ، وعندما يصل الى وسط الصحراء ـ بين المدينة ومكة ـ يَخسِف الله بهم الأرض ، فتبتلعهم جميعاً ، بما معهم مِن الوسائل النقليَّة ، ولا يَنجو منهم إلّا رجلان ـ كما سَبق ذِكره .

ومِن الواضح أنَّ هذا الخسف لا يكون بسبب هزَّة أرضية أو زلزال أو ما شابه ذلك مِن القضايا الطبيعيَّة التي تتكرّر في كثير من المناطق ، وإنما يكون عذاباً لجيش السفياني وانتقاماً منهم ، ـ بأمر الله تعالىٰ وإرادته التكوينيَّة ، قال عزّ وجل : ﴿ **إنما أمره إذا اراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون** ﴾ .

وهذا الخسف يعني حدوث إنشقاق عظيم ـ في الأرض ـ وفجوة كبيرة وحُفرة لا نستطيع أن نقُدِّر أبعادها ، تَنشقُّ فجأةً ويَتساقط الجيش في أعماقها ثم تَنهار عليهم ملايين الأطنان مِن التراب ، فيهلكون جميعاً .

وفي هذا المجال رُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال - في حديثٍ طويل تحدَّث فيه عن ما بعد ظهور الإمام المهدي - : « وسيدنا القائم مُسنِدٌ ظَهرَه الى الكعبة ، . . ثم يُقبِل على القائم رجلٌ وجهُه الى قفاه ، وقفاه الى صدره ، ويَقِف بين يديه فيقول : يا سيّدي أنا بشير ، أمَرَني ملَك مِن الملائكة أن ألحَقَ بك ، وأُبَشِّرك بهلاك جيش السفياني بالبيداء ، فيقول له القائم : بَيِّن قِصَّتك وقصّة أخيك ؟ .

فيقول الرجل : كنتُ وأخي في جيش السُفياني ، وخَرَّبنا الدنيا مِن دمشق الى الزوراء[1] وتركناها جَمّاء[2] وخرّبنا الكوفة وخرّبنا المدينة ، وكسرنا المنبر ، وراثت بِغالُنا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجنا منها . . نريد إخراب البيت وقتل أهله ، فلما صِرنا في البيداء عرَّسنا فيها[3] فصاح بنا صائح : يا بيداء أبيدي القوم الظالمين ، فانفجرت الأرض وبَلَعَت كلَّ الجيش ، فوالله ما بقي على وجه الأرض عِقالَ ناقةٍ فما سواه غيري وغير أخي ، فإذا نحن بمَلَك قد ضرب وجوهنا فصارت الى ورائنا كما ترىٰ ، فقال لأخي : ويلك إمضِ الى الملعون السفياني بدمشق فأنذِره بظهور المهدي مِن آل محمد ، وعرِّفه أنَّ الله قد أهلَك جيشَه بالبيداء .

وقال لي : يا بشير إلحق بالمهدي بمكة وبشِّره بهلاك الظالمين ، وتُب

---

(١) الزوراء : بغداد .

(٢) جماء : ملساء ، ولعل المعنى : تركنا الأرض قاعا صفصفاً .

(٣) عرَّس في المكان : نزل به .

على يده فانه يَقبل توبتك ، فيُمرّ القائم يده[1] فيردُّه سويّاً كما كان ، ويُبايعه ويكون معه .[2]

(١) أي : يمسحها .
(٢) كتاب إلزام الناصب ج ٢ ص ٢٥٩ .

اليمــاني

خـروجُ اليماني من جملة العـلائم المحتـومـة لِظهـور الإمـام المهـدي (عليه السلام) وقد ورَدَ ذِكر اليماني في أحاديث كثيرة ، في عِداد العلائم المحتومة .

ومِن المؤسف أن تلك الأحـاديث ـ بسبب إختصارهـا ـ غـير كـافيـة لمعـرفـة هـذه الشخصيَّـة . ونحن نكتفي بـذكـر حـديث واحـدٍ في هــذا الموضوع ، مع ما فيه مِن الإيجاز والإختصار :

رُويَ عن الإمام الباقـر (عليه السـلام) أنَّه قـال ـ في ضِمن حديثٍ طـويل ـ : « وخـروج السفياني واليمـاني والخراسـاني (أي : الهاشمي) في سنةٍ واحدة ، في شهـرٍ واحد ، في يـومٍ واحد ، نِـظامٌ كنظام الخَزر[1] يَتبع بعضُـه بعضـا . . . وليس في الرايات أهـدىٰ مِن رايـة اليمـاني ، هي رايـة هدىٰ لأنَّه يَدعوكم الى صـاحبكم[2] فإذا خـرج اليماني حـرم[3] بيع السِـلاح على الناس وكـلِ مسلم ، وإذا خرج اليمـاني فانهض اليـه ، فإنَّ رايتَـه راية

---

(١) الخـرز ـ جمع خـرزة ، على وزن قصب وقصبـة ـ : وهي الحبات المثقـوبـة ، تصنـع من الزجاج ونحوه ، تجعل في الخيط بشكل منظم ، إحـداها تتلو الأخـرى مباشـرة ، يصنع منها السبحة والقلادة .

(٢) أي الامام المهدي عليه السلام .

(٣) العبارة تحتمل قراءتين : ١ ـ حرُم ، ٢ ـ حَرَّم .

هـدىً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يَلتـوي عليه[1] فَمن فَعـل ذلـك فهـو مِن أهـل النار ، لأنَّه يدعو الى الحقِّ والىٰ طريقٍ مستقيم[2] .

نكتفي بهـذا المقدار مِن المعلومـات ، آسفين مِن عـدم توفُّـر المصـادر التي تَشرح هذه الشخصيَّة بأكثر مِن هذا .

---

(١) يلتـوي عليه ، يقـال : التـوى عن الأمـر : اي تثـاقـل ، وأمـال وجهـه عنـه إعـراضـاً واستكباراً .

(٢) بحـار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٢ ، وكتـاب الغيبـة للنعمـاني ص ٢٥٥ بـاب ١٤ حـديث ١٣.

النَفسُ الزَّكِيَّة

يُعتبر ذَبح النفس الزكيَّة بين الرُكن والمقام - في المسجد الحرام - مِن العلائم المحتومة لظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وقد أُختلفَ في نَسَبه ، فقيل : هو حَسَني وقيل : هو حُسَيني ، ولا يَضرُّ هذا الإختلاف في نَسَبه ، بعد أن ثبت أنَّه مِن آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد وَرَدَ في الأحاديث التعبير عنه بـ « غُلام » فيمكن أن يكون في أوائل شبابه . يُرسله الإمام المهدي (عليه السلام) الى أهل مكّة لِيَستنصرهم فيَنقَضُّون عليه ويَذبحونه بين الرُكن والمقام[1]، فعند ذلك يحلُّ عليهم غَضَبُ الله تعالىٰ .

ويكون بين قتل النفس الزكيَّة وقيام الإمام المهدي خمسة عشر يوماً .

وإنَّما سُمّي بـ « النفس الزكيَّة » لأنه يُقتل بلا أيِّ ذَنب ، وإنّما يُقتَل لأنَّه يُبلِّغ أهل مَكّة رسالةً شفويّة مِن الإمام المهدي (عليه السلام) لا غير .

والرسالة لا تشتمل على شيءٍ مِن السَبِّ والشَتم أو التهديد ، وإنَّما

---

(١) المقصود من الركن : هو الزاوية التي يستقر فيها الحجر الأسود ، والمقام : هو مقام ابراهيم (عليه السلام) بالقرب من الكعبة .

تشتمل على الإستنصار والإستنجاد بأهل مكّة .

قال تعالىٰ ـ عن لسان موسى (عليه السلام) للخِضر ـ : « أَقتلتَ نَفساً زكيَّة »[1] أي : بَريئة من الذنوب .

والآن . . إليك شيئاً مِن الأحاديث المرويَّة في هذا المجال :

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : يقول القائم لأصحابه : « يا قوم إنَّ أهلَ مكّة لا يُريدونني ، ولكنّي مُرسِلٌ إليهم لأحتجَّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجَ عليهم » فيدعو رجلاً مِن أصحابه فيقول له : إمضِ الى أهل مكّة فقل : يا أهل مكة . . أنَا رسول فلان[2] اليكم وهو يقول لكم : إنّا أهل بيت الرحمة ، ومعدن الرسالة والخلافة ، ونحن ذُريَّة محمد وسلالة النبيّين .

وإنّا قد ظُلمنا واضطُهدنا وقُهِرنا ، وابتُزّ مِنّا حقُّنا منذ قُبض نبيُّنا الى يومنا هذا ، فنحن نَستنصِركم فانصرونا » .

فاذا تكلَّم هذا الفتىٰ بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الرُكن والمقام ، وهي النفس الزكية . . . [3] .

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : « . . . وقتلُ غلامٍ من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الركن والمقام ، إسمُه محمد بن

---

(١) سورة الكهف ـ الآية ٧٤ .

(٢) يقصد الامام من كلمة « فلان » نفسه المقدسة .

(٣) بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣٠٧ .

الحسن : النفس الزكية ، . . . فعند ذلك خروج قائمنا[١] .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « وليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكيَّة إلا خمس عشرة ليلة »[٢] .

أقول : لقد أُطلق لقب « النفس الزكيَّة » - في بعض الأحاديث الشريفة - على رجلٍ يُقتَل مع سبعين رجلاً مِن الصالحين فِي ضواحي الكوفة ، عند دخول جيش السفياني .

وأُطلق هذا اللقب - أيضاً - على السيِّد الهاشمي ، الذي مرَّ ذِكره في العلائم غير المحتومة .

لكن لا شكَّ في أنَّ (النفس الزكيَّة) الذي يُعتَبر قتلُه مِن العلائم المحتومة ، هو ذلك الرجل الذي يُذبَح بين الركن والمقام ، قبل ظهور الإمام بخمس عشرة ليلة .

---

(١) بحار الانوار ج ٥٢ ص ١٩٢ ، نقلا عن إكمال الدين للشيخ الصدوق .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٣ ، نقلا عن إكمال الدين ج ٢ ص ٦٤٩ ، ورواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة ص ٢٧١ والشيخ المفيد في الارشاد .

الذين ادّعوا المهدويّة كذبًا وزورًا أو نُسِبت إليهم

لقد كان القول والإعتقاد بالإمام المهدي (عليه السلام) ثابتاً عند المسلمين منذ عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، والأئمة الطاهرين من بعده.

وقد مرَّ عليك ـ في أوائل الكتاب ـ شيء من الآيات المأوّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) والبشائر النبوية ، والأحاديث العلوية ، والإخبارات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

وقد رأيتَ أنَّ تلك الآيات والأحاديث تنطق بظهور الإمام المهدي ، وتُصرِّح بجلالة قَدره وعلوِّ مكانته ، بحيث لا تجد في تاريخ الإسلام نظير تلك الشخصيَّة مِن حيث الإمكانيّات وتنفيذ القدرة ، والإستيلاء على الكُرة الأرضيَّة ، وغير ذلك ممّا قرأته في فصول هذا الكتاب .

فكانت هذه الحقيقة مشهورة عند المسلمين ، معروفة لديهم ، لكثرة الأحاديث المرويَّة حولها ، ولم يكن أحدٌ يتجرّأ على تكذيب هذه الحقيقة في ذلك الزمان .

وانطلاقاً مِن هذه العقيدة والحقيقة ظهرَ ـ خِلال هذه القرون ـ أفراد

نُسبت اليهم المهدويَّة أو سَوَّلت لهم أنفُسهم أن يدَّعوا المهدويَّة كِذباً وزوراً ، وقد أحصاهم بعض المؤرِّخين فبَلغوا خمسين رجلاً ، والجدير بالذِكر أنَّ بعضهم مجهول النَسَب والهَويَّة والإتِّجاه والدين والمذهب ، وبعضهم كانت له تصرُّفات شاذَّة ، وأعمال غير عُقَلائيَّة تَشبه تصرُّفات المجانين ، وبعضهم هَلَكَ هو وأتباعُه في أوائل دعوته ، وأُزيلوا عن الوجود ولم تَبق منهم بقيَّة ، وبعضهم مات وبقيَ إسمه وذِكره .

ونحن نقتطف ـ مِن مجموع هؤلاء الأفراد ـ عدداً مِن الذين اشتهروا في التاريخ بادِّعائهم المهدويَّة ، ونَذكر لمحة خاطفة عنهم .

ويُمكننا أن نُقسِّم هؤلاء الى ثلاثة أقسام :

١ ـ مَن نُسبت اليه المهدويَّة .
٢ ـ مَن ادّعى المهدويَّة بدافع حُبِّ الرِئاسة والجاه .
٣ ـ مَن ادّعى المهدويَّة بخطَّة استعماريَّة وإيعاز من المستعمرين .

أما القسم الأول : فيظهر مِن التاريخ أنَّ بعض الذين نُسبت اليهم المهدويَّة إنَّما ادّعاها لهم أصحابهم وأتباعهم ، وانتشرت هذه الفِكرة يومذاك في الأوساط . ولا نعلم ـ بالضبط ـ لماذا سَكتَ هؤلاء في مقابل هذه النسبة المفتَعَلة اليهم ؟ ! .

وقد حاول أتباعُ هؤلاء أن يُطبِّقوا بعض العلامات ـ المرويَّة في الأحاديث حول الإمام المهدي ـ على أُولئك الأفراد .

وفيما يلي نَذكر نماذج من هذا القِسم :

١ ـ لقد ورد في الأحاديث المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « ان المهدي إسمه إسمي » وجاء أتباع المختار بن أبي عبيدة الثَقَفي وأعوانه ، فنَسبوا المهدوية الى محمد بن الإمام علي ، المعروف بابن الحنفيَّة ، وطبَّقوا عليه الحديث المذكور . ويُناسب هنا قول الشاعر :

قُـل للذي يَـدَّعي في العِلم فلسفـةً حفـظتَ شيئاً وغـابت عنك أشيـاء

٢ ـ كما وَرَدَ في الأحاديث المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنَّ المهدي من وُلد الحسين ، وأنَّه يخرج بالسيف ، وأنَّه إبن سَبيَّة ـ أي مَسبيَّة ـ .

فلما نهَضَ زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) إدَّعىٰ أتباعه أنَّه المهدي ، لأنه مِن وُلد الحسين ، وانه قام بالسيف وانه إبن سَبيّة .

وقد تناسىٰ أتباع زيد الأحاديثَ المرويَّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: « الأئمة بعدي إثنا عشر ، تسعة مِن صُلب الحسين ، تاسعُهم قائمهم » فلم يكن زيد الإمامَ التاسع مِن صُلب الحسين (عليه السلام) .

ولكن أتباع زيد إدَّعوا هذا الإدِّعاء ، جلباً للقلوب ولأغراض نفسية .

ولمّا قُتلَ زيد وبقي مصلوباً سنوات عديدة ، قال حَكَم بن عيّاش ـ شاعرُ الأمويّين ـ في ضمن أبياتٍ له :

صَلبنا لكم زيداً على جِذع نَخلةٍ ولم نَرَ مَهديّاً على الجِذع يُصلَب

فانظُر الى هـذا الحاقـد الشامت ، كيف يشمت بصَلْب زيـد بن علي بن الحسين ، وكيف يستهزء بالمهدويّة ؟!.

وأخيراً . . تكوّن المذهب الزيـدي مِن ذلك اليـوم والى هذا اليـوم ، ويتواجد أكثرهم في بلاد اليمن ، وقد انفصلوا ـ مع الأسف ـ عن المذهب الشيعي وعن أئمـة أهل البيت (عليهم السـلام) واتّبعـوا بعض المـذاهب الأُخرى ، في فِقههم وأُصولهم وفروعهم .

وكانت للزيديّة مواقف غير حميدة تجاه الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)

هذا . . والجدير بالزيديَّة أن يَرجعوا الى أصلهم وأصالتهم ، بأن يتمسَّكوا ـ في مذهبهم ـ بأئمة أهل البيت الذين أَمَرَ الله ورسوله باتِّباعهم ، وأن يَعودوا الى المذهب الشيعيّ الحق ، الذي كانوا عليه في بداية الأمر .

٣ ـ وبعـد سنوات مِن ثـورة زيد بن عـلي ، وُلد محمـد بن عبد الله ـ المعـروف بـالمحض ـ بن الحسن المثنّىٰ بن الإمـام الحسن المجتبىٰ (عليـه السـلام) فانتهـز أصحاب المـطامع والأهـواء هذه الفـرصة ، فنَسبـوا اليـه المهـدويَّة وطبَّقـوا عليـه الحـديث المـزيَّف المُختَلَق المنسـوب الى رسـول الله (صلـى الله عليه وآله وسلم) بأن : المهدي. . وإسمُ أبيه إسم أبي .

وقـد ذكـرنـا ـ في أوائـل الكتـاب ـ أنَّ هـذا الحـديث يُخـالف مئات الأحـاديث المرويّـة حول اسـم والـد الإمـام المهدي ، وأنَّـه الإمـام الحسن العسكـري (عليهـما السـلام) إلّا أنَّ الإنتهـازيِّـين طبَّقوا هــذا الحـديث المـزيَّف عـلى محمـد بن عبـد الله المحض ، وسمّـوه بـ (النفس الـزكيَّـة) وبايعه بعض الناس . ومِن المُضحِك أن اباه عبد الله بـايعه ايضـاً على أنـه

المهدي ! .

وممن بايعه هو المنصور الدوانيقي العباسي ، ولما قامت الحكومة العباسية إنهارت مهدوية محمد بن عبد الله ، ونَقض المنصور بيعته ! .

وأما القسم الثاني : وهم الذين ادَّعوا المهدوية بدافع الدَجل وحُبّ الرئاسة ، وجلب القلوب واكتساب القدرة والعظمة ، فهم كثيرون . . منهم : المهدي العباسي ، فقد ادّعىٰ أبوه المنصور الدوانيقي بأنَّ ولده هذا هو المهدي ! مع العلم أنَّ المنصور كان قد بايع ـ قبل ذلك ـ محمد بن عبد الله المحض الذي نُسبت اليه المهدويَّة .

أُنظر الى هذه المخازي ، والى التلاعب بالعقائد ، حسَب الأهواء والظروف ! .

وهكذا . . وبين فترة وأُخرىٰ ، كانت هذه الفكرة تَظهر ، وتتجسّد في هذا وذاك ، حَسب الآراء والميول والنَزعات .

ولا ينقضي تعجّبي من قلّة حياء هؤلاء المدَّعين للمهدويَّة وصلافتهم ! فكيف كانوا يتجاهرون بهذا الكذب الفاضح المخزي وهم يعلمون أنهم يكذبون في ادّعائهم ؟ ! لأنَّ الإمام المهدي ـ الذي بشّر به رسول الله والأئمة الطاهرون ـ موصوفٌ بصفات خاصَّة ، ومَنعوت بمزايا معيَّنة مصرَّح بها .

وأشهر تلك الصفات أنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد أن تُملأ ظُلماً وجورا ، فهل استطاع أحد مِن أُولئك الكذّابين أن يرفع شيئاً من الظلم الذي انتشر في المجتمعات البشريَّة ؟ ! .

وأعجب من هؤلاء الدجالين هم الذين صدَّقوا إدِّعاءات هؤلاء ، وآمَنوا بهم وبخرافاتهم ، مع العلم أنَّ الأحاديث الشريفة لم تكن تنطبق عليهم ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُّ على الفراغ الفكري والعقائدي الذي كان يُعاني منه هؤلاء الأتباع ، ممّا جعلهم ينعِقون مع كلِّ ناعق ويميلون مع كل ريح .

وأما القسم الثالث : وهم الذين ادَّعوا المهدويَّة ، بخطَّة إستعماريَّة وإيعاز من المستعمرين ، فيمكن الإشارة اليهم فيما يلي :

لقد وضع الإستعمار عدَّة خُطَط لِضرب الإسلام وتفريق كلمة المسلمين ، كي يتحقق هدفه الإستعماري : (فَرِّق تَسُد) .

ومِن الخُطط الجهنّمية التي وضَعها في هذا المجال هو إيجاد المذاهب المتعدِّدة في المسلمين ، والتلاعب بالمعتقدات الدينيَّة ، لإيجاد الوَهن فيها وتضعضع القلوب والأفكار .

وممَّا انتهزه الإستعمار - في هذا المجال - هي فِكرة المهدويَّة ، فقد ربَّىٰ بعض الأفراد تربية إستعمارية ، وأمرَهم بأن يدَّعوا المهدويَّة ، وساعدَهم بالمال وغيره .

ونكتفي - هنا - بذكر نموذج واحد من الذين ادَّعوا المهدويَّة بايعاز مِن المستعمرين ، رعايةً لأُسلوب الكتاب :

علي محمد الباب، مؤسّس الدين البهائي :

لقد جاء جاسوس روسي الى إيران عام ١٨٣٤ م ، حاملاً معه

خطَّة شيطانيَّة خبيثة ضد الإسلام والمسلمين ، واستطاع هذا الجاسوس الروسي أن يلعب دوراً حاقداً في سياسة ايران يومذاك .

وبعد فترة جاء الى العراق ، وسمَّىٰ نفسه : الشيخ عيسىٰ لنكراني ، بينما كان إسمه الحقيقي : كنياز دالكوركي ، وتزيّا بزيٍّ رجال الدين وحضَر درس السيد كاظم الرشتي ـ وكان مِن العلماء ـ في مدينة كربلاء المقدَّسة ، وهناك إلتقىٰ برجل إسمه علي محمد ـ الذي عُرِفَ فيما بعد بالباب ـ وكان تلميذاً عند الرشتي المذكور .

وكان علي محمد يشرب الحشيشة ، واستطاع الجاسوس أن يكوِّن بينه وبين علي محمد علاقة صداقة وثيقة .

وفي ليلة من الليالي وبينما شرب علي محمد الحشيشة ـ كعادته ـ إنتهز الجاسوس الروسي الفرصة ، وخاطبه ـ بكل خضوع واحترام ـ قائلاً : يا صاحب الزمان ترحَّم عليّ . . أنتَ صاحب الزمان قطعاً .

وبالرغم مِن أنَّ علي محمد كان قد فقَد بعض مشاعره بسبب الحشيشة المخدِّرة إلاّ أنَّه رفض هذا الخطاب ، وحاول أن يدفع عن نفسه هذه النسبة ، ولكنَّ الجاسوس الروسي أَلَحَّ عليه بذلك ، وجعل يُلقِّنه ويكرِّر عليه القول بأنه هو الإمام المهدي .

وكلّما شرب علي محمد الحشيشة ، إنتهز الجاسوس الفرصة للتلقين والإيحاء ، وكان يسأله أسئلة طفيفة ويُجيب علي محمد باجابات سخيفة ، فيُبدي الجاسوس إعجابه بتلك الإجابات .

وفي يوم من الأيام أحضرَ له الجاسوس زجاجة خمرٍ اشتراها من

بغـداد ، وقدَّمـه للباب، فلم يمتنـع من شربهـا ، ولمـا سَلَبت الخمـرة عقله ورُشده ، شرع الجاسوس بتلقينه بأنه هو الإمام المهدي صاحب الزمان .

وبدأ علي محمـد يُصدِّق مقـالة الجـاسوس ، ويعتقـد بانـه هو الإمـام المهـدي ، ولكنّه خـاف من إظهار هـذا الأمـر ، ولم يُصـرِّح بـه . . إلاّ أنّ الجاسوس كان يُشجّعه على ذلك ويَعِده بالمال الكثير .

وأخيـراً سافـر عـلي محمـد من كـربـلاء المقـدَّسـة الى البصـرة ثم الى بـوشهر ـ ايـران ـ وهناك إدّعى أنـه بـاب الإمـام المهـدي ، أي أنَّـه نـائبٌ خـاص للإمـام (عليه السـلام) ولكنَّ الجاسـوس لم يرض بهـذا الإدّعاء ، بل كتَبَ اليه : أنت صاحب الأمر وإمام العصر .

ثم جعـل الجاسـوس ينشر في كـربلاء بـأنَّ عـلي محمـد هـو صـاحب الزمان وقد ظهر في بوشهر .

والنـاس بين مُصـدِّق ومكذّب ، فـالذين كـانوا يعـرفون عـلي محمـد الحشّاش الخمّار ، كـانوا يضحكـون مِن هذه الإشـاعات ، وبعض الحَمقىٰ والبُسَطاء كانوا يُصدّقون الخبر .

وبعدما قام الجاسوس بهذه الأعمال الشيطانية عُيِّن سفيـراً لروسيـا في طهران ، فقويت شوكته ، وكثرت إمكانيّاته ، ووجَـدَ مجال العمـل مفتوحـاً أمامه أكثر ، فانتهز الفرصة اكثر مِن ذي قبل .

وكـان الجاسـوس قد ربّىٰ ـ في طهـران ـ أفراداً من أصـدقائـه تـربيـة جـاسـوسيَّـة، بـأن اشتـرىٰ منهم ضمـائـرهم وعقـائـدهم، فصـاروا تحت

تصرّفه ، ورهن إشارته ، منهم : الأخَوان : حسين علي المعروف بـ (البهاء) والميرزا يحيىٰ المعروف بـ (صبح أزل) وكان لهذين الأخوين دور كبير في تنفيذ خُطط هذا الجاسوس الخبيث .

وبعد إنقضاء شهرين ، خرج علي محمد من مدينة بوشهر واتّجه نحو مدينة شيراز ، وكلّما مرَّ على قرية في الطريق إدّعىٰ بأنَّه النائب الخاص للإمام المهدي .

وفي شيراز جعل يدَّعي أنَّه هو الإمام المهدي صاحب الزمان ، فاجتمع حوله بعض السَفلَة الذين لا يلتزمون بمبدأ ولا دين .

ولمّا سمع علماء شيراز بقدوم هذا الشيطان الرجيم ، ارسلوا بعض مَن يَثِقون به ، الى مجلس علي محمد للتحقيق عن الخبر ، واستطاع أُولئك الثِقات أن يَتظاهروا بالمحبَّة والتعظيم ، حتى وثق بهم علي محمد ، وصَرَّح لهم بأنَّه هو الإمام المهدي ، وكشَفَ لهم عن بعض ما يعتقده مِن خرافات وأباطيل ، فاخبروا العلماء بما يُضْمِره هذا المنحرف الضال .

وهنا قام العلماء ضدَّه ، وهكذا ثار عليه أقرباؤه وأُسرته وأخرجوه مِن منزله ، وأُلقي عليه القبض وسيقَ الى المحاكمة ، فحكموا عليه بالضَرب والسجن . وبقي في السجن فترة طويلة ، ثم أُطلق سراحه ، فخرج من شيراز قاصداً مدينة إصفهان .

وبَعثَ الجاسوس برسالةٍ الى والي إصفهان ، يوصيه ـ فيها ـ باحترام علي محمد الباب والمحافظة على حياته ، ولكنَّ والي إصفهان فارق الحياة في تلك الأيام ، وأُلقي القبض على الإمام المزيَّف وأُرسل مخفوراً الى

طهران .

وأوعز الجاسوس الروسي الى أصدقائه ـ الذين تقدَّم ذِكرهم ـ بأن يُثيروا الضجيج بين الناس ، بأن يقولوا لهم : إنّ الإمام المهدي قد أُلقي عليه القبض !!

ثم أرسلت الحكومة علي محمد الباب مخفوراً الى (قزوين) ثم الى (تبريز) ثم الى (ماكو) . واستمرَّ أصدقاء الجاسوس السوفياتي على التهريج ضدّ الحكومة يومذاك ، وانتشر الخبر في بعض بلاد إيران ، فقام بعض السَفَلَة ـ الذين زوَّدهم الجاسوس بالمال ـ بالضجيج والصياح ضدّ الحكومة .

وأخيراً . . أمر الملك بإحضار علي محمد ومحاكمته ، بحضور العلماء والفقهاء ، فانعقدت الجلسة وجرىٰ حوار ونقاش أدّىٰ ـ في النهاية ـ الى توبة علي محمد على أيدي العلماء ، والإستغفار مِن ذنبه .

فخشي الجاسوس الروسي أن ينكشف أمره ، فسعىٰ في قتل علي محمد ، تغطية للمؤامرة السوفياتية الخبيثة التي نفّذها ،

وفي تلك الأيام ، قُتل الملك ، وجاء بعده الملك ناصر الدين شاه ، فأمر بقتل علي محمد وشَنقه ، ونُفِّذ فيه حُكم الإعدام .

وأمّا حسين علي وزملاؤه ، فقد ذهبوا الى بغداد ، بأمر الجاسوس الروسي ، بعد أن كادوا أن يلقوا جزاءهم ، لولا المحاولات الكثيرة التي بذلها الجاسوس وموظّفوا السفارة الروسيَّة لإنقاذهم .

وصدرت التعليمات من الجاسوس الى حسين علي بأن يدعو لأخيه يحيىٰ بأنَّه هو الذي يُظهره الله في آخر الزمان ، وزوّدهم بأموال كثيرة في سبيل نشر هذه الدعوة . فشرعوا بالدعوة الى ذلك الدين المزيَّف ، وتجاوب معهم بعض الهمج مِن الناس ، الذين ليس لهم إتّجاه مُعينٌ في الحياة .

وعند ذلك حَكمت الحكومة العثمانية على هذه الطغمة الفاسدة ، بالإبعاد من بغداد الى (اسلامبول) ـ بتركيا ـ ثم الى (ادرنة) .

وكانت التعليمات البهائية تُنظَّم في سفارة روسيا في طهران ، وتُرسل الى حسين علي ، وكان بدوره ينشرها بين أتباعه .

وأخيراً . . وقع الإختلاف والنزاع بين حسين علي وأخيه يحيىٰ ، فسافر يحيى الى قبرص وتزوّج هناك وسمّى نفسه : (صبح ازل) .

وأمّا حسين علي وأتباعه فقد أُبعِدوا من تركيا الى مدينة عكّا ـ في فلسطين ـ وواصلوا الجهود لنشر هذا الدين الخرافي في ايران وفلسطين ، عن طريق بذل الأموال الطائلة .

وقد اختار حسين علي لنفسه لقب (البهاء) ولهذا يُسمّى أتباعه بـ (البهائية) . والجدير بالذكر أنَّ الدين البهائي ينفصل عن الإسلام في الأُصول والفروع ، وأنَّ البهائيين لا يَعتبرون أنفسهم مسلمين ، بل

يعتبرون أنفسهم أتباع دين آخر إسمه : (البهائية) .

وقد انتشر هذا الحزب السياسي - الذي تلبَّس بلباس الدين - في بعض البلاد الإسلامية والغربية وقد اتّحدت امريكا مع روسيا في نشر هذا الدين وترويجه ، ضد الإسلام والمسلمين ، ولهذا ترى البهائية والبهائيين يَتَواجدون في كلِّ قُطر يخضع للنفوذ الإمريكي ، ومتى تقلَّص النفوذ الإمرِيكي من بلد من البلاد الإسلامية ، تقلّص الحزب البهائي أيضاً .

هذه خلاصة عن تاريخ الباب والبهائيَّة والبهائيِّين ، ذكرناها بالمناسبة ، ولهم تاريخ طويل مملوء بالمخازي والقبائح التي تَندى منها جبهة الإنسانية[١] .

وهناك عدد آخر مِن المُدَّعين للمهدويَّة كِذباً وزوراً ، ولا نَعلم - أنَّهم مِن أيِّ قسم مِن الأقسام الثلاثة المذكورة ، وإليك أسماء بعضهم :

١ - عُبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وهو مؤسِّس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب إبتداءاً مِن مصر الى المغرب الأقصىٰ .

---

(١) مذكرات دالكوركي - الجاسوس الروسي في البلاد الاسلامية - ص ٦١ - ٨٥ . تعريب العلامة البحاثة السيد احمد الموسوي الفالي .

٢ ـ محمد بن عبد الله بن تومرت العلويّ الحسني ، المعروف بالمهدي الهرعي ، أصلُه مِن جَبَل السوس فيأقصىٰ بلاد المغرب ، وقد أسَّس دولةً عظيمة في أوائل القرن السادس الهِجري . وعند مماته أوصىٰ الى عبد المؤمن ، فقام مقامه وأسَّس دولةً عُرفت بدولة عبد المؤمن .

٣ ـ العباس الفاطمي ، ظهَرَ في المغرب الأقصىٰ في آخر المائة السابعة للهجرة ، وادّعىٰ المهدوية .

٤ ـ السيد أحمد ، ظهَر في بعض بلاد الهند عام ١٢٤٣ هـ .

٥ ـ محمد بن علي بن محمد السنوسي ، وُلد في الجزائر في جبل سنوس عام ١٢١١ هـ تقريباً ، وأسَّس مذهباً وسكن في ليبيا ، وخَلَفَه إبنهُ .

٦ ـ غلام أحمد قادياني ، وُلدَ حوالي سنة ١٢٤٩ هـ في قاديان مِن بلاد البنجاب في باكستان ، وكَثُر أتباعه في بلدته وفي منطقة البنجاب وكشمير وبمباي وغيرها مِن بلاد الهند وبلاد العرب ، وزنجبار .

٧ ـ محمد أحمد المهدي السوداني . ويُقال له : (المتمهدي) إدّعى أنَّه الإمام الثاني عشر الذي ظهر مرَّة قبل هذه ، وكان يُبشِّر السودانيين المضطَهدين بظهور المهدي المنتظر لإنقاذهم من الضرائب التي كانت الدولة ـ يومذاك ـ تستوفيها من الناس ، فانتشر إسم الإمام المهدي المنتظر في الأوساط . وسألوه يوماً : لَعلَّك المهدي المنتظر ؟ !.

فقال : أَجَل . . أنا هو !! .

ثم أخذَ يَبُثُّ تعاليمه وانتشر خَبَره الى الخرطوم وضواحيه ، فاعترفت به القبائل البَقّارة ، وحارب الإنكليز وانتصر في حروبه ، ثم مات على أَثَر الحُمّى حوالي سنة ١٣٠٨ هـ .

هذا . . ولكلٍّ واحدٍ مِن هؤلاء تراجم مفصَّلة ، وقد إكتفينا بهذا الموجز رعايةً للإختصار ، ويوجد شيءٌ مِن التفاصيل في كتاب (مفتاح باب الأبواب) وكتاب (طَبَقات المُضِلِّين) .

وخلاصة القول : إنَّ إدَّعاء المهدويّة صار أُلعوبة ووسيلة عند الإنتهازيين الذين يُحاولون تحقيق أهدافهم الشخصية أو الإستعمارية . . مهما كانت الوسيلة .

ومِن الصحيح أن نقول : إنَّ هؤلاء الذين ادّعوا المهدويَّة ، قد ارتكبوا جريمة لا تُغفَر ، لأنهم تلاعبوا بمعتقدات الناس ، وأرادوا إحياء الباطل وإماتة الحق ، وتشويه سُمعة الشيعة والتشيُّع ، وتفريق كلمة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وفتح المجال أمام كل مُخالف ومستهزء ومُعاند ، ليكتب ما يشاء ويقول ما يُريد .

أضِف الى ذلك : إضلالهم الناس وإغوائهم عن الطريق المستقيم ، وسوقهم الى مذاهب مفتعلة مزيَّفة .

الفصل الثامن عشر

كَيفَ يظهَر؟ وَمن أَين يَبدَأ ؟

أعتقد أنَّ هذا البحث حَسّاس جداً ، وله غاية الأهميَّة، لأنَّ الكلام يـدور حول كيفيَّـة الظهـور ، والخروج عن الإستِتـار والإختفـاء الـذي دام أكثر مِن ألف سنة .

كما يدور الكـلام أيضاً حـول كيفيَّة الشـروع بالنهضـة ـ التي ستُحقِّق أعظم الأهداف ، وتُثمِـر أغلىٰ الثمَـرات ـ والبدء بـالقيام بـأكبر حملةِ تـطهيرٍ على وجه الأرض ، وأكبـر تبدُّلٍ في حيـاة البشر ، وأوسـع تغييرٍ في مـظاهر الحياة .

فما هي كيفيَّة الشروع ؟ .

ومِن أين يَبدأ الإمام باصلاح الأرض ومَن عليها ؟ ! .

مِن الواضح أنَّ العقول المحدودة والأفكـار الضيِّقة لا تستـطيع التنبّؤ والتكهُّن حـول هذا المـوضـوع الأسمىٰ الأرقىٰ . ومـا قيمـة التنبُّؤات التي تُخطىء أكثر مما تُصيب ، ويَظهـر عليها البـاطل أكـثر مِن الحق ، ويُرافقهـا الكذب أكثر مِن الصِدق ؟؟؟ ! .

بالإضافـة الى أنَّ الأحاديث الـواردة عن الأئمة الـطاهرين الصـادقين

(عليهم السلام) تُغنينا عن كلِّ تنبّؤ وكلّ تكهُّن ، فهي تَصِف كيفيَّة ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه ، ولا شك أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) يَسير وفقَ مخطَّط سماوي ، يَضمن له النجاح الكامل ، ويمنع عنه الفشل بجميع أنواعه .

ويجب أن لا ننسىٰ الفرق بين الظهور وبين القيام ، فالظهور هو الخروج عن الإستتار والإختفاء ، والقيام هو النهضة والثورة والشروع بالعمل .

وحينما نُراجع المصادر وموسوعات الأحاديث نجد إضطراباً كثيراً في بعض الألفاظ ، واختلافاً في الأسماء ، واحاديثَ محذوفة الأول أو الوسط أو الآخر ، ولا تسأل عن الأخطاء الكتابيَّة والمطبعيَّة ، فإنَّ لها تأثيراً ودوراً مؤسفاً في تشويش الأحاديث لفظاً ومعنىً .

ونحن قد نضطر ان نذكر خلاصة بعض الأحاديث ، او ما نستفيده من الأحاديث وإن لم يُصرَّح به ، حتى يَنتظم الكلام بصورة مرتبطة ومتسلسلة ، وقد نذكر الأحاديث في المتن او الهامش لهذا الغرض ، فنقول :

لقد قرأتَ احاديث الصيحة السماويَّة وانها تكون في شهر رمضان ، والظاهر انَّ ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) يكون مُقارناً لتلك الصيحة .

وعلى كلِّ تقدير . . يَظهر الإمام المهدي (عليه السلام) في المدينة المنوَّرة ، ولا نستطيع ان نعلم مدىٰ سعة ظهوره ، ولكنّنا نستطيع ان

نعرف أنَّ الظهور لا يكون في مستوىٰ ضيّق ، ولا نعلم موقف السلطة الحاكمة في المدينة ـ يومذاك ـ مع الإمام المهدي .

ويَصل خبر ظهوره الى السفياني وقد استولىٰ على بلاد سوريا والأُردن وفلسطين ، فيرسل السفياني جيشاً الى المدينة المنوَّرة لأجل القضاء على الإمام المهدي (عليه السلام) ولكنَّ الإمام يخرج من المدينة ـ قبل وصول الجيش ـ قاصداً مكة، إتّقاءاً مِن شر جيش السفياني.

ويدخل جيش السفياني ـ لإلقاء القبض على الإمام ـ فلا يجد له اثراً فيها ، ولهذا يتوجَّه نحو مكّة ، لنفس الغرض ، وقد قرأت أنَّ الأرض تبتلعهم في البيداء .

ويصل الإمام المهدي (عليه السلام) الى مكّة وينزل في دارٍ قريبة من جَبَل الصفا ـ كما في بعض الأحاديث ـ وفي حديث آخر : أنَّه يَنزل في ناحية ذي طوىٰ ، وهي في ضواحي مكّة[1] .

وتمرُّ الأيام : ويَقترب وقت قيام الإمام ، فيجتمع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ـ وهم الخواص مِن اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) ـ يجتمعون من شرق الأرض وغربها في مكّة .

وهنا نَقطع شريط الكلام لنتحدَّث عن اصحاب الإمام (عليه السلام) ثم نعود لنواصل الحديث عمّا يجري ويَحدُث بعد الظهور وقبل القيام .

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ، الباب العاشر ، الحديث ٣٠ ، ص ١٨٢ ، وعقد الدُرر ليوسف بن يحيىٰ الشافعي ص ١٣٣ ، والحديث مَرويٌ عن الإمام الباقر عليه السلام .

أصحاب الإمام المهدي عليه السلام

أصحابُ الإمام المهدي (عليه السلام) وعدَدُهم ومزاياهم :

لا اعلم ما هو السِرّ في عدد الثلاثمائة والثلاثة عشر ؟!

فلقد كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بَدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وورد في بعض الروايات أنَّ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) الذين استشهدوا معه يوم عاشوراء - في كربلاء - كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

وهكذا سيكون عدد اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

ومن الواضح أنَّ هؤلاء مِن خيرة اهل الأرض يومذاك ، وقد توفَّرتْ فيهم المؤهِّلات المطلوبة ، واللياقة والكفاءة لإدارة الكرة الأَرضيَّة، وتدبير أُمور الناس اجمعين ، كلُّ ذلك تحت قيادة الإمام المهدي (عليه السلام) وإرشاداته وتعاليمه .

وهؤلاء الصفوة يختارهم الله تعالىٰ من بلاد عديدة ومِن قوميّات مختلفة ونواحي متعدِّدة ، بل ومن قارّات وأقاليم مختلفة .

وقد وردتْ - في خُطبة البيان المنسوبة الى الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - أسماؤهم وأسماء بلادهم ، ويوجد - في قائمة أسماء

البلاد ـ بعض الأسماء غير المعروفة عندنا ، وأسماء مشتركة ، ولعلَّ بعض تلك البلاد قد تغيَّرتْ أسماؤها ، أو أن بعض البلاد سوف تُبنىٰ وتُسمّىٰ بتلك الأسماء في المستقبل ، أو وقعتْ أخطاء كتابيَّة أو مَطْبعيَّة في ضبط الأسماء .

وبإمكاننا أن نضع جدولاً لأسماء أصحاب الإمام المهدي وأسماء بلادهم وقبائلهم ، وذلك حسَب حروف الهجاء ، فيما يلي :

عدد الأفراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
٢	أرمينية[١]	أحمد وحسين
٤	الإسكندرية	حسن ومحسن وشبيل وشيبان
١	اصفهان	يونس
٢	الإفرنج[٢]	علي وأحمد
١	ألومة[٣]	معشر
١	الأنبار[٤]	علوان

(١) أرمينيَّة : إسم منطقة واسعة جداً ، تشمل مدُن كثيرة ، قسمٌ منها في ايران ، وقسم منها في تركيا ، وقسم منها في الإتحاد السوفياتي .
(٢) الإفرنج : هم الفرنسيون بصورة خاصَّة ، أو الأوروبيون بصورة عامة.
(٣) أُلومة ـ على وزْن اكولة ـ : بلد في دِيار هذيل ، كما في (معجم البلدان) .
(٤) الأنبار : بلدة في العراق ، تقع بالقرب من الحدود العراقية ـ السورية ، وتعرف أيضاً بـ (الرطبة) .

عدد الأفراد	أسماء البلاد او القبائل	أسماء الأفراد
١	أنطاكية(١)	عبد الرحمن
٥	أوال(٢)	عامر وجعفرونصير وبكير وليث
١	أوس(٣)	محمد
١	بالس(٤)	نصير
٣	بدو اعقيل	منبه وضابط وغربان(٥)
١	بدو اغير	عمرو(٦)
١	بدو شيبان	نهراش
١	بدو قسين	جابر
١	بدو كلاب	مطر
٢	بدو مصر	عجلان ودراج

(١) أنطاكية : مدينة في سوريا .
(٢) أُوال : هـو الاسـم السـابق للبحرين ، وقـد ذُكر في نصِّ الخـطبة : « جـزيـرة أُوال ، وهي البحرين » .
(٣) الأوس : إسم قبيلة عـربيَّة مِن الأزد ، يَمـانيّة ، إرتحلتْ وأُختهـا الخزرج فنـزلوا المـدينة المنوَّرة ولمَّا بُعث النبي وهـاجر الى المـدينة إلتفّـوا حولـه واعتنقوا دين الإسـلام ، وكانت هجرة النبي والمسلمين اليهم في المَدينة ، وسُمِّي الجميع ـ بعد ذلك ـ بالأنصار .
(٤) بالس : قرية في سوريا ، بين حَلَب والرِقَّة ، وتعرَف اليوم باسم (إسكي مَسكَنَة) .
(٥) وفي نسخةٍ : عريان ، أوعزبان .
(٦) وفي نسخةٍ : عمر .

عدد الأفراد	اسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
٣	برعة[١]	يوسف وداود وعبدالله
٢	البصرة	علي ومحارب
١	بَلخ[٢]	حسن
١	بلست[٣]	عبد الوارث
١	البلقاء[٤]	صادق
٣	بيت المقدس	بشر وداود وعمران
٢	البيضاء[٥]	سعد وسعيد
٢	تُستَر[٦]	أحمد وهلال
١	تفليس[٧]	محمد
١	تميم[٨]	ريان

(١) برعة : قرية في ضواحي الطائف .
(٢) بلْخ : مدينة في أفغانستان.
(٣) بلست : قرية من قرى الإسكندرية .
(٤) البلقاء : مدينة في الأردن.
(٥) البيضاء : إسم لعدَّة مدن وقرى ، منها : مدينة في ايران ، ومدينة في بلاد المغرب الأقصى ، ومدينة في ليبيا ، ومدينة في جنوب اليمن . والله العالم بالمقصود .
(٦) تُسْتر ـ معرَّب شوشْتر ـ : مدينة في منطقة خوزستان ، جنوب ايران .
(٧) تفليس ـ وتُعرف أيضاً بـ (تبليسي) ـ : مدينة في جنوب غربي الإتحاد السوفياتي ، وهي ـ اليوم ـ عاصمة جمهورية جيورجيا .
(٨) تميم : قبيلة عربية ، ينتهي نسبها الى تميم بن مر بن الياس بن مُضر .

عدد الأفراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
١	الثقب[١]	هارون
٥	جَبَل اللُّكام[٢]	عبدالله وعبيد الله وقادم ويحيىٰ وطالوت
١	جدَّة	ابراهيم
٢	جعارة[٣]	يحيى واحمد
٤	الحبشة[٤]	ابراهيم وعيسى ومحمد وحمدان
١	الحبش	كثير
٢	حَلَب	صبيح ومحمد
٢	الحِلَّة	محمد وعلي
١	حمص	جعفر
٢	حِمير[٥]	مالك وناصر
٢	خرشان	تكيّة ومسنون
٢	الخَط[٦]	عزيز ومبارك

(١) الثقب : قرية من قرى اليمامة في منطقة نجد، في شبه الجزيرة العربية .
(٢) جَبل اللُّكام : هو الجبل المشرف على أنطاكية ، وبالقُرب منها مدينة . كما في (معجم البلدان) .
(٣) جعارة : قيل : هي بلدة في ضواحي مدينة النجف الأشرف ، في العراق .
(٤) الحبشة ـ وتُعرف اليوم بـ (إثيوبيا) ـ : هي دولة في الشرق الشمالي من افريقيا .
(٥) حمير : قبيلة كانت تسكن بلاد اليمن .
(٦) الخط : منطقة ساحلية في شبه الجزيرة العربية ، تشمل عدة مدن ، منها : مدينة القطيف في المنطقة .

عدد الأفراد	أسماء البلاد او القبائل	أسماء الأفراد
٢	الخلاط(١)	محمد وجعفر
٢	خونج (٢)	محروز ونوح
٢	دمشق	داود وعبد الرحمن
١	الدَورق (٣)	عبد الغفور
١	ديار	شعيب
١	ذهاب(٩)	حسين
٢	الرَملَة(٥)	طليق وموسى
١	رُهاط(٦)	جعفر
١	الري (٧)	مجمع
٣	الزوراء(٨)	عبد المطّلب وأحمد وعبدالله

(١) الخلاط : مدينة كبيرة في منطقة أرمينية ـ شمال ايران .

(٢) خونج : مدينة في منطقة آذر بايجان ـ شمال ايران . وفي المصدر : خونخ ، بالخاء . . لا الجيم ، ولعله من اخطاء النساخ .

(٣) الدوْرق : قرية من قرىٰ الأهواز ، في منطقة خوزستان ـ جنوب ايران .

(٤) ذهاب ـ وتعرف أيضاً بـ ـ حلوان ـ: هي بلدة بالقرب من مدينة كرمانشاه في ايران .

(٥) الرملة : بلدة في فلسطين ، شمال شرقي القدس .

(٦) رهاط : منطقة في ضواحي مكة المكرَّمة .

(٧) الري : مدينة في ضواحي طهران .

(٨) الزوراء : مدينة بغداد .

عدد الأفراد	أسماء البلاد أو القبائل	اسماء الأفراد
٣	زيد[١]	محمد وحسن وفهد
٣	السادة	صليب وسعدان وشبيب
١	سِجار[٢]	محمد
٢	سرخس[٣]	ناجية وحفص
٢	سُرَّ مَن رأى[٤]	مرائي وعامر
٣	سعداوة	أحمد ويحيى وفلاح
١	سلماس[٥]	هارون
٢	سمرقند[٦]	علي ومجاهد
٢	السِن[٧]	مقداد وهود
٢	سنجار[٨]	ابان وعلي

(١) زيد : اسم موضع بالقرب من مدينة بالس في سوريا .
(٢) سِجار : قرية في ضواحي مدينة بخاري ، في بلاد القفقاز في الإتحاد السوفيتي .
(٣) سَرخس : مدينة في ضواحي مدينة مشهد المقدسة ـ في ايران .
(٤) سُرَّ من رأى : مدينة في العراق ، تعرف اليوم بـ ـ (سامرّاء) .
(٥) سلماس : منطقة في شمال ايران بالقرب من تبريز ، تشمل قرى متعددة.
(٦) سمرقند : مدينة كبيرة في جمهورية (اوزبكستان) وهي اليوم تحت إحتلال الإتحاد السوفييتي .
(٧) السِن : مدينة على ساحل نهر دجلة في العراق ، بالقرب من تكريت .
(٨) سِنجار : بلدة في ضواحي الموصل في شمال العراق ، وفي نسخة سنحار : وهي قرية في ضواحي مدينة حلب في سوريا .

عدد الافراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
١	السِند[١]	عبد الرحمن
١	السهم	جعفر
٢	السوس[٢]	شيبان وعبد الوهاب
٤	سيراف[٣]	خالد ومالك وحوقل وابراهيم
٣	سيلان[٤]	نوح وحسن وجعفر
١	الشوبك	عمير
٤	شيراز	عبدالله وصالح وجعفر وابراهيم
١	شيزر[٥]	عبد الوهاب
٤	صنعاء	جبرئيل وحمزة ويحيى وسميع
	الضيعة	زيد وعلي
٢	الضيف[٦]	عالم وسهيل
٣	الطائف	علي وسبأ وزكريا
١	طائف اليمن	هلال

(١) السند : منطقة واسعة في جنوب باكستان .
(٢) السوس ـ وتعر ب(الشوش) ـ ق؛ بلدة من بلاد خوزستان ، جنوب ايران ، وأيضاً ، السوس : اسم بلدة في المغرب الأقصى .
(٣) سيراف : بلدة في ايران ، تقع على الخليج ، تبعد عن مدينة شيراز حوالي ٦٠ فرسخاً .
(٤) سيلان : جزيرة تقع في جنوب شرقي الهند ، سماها العرب : بلاد سرنديب .
(٥) شيزَر : مدينة في سوريا ، تقع على نهر العاصي شمال مدينة حماة .
(٦) لعل الصحيح هو : الضيق ـ بالقاف ـ : قرية في منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية .

عدد الأفراد	اسماء البلاد أو القبائل	اسماء الأفراد
٢٤	طالقان[1]	صالح وجعفر ويحيى وهود وفالح وداود وجميل وفضيل وعيسى وجابر وخالد وعلوان وعبد الله وأيوب وملاعب وعمر وعبد العزيز ولقمان وسعد وقبضة ومهاجر وعبدون وعبد الرحمن وعلي.
١	الطَبَرية[2]	فليح
١٠	عبادان	حمزة وشيبان وقاسم وجعفر وعمرو وعامر وعبد المهيمن وعبد الوارث ومحمد وأحمد
٢	عدن	عون وموسى
١	عَرَفة[3]	فرج
٥	عسقلان[4]	محمد ويوسف وعمر وفهد وهارون
٢	عَسكَرُ مُكرَم	الطيّب وميمون

(١) طالقان : اسم منطقة بين مدينة قزوين وأبهر في ايران ، وهذه المنطقة تشتمل على قرى متعددة يطلق عليها هذا الاسم . وطالقان ـ أيضاً : إسم مدينة كبيرة في مقاطعة طخارستان في أفغانستان.

(٢) الطبرية : مدينة تقع على بحيرة طبرية في فلسطين .

(٣) عرفة : قرية بالقرب من أرض عرفات في ضواحي مكة المكرمة ، كما في (معجم البلدان) للحموي .

(٤) عسقلان : مدينة في فلسطين . وأيضاً عسقلان : قرية في ضواحي مدينة بلخ في أفغانستان .

(٥) عسكر مكرم : مدينة في منطقة خوزستان ـ جنوب ايران .

عدد الافراد	أسماء البلاد أو القبائل	اسماء الأفراد
١	عَقر(١)	أحمد
٢	عَكّا(٢)	مروان وسعد
١	العمارة(٣)	مالك
٦	عَمّان	محمد وصالح وداود وهواشب وكوش ويونس
١	عنيزة(٤)	عمير
٤	الفسطاط(٥)	أحمد وعبدالله ويونس وطاهر
٢	قاشان(٦)	عبدالله وعبيد الله
١	القادسية(٧)	حصين

(١) عقر : اسم موضعٍ بالقرب من مدينة كربلاء المقدسة ، واسم قرية بين تكريت والموصل ، وقرية في ضواحي بغداد ، وقرية في ضواحي الموصل ، والعقر ـ بفتح القاف ـ : قرية في ضواحي الرملة في فلسطين .

(٢) عكا ـ وفي نسخةٍ : عكّة ـ : مدينة في فلسطين .

(٣) العمارة : مدينة في جنوب العراق .

(٤) عُنيزة : مدينة في مقاطعة نجد في شبه الجزيرة العربية ، وفي نسخة : عنزة : اسم قبيلة عربية .

(٥) الفسطاط : مدينة في مصر .

(٦) قاشان ـ معرب كاشان ـ : مدينة في ايران ، تبعد عن طهران حوالي ٢٣٠ كيلو متراً .

(٧) القادسية : مدينة في العراق ، واسم موضع بالقرب من مدينة النجف .

عدد الأفراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
٨	قزوين	هارون وعبدالله وجعفر وصالح وعمر وليث وعلي ومحمد
١	قُم	يعقوب
٣	كازرون[١]	عمر ومعمر ويونس
١	الكبش[٢]	محمد
٣	كربلاء	حسين وحسين وحسن
١	كرخي بغداد[٣]	قاسم
١	الكُرد[٤]	عون
١	كرمان[٥]	عبدالله
١	الكورة[٦]	ابراهيم
٤	الكوفة	محمد وغياث وهود وعتاب

(١) كازرون : مدينة في ايران .
(٢) الكبش : موضع في ضواحي بغداد .
(٣) كرخ بغداد : اسم محلة في بغداد .
(٤) الكرد : مفرد الأكراد . والكرد : قرية في ايران ، تبعد عن اصفهان حوالي ٦٠ كيلو متراً .
(٥) كرمان : مدينة في ايران .
(٦) الكورة : بلدة في لبنان .

عدد الأفراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
١	لنجُوية[١]	كوثر
١٠	المدينة	علي وحمزة وجعفر وعباس وطاهر وحسن وحسين وقاسم وابراهيم ومحمد.
١	مراغة[٢]	صدقة
٢	مرقية [٣]	بشر وشعيب
١	مرو[٤]	حذيفة
١٤	المعاذة	سويد واحمد ومحمد وحسن ويعقوب وحسين وعبد الله وعبد القديم ونعيم وعلي وحيان وظاهر وتغلب وكثير.
٤	مكّة	عمرو وابراهيم ومحمد وعبد الله
٢	المنصورية	عبد الرحمن وملاعب محمد وعمر ومالك
٣	المهجم[٥]	محمد وعمر ومالك
٢	الموصل	هارون وفهد
٢	النجف	جعفر ومحمد.

(١) لنجوية : جزيرة في افريقيا الشرقية (زنجبار) .
(٢) مراغة : مدينة في شمال ايران .
(٣) مرقية : بلدة في ضواحي مدينة حمص في سوريا
(٤) مرو : مدينة في الإتحاد السوفيتي . ومدينة في مقاطعة خراسان في ايران .
(٥) المهـجم : بلدة في ضواحي مدينة زبيد في اليمن .

عدد الافراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
٢	نصيبين [١]	أحمد وعلي
٢	النوبة [٢]	واصل وفاضل
٢	نيسابور [٣]	علي ومهاجر
٢	هَجَر [٤]	موسى وعباس
١	هُجر	عبد القدوس
١	هرات [٥]	نهروش
٢	همدان [٦]	علي وصالح
٣	الهونين [٧]	عبد السلام وفارس وكليب

(١) نصيبين : مدينة في تركيا ، بالقرب من الحدود التركية ـ العراقية ، وقرية في ضواحي حلب في سوريا .
(٢) النوبة : منطقة إفريقية ممتدة على شاطيء نهر النيل ، قسم منها في مصر ، وقسم منها في السودان .
(٣) نيسابور : مدينة في ايران ، في مقاطعة خراسان .
(٤) هجر : اسم لعدة اماكن ، منها : قرية في البحرين ، وقرية في اليمن ، وقرية في المنطقة الشرقية في شبه الجزيرة العربية .
(٥) هرات : مدينة في شمال غربي أفغانستان .
(٦) همدان ـ بسكون الميم ـ : قبيلة عربية يمانية ، واسم مدينة في اليمن ، وهمدان ـ بفتح الميم ـ : مدينة في ايران ، جنوب غربي طهران .
(٧) الهونين : بلد في جبال عاملة ، مطل على نواحي مصر .

عدد الأفراد	أسماء البلاد أو القبائل	أسماء الأفراد
١	واسط[(١)]	عقيل
٢	اليمامة[(٢)]	ظافر وجميل
١٤	اليمن	جبير وحويش ومالك وكعب وأحمد وشيبان وعامر وعمار وفهد وعاصم وحجر وكلثوم وجابر ومحمد.
	٢٩٨	المجموع

وسِتة رجال من الأبدْال[(٣)] كلُّهم أسماؤهم عبد الله ، وثلاثة من موالي اهل البيت عبد الله ومخنف وبراك ، واربعة رجال مِن موالي الأنبياء : صباح وصياح وميمون وهود ، ورجلان مملوكان : عبد الله وناصح .

المجمْوع : ٣١٣ رجلاً .[(٤)]

---

(١) واسط : مدينة في العراق . وقرية في اليمن ، وضواحي حلب ، وضواحي بلخ .

(٢) اليمامة : منطقة واسعة في شبه الجزيرة العربية ، وتعرف اليوم بـ ـ (العارض) .

(٣) الأبدال : قوم من الصالحين . . لا تخلو الدنيا منهم ، اذا مات واحدٌ ابدل الله مكانة آخر . كما في (مجمع البحرين) للطريحي . وقال الفيروز آبـادي في القامـوس : الأبدال : قوم يقيم الله بهم الأرض ، وهم سبعون : اربعون بالشام (المقصود من الشام ـ هنا ـ : سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) وثلاثون بغيرها، لا يموت احدهم الا قام مقامه آخر من سائر الناس . وقال ـ أيضاً ـ : النجباء : هم الأفاضل من الناس.

(٤) المصدر : كتاب الزام الناصب للشيخ علي الحائري ج ٢ ص ٢٠١ ، وكتاب (نوائب=

أقول: لعلّ بعض من يقرأ بأنَّ عدد اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، او يقرأ قائمة الأسماء، يستولي عليه اليأس والخَيبة إذا لم يَجد إسمه أو اسم بلدته في القائمة المذكورة، ولكن .. سَرعان ما يتبدَّل هذا اليأس بالرجاء، وتنقلب هذه الخيبة الى الأمل، عندما يَعلم هؤلاء بأنَّ أصحاب الامام ليس مُنحصراً في هذا العدد، والآن إليك ما يلي:

الفَرْقُ بين الأصحاب والأنصار

هناك فرق بين اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) وبين انصاره:

فالأصحاب: هم الثلاثمائة والثلاثة عشر، وهم الذين عبَّر عنهم الإمام أمير المؤمنين والإمام الصادق (عليهما السلام) بقولهما: «هم اصحاب الأَلْويَة» إشارة الى توفُّر المؤهّلات فيهم لقيادة الجيوش والعساكر، وعبَّر عنهم الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: «وهم حُكّام الله في ارضه»

وستقرأ ـ في المستقبل ـ أنَّ لكلِّ واحدٍ من هؤلاء الأصحاب دوراً كبيراً في قيادة الجيوش وفتْح البلاد وإدارة الأُمور وغير ذلك.

أمّا الأنصار: فهم المؤمنون الصالحون الذين يلتحقون بالإمام

= الدهور) للمير جهاني ج ٢ ص ١١٦. وقد رويت خطبة البيان بصورة اخرى، وبين النسختين اختلاف في بعض الأسماء.

المهدي (عليه السلام) في مكّة وغيرها ، ويَنضوون تحت لوائه ، ويُحاربون اعداء الله ورسوله .

وستقرأ أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) لا يخرج من مكّة إلّا ومعه عشرة آلاف رجل من الانصار ، وهذا العدد هو بعض الانصار أيضاً . . لا كلهم ، ولهذا فانَّ السيّد الهاشمي يلتحق بالإمام المهدي - في العراق - ومعه إثنا عشر الف رجل .

كلُّ هذا . . عدا انصار الإمام المهدي من الملائكة ، الذين يمتثلون أوامره وتعليماته .

وقد ورَدَ في الأدعية والزيارات المرويَّة عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) أن يسأل الإنسان ربَّه أن يجعله مِن انصار الإمام المهدي وأعوانه والمجاهدين بين يديه .

وفيما يلي نَذكر بعض النماذج مِن تلك الأدعية والزيارات :

١ - « . . . وأسألُ الله البرَّ الرحيم أنْ يَرزقَني مودَّتكم ، وأنْ يوفِّقَني للطَلب بِثاركم مع الإمام المنتظَر الهادي مِن آل محمد . . . »[1]

٢ - « . . . وأنْ يَرزقَني طَلَب ثاري مع إمامِ هُدىً[2] ظاهرٍ ناطق بالحق منكم . . . »[3]

٣ - « . . . وأجعلني اللهمَّ من أنصاره وأعوانه وأتباعه

(١) مفاتيح الجنان ص ٤٦٤ ، زيارة عاشوراء غير المعروفة .

(٢) وفي نسخة : وان يرزقني طلب ثاركم مع امام مهدي .

(٣) مفاتيح الجنان للمحدث القمي ص ٤٥٧ ، والزيارة مروية عن الإمام الباقر (عليه السلام).

وشيعته . . . »[١]

٤ ـ « . . . اللهم كما جعلتَ قلبي بذكْره معموراً فاجعَلْ سِلاحي بنُصْرته مشهوراً ، وإنْ حالَ بيني وبين لقائه الموت ـ الذي جعلتَه على عبادك حتماً وأقدرتَ به على خليقتك رَغماً ـ فابعَثْني عند خروجه ظاهراً مِن حفرتي ، مؤتـزراً كفَني ، حتى أُجاهِدَ بين يديه في الصفِّ الذي أثْنيتَ على أهْله في كتابك فقلتَ : ﴿كأنَّهم بُنْيان مَرْصوص﴾ . . . »[٢]

دعاءُ العَهْد

٥ ـ ورُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّــه قال : مَن دعا الى الله تعالىٰ أربعين صباحاً بهذا العهد ، كان من انصار قائمنا ، فأنْ مات قَبْلَه ، اخرجَه الله تعالىٰ مِن قبره[٣] وأعطاه بكل كلمةٍ ألف حَسَنة ، ومحىٰ عنه ألف سيّئة .

واليك الدعاء:

«اللّهمَ رَبَّ النُورِ العظيم ، ورَبَّ الكُرسيِّ الرَفيع ، وربَّ البَحْرِ المسجُـور ، ومُنَزِّل التوراةِ والإنجيلِ والزَّبور ، وربَّ الظِلِّ والحَرُور ، ومُنَزِّل القرآنِ العظيم ، وربَّ الملائكةِ المقَرَّبين ، والأنبياء والمرسَلين .

---

(١) مفاتيح الجنان ص ٥٢٥ ، والزيارة مروية عن الإمام المهدي (عليه السلام) .

(٢) مفاتيح الجنان ص ٥٢٨ ، طبع طهران سنة ١٣٧٩ هـ.

(٣) أي : أحياه الله تعالى عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وسيأتيك التفصيل في موضوع الرجعة ، في الفصل الرابع والعشرين .

اللَّهمَّ إني أسألكَ بِوَجْهِكَ الكريم ، وبنُورِ وَجهِكَ المُنير ، ومُلْكِكَ القَديم ، يا حَيُّ يا قَيُّوم ، أسألك بإسمِكَ الذي أَشرَقتْ به السماوات والأَرَضُون،وبإسمك الذي يَصْلُحُ به الأوَّلون والآخِرُون ، يا حَيّاً قبلَ كلِّ حَي ، ويا حيّاً بعد كل حَيّ ، وَيا حياً حين لا حَيّ ، يا مُحْيِيَ الموتىٰ وَمُميت الأَحياء ، يا حَيُّ لا إلهٰ إلاَّ أنت .

اللهم بَلِّغ مولانا الإمامَ الهادي المهديَّ القائمَ بأمرك (صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين) عَن جميعِ المؤمنين والمؤمنات ، فِي مَشارِق الأرضِ ومَغاربها ، سَهْلِها وجَبَلِها ، وبَرِّها وبَحْرها ، وعَني وعن والديَّ ، مِنَ الصَلَوات زِنَةَ عَرْشِ الله ، ومدادَ كلماتِه ، وَما أَحْصَاهُ عِلْمُه واحاط به كتابُه .

اللهمَّ إنّي أجَدِّدُ له في صَبيحَةِ يَومي هذا ، وما عِشْتُ مِن أيّامي ، عَهْداً وعَقْداً وبَيعةً له في عُنُقي ، لا أَحُولُ عنها ولا ازولُ ابداً .

اللهم اْجعلني مِن انصارِه واعوانِه ، والذّابِّين عنه ، والمُسارعينَ اليه في قضاءِ حوائجه ، والمُحامينَ عنه ، والسابقين إلىٰ إرادتِهِ ، والمُستَشْهَدِينَ بين يديه .

اللهم إنْ حالَ بَيني وبينه الموتُ الذي جعلتَه على عبادك حَتْماً مَقْضِيّاً ، فأَخرِجْني مِن قبري مُؤْتَزِراً كَفَني ، شاهِراً سَيْفي ، مُجَرِّداً قناتي ، مُلَبِّياً دَعْوةَ الداعي ، في الحاضِرِ والبادي .

اللهُم أَرِني الطَلْعَةَ الرَشيدة ، والغُرَّة الحميدة ، وَاْكحِلْ ناظِري بنظْرةٍ منّي اليه ، وعَجِّلْ فَرَجَه ، وسَهِّل مَخْرَجَه ، وأَوسع مَنْهَجه ، واْسْلُكْ مَحَجَّتَه ، وأَنفِذْ أمْرَه ، وَاْشْدُدْ أَزْرَه ، وَاْعْمُر اللهمَّ به بِلادَك ، وأَحيِ به

عبادَك ، فانك قُلتَ ـ وقولُك الحق ـ : ظَهَر الفَسادُ في البرِّ والبَحْر ، بما كَسَبتْ أيدي الناس ، فأَظهِرِ اللهم لنا وَليَّك ، وأبنَ بنتِ نَبيِّك ، المُسَمَّى بإسمِ رَسُولِك ، حتى لا يَظْفَرَ بشيءٍ منَ الباطلِ إلاّ مَزَّقه ، ويُحقَّ الحقَّ ويُحَقِّقَه ، واجعله اللهم مَفْزَعاً لمظلومِ عبادك ، وناصراً لمن لا يجدُ له ناصراً غيرَك ومُجَدِّداً لما عُطِّل مِن أحكام كتابك ، ومُشَيِّداً لِما وَرَد مِن أَعْلامِ دينك ، وسُنَنِ نبيِّك (صلى الله عليه وآله) وأجعله اللهمَّ مِمّن حَصَّنْتَه مِنْ بأس المُعتدين .

اللهمَّ وسُرَّ نَبيَّك محمداً (صلى الله عليه وآله) بِرُؤْيَتِه ، ومَن تَبِعَهُ على دعوته ، وأرحمْ إسْتِكانتنا بعده .

اللهم أكشِفْ هذه الغمَّةَ عَن هذه الأُمَّةِ بحضوره ، وعَجِّلْ لنا ظُهُورَه ، إنّهم يَرونَهُ بعيداً ونراه قريباً ، برحمتِك يا ارحَم الراحمين .

ثم تضرب بيدك على فخذك الأيمن ثلاث مرّات وتقول ـ بعد كلِّ مرَّة ـ : العَجَل العَجَل يا مولاي يا صاحب الزمان[1] .

عن المفضَّل بن عمر قال : ذكرنا القائم ، ومَن مات من أصحابنا ينتظره .

فقال لنا الإمام الصادق (عليه السلام) : إذا قام .. أُتيَ المؤمن في قبره ، فيقال له : يا هذا .. إنه قد ظَهَر صاحبُك ، فإن تشأ أن تَلْحق به فالحقْ ، وإنْ تشأ أن تُقيم في كرامة ربّك فأقِم[2].

---

(١) مفاتيح الجنان ـ المعرَّب ـ للمحدِّث القمي ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، وكتاب (المصباح) للشيخ العامِلي الكفعمي ص ٥٥١ ـ ٥٥٢ .

(٢) حق اليقين للسيد عبد الله شبّر ج ٢ ص ١٤ .

احاديث حول اصحاب الإمام المهدي عليه السلام

لقد وردتْ احاديث كثيرة في مدح هؤلاء الصفوة الذين اختارَهم الله تعالىٰ لشرَف صُحبة الإمام المهدي (عليه السلام) وفي كيفيَّة إلتحاقهم بالإمام وتواجدْهم في مكَّة ، بل وفي القرآن الكريم آيات مُأوَّلة بهذه الجماعة .

وفيما يلي نذكر بعض ما رُويَ في هذا المجال ، ثم نَشرح بعض ما يتطلَّب الشرح والتوضيح :

١ ـ رُويَ عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ـ في تأويل قوله تعالى: ﴿ولئن أخَّرْنا عنهم العذاب الى أُمَّةٍ مَعدودة﴾[1] ـ إنهما قالا: «إنَّ الأُمَّة المعدودة هم اصحاب المهدي في آخر الزمان ، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، كعِدَّة اهل بَدْر ، يجتمعون في ساعةٍ واحدة ، كما يجتمع قَزَع الخريف[2]»[3] .

---

(١) سورة هود ، الآية ٨.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ، وتفسير البرهان للبحراني في تفسير الآية .

(٣) القزع ـ جَمْع قزعة ـ : وهي القطعة من السحاب ، وقزع الخريف : أي قطع السحاب المتفرقة ، فكما أن السحاب يرى ـ في فصل الخريف ـ قطعاً صغيرة متفرقة ، ثم تجتمع وتتراكم وتصير قطعة واحدة ، كذلك اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) يجتمعون ـ من بلادٍ مختلفة ـ في مكة ، ويلتقي بعضهم ببعض ، فتتكون منهم كتلة واحدة .

٢ ـ ورُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) ـ في قوله تعالىٰ : ﴿فاستَبِقوا الخيرات أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً﴾ ـ أنَّه قال : «يعني اصحاب القائم ، الثلاثمائة وبضع عشرة ، وهم ـ والله ـ الأُمَّة المعدودة ، يجتمعون في ساعة واحدة كقَزَع الخريف»[1].

٣ ـ ورُويَ عن الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال : «يجتمعون قَزَعاً كقَزع الخريف مِن القبائل ، ما بين الواحد والإثنين والثلاثة والاربعة والخمسة والسِتّة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة [2][3]

٤ ـ ورُويَ عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنَّه قال : «أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، أولاد العجم ، بعضُهم يُحمَلِ في السحاب نهاراً ، يُعرَف باسمه واسم ابيه ونَسَبه وحِلْيته ، وبعضهم نائم على فراشه ، فيوافيه في مكَّة على غير ميعاد»[4].

٥ ـ ورُوي عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال : «إنَّ أصحاب القائم شباب ، لا كهول فيهم إلا كالكُحْل في العين ، او كالملح في الزاد[5] وأقلُّ الزاد الملح»[6].

---

(١) ينابيع المودة ، ورواه النعماني في كتاب الغيبة باب ٢٠ حديث ٣.

(٢) أي : انهم من قبائل عديدة ، فبعض القبائل يكون منها رجل واحد ، وبعضها رجلان وبعضها ثلاثة وهكذا الى العشرة .

(٣) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٠ حديث ٢.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٠ حديث ٨.

(٥) إشارة الى قلة وجود الكهول فيهم .

(٦) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٣، وكتاب الغيبة للنعماني بابا ٢٠ حديث ١٠ .

٦ ـ وقال (عليه السلام) أيضاً ـ وقد سأله رجل عن الإمام المهدي ـ : « ... فيجمع الله تعالى له قوماً ، قَزَعٌ كقزَع السحاب ، يُؤلّف الله بين قلوبهم ، لا يَستوحشون من أحد ، ولا يفرحون بأحدٍ يدخل فيهم ، على عِدَّة أصحاب بَدْر ، لم يَسبِقْهم الأوَّلون ، ولا يُدركهم الآخرون .. » الى آخر الحديث[1] .

٧ ـ ورُوِيَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : « فيصير إليه أنصارُه مِن أطراف الأرض ، تُطوىٰ لهم طَيّاً ، حتى يُبايعوه »[2] .

٨ ـ وقال (عليه السلام) ايضاً : «إذا أُذِنَ الإمام[3] دعا الله باسمه العِبراني ، فأُتيحتْ له صحابتُه الثلاثمائة وثلاثة عشر[4] قَزَع كقزَع الخريف ، فهم اصحابُ الألوية ، منهم مَن يُفقَد مِن فراشه ليلاً ، فيُصبح بمكّة ، ومنهم مَن يُرىٰ يسير في السحاب نهاراً ، يُعرَف باسمه واسم أبيه وحِلْيته ونَسَبه ».

قال الراوي : قلت : جُعِلتُ فداك .. أيُّهم أعظم إيماناً ؟

قال (عليه السلام): «الذي يَسير في السحاب نهاراً ، وهم

---

(١) مُستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٤ ص ٥٥٤ ، عِقد الدرر ليوسف بن يحيىٰ الشافعي ،

(٢) الفصول المهمة لإبن الصبّاغ المالكي/ الفصل الثاني عشر .

(٣) لعلّ الصحيح هو : « إذا أُذنَ للإمام » ويكون المعنى : إذا أذِن الله تعالى للإمام بالظهور والقيام ، دعا ربَّه باسمٍ خاص له سبحانه .

(٤) يُقال : أُتيح له الشيء : أي قُدِّر ويُسِّر له .

المفقودون ، وفيهم نزلت هذه الآية : «أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً »[١] .

٩ ـ وقال الإمام الصادق (عليه السلام): « . . . ورجالٌ كأنَّ قلوبهم زُبَرُ الحديد ، لا يَشوبها شكٌ في ذات الله ، أشدُّ مِن الحجَر ، لو حَملوا على الجبال لأزالوها . . . كأنَّ على خيولهم العِقْبان[٢] يتمسَّحون بِسَرج الإمام[٣] يَطلبون بذلك البركة ، ويَحُفُّونَ به ، يَقُونَه بأنفسهم في الحروب[٤] ويكْفونه ما يُريد .

رجالٌ لا ينامون الليل ، لهم دَويٌ في صلاتهم كدَويّ النَحْل ، يَبيتون قياماً على اطرافهم ، ويُصبِحون على خيولهم ، رهبانٌ بالليل ، لُيوثٌ بالنهار .

هم أطوَع له مِن الأمَة لِسيِّدها[٥] .

كالمصابيح . . كأنَّ قلوبهم القناديل ، وهم مِن خشية الله

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٠ حديث ٣

(٢) لعلّ الصحيح : كأنهم على خيولهم العِقبان ـ جمع عُقاب ـ : وهو طائرٌ مِن الجوارح ، قويُ المخالب ، ويحتمل أن تكون العبارة هكذا : كأن خيولهم العقبان ، فهو تشبيه للخيول بالعقبان ، وعلى كلٍ حال فإنّ « العقبان » يمكن أن تكون صفة للأصحاب ، ويمكن ـ ايضاً ـ أن تكون صفة لمراكبهم التي عُبّر عنها بالخيول .

(٣) أي : يتمسحّون بسَرج فرس الإمام (عليه السلام) .

(٤) يقونه مِن الوقاية . أي : يحفظونه .

(٥) الأمة : الجارية المملوكة ، ولعل التشبيه بها لكونها تُطيع أمْر مولاها بلا تأمُّل ولا مناقشة .

مُشفقون، يَدْعون بالشهادة، ويَتمنّون أن يُقتَلوا في سبيل الله، شِعارهم: يا لِثارات الحسين.

إذا ساروا يَسير الرُعبُ أمامَهم مَسيرة شهر، يمشون الى المولى إرسالاً، بهم يَنصر الله إمامَ الحق..»[١].

١٠ ـ ورُوِيَ عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنّه قال: «...فمن كان إبتُلِيَ بالمسير، وافىٰ في تلك الساعة، ومَن لم يُبتَلَ بالمسير فُقِدَ مِن فراشه، وهو قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «المفقودون مِن فراشهم».. »[٢].

١١ ـ وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «بَينا شبابُ الشيعة على ظهور سطوحهم نيام، إذ وافَوا الى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد، فيُصبحون بمكة»[٣].

١٢ ـ ورُوِيَ عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: «... ألا: وإنّ المهدي أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، ثم إذا قام يجتمع اليه أصحابه، على عِدَّة أهل بَدْر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كأنّهم لُيوثٌ قد خرجوا مِن غاباتهم، مثْل زُبَر الحديد، لو أنهم همُّوا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها[٤] فهم الذين وَحَّدوا الله

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٨

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٠ حديث ٦

(٣) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢١ حديث ١١

(٤) الرواسي: الثوابت الرواسخ.

حق توحيده ، لهم بالليل أصواتٌ كـأصوات الثواكل ، خوفاً وخشيةً مِن الله تعالى[١] قُوّامُ الليل ، صُوّام النهار ، كأنما رَبّاهم أبٌ واحد وأمٌّ واحدة ، قلوبهم مجتمعة بالمحبَّة والنصيحة .. ألا وإني أعرفُ أسماءهم وأمصارَهم . . . »[٢] .

١٣ ـ وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : «يُبايِعُ القائم ـ بين الرُكْن والمقام ـ ثلاثمائة ونيِّف ، عِدَّة أهل بَدْر ، فيهم النُجباء مِن أهل مصر ،والأبدال مِن أهل الشام ، والأخيار مِن اهل العراق»[٣] . . »[٤]

١٤ ـ ورَوىَ حذيفة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «إذا كان عند خروج القائم ، يُنادي مُنادٍ من السماء : ايها الناس ، إنَّ الله قَطَع عنكم مُدَّة الجَبّارين ، ووَلّىٰ الأمرَ خيرَ أُمَّة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالحقوا بمكَّة ، فيخرج النجباء من

---

(١) الثواكل ـ جمع ثكلىٰ ـ: المرأة التي فَقدَت عزيزها .

(٢) إلزام الناصب للشيخ علي الحائري ج ٢ ص ٢٠٠ ، نوائب الدهور للميرجهاني ج ٢ ص ١١٤ .

(٣) الأبدال: قوم مِن الصالحين لا تَخْلو الدنيا منهم، إذا مـات واحدٌ أبـدَلَ الله مكانـه آخر. كـما في (مجمع البحـرين) للطريحي . وقال الفيـروز آبادي في القاموس: الأبـدال : قومٌ يُقيم الله بهم الأرض،وهم سبعون : أربعون بالشام (المقصود من الشام ـ هنا ـ : سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) وثـلاثون بغيـرها ، لا يمـوت أحدهم إلّا قـام مقامـه آخر من سائر الناس . وقال ـ أيضاً ـ : النُجَباء : هم الأفاضل من الناس .

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٤، نقلاً عن كتاب (الغَيبة) للشيخ الطوسي .

مصر ، والأبدال من الشام ، وعصائب العراق[١] رُهْبانٌ بالليل ، ليوثٌ بالنهار ، كأنَّ قلوبَهم زُبَر الحديد ، فيُبايعونه بين الركن والمقام»[٢] .

(١) عصائب ـ جَمْع عُصْبَـة ـ : وهم الجماعـة من الناس، مِـن العشـرة الى الأربعين. كـما في كتاب(القاموس) .

(٢) بحار الأنوارج ٥٢ ص ٣٠٤، نقلاً عن كتاب الإختصاص.

تعليق على الأحاديث

يُستفاد من الأحاديث ـ التي مرَّت عليك ـ أشياء عديدة وأُمور شتىّٰ، لا بأس بالإشارة الى بعضها، مع رعاية الإختصار :

لقد قرأتَ أن كُلًّا مِن هؤلاء الأصحاب : «يُعرَف باسمه واسم ابيه ونَسَبه وحِلْيته» ويقول البعض : إنَّ هذا اشارة الى جواز السَفر، ولكنَّنا غير متأكّدين مِن صحّة هذا التأويل، إذ لو كانت العبارة هكذا : «معه كتاب فيه اسمه واسم ابيه» لأمكن هذا التأويل ولكن المستفاد مِن هذه العبارة هو أنَّ كلَّ فردٍ مِن هؤلاء الأصحاب معروف باسمه واسم ابيه ونَسبه وأوصافه، يعني أنَّهم ليسوا لُقَطاء ولا مجهولي الإسم والنسَب.

يقول الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ مشيراً الى هؤلاء ـ : «... أسماؤهم في السماء معروفة، وفي الأرض مجهولة..»[1].

ومن الواضح أنَّ الله تعالىٰ إنتخب هذا العدد مِن الأفراد ـ ليكونوا من أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) ـ لمزايا توفَّرت فيهم وأهلتهم لهذا الشرف الخالد.

فهؤلاء ـ مِن حيث المزايا والمؤهِّلات ـ ليس لهم نظير في الماضي، ولا يكون لهم مثيل في المستقبل، وقد قرأتَ قول الإمام أمير

---

(١) ينابيع المودّة ص ٤٣٧

المؤمنين (عليه السلام): «لم يَسبقْهم الأوَّلون، ولا يُدركهم الآخرون» فبعضهم يَمتاز بفضيلة طيِّ الأرض، كما قرأتَ ذلك في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): «فيَصير اليه أنصاره مِن أطراف الأرض، تُطوى لهم الأرض طيّاً». وطيُّ الأرض: هو عبارة عن قَطْع مسافات طويلة في مدَّة قصيرة جداً، بشكل إعجازي.

نحن وإن كنّا لا نعرف ـ بالضبط ـ كيفيَّة طيِّ الأرض، ولكننا نعلم إمكانية ذلك لبعض عباد الله، كما صرَّح بذلك القرآن الكريم.

ففي سورة النمل.. في قصَّة سليمان بن داود (عليهما السلام) وعرش بلقيس.. يقول الله عزَّ وجل:

﴿قال: يا ايها الملأُ أيُّكم يأتيني بِعَرْشِها قبل أنْ يأتوني مُسلمين﴾

قال عِفْريتٌ مِن الجِنّ: أنا آتيك به قبل أن تَقومَ مِن مَقامِك، وإنّي عليه لَقَويٌ أمين.

قال الذي عنده عِلْمٌ مِن الكتاب: أنا آتيك به قبل ان يَرتَدَّ اليك طَرْفُك. فلما رآه مُستقرّاً عنده قال: هذا مِن فَضْل رَبيّ...»[١]

فهذه الآية الكريمة صريحة في إمكانية طيّ الأرض وتَحقّقه، فقد أُحضِر عرشُ الملكة بلقيس، في أقل مِن لحظة، مع العلم أنَّ عرشها كان في سَبأ باليمن، وكان سليمان (عليه السلام) في الأُردن، وتَفصِل بينهما الجزيرة العربية.

---

(١) سورة النمل آيـة ٣٨ ـ ٤٠

فكيف يمكن جـذْب عـرش بلقـيس ونَقْـلُه مِن اليمـن الى الأُردن بأسرع مِن الصوت ؟!

مِن الواضح أنَّ المقاييس الطبيعيَّة عاجزة وقاصرة أمام هذه القضايا التي تُعتبر مِن الماورائيات .

ويمتاز اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) بقـوَّة الإيمان المتكامل ، ولا طريق للشك الى قلوبهم ، فهم ـ بسبب الإيمان بالله سبحانه ـ لا يفهمون معنى الخوف ، لأنَّ الإنسان كلّما ازداد إيماناً بالله تعالىٰ إزداد قوَّة ونشاطاً وشجاعة ، ولهذا تراهم ـ عندما يدخلون ساحة الجهاد ـ لا يقف في طريقهم احد ، ولا يمنعهم مانع عن تنفيذ الأوامر الموجَّهة اليهم ، ويقضون على كلِّ قوّة تحُول بينهم وبين أهدافهم المقدَّسة .

وفي نفس الوقت . . يتمتَّع هؤلاء بفضيلة التواضع ، فهم يَعتقدون بالإمام المهدي (عليه السلام) إعتقاداً لائقاً به ،فتراهم يَتمسَّحون بالسرج الموضوع على فرس الإمام المهدي ويتبرّكون به ـ لأنَّ الامام المهدي مَنبع كلِّ خير ، وتتفجّر الخيرات مِن جوانبه ونواحيه ـ ويلتفّون حوله كالحَرس ، ويجعلون انفسهم وقايةً دونه في الحروب ، ويُلبّون طلباته بسرعة .

وأمّا مِن ناحيةالعبادة . . فهم عُبّاد خاشعون ، يقضون الليل بالصلاة والتضرّع الى الله سبحانه ، ولهم في الصلاة دَويٌّ كدويٍّ النحل ، بين ركوعٍ وسجود ، وقيام وقعود .

وفي النهار . . تجدهم فرساناً على خيولهم على أُهبَّة الإستعداد كأنَّهم

في حالـةِ الطوارىء . يُطيعون اوامر الإمام المهدي (عليه السلام) بلا توقّف او تأمّل او تثاقل ، بل بأقصى سرعةٍ ممكنة .

قلوبُهم مُضيئة بنور المعرفة ، وهم بعيدون عن الجهل ، لأنّهم يفهمون الواقع، وعندهم الوعي الكامل .

وقد عرفتَ أنَّ أكثرهم في سِنّ الشباب ، وأنَّ الكهول فيهم قليلون جداً ، وهؤلاء أفكارهم مُتَّحدة ، وآراؤهم موحَّدة ، وقلوبُهم متآلفة .. لا تجد فيهم اختلافاً في التفكير او في الرأي او في القول ، فهم كالقلب الواحد والفكر الواحد واللسان الواحد .

لا يستوحشون مِن الوحدة ، لأنَّ الإنسان الذي له خطٌّ مرتبط بالله عزَّ وجل ، لا يشعر بالوحشة او الغُربة ، وعلى هذا الأساس .. لا يفرحون إذا انضمّ اليهم غيرهم .

أُمنيَّتُهم ان يُقتَلوا في سبيل الله ، لأنَّهم عرفوا معنى الشهادة وقيمتها عند الله تعالىٰ .

وشعارُهم وهتافهم هو : « يا لثارات الحسين »!! .

نعم .. إنَّ فاجعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين (عليه السلام) لا تُنسىٰ بمرور القرون والأجيال ، بل تبقىٰ وكأنَّها حدثتْ بالأمس القريب ، تحتفظ بحرارتها وفظاعتها وإنْ طال الزمن .

والذين ارتكبوا الجرائم يوم عاشوراء ، إستحقُّوا أشد انواع العذاب وأقساها ، وكلُّ مَن رضي بتلك الجرائم ـ من الأجيال والطوائف ـ فهو

شريك في الجريمة ويستحقّ القتل والإبادة .

إن الإنسان الذي يرضىٰ ضميره أن تُهتَك حُرمات الله تعالىٰ ، وتُراق دماء سادات أولياء الله على ايدي شرّ خَلْق الله .. إنَّ هذا الإنسان لا يستحق الحياة .. إنّه موجودٌ قَذِر عَفِن ، يَتلوَّث منه المجتمع البشري ، وإبقاؤه حيّاً يُعتبَر جريمة لا تُغتفَر ، فلا بدّ مِن القضاء على تلك الجرائيم التي توالدتْ وتكاثرتْ من يوم استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) الى هذا اليوم ، والى يوم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) .

وفي هذه السنوات صَدر أكثر مِن كتاب في تقديس يزيد بن معاوية النذل السافل الحقير القذِر ، الذي قتَل سيد شباب اهل الجنّة ، وارتكب أفجع الجرائم في حقّ عِترة رسول الله الطاهرين .

وسمّىٰ أحدُهم كتابه : حقائق عن امير المؤمنين يزيد بن معاوية !!

بالله عليك .. ما تقول في هذا المؤلِّف الذي يَسحق جميع المفاهيم ، ويَنسلخ عن كلّ شرفٍ ودين ، وينزل الى أسفل سافلين مِن سَحْق الوجدان والضمير ؟!!

ما كرامة هذا الانسان ؟!

أَلا يستحق القتل والإبادة ؟!

ومِن المناسِب في هذا المجال أن نذكر هذا الحديث :

سُئل الإمام الرضا (عليه السلام): يا بن رسول الله .. ما تقول

في حديثٍ رُوي عن الصادق (عليه السلام) أنَّه قال : إذا قام القائم قَتل ذَراري قَتلة الحسين بِفعال آبائها ؟

فقال (عليه السلام): هو كذلك .

فقال السائل : قول الله عز وجل : ﴿وَلا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخرىٰ﴾ ما معناه ؟

قال (عليه السلام): صَدَق الله في جميع اقواله ، لكنَّ ذَراري قتَلَة الحسين يرضون أفعالَ آبائهم ويفتخرون بها ، ومَن رَضيَ شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أن رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجلٌ في المغرب ، لكان الراضي عند الله شريك القاتل ، وإنما يقتلهم القائم ـ إذا خرج ـ لرضاهم بفعال آبائهم . . . »[1].

إنَّ اصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) يهتفون : يا لثارات الحسين، إعلاماً بعظمة الفاجعة التي تتجدّد بمرور الأعوام ، وتَظهر معالمها وأبعادها كلّما ازداد البشر فهماً للحوادث .

إنَّ هذا الهتاف إنذارٌ بالإنتقام مِن كلِّ مَن يشمت بهذه المصيبة التي حلّتْ بآل رسول الله الطاهرين .

أيها القارىء : ومّما مرَّ عليك ـ في الأحاديث ـ هو أن بعض أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) «يُحَمل في السحاب نهاراً » ويأتي

---

(١) تفسير البرهان ، في تفسير قوله تعالىٰ : « وَمن قُتِل مظلوماً فقد جعلْنا لوليّه سلطاناً » سورة الإسراء آية ٣٣ .

بعض المعاصرين فيقول : المقصود من السحاب هنا هي الطائرة !

ولكنّنا لا نستطيع التأكُّد مِن هذا التأويل، بل يمكن أن يُحمل في السحاب حقيقةً ، فالسحاب الذي يحمل ملايين الأطنان مِن الماء لا يصعب عليه حمْل البَشر ، وخاصّة إذا كان مُتكاثفاً تحمله الريح الى الجو ، فتَضعْف الجاذبية .

وينبغي ان لا نَغفل عن كلمة «يُحَمل» في الحديث ، ممّا يدل على أنَّ هناك مَن يحملهم في السحاب .

ويُستفاد ايضاً من مجموع الأحاديث ، أنَّ بعض هؤلاء الأصحاب موجودون في مكّة حين ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) والبعض الآخر متفرِّقون في بلادهم ، وعند ظهور الإمام وعزمه على القيام ، يتّجهون نحو مكّة مِن شرق الأرض وغربها ، فمنهم مَن يُحمَل في السحاب ، ومنهم مَن يقطع المسافة ـ بين بلاده ومكّة ـ بطيّ الأرض ، وقد مرّت عليك كلمة موجزة عن طيّ الأرض .

كيفيَّة ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)

بعد إستعراض بعض ما يتعلّق بأصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) وذِكْر صِفاتهم ومزاياهم ، نعود لِنواصل الحديث عن كيفيَّة ظهور الإمام المهدي . . فنقول :

إنَّ عدداً مِن الأصحاب يَتواجدون في مكة ويَبحَثون عن الإمام المهدي (عليه السلام) :

«فيأتيهم رجل مِن عند الإمام ويَسألهم : كم انتم ها هنا ؟

فيقولون : نحو مِن اربعين رجلاً .

فيقول : كيف انتم لو رأيتم صاحبكم - اي الإمام المهدي - ؟ .

فيقولون : والله لو ناوىٰ بنا الجبال لناويناهـا معه . (أي : لـو نَهَض بنا لُمقاتلة الجبال لَنهضْنا نقاتل معه الجبال ، وبهذا الكلام يُعبِّرون عن عُمْق اعتقادهم بالإمام المهدي ، وكامل استعدادهم للفداء والتضحية وامتثال أوامره) .

ثم يأتيهم الرجل في الليلة القابلة ويقول : أشيروا[1] الى رؤ ساكم أو خياركم عشرة . فيشيرون له اليهم ، فينطلق بهم حتى يلتقوا بالإمام المهدي (عليه السلام)»[2] .

وفي الليلة الأُخرىٰ يُفسَح المجال للآخرين حتى يَلتقوا بالإمام المهدي (عليه السلام) بصورة مكشوفة .

وأخيراً : يجتمع العدد المذكور (ثلاثمائة وثلاثة عشر) عند الإمام ، ويكون إجتماعهم معه في مكّة او في ضاحية مِن ضواحيها . فاذا صار

---

(١) وفي نسخة عِقد الدُرَر : « إستبرؤا إليَّ مِن رؤ سائكم أو خياركم عشرة » أي : إنتخبوا واختاروا « فيستبرؤ ن له » أي : ينتخبون .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ٣٠ ص ١٨٢ مروياً عن الامام البـاقر (عليه السلام) وقد ضممنا الى الحديث بعض التوضيحات . ورواه يوسف بن يحيىٰ الشافعي في (عِقْد الدُرَر) باب ٥ ص ١٣٤

اليوم الخامس والعشرون مِن شهر ذي الحجَّة أرسل الإمام المهدي (عليه السلام) الرجل الملقَّب بـ «النفْس الزكية » ـ والذي تقدَّم عنه في العلائم المحتومة ـ الى أهل مكة فينقضُّون عليه ويذبحونه بين الركن والمقام ، ويُرسلون برأسه الى السفياني بالشام .

بعد هذا . . يحضر الإمام المهدي (عليه السلام) في المسجد الحرام في يوم عاشوراء ، ويُصلِّي ركعات عند مقام إبراهيم (عليه السلام) ويخطب في الناس الخطبة الآتية ، وحوله أصحابه المذكورون .

و اليك نَصّ الخطبة.

خطبة الإمام المهدي عليه السلام حين القيام

رُوِيَ أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُسند ظهره الى البيت الحرام مُستجيراً به ، ثم يَبتدأ خطبته التاريخيَّة .

تُرى .. ماذا يقول الإمام في خطبته ؟!

إنَّه يفتتحها بحمد الله تعالىٰ والثناء عليه ، والصلاة على محمد وآله الطاهرين .

ثم ماذا يقول ؟

هنا نستمع الى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ليخبرنا عمّا ما سيقوله الإمام المهدي في اول خطبةٍ له عند القيام :

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « ... والقائمُ يومئذٍ بمكّة ، قد أسنَدَ ظَهره الى البيت الحرام مستجيراً به ، فينادي :

«ايها الناس! إنَّا نَسْتَنصِر الله ومَن أجابنا مِن الناس[1] فانّا أهلُ بيتِ نبيّكم محمد ، ونحن أولىٰ الناس بالله وبمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) فمن حاجَّني في آدم فأنا أولىٰ الناس بآدم ، ومَن حاجَّني في نوح

---

(١) وفي نُسخةٍ : فمَن أجابَنا مِن الناس .

فأنا أولىٰ بنوح ، ومَن حاجَّني في إبراهيم فأنا أولىٰ الناس بابراهيم ومَن حاجَّني في محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)فأنا أولىٰ الناس بمحمد، ومَن حاجَّني في النبيينَ فأنا أولىٰ الناس بالنبيين، أليسَ الله يَقول في مُحْكَم كتابه : ﴿ **إنَّ الله أصطَفى آدمَ ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالَمين ذُريَّة بعضها مِن بعض والله سميع عليم** ﴾[1].

فأنا بقيَّة مِن آدم ، وذَخيرةٌ مِن نوح ، ومصطفىً مِن ابراهيم ، وصفوة من محمد (صلى الله عليهم أجمعين) .

ألا : فَمن حاجَّني في كتاب الله فأَنا اولىٰ الناس بكتاب الله .

ألاَ : ومَن حاجَّني في سُنَّة رسول الله الا فأنا أولى بسُنَّة رسول الله .

فأُنشِد الله مَن سمع كلامي اليوم ، لما بلَّغ الشاهدُ منكم الغائبَ .

وأسألكم بحقِّ الله وحقِّ رسوله وبحَقّي ـ فانَّ لي عليكم حقَّ القربىٰ مِن رسول الله ـ إلّا أعنتمونا ، ومنعتمونا ممّن يظلمنا ، فقد أُخِفْنا وظُلمنا ، وطُردْنا مِن ديارنا وأبنائنا ، وبُغيَ علينا ، ودُفِعْنا عن حَقّنا ، وافترىٰ أهلُ الباطل علينا .

فالله الله فينا ، لا تخذُلونا ، وانصرونا يَنصركم الله تعالىٰ »[2].

ورُويتْ للامام (عليه السلام) خطبة أُخرىٰ تختلف عن هذه بعض

---

(١) سورة آل عمران ـ آية ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٤ حديث ٦٧

الإختلاف ، كقوله (عليه السلام): أيها الناس.. مَن يُحاجّني في موسىٰ فأنا اولىٰ الناس بموسىٰ .

أيها الناس . . مَن يُحاجّني في عيسىٰ فأنا اولىٰ الناس بعيسىٰ . »

شرح بعض كلمات الخُطبة

قبل أنْ أتحدَّث عن كلمات هذه الخطبة ، أجلب إنتباه القارىء الى أنَّ هذه الخطبة ـ التي سيَخطب بها الإمام المهدي (عليه السلام) عند قيامه ـ قد ذكرها وأخبر بها جدُّه السادس الإمام محمد الباقر (عليه السلام) قبل ان يولَد الامام المهدي بأكثر مِن مائة واربعين سنة .

وهذا إنْ دلَّ على شيء فانّما يدلُّ على أنَّ جميع حركات الإمام المهدي (عليه السلام) وسَكَناته ، وجميع أقواله وأفعاله وسَيره وسلوكه ، مخطَّطةٌ معلومة مُسبقاً ، وليست حركات ارتجالية تَفرضها الظروف .

وقد رُوعيت ـ في هذه الخطبة ـ جوانب البلاغة ، واشتملت على نقاط حسّاسة ومواضيع فريدة لا يستطيع أحدٌ أنْ يدَّعيها إلاّ الإمام الحق .

قبل كلِّ شيء . . يأتي الإمام المهدي (عليه السلام) الى المسجد الحرام ، الذي «مَن دَخَله كان آمِناً » وليكون بيتُ الله مركز إنطلاقه المبارَك الميمون .

ويُسنِد ظَهره الى الكعبة ، عائذاً بالبيت الحرام ، ليأمَن شرَّ

الأعداء . ويستقبلُ الجماهير المجتمعة حوله ، بما فيها أصحابه الخواص الثلاثمائة والثلاثة عشر .

في البِداية . . يفتتح خطبته بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على محمد وآله الطاهرين .

ثم يُعرِّف نفسه بكلِّ صراحة ، ويكشف الغطاء عن شخصيته ، وقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ أولَ ما ينطق به (عليه السلام) هو قوله تعالىٰ : ﴿بقيَّةُ الله خيرٌ لكم إنْ كنتم مؤمنين﴾[1] .

ثم يقول : «أنا بقيَّة الله وخليفتُه وحجّتُه عليكم »[2] .

إنَّه (عليه السلام) يذكر تأويل هذه الآية وانطباقها على نفسه ، فالبقيَّة : معناها ما يَبقىٰ مِن الشيء ويفضُل ، والإمام المهدي (عليه السلام) هو البقيَّة الباقية من فصيلة أولياء الله الذين هم افضل طبَقات البشر ، فالنبوَّة خُتمتْ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا نبيَّ بعده، والإمامة خُتمتْ بالإمام المهدي (عليه السلام) فلا إمام جديد بعده ، فهو بقيَّة الصفوة التي اختارها الله تعالىٰ لإصلاح البشر ، وهو الوحيد الباقي على خطِّ الانبياء والأوصياء ، بجميع معنى الكلمة .

ووِرَد في بعض الأحاديث أنَّ التسليم على الإمام المهدي يكون بهذه

---

(١) سورة هود ـ آية ٨٦ . ومصدر الحديث : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٩٢ نقلاً عن إكمال الدين للشيخ الصدوق .

(٢) الفصول المهمَّة لابن الصبّاغ المالكي/ الفصل الثاني عشر .

الجملة : «السلام عليك يا بقيَّة الله في ارضه»[(١)].

والإمام المهدي هو الخليفة الباقي المقصود مِن قوله تعالىٰ : ﴿**إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة**﴾[(١)]. فالخليفة ـ في اللغة ـ تُطلَق على معانٍ متعدّدة، منها ما يَلي :

١ ـ مَن استُخلف في الأمر مكان مَن كان قبله ، فهو مأخوذ مِن أنّه خَلف غيـره وقام مقامه .

٢ ـ الإمام الذي ليس فوقه إمام .

٣ ـ السلطان الأعظم .[(٣)]

وبناءاً على هذا ، يكون المعنى: أنا صاحب السلطة العليا التي ليست فوقها سلطة إلاّ الله تعالىٰ.

وقد ورَدَ ذِكْر «الخليفة» في القرآن الكريم : فقد قال تعالىٰ : «يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض»[(٤)] أي : صَيَّرناك خليفةً تُدير أُمور العِباد مِن قِبلنا بأمْرنا .

وقيل : إن معناه : جعلْناك خَلف مَن مضىٰ مِن الأنبياء ، في الدعوة الى توحيد الله تعالىٰ وبيان أحكامه .

---

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ١ باب ٥٧ ص ٦٥٣ .

(٢) سورة البقرة ـ آية ٣٠

(٣) مجمع البحرين

(٤) سورة ص ـ آية ٢٦

والإمام المهدي (عليه السلام) خليفة الله بجميع هذه المعاني ، فالله تعالىٰ جَعله خليفة لرسول الله ، لا الناس ، أي : لم تأته الخلافة بانتخاب الناس إيّاه ، بل اختاره الله تعالىٰ وانتخبه للخلافة في الأرض ، للقيام بما يلزم مِن هداية البشر الى الدين الصحيح ، والتصرُّف في أُمور العباد والبلاد وإصلاح شؤونهم وتوفير وسائل الخير لهم .

وأما قوله (عليه السلام): «وحُجّتهُ عليكم ».

فالحُجَّة : ما يُحتجُّ به ، ومَن يحتجّ به ، فالإمام حجَّة الله ، لأنَّ الله تعالىٰ يَحتجُّ به على عباده ، وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ((اللهم بلى ! لا تخلو الأرض مِن قائم لله بحُجَّة ، إمّا ظاهِراً مشهوراً ، او خائفاً مغموراً ، لئلّا تَبطل حجج الله وبيّناته . . .))[1].

والآن . . نبدأ بشرح بعض كلمات الخطبة :

يقول (عليه السلام): «إنّا نَستنصر الله ومَن اجابَنا من الناس» إنّه (عليه السلام) يَطلب النُصْرة - اولاً - من الله تعالىٰ الذي بيده كلّ شيءوهوعلى كلّ شيء قدير ، ثم يَطلب النُصرة من الناس المستمعين الى كلامه وخطابه .

ثم يذكر (عليه السلام) الأُمور التي تَفرض طاعتَه على الناس فيقول : «إنّا أهلُ بيت نبيّكم محمد ، ونحن أولىٰ الناس بالله وبمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» يَذكر شدَّة إتّصاله برسول الله (صلى

---

(١) نهج البلاغة الجزء الثالث .

الله عليه وآله وسلم).

وأنَّه مِن اهل بيت رسول الله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرا .

اهل البيت الذين جعلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عِدْل القرآن يوم قال : إني تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنكم لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما ، وإنَّها لَنْ يَفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض .

والإمام المهدي (عليه السلام) هو اقرب اهل العالَم الى الله تعالىٰ ، لأنَّ جميع وسائل القُرب والتقرُّب متوفِّرة فيه ، مِن حيث أنه حجَّة الله في أرضه ، وأكثر هذه الأمة عبادةً وتقوىٰ من الله تعالىٰ ، وأنَّه أعزّ اهل زمانه وأشرفهم وأكرمهم عند الله تعالىٰ .

وهو اقرب الناس الى الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنَّه خليفته ووصيّه ووارثه ، وأنَّه أكثر الخلائق إتباعاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالىٰ : **﴿إنَّ أولىٰ الناس بابراهيم لَلَّذين اتَّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليُّ المؤمنين ﴾**[1] أي : هم الذين يَحِقُّ لهم أن يقولوا : إنّا على دين ابراهيم .

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): إنَّ أولىٰ الناس بالأنبياء أعلمُهم بما جاؤا به .[2]

---

(١) سورة آل عمران / آيـة ٦٨ .

(٢) تفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٤٥٨ في تفسير الآية .

وبهذه الآية التي مرَّت عليك ، والحديث المرويّ عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يَتَّضح لك معنى كلام الإمام المهدي (عليه السلام) في اولويَّته بأنبياء الله ، من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وجميع الانبياء (صلوات الله عليهم اجمعين) ثم يستدل الإمام المهدي (عليه السلام) بهذه الآية : ﴿ **إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذُرية بعضها مِن بعض والله سميع عليم** ﴾ .

والمقصود من الاستدلال بهذه الآية الكريمة : هو الإستشهاد بكلمة : «وآل ابراهيم» فالمقصود من آل ابراهيم ـ الذين اصطفاهم الله واختارهم ـ هم الأنبياء الذين مِن نَسله، وآل مُحمد الطاهرون (عليه السلام) الذين هم مِن نَسْل ابراهيم ايضاً .

والإصطفاء مُشتقٌ من الصفوة ، وهذا مِن أحسن البيان ، وذلك لأنَّ الصافي هو النقيُ من شائب الكَدر فيما يُشاهَد ، فمثَّل الله تعالىٰ خلوصَ هؤلاء الطاهرين من الفساد ، بخلوص الصافي مِن شائب الأدناس .

ومن الواضح أنَّ الأنبياء ـ مِن آدم الى نبيِّنا محمد (صلوات الله عليهم) ـ هم على خَطٍ واحد ، وهو خطّ الإسلام والايمان والتوحيد والطاعة .

وفي القرآن الكريم تجد تصريحات الأنبياء بأنهم علىٰ خط الاسلام . . واليك بعض تلك الآيات :

قال تعالىٰ :

١ ـ ﴿ومَن يَرغبُ عن مِلَّة ابراهيم إلاّ مَن سَفِه نفسَه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لَمن الصالحين . إذ قال له رَبّه أَسْلمْ ، قال : أسلمتُ لِرَبّ العالَمين . ووَصىً بها ابراهيمُ بَنِيه ويعقوبُ : يا بَنِيَّ إنَّ الله اصطفى لكم الدينَ فلا تَموتُن إلاّ وأنتم مُسْلمون . أمْ كنتُم شُهداءَ إذْ حَضرَ يعقوبَ الموتُ ، إذ قال لِبَنيه : ما تَعبدون مِن بعدي قالوا : نَعبدُ إلٰهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحاق، إلٰهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[١].

٢ ـ ﴿ قُل آمَنا بالله وما أُنزِلَ علينا وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أُوتي موسىٰ وعيسىٰ والنَبيُّون مِن رَبِّهم ، لا نُفرِّق بين أحدٍ منهم ونحن له مُسْلمون﴾[٢] .

٣ ـ ويقول سبحانه عن لسان النبي نوح (عليه السلام): ﴿فان تَولَّيتم فما سألتُكم مِن أجْرٍ ، إنْ أجري إلاّ على الله وأُمرتُ أن أكون مِن المسلمين﴾[٣].

٤ ـ ويقول عزَّ وجل عن لسان النبي يوسف (عليه السلام): ﴿توفَّني مُسْلماً﴾[٤].

٥ ـ ويقول سبحانه عن لسان ابراهيم واسماعيل(عليهما السلام):

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٠ ـ ١٣٣ .
(٢) سورة آل عمران آية ٨٤
(٣) سورة يونس آية ٧٢
(٤) سورة يوسف آية ١٠١

﴿ربّنا واجعلْنا مسلمَين لك ، ومِن ذريتنا أُمةً مُسْلمةً لك﴾[1] .

ومِن البديهي أن الإسلام المذكور في هذه الآيات هو الإيمان بالله وتوحيده واتّباع أحكامه سبحانه ، وهو خط الأنبياء وأتباعهم ، ولا شك أن الامام المهدي (عليه السلام) هو اقرب الناس الىٰ هذا الخط .

وأمّا قوله ـ (عليه السلام) ـ : ((فأنا بقيّةٌ مِن آدم)) فقد مَرَّ عليك شرحُه في توضيح كلمة «أنا بقيةُ الله » في بِداية شرح الخطبة .

وأما قوله (سلام الله عليه) ـ : «وذَخيرةٌ مِن نوح » فلعلَّ المقصود مِن الذخيرة ـ هنا ـ : هو أن نوحاً (عليه السلام) هو الذي طهَّر الكُرة الأرضيَّة كلَّها من الكُفّار ، حين دعىٰ ربَّه قائلاً : ((رَبِّ لا تذر على الأرض مِن الكافرين دياراً))[2] ، فاستجابَ الله دعاءه وأغرَق الناس كلَّهم .. إلاّ مَن كان مع النبي نوح فى السفينة ، ولم يتهيّأ لبقيَّة الأنبياء والأوصياء أن يُطهّروا الأرض كلَّها من الكُفار ، وأمّا الإمام المهدي (عليه السلام) فإنّه يقوم بعمليَّة التطهير العام، حينما ينشر الإسلام في جميع بقاع العالَم ، ولا يعيش على وجه الأرض إلا المسلمون فقط ، لأن بقية المِلَل والشعوب يُخَيَّرون بين إعتناق الدين الإسلامي وبين القتل والإبادة ، وبالنتيجة لا يبقىٰ أحد على وجه الأرض على غير دين الإسلام .

.. ويستمّر الإمام المهدي (عليه السلام) في خطابه ، ويزيد

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٨

(٢) سورة نوح ـ الآية ٢٦

الناسَ معرفةً بشخصيته فيقول : «ألا : فمَن حاجَّني في كتاب الله فأنا أولىٰ الناس بكتاب الله » أي : فمن جادَلَني وخاصَمني في القرآن فأنا اولىٰ الناس واقربهم الى القرآن ، لأنّي أعلم الناس وأعرفهم بالقرآن ، مِن حيث المعاني والمفاهيم والتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والمُحكَم والمتشابَه ، والخاص والعام ، والحلال والحرام ، والفرائض والسُنَن والغَوامض والأسرار ، والعجائب والنُكات ، والعِبَر والأمثال وغير ذلك .

وخلاصة القول : إنَّه عالم بالقرآن كما نَزل من عند الله ، مِن دون زيادة أو نقصان ، ولا حاجة له الى اقوال المفسرين او القراءات المختلفة او ماشابه ذلك ، لأنه (عليه السلام) يعلم ما أراده الله وَقَصده بكلامه .

أليست التفاسير مُتضاربة ، والقراءات مُتغايرة ، والمقصود الالٰهي غير معلوم في كثير من الآيات ؟

ومَن الذي يستطيع أن يَعلم عِلْم اليقين ، التفسير الصحيح المطابق للواقع ، او القراءة الصحيحة التي نزلت من عند الله ؟!

إنَّه الإمام المعصوم ..

هكذا يجب أنْ يكون .. وإلّا لَما كان إماماً .

ولهذا قال الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : «سَلوني قبل أن تَفقَدوني ، فوالذي فلَق الحبَّة وبَرأ النَسمة لو سألتموني عن آية آية ، لأخبرتُكم بوقت نزولها ، وفيم نزلتْ ، وأنبأتُكم بناسخها مِن منسوخها ، وخاصّها من عامّها ، ومُحكمها مِن مُتشابهها ، ومَكيّها من

مَدنيِّها . . . »[١].

وعن الأصبغ بن نباته قال : لمّا قَدِم علي (عليه السلام) الى الكوفة ، صلَّى بهم اربعين صباحاً ، فقرأ بهم : «سَبّح اسم ربك الأعلىٰ ».

فقال المنافقون : والله ما يُحسِن أن يَقرأ إبن ابي طالب القرآن !! ولو أحسنَ أن يقرأ، لَقرأ بنا غير هذه السورة .

قال : فبَلغه ذلك . . فقال (عليه السلام): وَيلهم !! إني لأَعرف ناسخه ومنسوخه ، ومُحكمه ومتشابهه ، وفَصْله من وصْله ، وحروفه مِن معانيه . والله ما حرفٌ نَزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ وأنا اعرِف فيمن أُنزل ، وفي أيّ يوم نَزل ، وفي أي موضع . . . ». الى آخر الحديث[٢].

ويُواصل الإمام المهدي (عليه السلام) خطابه فيقول :

أَلا : ومَن حاجَّني في سُنّة رسول الله ، فأنا أولىٰ الناس بسُنَّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)». أي : مَن جادلني وخاصمني في سُنَّة رسول الله فأنا اولىٰ وأعلم بالسُنّة النبويَّة الصحيحة مِن غيري .

قسماً بالله العظيم : إنَّ السُنّة النبويَّة قد تغيَّر أكثرها عند بعض المسلمين ، وتبدَّل مُعظمها وطرأتْ عليها الزيادة والنقصان . إبدأ من

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٣ ـ باب ٩٣

(٢) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ٤٠ باب ٩٣ ـ ص ١٣٨ ـ .

الوضوء الى الأذان .. الى الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات .

وهكذا قوانين الأحوال الشخصية من النكاح الى الطلاق .. الى بقيَّة المعاملات والعقود والحدود والديات .

وهذا التلاعب بالسُنَّة النبويَّة .. وهذه التغييرات والتبديلات إنما جاءت مِن حُكّام الجور ، او علماء السوء ، او مِن الأفراد الذين وضعوا القوانين الوضعيَّة المضادَّة للسُنَّة النبوية .

ولو أردنا الشرح والتفصيل لهذه المأساة، لَتبدَّل أُسلوب الكتاب وازداد حجمه الى مجلّدات عديدة .

إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) هو أولىٰ الناس وأعلمهم بالسُنَّة النبويَّة الصحيحة، المطابقة للواقع، السليمة مِن التَلاعُب والتزوير .

إنَّه لا يعتمد في عِلمه - بالسُنَّة النبويَّة - على المؤلَّفات المشحونة بأحاديث الوضّاعين والكذّابين الذين كانوا يختلقون الأحاديث كذباً وزوراً ، وينسبونها الى الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا خوفٍ من الله ولا حياء من رسول الله . وكأنَّهم مَعامل ومصَانع لإنتاج الأحاديث ، حسب الطلب والظروف ! .

ثم يُقسِم الإمام المهدي (عليه السلام) على الجماهير المتجمهرة حوله فيقول : «فأنشد الله » أي : أُقسم عليكم وأسألكم بحقّ الله «من سمع كلامي - اليوم - لمّا بلَّغ الشاهدُ منكم الغائب » إنّها أفضل وسيلةٍ إعلاميّة ، حيث آنّه (عليه السلام) يُقسِم على الحاضرين الذين يسمعون

كلامه أن يُبلّغوه الى مَن لم يسمع ذلك .

ثم يؤكّد عليهم القَسَم فيقول : ((وأسألكم بحق الله وحقّ رسوله » يُقسِم عليهم بحقّ الله العظيم ، ذلك الحق الذي ليس شيء أعظم منه ، وبحق رسوله على الأمة الإسلامية ، ذلك الحق الذي لا يَعدِله شيء «وبحقي عليكم ، فإن لي عليكم حقَّ القربىٰ مِن رسول الله » . إشارة الى قوله تعالىٰ : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودَّة في القربىٰ﴾** حيث أنَّ الله تعالىٰ أوجَب على المسلمين المودَّة لأقرباء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ذكرنا في كتاب (فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد) ستة واربعين مصدراً ـ من مصادر العامَّة ـ في أن المقصود مِن «القربىٰ » هم : علي وفاطمة والأئمة الطاهرون (عليهم السلام).

وقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يَستشهدون بهذه الآية ويُطبِّقونها على أنفسهم .

والإمام المهدي (عليه السلام) أحد «القربىٰ » فتجب طاعته على المسلمين ، بالإضافة الى إمامته وكونه خليفة الله وحُجَّته على خلقه.

«إلّا أعَتنْتُموناٰ ، ومَنعتمونا ممن يَظلمنا »، يَطلب منهم ان يكونوا من اعوانه وانصاره ، وأن يحموه ويحفظوه عمن يُريد أن يظلمه .

«فقد أُخِفْنا ، وظُلْمنا ، وطُرِدْنا مِن ديارنا وأبنائنا ، وبُغيَ علينا ، ودُفعنا عن حقّنا ، وافترىٰ أهلُ الباطل علينا ».

إنَّها مآسي متسلسلة وحَلَقات مُتَّصلة منذ وفاة رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) والى يومنا هذا ، فالحَبْل مُتّصل منذ أربعة عشر قرناً . . الإخافة والظلم ، والطرد والبغي ، والإستيلاء على الحقوق ، والافتراء على اهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مستمّر وممتدٌّ على طول الخط .

فلقد عاش آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حياة الرُعب والتشريد والإضطهاد !

ألم تكن المدينة المنوَّرة موطنهم واحبُّ البلاد اليهم ؟!

فأين المدينة من النجف وكربلاء وبغداد وسامراء وخراسان وغيرها من البلاد ؟!

ولماذا غادروا المدينة المنوَّرة وتفرَّقوا في الأرض ، وقُتلوا في بلاد الغُربة ؟!

لقد غيَّر بعضُ العَلَويّين اسمه ، واخفى الآخر نَسَبه ، كيلا يعرفه الأعداء فيقتلوه !

وهكذا . . والى هذا اليوم .

إن الإمام المهدي (عليه السلام) إنما اختفىٰ ـ من يوم وفاة والده الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الى هذه الساعة ـ خوفاً على حياته .

وقد عرفتَ ـ فيما مضىٰ ـ أنّه (عليه السلام) أذا ظَهر ، يُرسل اليه السفياني جيشاً لمحاربته .

وأمّا حقوق اهل البيت وفَيئهم وأموالهم فكانت - ولا تزال - بيد الحكومات الكافرة والحكّام الطُغاة ، يشربون بها الخمور ويرتكبون بها الفجور ، ويصرفونها في الملاهي والمناهي والمنكرات ، وشراء الأسلحة الفتاكـة وقتْل الأبرياء ! .

وأمّا حقوقهم في الولاية والحكم فالتاريخ يَشهد أنّ الأعداء مَنعوا آل محمد عن القيام بتدبير أُمور العباد والبلاد ، ونَشْر العلوم ، وغير ذلك مِن وظائف الإمام .

خُطْبة أُخرىٰ للإمام المهدي (عليه السلام):

وتُروىٰ عن الإمام الباقر (عليه السلام) خُطبة أُخرىٰ للإمام المهدي (عليه السلام) - مع اختلاف يسير - أنه قال :

«ثم يَظهر المهدي بمكّة عند العشاء ، ومعه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقميصُه وسيفُه وعلامات ونور وبيان ، فاذا صلّىٰ العشاء نادىٰ بأعلىٰ صوته : أُذكّركم الله - ايها الناس - ومقامكم بين يدَي ربّكم ، وقد أكّد المحجَّة وبَعث الأنبياء وأنزل الكتاب ، يأمركم أن لا تُشركوا به شيئاً وأن تُحافظوا على طاعته وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن تُحيوا ما أحيا القرآن وتُميتوا ما أمات ، وتكونوا أعواناً على الهدىٰ ووُزَراء على التقوىٰ ، فانّ الدنيا قد دنا فَناؤها وزَوالها ، وآذنت بالوداع ، وإني أدعوكم الى الله والى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)

والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء السُنّة ... » الى آخرها[١].

خطبة ثالثة للإمام المهدي (عليه السلام):

ورُويتْ أيضاً خُطبة أُخرىٰ عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث طويل نقتطف منه نصّ الخطبة ، تتميماً للفائدة :

« ... وسيّدنا القائم مُسندٌ ظهره الى الكعبة ، ويقول : يا معشر الخلائق : ألا .. ومَن اراد أن ينظر الى آدم وشيث فها أناذا آدم وشيث .

ألا .. ومَن اراد أنْ يَنظر الى نوح ووَلَدِه سام فها أنا ذا نوح وسام .

ألا .. ومن أراد أنْ يَنظر الى ابراهيم واسماعيل فها اناذا ابراهيم واسماعيل .

ألا .. ومَن اراد أنْ يَنظر الى عيسىٰ وشمعون فها اناذا عيسىٰ وشمعون .

ألا .. ومَن اراد أن ينظر الى محمد وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) فها أناذا محمد وأمير المؤمنين .

---

(١) ذكرها السيوطي في كتاب الحاوي ، وذكرها الصافي في كتاب منتخب الأثر نقلاً عن كتاب الملاحم والفتن .

ألا .. ومَن اراد ان يَنظر الى الحسن والحسين فها أناذا الحسن والحسين .

ألاَ .. ومَن أراد ان يَنظر الىٰ الأئمة من وُلد الحسين فها اناذا الأئمة ...» الى آخر الخطبة(١).

قال العلامة المجلسي - تعليقاً على هذا الحديث - : قوله (عليه السلام) : « فهـا أنـا ذا آدم » يعني في عِلمه وفضله وأخـلاقـه التي بهـا تَتّبعونه وتفضلونه . انتهى كلامه .

وينتهي الإمام المهدي (عليه السلام) من خُطبته ، قال الامام الباقر (عليه السلام): «فيَجتمع عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ويُبايعونه » نعم ، يَتبادر اصحابه ويُبايعونه ، بعد أن يُبايعه جبرئيل . وينزل عليه أكثر مِن أربعين ألفاً من الملائكة ، على اختلاف درجاتهم ومَراتبهم ، وهؤلاء الملائكة رَهْن تَصرُّف الإمام المهدي (عليه السلام)، يُنفّذون اوامِره التي قد يَعجز عنها البشر .

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩

البيعة للإمام المهدي عليه السلام

قبل أنْ نتحدَّث عن البيعة للإمام المهدي (عليه السلام) نذكر بعض الأحاديث المرويَّة في هذا المجال :

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إنَّ أول مَن يُبايع القائم جبرئيل»[1]

وقال الإمام محمد الجواد (عليه السلام): «كأنّي بالقائم - يوم عاشوراء يوم السبت - قائماً بين الركن والمقام ، بين يديه جبرئيل يُنادي : البيعة لله»[2] .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ((إذا أَذِن الله تعالىٰ للقائم في الخروج ، صعد المنبر ، فدعا الناسَ الى نفسه ، وناشدهم الله ودعاهم الى حقّه ، وأن يسير فيهم بسُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعمل فيهم بعِلمه.

فيبعث الله (جل جلاله) جبرئيل حتى يأتيه فينزل على الحَطيم[3] يقول : الى أيِّ شيء تدعو؟!

---

(1) إكمال الدين

(2) كتاب الغيبة للطوسي

(3) الحطيم هو ما بين الرُكن الذي فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة .

فيُخبره القائم (عليه السلام).

فيقول جبرئيل : أنا اول مَن يُبايعك . ابسط يَـدك .

فيَمسح على يده ، وقد وافاه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيبايعونه ، ويُقيم بمكّة حتى يتمّ أصحابه عشرة الآف نَفْس ، ثم يَسير منها الى المدينة))[1] .

بعد ذِكر هذه الأحاديث .. نقول :

(البيعة) معناها : المعاهدَة على الطاعة والإنقياد ، وعدم التمـرُّد وعدم القيام بمؤامرة .. وما شابه ذلك .

وممّا تمتاز به البيعة للإمام المهدي (عليه السلام) عن البيعة لغيره ـ مِن الحكام والخلفاء ـ هو أنّها بيعةٌ يَشترك فيها اهل السماء والأرض . فبيعة أمين وحي الله جبرئيل للإمام المهدي (عليه السلام) تَسبق بيعة الناس له ، وهي تدّل على اعتراف السماء بمشروعيَّة تلك البيعة المباركة الميمونة التي تشمل بركاتُها جميع الكائنات ويَعمُّ خيرها جميع الموجودات .

ويُستفاد مِن الأحاديث أنَّ الإمام المهدي يَطلب مِن أصحابه البيعة على شروط مذكورة في الكُتُب ، وبعض هذه الشروط يحرم إتيانها على كلّ حال ، وهي المحرَّمات الشرعيَّة التي لا تحتاج الى شرط ، ؛ كالزنا والسرقة وأكل مال اليتيم وما شابه .

وبعضها واجبة ولا يرتبط وجوبها بالبيعة ، كالامر بالمعروف والنهي

---

(١) الارشاد للمفيد

عن المنكر ، وبعضها يتعلّق بالزهد والأخلاق . فاذا التزم الأصحاب بهذه الشروط وبايعوا الإمام عليها ، فانَّ الحكم يتأكّد ويتشدّد عليهم ، كالإنسان الذي يحلف على انْ لا يسرق ، فاذا سرق استحقّ عقابين : عقاباً للسرقة ، وعقاباً لمخالفة اليمين ، وكذلك البيعة مع الإمام المهدي (عليه السلام) لأنها تُعتبر عهداً ومعاهدةً مع الله تعالىٰ . قال سبحانه : ﴿**إنَّ الذين يُبايعونك إنما يُبايعون الله ، يَدُ الله فوقَ أيديهم**﴾[1] .

وبالرغم مّما يتمتّع به اصحاب الامام المهدي (عليه السلام) مِن مزايا ومؤهّلات ، فانَّ اشتراط تلك الشروط ضروريّة ، لأن الإمام (عليه السلام) يُريد مِن أصحابه أن يكونوا مثاليينّ في الفضائل والكمالات ، حتى يليقوا لقيادة الكرُة الأرضية فيتورّعون عن المحرّمات ويلتزمون بالواجبات ، ويجتنبون مُغريات الحياة وزخارفها ، ويمتنعون عن كلّ بذَخ وتَرَف ، وينتهجون حياة الزهد والخشونة ، كي يستطيعوا أن يؤدّوا الوظائف المُلقاة على أكتافهم ، ويؤدّوا الواجبات على أحسن ما يُرام .

جيش الإمام المهدي (عليه السلام):

رُوي عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) أنّه قال ـ في حديث عن الإمام المهدي (عليه السلام) ـ : ((ثم لا يَخرج مِن مكّة حتى يكون في مِثْل الحَلَقة .

---

(١) سورة الفتح آية ١٠

قال الراوي : فما الحَلَقة ؟

قال : عشرة الآف »[1] .

وسُئل الإمام الصادق (عليه السلام) : كم يَخرج مع القائم ؟ فإنَّهم يقولون : إنَّه يخرجُ معه مِثْل عدَّة أهـل بَدْر ، ثـلاثمائـة وثلاثـة عشر رجلاً ؟

فقال (عليه السلام): ما يَخرج إلاّ في أُولي قوَّة ، وما يكون أُولو قوَّةٍ أقل مِن عشرة الآف »[2]

ايها القارىء : لم نجد ـ في المصـادر الموجودة عندنا ـ شيئاً من التفاصيل حول «الحَلَقة » وهم العشرة الآف . ولكن المستفاد أنَّهم جماعات وجماهير ، لهم نصيبٌ وافر من الأيمان الكامل والعقيدة الراسخة ، فهم محسوبون مِن جيش الإمام المهدي (عليه السلام) ولكنَّهم لا يمتازون بما امتازتْ به الثلاثمائة والثلاثة عشر ، إلاّ أنهم يلتحقون بالإمام في مكّة ، وينضمون تحت لوائـه .

ووردت في بعض الأحاديث كلمة «العقد » بدَل «الحلقة » والمقصود واحد .

ويخرج الإمام المهدي (عليه السلام) من مكة بهذا العدد من الجيش الجرّار . ومن الطبيعي أن الملايين من الناس سوف يلتحقون به في

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٧ بابُ خروجه وما يحدث عنده .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٣ ، نقلاً عن (إكمال الدين) للصدوق .

أثناء الطريق وفي أيام إقامته في الكوفة .

وعلى هذا . . لا نستطيع أنْ نتصوّر مدىٰ كثرة جيوش الإمام وعساكره ، ولكنّنا نستطيع ان نقول : إن كلّ رجل آمَن بالإمام المهدي (عليه السلام) وكان قادراً على حمْل السلاح ، فهو مِن جنود الإمام ، فاذا أصدَرَ الامام أمراً بالتعبئة ، فان جميع الطبقات ـ بمختلف أعمارهم ومستوياتهم ـ يتسابقون الى تلبية نداء الإمام وتنفيذ أوامره ، ولنا في المستقبل كلام وتفصيل حول هذا الموضوع .

كيفيّة السّلام على الإمام المهدي «عليه السلام»

ما هي كيفية السلام على الإمام المهدي (عليه السلام) ؟

جاء في الحديث : «سأل رجلٌ مِن الإمام الصادق (عليه السلام) : هل يُسلِّم على القائم بإمْرة المؤمنين؟[1]

قال (عليه السلام) : لا . . ذاك إسمٌ سمَّى الله به أمير المؤمنين ، لم يُسمّ به احدٌ قبله ، ولا يُسمىً به بعده إلاّ كافر .

فقال رجل كان حاضراً عند الإمام الصادق : جُعلت فداك . . وكيف يُسلِّم عليه ؟

قال (عليه السلام) : تقول : السلام عليك يا بقيَّة الله .

ثم قرأ قوله تعالىٰ : بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين »[2].

هذا . . والمستفاد من هذا الحديث وغيره ، انه لا يُسمحَ للناس ان يُنادوا الإمام المهدي (عليه السلام) باسمه وكنيته حِين السلام عليه، بأن يقولوا ـ مثلاً ـ : السلام عليك ايها المهدي ، وأمثال ذلك ، وهذا يدل

---

(١) أي : هل يقال له السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فأجاب الإمام الصادق بأن هذا الاسم خاص بالإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

(٢) وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٤٧٠ باب ١٠٦ حديث ٢ .

على التعظيم والتجليل ، كما نهىٰ الله تعالىٰ المسلمين أن ينادوا رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باسمه ، فقال عزَّ وجل : ﴿لا تجعلوا دُعاء الرسول بينكم كدعاء بعضِكم بعضاً﴾.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): مَن أدرَك منكم القائم فليَقل حين يراه : السلام عليكم يا اهل بيت الرحمة والنبوّة ، ومَعْدن العِلم وموضع الرسالة .[1].

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣١ ـ وإكمال الدين للصدوق باب ٥٧ حديث ١٨ .

الخروج بالسيف

إنَّ البشر قد يتجاهل الحقائق ، وقد يتعصّب للباطل ، وقد يُنكر الحق .. ولكن في حدودٍ مّا .

ولكن .. ما تقول في البشر الذي ينظر الى الشمس وينكر وجودها ؟! ويلمس النار ويشعر بالحرارة ولا يَعترف بها ؟! لا جهْلاً بالموضوع وانما عناداً للحق وتعصباً للباطل !!

لقد مرَّ عليك - ايها القارىء - في اوائل الكتاب بعض الآيات المُأَوَّلة بالإمام المهدي (عليه السلام) وشيء مِن الأحاديث المرويَّة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) حول الامام المهدي ونَسَبه وظهوره ، وكلّ الذي ذكرناه كان نموذجاً من مئات الأحاديث الصحيحة المذكورة في كُتُب الشيعة والسُنَّة ، أضِفْ الى ذلك ، الأحاديث المرويْة عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) حول الموضوع .

ولكن طوائف مِن بعض المذاهب الإسلاميَّة لا يُعجبهم الخضوع لهذه الحقيقة التي ركَّز عليها الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلماته وإخباراته ، فتراهم - كانوا ولا يزالون - يُنكرون الإمام المهدي ، بل ويستهزؤن بهذه العقيدة ، ولهم كلمات وأبيات شعرية قبيحة ، في التهريج والتشنيع وأنواع التشكيك حول الإعتقاد به (عليه السلام).

وهذا الإنحراف والموقف العدائي كان ولا يزال ممتداً يداً بيد ، ومن جيل الى آخر ، ومن عصابة الى أُخرى ، والى الآن والى يوم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) .

ويمكن ان نقول ـ جَدلاً ـ : إنَّ هؤلاء ما كانوا يُصدِّقون وجود الإمام المهدي ، بسبب عمره الطويل ، لأنَّه خلاف المعتاد بالنسبة للأعمار المتعارفة في هذا الزمان .

ولكن . . حتى إذا ظهر الإمام المهدي (عليه السلام) وحدثتْ تلك العلامات التي لا يمكن إنكارها ولا تكذيبها ـ كالصيحة السماويَّة وغيرها ـ ورأوا الإمام المهدي بأعينهم، فانهم ـ مع ذلك كله ـ لا يَعترفون بالإمام المهدي ، بل يُحاربونه ، كالذي أخذتْه العِزّة بالإثْم ! .

فما جزاء هؤلاء . . ايها المسلمون ؟!

وما الذي ينبغي ان يَصنع الإمام المهدي بهؤلاء الطواغيت الذين جاوزوا حدود الطغيان وأصرّوا على العناد والعصيان ؟!

وهل لهم علاج وجزاء سوى السيف ؟!

نعم . . إنَّ الأحاديث الشريفة تُصرّح بأنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يستخدم السيف لاستئصال هؤلاء المعاندين المتكبّرين ، وقَلْع جُذورهم والقضاء عليهم ، ما داموا يرفضون الخضوع للحق ويحاربونه .

والآن . . إقرأ بعض الأحاديث المرويَّة في هذا المجال :

١ ـ قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): " . . . وأمّا سُنَّته من

جدّه المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فخروجه بالسيف، وقتْله اعداء الله وأعداء رسوله، والجبّارين والطواغيت، وأنّه يُنصَر بالسيف والرُعب، وأنّه لا تُردّ له راية ...»[1].

٢ - قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): «في القائم سُنَّة مِن سبعة أنبياء: ... وأمّا من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالخروج بالسيف»[2].

٣ - قال الإمام الباقر (عليه السلام): «في صاحب هذا الأمر سُنَن من اربعة انبياء: ... وأمّا سُنّته من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فـالسيف»[3].

٤ - قال الإمام الصادق (عليه السلام) - في معنى قوله تعالىٰ: ﴿ولَنذيقنّهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر﴾ -: إنَّ الأدنىٰ بالقحط والجَذْب، والأكبر: خروج القائم المهدي بالسيف في آخر الزمان.[4]

٥ - وقال الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام): - في حديثه عن

---

(١) إكمال الدين للشيخ الصدوق.

(٢) إكمال الدين للشيخ الصدوق.

(٣) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ولا يخفىٰ عدم التناقض بين هذا الحديث والذي سَبقه في أن الامام المهدي فيه سُنن من سبعة انبياء أواربعة، لأن علماء البلاغة يقولون: اثبات الشيء لا ينفي ما عداهٰ. فقوله (عليه السلام) «مِن أربعة أنبياء» ليس معناه لا أكثر مِن ذلك.

(٤) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٢٩.

الإمام المهدي ـ يسومهم خَسْفاً ، ويَسقيهم بكاس مُصبَّرة ، ولا يُعطيهم إلاّ السيف هرْجاً ـ اي : قتلاً ـ [١].

هذا . . وسنذكر ـ في المستقبل ـ كلمة حول المقصود مِن (السيف) في هذه الأحاديث .

(١) مُنتخب الأثر للشيخ الصافي .

مَوارِيثُ الأنبياءِ عِندَ الإمامِ المَهدي «عليه السلام»

يقوم الإمام المهدي (عليه السلام) ومعه مواريث الأنبياء ، وخاصّةً مواريث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) . . تلك المواريث التي لا تُثمَّن بثمن ، ولا تُقوَّم بقيمة .

وتسأل : ما هي مواريث الأنبياء ؟

الجواب : ليس المقصود مِن المواريث ـ هنا ـ ما يَتركه الميت لوَرثته من المال أو غيره ، بل المقصود : هي الأشياء النفيسة القيِّمة التي تركها الأنبياء للأوصياء مِن بعدهم ، وانتقلتْ مِن وَصيٍّ إلى وصي .

وهذه المواريث وصلتْ الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) مِن الأنبياء الذين كانوا قبْله ، وبعد وفاة رسول الله إنتقلتْ تلك المواريث ـ مع مواريث رسول الله ـ الى خليفته الشرعي الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومِن بعده الى الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وهكذا . . الى الإمام الذي بعده . . حتى وصلتْ الى خاتم الأوصياء الخليفة الثاني عشر : الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) فهي الآن موجودة عنده يحتفظ بها ليوم ظهوره .

وتسأل : ما هو دَور هذه المواريث يوم ظهور الإمام ؟ .

الجواب : إنَّها تَدلُّ على أولَويَّة الإمام المهدي (عليه السلام) مِن

سائر الناس ، بالأنبياء والأوصياء ، وأنه (عليه السلام) إمتداد لنفس الخط السماوي الإلٰهي ، ويُستفاد منها لأغراضٍ أُخرىٰ أيضاً .

وفيما يلي نذكر بعض ما رُويَ في هذا المجال :

١ ـ قال الإمام الباقر (عليه السلام) : إذا ظهَر القائم (عليه السلام) ظهرَ براية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاتم سليمان ، وحَجر موسىٰ وعصاه[1] .

أقول : لقد رُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال ـ في حديثه عن راية رسول الله ـ : « . . . نَزل بها جبرئيل يوم بَدْر . . . نَشرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر ، ثم لفَّها ودَفعها الى علي (عليه السلام) فلم تَزَل عند علي (عليه السلام) حتى إذا كان يوم البصرة ، نَشرها أمير المؤمنين ففَتح الله عليه ، ثم لفَّها ، وهي عندنا . . لا يَنشرها أحد حتى يقوم القائم ، فاذا هو قام نَشَرها . . »[2] .

وأمّا خاتم سليمان . . فقد رُويَ أنه كان إذا لبِسه سَخَّر الله له الطير والريح والمُلك .

وأمّا حجر موسىٰ وعصاه . . فقد قال تعالىٰ : ﴿ وإذ استسقىٰ موسى لِقومه ، فقلنا اضربْ بعصاك الحَجر ، فانفَجرتْ منه اثنتا عَشْرة عَيناً ، قد عَلم كلُ أُناسٍ مَشْربَهم . . ﴾[3] .

(١) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٣ حديث ٢٨ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٩ حديث ٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٦٠ .

وقال سبحانه : ﴿ وأوحينا الى موسىٰ أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾[١] .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « عَصىٰ موسى قضيبُ آس ، مِن غَرس الجَنَّة ، أتاه بها جبرئيل لمّا توجَّه تلقاء مَدْين[٢] .

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : إذا خرج القائم . . . ويحمل معه حَجر موسىٰ بن عمران ـ وهو وِقْر بَعير[٣] ـ فلا ينزل منزلاً إلاّ نَبعث منه عيون . .[٤] .

٢ ـ وقال الإمام الصادق (عليه السلام) ـ ليعقوب بن شعيب ـ : ألا أُريك قيمصَ القائم الذي يقوم عليه ؟

قال : بلىٰ . فدَعىٰ بقمَطْر[٥] ففتَحه ، وأخرج منه قميص كرابيس[٦] فَنَشَرَه ، فإذا في كُمِّه الأيسر دم .

فقال (عليه السلام) : هذا قميص رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي كان عليه يوم ضُربتْ رباعيَّتُه[٧] وفيه يقوم القائم .

---

(١) سورة الأعراف آية ١١٧ .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٣ حديث ٢٧ .

(٣) الوِقْر : الحِمل الثقيل . وقر بعير : حمل بعيرٍ . وهذه إشارة الى عظمة الصخرة وكبَر حجمها .

(٤) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٣ حديث ٢٩ .

(٥) القِمَطر : وعاءٌ تُحفظ فيه الكتُب .

(٦) كرابيس : جَمع كرباس : وهو الثوب الخشن .

(٧) الرَّباعيّة ـ بفتح الراء ـ : الأسنان التي بين الثنيَّة والناب ، وقد كُسرت يوم أُحُد .

قال يعقوب بن شعيب : فَقبَّلتُ الدم ، ووضعتُه علىٰ وجهي ، ثم طواه أبو عبد الله ورَفعه[1] .

٣ ـ وقال الإمام الصادق (عليه السلام) ـ للمفضَّل بن عمر ـ : أتدري ما كان قميص يوسف ؟ قلت : لا .

قال : إنَّ إبراهيم (عليه السلام) لمّا أُوقدت النار ، نَزل اليه جبرئيل بالقميص وألبسه إيّاه ، فلم يَضرَّه معه حَرٌّ ولا برد ، فلما حضرتْه الوفاة جعلَه في تميمة[2] وعلَّقه على إسحاق (عليه السلام) وعلَّقه إسحاق على يعقوب (عليه السلام) فلما وُلد يوسف علَّقه عليه ، وكان في عضُده ، حتى كان مِن أمْره ما كان .

فلما أخرجه يوسف (عليه السلام) مِن التميمة وجَد يعقوبُ ريحه ، . وهو قوله عزّ وجل : ﴿ إني لأَجد ريحَ يوسف لولا أنْ تُفنِّدون ﴾ فهو ذلك القميص مِن الجنَّة .

قلت : جُعِلتُ فداك . . فالىٰ مَن صار هذا القميص ؟

قال (عليه السلام) : إلى أهله ، وهو مع قائمنا إذا خرج .

ثم قال : كل نبيّ ورث علماً ـ أو غيره ـ فقد انتهىٰ الى آل محمد (عليهم السلام)[3]

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ـ باب ١٣ حديث ٤٢ .
(٢) التميمة : خِرزة أو عوذة توضَع على الأولاد للوقاية من العين والأذىٰ .
(٣) كتاب إكمال الدين للصدوق .

٤ ـ وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : « . . يكون عليه قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان عليه يوم أُحُد ، وعمامته السحاب ، ودِرْع رسول الله السابغة[1] وسيف رسول الله ذو الفقار »[2] .

٥ ـ وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : « كانت عصى موسىٰ لآدم (عليهما السلام) فصارت الى شعيب ، ثم صارت الى موسىٰ بن عمران ، وإنها لَعندنا ، وإنّ عهدي بها آنفاً ، وهي خضراء كهيئتها حين انتُزِعتْ مِن شجرتها ، وإنها لَتنطق اذا استُنطِقَتْ ، أُعدَّتْ لِقائمنا (عليه السلام) يَصنع بها ما كان يَصنع بها موسىٰ بن عمران (عليه السلام) وإنَّها تَصنع ما تؤمر ، وإنها حيث أُلقيتْ تَلْقَف ـ ما يأفِكون ـ بلسانها »[3] .

(١) مِن لطيف ما يذكره المؤرِّخون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمّىٰ كلّ شيء يرتبط به باسم خاص ، فسمّى عصاه : الممشوق ، وسمّى إحدىٰ عمائمه : السحاب ، وسمّى ناقته : العضباء، وهكذا . .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٩ حديث ٢ .

(٣) كتاب إكمال الدين للصدوق ج ٢ باب ٥٨ حديث ٢٧ .

اِنجازات الإمام المهدي عليه السلام في مكّة المكرمة

بعد ان تَتم البيعة للإمام المهدي (عليه السلام) يَستلم الإمام الحكم في مكّة، ويُهيمن على مراكز القوة، بعد سقوط الحكم السابق وانهياره.

ولا تستطيع السُلطة ـ يومذاك ـ أنْ تُقاوم الإمام (عليه السلام) بل المستفاد من بعض الأحاديث أن مكّة تَستسلم له (عليه السلام) ويُسيطر الإمام على البلدة بكاملها.

وهناك في مكّة، يقوم الإمام المهدي (عليه السلام) بأعمال وإنجازات، نُشير الى بعض ما ذُكر منها في الأحاديث.. فيما يلي:

إعادة المسجد الحرام الى ما كان عليه

قال الإمام الصادق (عليه السلام): إذا قام القائم هَدم المسجد الحرام حتى يَردُّه الى اساسه، وحوَّل المقام الى الموضع الذي كان فيه[1].

لقد توسَّع المسجد الحرام مِن بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى يومناهذا، وأضيفت اليه مساحات كثيرة من جميع

---

(١) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.

جوانبه ، ولكنّه بالرغم مِن كل ذلك لم يَبلُغ الأساس القديم الذي رسمه النبي ابراهيم (عليه السلام) للمسجد الحرام ، لأنَّ الأساس القديم كان من (الحَزورة)[١] وهي بين الصفا والمروة .

رُوي ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) ـ عندما سُئل عن الزيادات الحادثة في المسجد الحرام وهل هي من المسجد ؟ ـ فقال (عليه السلام): نعم .. إنهم لم يَبلغوا بعْدُ مسجد ابراهيم واسماعيل (صلى الله عليهما)[٢].

وقال (عليه السلام): خَطَّ ابراهيمُ (عليه السلام) بمكة ما بين الحَزْوَرة الى المسعىٰ ، فذلك الذي خطَّ ابراهيم ـ[٣]

وسأل الحسين بن نعيم من الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصلاة في الزيادات الحادثة في المسجد الحرام ؟

فقال (عليه السلام): إن ابراهيم واسماعيل حَدّا المسجد الحرام ما بين الصفا والمروة ، فكان الناس يَحجّون الى الصفا[٤]. وفي نسخة اخرىٰ : «يحجون من مسجد الصفا».

قال الفيض الكاشاني في كتاب الوافي ص ٢٨ : بيانٌ : ....

---

(١) الحزورة ـ على وزن قَسْوَرة ـ : إسم موضع بين الصفا والمروة وهي من المسعىٰ .

(٢) كتاب الكافي للكليني .

(٣) كتاب الكافي / باب فضل الصلاة في المسجد الحرام . أي : فالمسجدُ : هو ذلك الذي خَطَّ ابراهيم .

(٤) كتاب التهذيب للشيخ الطوسي .

يحجّون » إمّا بمعنى : يَطوفون ، او بمعنىٰ : يُحْرِمون (من الإحرام) يعني : كان ذلك داخلاً في سعة مطافهم او محل إحرامهم .

وخلاصة هذه الأحاديث أنَّ المسجد الحرام الأصلي هو أكبر بكثير من المسجد الحرام اليوم .

فاذا ظهر الإمام المهدي (عليه السلام) هدَم الجدار المحيط بالمسجد الحرام اليوم ، وبنىٰ جداراً جديداً على اساسه الأول .

وهذا مما يُسهِّل الطواف للحجاج كثيراً ، خاصَّة وأنَّ عدد الحجاج سوف يَتصاعف الى عشرات الملايين في عصر ظهوره (عليه السلام).

٢ ـ إعادة مقام ابراهيم الى موضعه الأول

لقد مرَّ عليك قول الإمام الصادق (عليه السلام): « إذا قام القائم . . . وحوَّل المقام الى الموضع الذي كان فيه » .

مَقامُ ابراهيم : هو الصَخْرة التي وقف عليها النبي ابراهيم خليل الرحمٰن حين بناء الكعبة ، وقد كان المقام بجوار الكعبة ، في عهْد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما جاء عمر بن الخطاب الى الحكم ، نَقَل المقام من مكانه وغيَّر موضعه .

ولما استلم الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) زمام الحكم ـ بعد مقتل عثمان ـ قرَّر أنْ يَقضي على كلِّ زيادةٍ وبدعةٍ حدَثتْ في

الدين ، وأنْ يردَّ كلَّ شيء الى ما كان عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن جملة ذلك : أراد أن يردَّ المقام الى موضعه الأول بجوار الكعبة ، فثار المنافقون والمناوئون ـ الذين كانوا يُهرِّجون ضد كلِّ خطوة إصلاحية يقوم بها الإمام ـ فرأى الإمام علي (عليه السلام) أن الأفضل هو تجميد القضيّة ، الى وقت آخر ، نظراً لأمورٍ كانت أهمّ مِن ذلك .

وهكذا بقي مقام ابراهيم في غير موضعه ، الى يومنا هذا .

ومن جملة إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في مكّة ، هو رَدُّ مقام ابراهيم الى موضعه الأول بجوار الكعبة المشرَّفة .

وهذا أيضاً ممّا يُسهِّل الطواف على الحجّاج ، لأنه ـ عند ذلك ـ لا يجب الطواف بين الركن والمقام ، بل يكفي الطواف حول الكعبة ، مهما ابتعد الطائفون عن الكعبة في حال الطواف . فان كان الطواف يجب ـ حالياً ـ بين الركن والمقام ـ حسَب رأي بعض الفقهاء ـ فان هذا الوجوب سيرتفع إذا رُدَّ المقام الى موضعه الأول .

٣ ـ النهي عن الطواف المستحب

قال الإمام الصادق (عليه السلام): أول ما يُظهِر القائم مِن العدل أنْ يُنادي مُناديه ، أن يُسلِّم صاحب النافلة لصاحب الفَريضة ، الحجرَ الاسود والطوافَ[1].

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٤ نقلاً عن الكافي .

أقول : إنَّ الذي يحضر المسجد الحرام في موسم الحج ، يُشاهد إزدحام الناس حال الطواف ، ذلك الإزدحام الذي قد تُتلف فيه النفوس وتُزهق فيه الأرواح ، بسبب الضغط الذي يؤدي الى سقوط الانسان تحت اقدام الطائفين حول الكعبة .

وكلّ هذا . . بالرغم من الصعوبات التي يتعرّض لها الحجاج ـ في اكثر البلاد ـ من مشاكل السفر ، والضرائب المستوفاة منهم بعناوين مختلفة وبلا أي عوض .

فما تقول في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) ؟!

ذلك العصر الذي تُلغىٰ فيه كافة القوانين الوضعيّة المرتبطة بمقدّمات السفر ، مِن جواز السفر والتأشيرة (الويزا) وأمثال ذلك مِن القيود والشروط المستورَدة من بلاد الكفر !!

ومن الطبيعي ان يكون السفر مباحاً وميسوراً لكلّ أحد ، بلا أي قيد أو شرط .

وبالنتيجة : سوف يتضاعف عدد الحجاج ، بنسبةٍ لا نستطيع تحديدها ! .

ومن الواضح أنَّ الطواف حول الكعبة واستلام الحجر الأسود سيكون صعباً جداً ، وخاصّة أنَّ بعض الحجاج لا يكتفي بالطواف الواجب ، بل يطوف استحباباً طَلَباًللثواب .

ولهذا فانَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يأمر الحجاج بالإقتصار على

الطواف الواجب وترْك الطوافات المستحبة ، إفساحاً للمجال أَمام الذين يؤدون الطواف الواجب .

٤ ـ قطْعُ أيدي بَني شَيبة

قال الإمام الصادق (عليه السلام): أَمَا إنَّ قائمنا لو قد قام ، لأخذ بَني شيبة وقطع ايديهم وطاف بهم وقال : هؤلاء سُـرّاق الله[1].

وقال (عليه السلام) ـ في حديثٍ له ـ : ... وقطَع ايدي بني شيبة ... وكتَب عليها : هؤلاء سُرّاق الكعبة .[2].

(بنو شيبة) هم سَدَنة الكعبة الذين كانت بأيديهم مفاتيح الكعبة ، يتوارثونها خَلَفاً عن سَلَف ، وكان هؤلاء يَسرقون الأموال والذخائر المهداة الى الكعبة ، ويتصرَّفون بها كما تشتهيه أنفسهم ، وبهذه المناسبة سمّاهم الإمام (عليه السلام): سُرّاق الله ، اي : سُرّاق أموال الله . ولعلّ الحديث كان هكذا : «سُرّاق بيت الله» فحُذفت منه كلمة «بيت» والله العالِم .

ولا يكتفي الإمام المهدي (عليه السلام) بقطْع ايدي بَني شيـبة ، بل يأمر بأن يُطاف بهم ، وهذا الإجراء من الامام المهدي (عليه السلام) يُعتبر إنذاراً وتهديداً لكل السُرّاق ، ولكلّ مَن يتصرَّف في أموالٍ لا يملكها تصرّفاً غير مشروع ، فيعرفون بأن جزاءهم هو قطع اليـد ، ثم الخزي

---

(١) كتاب الكافي ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٢) كتاب الارشاد للمفيد .

في الدنيا والعذاب في الآخرة .

وبهذا يضع الإمام المهدي (عليه السلام) حدّاً للسرقة ، ولكل تصرّفٍ غير مشروع في الأموال والأملاك والأوقاف وغيرها .

هذا بعض إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في مكّة تجاه المسجد الحرام ، ومن الواضح أن انجازاته العامة التي تشمل جميع البلاد ، ستشمل مكة بطريقٍ أولىٰ ، وسوف نتحدث عن إنجازاته العامة في فصولٍ قادمة، انشاء الله .

الإمام المهدي عليه السلام في المدينة المنوّرة

يغادر الإمام المهدي (عليه السلام) مكة المكرمة ، قاصداً المدينة المنورة ، بعد أن ينصب في مكة واليا من قبله، وبعد مغادرة الإمام المهدي (عليه السلام) مكّة ، يثور بعض المجرمين - من أهل مكّة - ضدّ الوالي ويقتلونه ، ويبلغ الخبر الى الإمام المهدي (عليه السلام) فيقطع سفره ويعود الى مكة ويقضي على تلك الشرذمة المتمرِّدة ، ويقطع جذور الفتنة وأُصولها ، ثم ينصب والياً آخر ، ويتّجه نحو المدينة المنوَّرة .

وهناك في المدينة ، يقوم (عليه السلام) بأعمال وإنجازات ، نشير الى واحدٍ منها . . وهي : نبْش بعض القبور وإخراج الأجساد منها وإحراقها ، وهذا مِن القضايا التي تستدعي التوضيح والتحليل ، ولكننا نكتفي بذكرها إجمالاً .

والسؤال الآن : أين يتوجّه الإمام المهدي (عليه السلام) بعد المدينة المنوَّرة ؟

الجواب : المستفاد مِن الأحاديث أنَّه (عليه السلام) يتوجَّه من المدينة نحو العراق ، ولعلّه يمرّ بجبل شمّر ، والحائل ، والرفحاء فالنجف ، كما هو الطريق الآن .

وتسأل : أين يَستقرُّ الإمام المهدي في العراق ؟ وأين ستكون عاصمة بلاده ؟ الجواب في الفصل القادم

الكوفة عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام)

المسافة بين الكوفة والنجف ، أقلّ من عشرة كيلو مترات ، والأحياء السكَنية التي أُنشأتْ ـ في هذه السنوات الأخيرة ـ جعلت النجف متّصلاً بالكوفة .(١)

والكوفة سيكون لها شأن عظيم بعد ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) إذ أنها تكون عاصمة حكومته ، ودار خلافته ومَقرّ دولته ، كما أخبر بذلك الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) .

وفيما يلي نذكر بعض الأحاديث التي تتحدَّث عن عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) في المستقبل :

قال الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : « . . ثم يُقبِل الى الكوفة فيكون منزله بها ، فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه ، ولا غارماً إلاّ قضىٰ دَينه ، ولا مَظلمةً لأحدٍ من الناس إلاّ ردَّها ، ولا يُقتل عبدٌ إلا ادّىٰ ثمنه « فَدِيةٌ مسلَّمة إلى أهلها » ولا يُقتل قتيل إلاّ قضىٰ عنه دَينَه وأَلحقَ عيالَه في العطاء ، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلئت ظلماً وجوراً وعدوانا .

ويسكن هو وأهل بيته الرحبة ، والرحبة انما كانت مسكن نوح ،

---

(١) الكوفة مدينة تقع على الجانب الشرقي مِن النجف الأشرف .

وهي أرض طيّبة ، لا يسكن رجل من آل محمد (عليهم السلام) ولا يُقتل إلّا بأرض طيّبة زاكية ، فهم الأوصياء الطيّبون[١].

خَلواته : الذكوات البِيض من الغريّين .

قال المفضَّل : يا مولاي .. كل المؤمنين يكونون بالكوفة ؟

قال (عليه السلام) : إي والله .. لا يبقى مؤمن إلّا كان بها أو حواليها ، ولَيبلغنَّ مجالة فرسٍ منها ألفي درهم ، ولَيودَّن اكثر الناس أنه إذا قام القائم ودخل الكوفة ، لم يبق مؤمن إلّا وهو بها [٢] [٣] وقال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) : لموضع الرِجْل [٤] في الكوفة أحبّ إليَّ من دارٍ بالمدينة . [٥] وقال الإمام الباقر (عليه السلام) ـ في حديثٍ له عن الإمام المهدي ـ : . . . ثم يرجع الى الكوفة ، فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً الى الآفاق كلّها ، فيمسح بين اكتافهم وعلى صدورهم ، فلا يَتَعايون [٦] في قضاء . .

---

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٦٦ .

(٢) لعلّ الصحيح هو : «لم يَبق مؤمن إلّا وهواها» أي : مال اليها وأحبَّ السُكنى فيها ، وقد كانت أُصول الكتابة ـ فيما مضىٰ ـ تُبدّل الألف بالياء ، مثل : «والشمس وضحيها والقمر إذا تليها» ويؤيّد ذلك رواية أُخرىٰ تقول : «.. فلا يبقى مؤمن إلّا كان فيها ، او حَنَّ اليها».

(٣) بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣٨٥ ح ١٩٧ .

(٤) الرِجْل : القَدَم .

(٥) بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣٨٥ ح ١٩٨ .

(٦) لا يتعايُون : لا يعجزون عن معرفة الأحكام والقضايا .

وعن الإزدهار العمراني في الكوفة ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : إذا قام قائم آل محمد (صلوات الله عليهم) . . . اتّصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء .[١]

وسأل المفضَّل مِن الإمام الصادق (عليه السلام) : يا سيّدي . . فأين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين ؟

قال (عليه السلام) : دار مُلْكه : الكوفة ، ومجلسُ حُكمه : جامِعُها ، وبيتُ ماله ومَقْسَم غنائم المسلمين : مسجد السَهلة ، وموضع اشترىٰ شِبراً - من أرض السبع - بِشِبرٍ من ذهب . . . . ولِتصيرنّ الكوفة أربعة وخمسين ميلاً ، ولَيُجاورنَّ قصورُها كربلاء . . »

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٦ .

أكبر مسجدٍ في العالَم

المساجد في العالَم كثيرة، ومختلفة مِن حيث المساحة والبناء، وصلوات الجماعة تُقام في كثير من المساجد ، في أيام الجمعة وغيرها .

والمذاهب الأربعة تُجوِّز الصلاة خَلْف كلِّ برٍّ وفاجر ، لكنَّ المذهب الشيعي الذي هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام) - يَشترِط في إمام الجماعة : العدالة ، بمعنى التقوى وأداء الواجبات وترك المحرَّمات الشرعيَّة .

وعلىٰ هذا جرتْ السِيرة ، فانَّ الشيعة يَقتدون في صلواتهم بالعلماء والفُضَلاء والمجتهدِين ومَراجع التقليد .

ومِن الواضح أنَّ إمام الجماعة كلَّ ما كان أكثر علماً وعدالة وتقوىً ، فإنَّ صلاته تكون أقرب الى القبول ، وتكون الصلاة خلْفه أكثر ثواباً وأعظم أجْراً .

فكيف بالصلاة خلف الإمام المعصوم الذي هو مجمع لِكلِّ الفضائل والمناقب ؟!

لا شك أنَّ الصلاة خلفه أعظم أجراً مِن الصلاة خلْف غيره .

ومِن المؤسف جِداً أنَّ الأُمة الاسلاميَّة حُرمتْ مِن هذا الثواب العظيم والأجر الجزيل ، منذ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

الى يومنا هذا !

نعم .. في عهد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) حَظِي بعض المسلمين وفازوا بثواب الصلاة خلفه(عليـه السـلام) خلال سنواتٍ لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة .

وأيام قلائل إستطاع الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام) أن يُصليٍّ بالناس .

ثم أُغلق هذا الباب ، وتصدّىٰ لإمامة الجماعة مُدَّعو الخلافة ، وأُمراءُ البلاد ، أمثال : إبن آكلة الأكباد معاوية بن أبي سفيان القذر ، وابنه يزيد بن معاوية الخمّار الزنّاء الفاسد الفاسق ، والوليد بن عقبة الذي صلىّ بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات ، لأنَّه كان سكراناً ، وتكلَّم في حال الصلاة وتقيَّأ الخمر في المحراب !!.

وكم لهؤلاء مِن نظائر وأشباه !!.

نعم .. لم يستطع أحدٌ مِن أئمة أهل البيت ـ بـدِءاً بالإمام زين العابدين الى الإمام الحسن العسكري (عليهم السلام) ـ أن يُصلّوا بالناس صلاة الجماعة، حتى أنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) لم يُسمح له أن يُصـلّي بالناس صلاة العيد مرَّة واحدة ، بالرغم مِن كونه ولياً للعهد ، وقد ضُربت الدراهم والدنانير باسمه !!.

وعند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ووصوله الى الكوفة تَتّجه أنظار المؤمنين اليها ، لأن مِن الواضح أنَّ أكثر الشيعة القاطنين في الكرة الأرضية سيبذلون جهودَهم للهجرة الى الكوفة ، وقد قرأتَ الحديث الذي

يُخبر عن إتّساع مدينة الكوفة مِن جميع جوانبها ، واتّصالها بمدينة كربلاء المقدسة ، مع العلم أنَّ المسافة بينهما ـ اليوم ـ اكثر من ستين كيلو متراً .

والإمام المهدي (عليه السلام) يـصـلي صلاة الجمعة في المسجد الجامع بالكوفة ، ومن الطبيعي أنَّ يتفايض المسجد من المصلّين ، لأنَّ المسجد ـ بالرغم مِن سعته في الوقت الحاضر ـ لا يَسَع لأكثر المصلين الذين يريدون الصلاة خلف الإمام المهدي (عليه السلام) .

والسبب في ذلك : هو أنَّ جميع الناس ـ بمختلف طبقاتهم وبلا إستثناء ـ يشتاقون الى الصلاة خلْف الإمام ويتسابقون اليها ، ولا يتخلَّف عن الصلاة إلّا العاجِز عن المشي كالمُقعَد والهرِم . .

وفيما يلي نذكر بعض الأحاديث التي تُخبر عما سيجري هناك :

قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ـ في حديثٍ طويل ـ : «يدخل المهدي الكوفة ، وبها ثلاث رايات قد اضطربت بينها ، فتَصفو له ، فيَدخل حتى يأتي المنبر ويخطب ، ولا يدري الناس ما يقول . . من البكاء . . . . فاذا كانت الجمعة الثانية قال الناس : يا بن رسول الله . . الصلاة خلفك تُضاهي (تُساوي) الصلاة خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسجد لا يَسَعنا ؟

فيقول (عليه السلام) : أَنا مرتادٌ لكم (أي : أطلب لكم) مسجداً يَسَعكم . فيخرج الى الغَري[1] فيخط مسجداً له الف باب يَسَع

(١) وفي رواية انه يبني المسجد في ظهر الكوفة . والغَري : هو النجف الأشرف .

الناس . . »[١]

ورُوي مثل هذا الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام)

ولا يخفىٰ أنَّ إسناد التخطيط الى الإمام إنما هو مِن باب المجاز ، وليس معناه مباشرة الإمام التخطيط والبناء بنفسه ، بل يأمر (عليه السلام) بذلك ، كما يُقال : بنىٰ الأميرُ المدينة . اي : انه أمَرَ بذلك .

وعلىٰ كلِّ حال . . فالمستفاد من هذا الحديث أنَّ الامام المهدي (عليه السلام) يخرج الى الصحراء ويأمر بتخطيط مسجدٍ لم يُشيَّد مثله في تاريخ البشر ، له ألف باب .

ونفرض البناء هكذا : أن يكون في كل جانب ـ من جوانب المسجد الأربعة ـ مائتان وخمسون باباً ، ومن الطبيعي أن تكون الأبواب واسعة تُناسب دخول الجماهير وخروجهم ، فلا بد أن يكون عرض كل باب ثلاثة أمتار ـ على الأقل ـ وعلىٰ هذا يكون عرض الأبواب الداخلة الى المسجد مِن أحد الجوانب الاربعة فقط سبعمائة وخمسين متراً ، يُضاف الى هذا العدد مسافة الجُدران التي تُبنىٰ بين كل باب وباب ، فلو قدَّرنا مسافة الجدار بين كل بابين عشرة أمتار ـ على أقلّ التقادير ـ لكان طول الجدران ـ لا ارتفاعها ـ الفين وخمسمائة متراً ، يُضاف اليها سبعمائة وخمسون متراً ، فيكون طول المسجد ـ في جانب واحد ـ ثلاثة الاف ومائتين وخمسين متراً ، فاذا ضربنا هذا العدد في نفسه فستكون مساحة المسجد عشرة

---

(١) بحار الأنوار .

ملايين ، وخمسمائة واثنين وستين الفاً ، وخمسمائة متر مربّع ، هكذا : ١٠,٥٦٢,٥٠٠ .

ومن الطبيعي أن تُبنىٰ قريباً من المسجد المرافق الصحّية وأماكن للوضوء ، تُناسب هذا العدد الهائل من البشر .

وهذا العدد الكثير مِن الأبواب إنما هو لتسهيل دخول المصلّين وخروجهم ، وقايةً من الأزدحام ومضاعَفاته .

وهذا الإنجاز العظيم والمشروع الكبير هو أحَد إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في عصْره الزاهِر المشرق .

الإمَام المهدي عليه السلام في فلسطين

لقد ذكرنا ـ في الحديث عن السفياني ـ أنَّ الامام المهدي (عليه السلام) يتوجَّه نحو الشام للقضاء على السفياني ، وذلك بعدما يقصد الكوفة وتستقيم له فيها الأُمور .

ويكون السفياني ـ يومذاك ـ بوادي الرَمْلة ، في فلسطين ، شمال شرقيّ القدس .

ويصل الامام المهدي (عليه السلام) بجيشه الكبير الى فلسطين ، وتقع الحرب بين الجيشين هناك ، وينتهي الامر ـ أخيراً ـ بانتصار الامام وهزيمة السفياني وفنائه .

وتقول الأحاديث : إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يتواجد عند باب مدينة اللّد في فلسطين

ولا نعلم ماذا سيكون موقف السلطات الحاكمة على فلسطين والأُردن ـ يومذاك ـ تجاه الإمام المهدي (عليه السلام) إلّا أنَّ الثابت أنَّ الإمام المهدي يسحق جميع الحكومات الظالمة ، ويقضي على كل الحكّام المنحرفين .

وهناك . . عند باب مدينة اللّد ، ينزل النبي عيسى بن مريم

(عليهما السلام) من السماء الى الارض لبيعة الإمام المهدي (عليه السلام
واليك التفصيل في الفصل القادم .

نزول عيسى بن مريم من السماء

يُعتبر نزول النبي عيسى بن مريم (عليه السلام) مِن السماء ـ عند قيام الإمام المهدي عليه السلام ـ مِن الحقائق الثابتة عند جميع المسلمين ـ على اختلاف مذاهبهم ـ ومِن الأُمور التي لا تقبل الشك والجدل .

ولعل الحكمة الوحيدة في نزوله عند قيام الامام المهدي (عليه السلام) هي تقوية جانب الامام المهدي ، والاعتراف والتصديق بأنه حقٌّ لا ريب فيه ، وخاصةً بعد اقتدائه بالامام المهدي في الصلاة ـ كما ستعرف ذلك ـ .

ويُعتبر نزول عيسى الى الأرض مِن أعجب الأعاجيب وأهمّ الحوادث ، واعظم الآيات وأكبر الدِلالات .

أليسَ مِن العجيب أنَّ إنساناً كان يعيش على الأرض ، ثم عُرِجَ به الى السماء ، وعاش هناك أكثر مِن ألف وتسعمائة سنة ثم يهبط الى الأرض ؟!

مع الإنتباه الى أنَّ هذا الإنسان يَمتاز عن غيره بأنَّه :

أولاً : نبيٌّ مِن أنبياء الله تعالى ، ومِن أُولي العَزم .

ثانياً : أنَّه صاحب شريعة وكتاب سَماوي ـ وإن امتدَّت يد التحريف والتشويه الى شريعته مِن بعده ـ .

ثالثاً : أنَّه خُلقَ مِن غير أب .

رابعاً : أنَّ أُمَّته ـ اليوم ـ حوالي الف مليون نَسَمة ، بما فيهم الملوك والأُمراء ورؤساء الجمهوريّات ، وغيرهم مِن كافَّة الطبقات .

خامساً : أنَّ ملايين مِن تماثيله منصوبة على الكنائس والمدارس ، ومُعلَّقة على صدور أتباعه ، وموجودة في البيوت والمحلّات .

أضِف الى ذلك : العقائد الشاذَّة الموجودة عند المسيحيِّين تجاه عيسىٰ بن مريم ، فمنهم مَن يَعتقد أنه إبن الله ، أو أنَّه الله . . تعالىٰ الله عمّا يقول الكافرون والمشركون .

وعلى كلِّ حال . . فالنبي عيسىٰ أقدس موجود عند المسيحيين ، ومِن الطبيعي أنَّ بقيَّة المِلَل والأديان لا تتجاهل هذه الشخصيَّة .

وكذلك المسلمون ، يضَعون المسيح في المكان اللائق به ، إتباعاً للقرآن الكريم الذي ذكر المسيح بالنزاهة والتبجيل ، في مواضع عديدة منه .

ونظَراً لأهميَّة هذه الحقيقة ـ وهي نزول عيسىٰ من السماء ـ تَجد أحاديث كثيرة متواترة ، تُصرِّح بهذا المعنى .

وعندما نُراجع موسوعات الحديث نجد الكثير مِن علماء السُّنَّة وحُفّاظهم وأئمّة الحديث يَذكرون نزول عيسىٰ بن مريم مِن السماء عند قيام الإمام المهدي (عليه السلام)، وإن كان بعضهم لا يُعجبه التصريح بهذه الحقيقة ، فتراه يُشوِّه الحديث ، فيَحذف أوَّله أو آخره ، أو يَتلاعب بألفاظ

الحديث لأهداف يعلمها الله تعالىٰ .

فهذا البخاري ـ الذي يُعتبر عند السُنَّة مِن أئمة الحديث ، ويَعتبرون كتابه في قمَّة الكُتُب الصِحاح ـ يـذكر إقتداء النبي عيسىٰ بالإمام المهـدي (عليه السلام) ولكن مع رعاية الإجمال والإبهام ، فتراه يَروي الحديث هكذا : « عن أبي هُريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف أنتم إذا نَزَلَ إبنُ مريم فيكم وإمامكم منكم ؟ » . [1]

ويذكره مسلم في صحيحه[2] والديلمي في كتابه فردوس الأخبار ، حرف الكاف ، وأحمد بن حنبل في مُسنَده [3]

ويأتي نعيم بن حمّاد ـ شيخُ البخاري ـ وْيَذكر نزول عيسىٰ مِن السماء ، ولكنَّه لا يُعجبه التصريح باسم الإمام المهدي (عليه السلام) فَيَروي الحديث بأسناده عن كعب هكذا : قال : يَهبط المسيح عيسى بن مريم عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي ، طَرف السَحَر (أي : يكونَ نزوله في وقت السَحَر) ، تحملُه غَمامة ، واضعاً يديه على منكب

(١) صحيح البخاري ، باب نزول عيسى بن مريم ، ج ٢ ص ١٥٨ ، طبع المطبعة الميمنية بمصر ، سنة ١٣١٢ هـ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسىٰ بن مريم ، ج ٢ ص ٥٠٠

(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٣٦ ، طبع المطبعة الميمنية بمصر ، سنة ١٣١٣هـ .ورواه الشبلنجي في كتابة نور الأبصار ص ١٧٠ طبع مصر ١٣٨٤ هـ ، ورواه يوسف بن يحيىٰ الشافعي في كتاب عقد الدُرر ، الباب العاشر ص ٢٢٩ ، نقلاً عن صحيح البخاري وصحيح مسلم .

ملَكين ، عليه رَيطتان [١] مُؤتزاً باحداهما ، مُرتدياً بالأُخرىٰ [٢] ، إذا أكبَّ رأسه يَقطر منه كالجُمان [٣] ، فيأتيه اليهود فيقولون : نحن أصحابك . فيقول : كذبتم . ثم تأتيه النصارى فيقولون : نحن أصحابك . فيقول : كذبتم ، بل أصحابي المهاجرون ، بقيَّة أصحاب الملحمة ، فيأتي مَجمعَ المسلمين حيث هُمْ ،فيجد خليفتَهم يُصلّي بهم ، فيتأخَّر المسيح حين يَراه ، فيقول : يا مسيح الله صَلِّ بنا . فيقول : بل أنت فصَلِّ بأصحابك فقد رضي الله عنك ، فانما بُعثتُ وزيراً ولم أُبعث أميراً ، فيُصليّ بهم خليفة المهاجرين ركعتين مرَّة واحدة ، وابنُ مريم فيهم . . . الى آخر كلامه . [٤]

ثم يَروي نعيم بن حمّاد ـ أيضاً ـ حديثاً آخر عن حذيفة بن اليمان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فتَراه يَتلاعب بالفاظ الحديث ، ويقول : « فيهبط عيسىٰ ، فيُرحِّب به الناس ، ويفرحون بنزوله لتصديق حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يقول للمؤذّن : أقمِ الصلاة ، ثم يقول الناس : صلِّ بنا ، فيقول : إنطلقوا الى إمامكم فليصلِّ بكم فإنَّه نِعْم الإمام ، فيُصلّي بهم إمامُهم ، فيصلّي معهم عيسى . [٥]

وهكذا رأيتَ ـ أيها القارىء ـ كيف تلاعب هؤلاء بهذه الأحاديث

---

(١) الرَيطة ـ بفتح الراء ـ :كل مُلاءة إذا كانت قطعة واحدة .

(٢) أي : يجعل إحدهما إزاراً والأُخرى رداءاً .

(٣) الجمان ـ بضم الجيم وتخفيف الميم ـ : جمع جمانة وهي اللؤلؤة ، ولعلَّ المعنى أنَّ العرَق او الماء يتساقط مِن رأسه كاللؤلؤ .

(٤) كتاب الملاحم والفتن لأبن طاووس باب ١٨٧ ص ٨٣ .

(٥) الملاحم والفتن لإبن طاووس ، باب ١٨٧ ص ٨٤ .

فلم يُصرِّحوا باسم الإمام المهدي (عليه السلام) بل عبَّروا عنه ـ تارةً ـ ب ـ « إمامكم » وأُخرىٰ بـ ـ « خليفتهم » وفي بعض كُتُبهم بـ ـ « أميرهم » .

ولكن في نفس الوقت تجد بعض علمائهم ـ ممَّن لم تَطْغ إتّجاهاتُهم على أقلامهم ـ يَروون هذا الحديث بلا تشويه أو تمويه أو تحريف . وفيما يلي نذكر بعض تلك الأحاديث :

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « مِنّا الذي يُصلِّي إبن مريم خلْفه» . (١) وعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يلتفتُ المهدي وقد نَزل عيسى بن مريم كأنّما يَقطُر مِن شَعْره الماء (٢) فيقول المهدي : تقدَّم وصلِّ بالناس !.

فيقول عيسىٰ بن مريم : إنّما أُقيمت الصلاة لك . فيُصلِّي عيسىٰ خلف رجل من وُلْدي ، فاذا صُلْيت قام عيسىٰ حتى جلس في المقام فيبايعه . (٣)

وعن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « . . . والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلّا يومٌ

(١) عقد الدُرَر ، الباب العاشر ص ٢٣٠ ينابيع المودة للقندوزي الحَنَفي ورواه الحافظ أبو نعيم في كتابيه : الأربعين وحلية الأولياء .

(٢) أي : إن شَعر رأسه يَلمع كأنّ دَهُنَ شعره ، أو غسله بالماء .

(٣) عقد الدُرر ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، طبع مصر ١٣٩٩ هـ ، وقال بعد ذِكْر الحديث : اخرجه الحافظ أبو نعيم في (مناقب المهدي) والطبراني في مُعجمه .

واحد لَطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولَدي المهدي ، فينزل عيسى بن مريم فيُصلّي خلفه ... » .[١]

وقال امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) - في قصّة الدَّجال - : ... ويدخل المهدي (عليه السلام) بيت المقدس ويُصلّي بالناس إماماً ، فاذا كان يوم الجمعة وقد أُقيمت الصلاة ، نَزل عيسى بن مريم (عليه السلام) بثوبين مُشرقين ، أحمر ، كأنَّما يَقطُر مِن رأسه الدُهن ، رجِل الشَعر[٢] صبيح الوجه ، أشبهُ خَلقِ الله بأبيكم إبراهيم خليل الرحمن ، فيرى المهدي عيسى ، فيقول لعيسى : يابن البتول صَلِّ بالناس[٣]

فيقول : لك أُقيمت الصلاة . فيتقدَّم المهدي (عليه السلام) فيُصلّي بالناس ، ويُصلّي عيسىٰ خَلفه ويُبايعه .. »

والآن .. نذكر بعض ما قاله علماء العامَّة حول نزول عيسىٰ عند قيام الإمام المهدي (عليه السلام) :

قال الآلوسي[٤] : والمشهور نزولُه - أي : عيسى - (عليه السلام) - بدمشق والناسُ في صلاة الصبح ، فيتأخَّر الامام - وهو المهدي - فيقدِّمه

---

(١) فرائد السمطين للجويني الشافعي ج ٢ ص ٣١٢

(٢) أي : مسرّح الشَعر ، كالذي إستعمل المشط .

(٣) البتول : هي المرأة التي لا ترىٰ دم الحيض والنفاس ، وقد كانت السيدة مريم - والدة عيسىٰ - طاهرة .. لا ترىٰ دماً ، كما ورَد ذلك في الأحاديث .

(٤) في كتابه روح المعاني ج٢٥ ص ٩٥، في تفسير الآية ٥٩ مِن سورة الزخرف.

عيسى (عليه السلام) ويُصلي خلفَه ويقول : إنَّما أُقيمت لك .

وفي كتاب الحاوي على الفتاوىٰ ج ٢ ص ١٦٧ قال السيوطي ـ في الرَدِّ علىٰ مِن أنكر أنَّ عيسىٰ يُصلِّي خلْف المهدي ـ: هذا مِن أعجب العَجب ، فان صلاة عيسىٰ خلْف المهدي ثابتة في عدّة أحاديث صحيحة بإخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الصادق المُصدَّق الذي لا يخلف خَبَره .

ثم ذَكر السيوطي بعض ما رُوي في هذا المجال .

أيها القارىء الكريم :هذه بعض الأحاديث وبعض مصادرها مِن كُتُب العامَّة ، وأقوال علمائهم حول نزول عيسىٰ بن مريم من السماء عند قيام الإمام المهدي (عليه السلام) .

أمّا الأحاديث الواردة في كُتب الشيعة المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) فكُلّها تُصرِّح باقتداء عيسى بن مريم (عليهما السلام) بالإمام المهدي (عليه السلام) ولا نُبالغ إذا قلنا : إنَّ نزول عيسى من السماء واقتداءه بالإمام المهدي يُعتبر ـ عند الشيعة ـ مِن الأُمور القطعيَّة ، بل مِن أشهر القضايا ، حتى جاء في كتاب عيون المعجزات [١] : انَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر الأئمة بخروج المهدي خاتم الأئمة ، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، وأنَّ عيسى ينزل عليه وقت خروجه وظهوره ويُصلّي خلْفه .

(١) لحسين بن عبد الوهّاب ، وهو مِن علماء القرن الخامس الهجري .

ثم قال : وهذا خَبرٌ قد اتّفقت عليه الشيعة ، والعلماء وغير العلماء ، والسُنَّة ، والخاص والعام ، والشيوخ والأطفال ، لشهرة هذا الخبر .

أقول : ولنا كلام حول نزول عيسى بن مريم (عليه السلام) سيأتي في فصل (كيف تخضع له الدول والحكومات) إنشاء الله .

الدّجّال

هذا الاسم مشتق من الدجل - بفتح الدال والجيم - ومعناه : التمويه والتغطية والخداع والكذب .

و (الدجّال) صفة لرجل يخرج قبل ظهور الامام المهدي (عليه السلام) وليس المقصود منه : الحضارة الغربية او المدنية الحديثة التي تجلب القلوب ، كما زعم ذلك بعض المعاصرين .

ويخرج الدجال في ظروفِ قحط وجدب ، ولا يتّبعه الا سفلة الناس وأراذلهم، ومن الطبقة الملوثة المنحطة ، كنساء الشوارع واولادهم واليهود وغيرهم .

ويستفاد من الاحاديث ان الدجال رجل اعور ، وانه يعرف شيئاً من الشعوذة والسحر والتصرّف في العيون،ولهذا يقوم باعمال سحرية يُخيّل الى الناس انها حقائق، فلا عجب اذا ادعى النبوة - اولاً - ثم ادعى الربوبية - ثانيا - وقال: انا ربكم الاعلى!!

وقد ذكرنا - فيما مضى - ما يتعلق بالشلمغاني ونظرائه ، من الذين ادعوا الحلول والربوبية . والكثير من الاحاديث - الواردة حول الدجال - لا تطمئن اليه النفس ، لأنها مشوشة ومضطربة ، وما يدرينا لعلها رموز وإشارات غير مفهومة في زماننا هذا ، وسوف يكشف المستقبل عن حقيقتها .

وعـلى كل حـال . . تنتهي حياة ذلـك الرجس في فلسـطين ، حـين يأمرالامام المهدي (عليه السلام) عيسى بـن مريم (عليـه السلام) فيقتـل الدجال ، ويـريح العباد والبلاد من شره وفتنته .

نكتفي بهذا الموجز ، والتفاصيل موجودة في موسوعات الاحاديث .

الفصل التاسع عشر

كيف تخضع له الدول والحكومات ؟

هـذا السؤال يأتي في طليعـة الأسئلة التي تُطرَح حول ظهـور الإمـام المهدي (عليه السلام) .

فـالكثيرون يتسـاءلون : كيف تخضـع الحكومـات للامـام المهـدي ؟ وكيف ينتصـر على الـدول والحكومـات ؟ كيف يكـون مـوقف الحكـومـات والدول الكبرى تجاه الإمام المهدي ؟

إنَّ هـذا الموضـوع حسّاس جـداً ، والإجابـة عليه يتـطلَّب شيئـاً من الشرح والتحليل ، فنقول :

إنَّ الحكـومات والـدول انما تتكـوَّن من افراد وهي الهيئـة الحاكمـة ، ومن الطبيعي أنَّ كل فرد منهم يدرك الامور ويفهم الوقائع .

والحكـومات تعتمـد على الاسلحـة والعتاد ، والاسلحـة بيـد الجيش من اصغـر جندي إلى أكبـر قـائـد ، وتعتمـد أيضـاً عـلى القـوات المسلَّحـة كالشرطـة او الجيش الشعبي او الانضباط العسكـري ، وهذه هي الاجهـزة التي تعتمد عليها الدول والحكومات وتتقّوى بها ،وتُحارب بها الاعداء .

فمـاذا تصنع الحكـومات اذا كـانت الأجهزة غـير موافقـة لهـا او غـير منقادة لها ؟

ومـاذا تصنع الهيئـة الحاكمـة او الطبقـة الحـاكمـة مـع الاجهـزة التي لا تتفق معها فكريا وعقائديا ؟

إنّ الحكـومـات تخـاف من جيـوشهـا اكـثر من خـوفهـا من جيـوش العدو ، لأنه يمكن القضاء على العدو بالجيوش الموجـودة في الدولـة ، ولكن كيف يمكن القضاء على الجيش إذا تمرّد كلّه او أكثره ؟

إن الحكـومات لا تملك وسيلة أمـام القوات المسلّحـة إذا انحرفت او اختلفت فكرياً عنها .

نعم ، هنـاك وسيلة او محـاولـة واحـدة لضـرب الجيش وذلـك عن طـريق الاستنجاد والاستعـانة بـالشعب ، وهـذه المحـاولـة تفشـل اذا كـان الشعب يضمُّ صـوته الى الجيش وينحـاز اليه ، ويثـور ضد الـطبقة الحـاكمة الظالمة .

ولقد سبق أن ذكرنا أنَّ الرسـول (صلى الله عليـه وآله وسلم) أخبـر عن الامـام المهدي (عليـه السلام) أنـه يخـرج بـالسيف . وهـذه الكلمـة اتخـذها المستهـزئون وسيلة للتهـريج فجعلوا يسخـرون قائلين : مـا فـائـدة السيف في مقـابـل الاسلحـة الفتّـاكـة التي لا تَذَر من شيء أتتْ عليـه ألاّ جعلته رماداً ؟

كالقنابل على اختلاف انوعها واقسامها والصواريـخ القريبـة والبعيدة المدى ، والمدافع والرشاشات والبندقيات والمسدَّسات والدبابات والمدرَّعات والمصفَّحات وغيرها من الوسـائل البـرية والبحـرية والجـوية المـدمرة المبيـدة للبشر .

فـما قيمة السيف ومـا تأثيـره أمام هـذه الأجهزة والـوسائـل السريعـة الابادة ؟؟

للاجابة على هذا السؤال لا بأس بذكر مقدمة ، لعلها تكون ضرورية ومفيدة :

لقد مرَّ عليك - فيما مضى - عدد غير قليل من الاحاديث التي صرحت بنزول عيسى بن مريم (عليه السلام) من السماء .

وقد ثبت أنَّ الله تعالى رفع نبيه عيسى بن مريم (عليه السلام) الى السماء، بدليل قوله سبحانه - في رَدِّ من ادّعى قتله - : ﴿**وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم الا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله اليه**﴾[1] .

والأحاديث حول صعود عيسى بن مريم (عليه السلام) الى السماء كثيرة ، وأنه موجود في السماء حيٌ يرزَق ، وقد مضى على صعوده اكثر من الف وتسعمائة سنة ، وقد ذكرنا شيئا من تلك الاحاديث .

وتلك الاحاديث تُصرِّح بأنَّ عيسى بن مريم (عليه السلام) ينزل من السماء عند ظهور الامام المهدي (عليه السلام) وانه يقتدي بالامام المهدي في الصلاة ، ويصلي خلف الامام المهدي .

فانظر الى حِكْمةالله البالغة وتدبيره العظيم ، حيث انه رفع عيسى بن مريم الى السماءليدخره ليوم عظيم وهدف كبير وغاية اسمى .

(١) سورة النساء آية ١٥٧ ـ ١٥٨

فما هي الفائـدة والحكمة في نـزول عيسى بن مريم (عليـه السلام) الى الارض عنـد ظهور الامـام المهدي ؟! ومـا العلاقـة بين نـزول هذا من السماء وظهور ذاك ؟ !

وما المناسبة بين هاتين الحادثتين ؟

قبـل كل شيء . . ينبغي أنَّ لا ننسى ان عـدد المسيحيـين في العـالَم اليوم اكثر من الف مليون نسمة، فمثلاً : رؤ ساءوشعـوب الدول الاوروبيـة، كلُّهم او اكثـرهم مسيحيون ، وأكـثر رؤ سـاء الـدول الافـريقيـة وشعـوبهـا مسيحيون ، والدول الامريكية ـ الشمالية منها والجنوبية ـ مسيحيون .

وعقيـدة المسيحيـين في عيسى بن مـريم (عليـه الســلام) مشهـورة معـروفة مـذكورة في القـرآن . قال تعـالى : ﴿ وقالت النصـارى : المسيـح ابن الله ﴾[1] وقـال سبحانـه : ﴿ واذ قـال الله : يـا عيسى بن مـريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأُمّي إلهين من دون الله قال : سبحـانك مـا يكون لي ان اقـول ما ليس لي بحق ، ان كنتُ قلتُـه فقـد علمتَـه تعلم مـا في نفسي ولا اعلم مـا في نفسك انـك انت عـلام الغيـوب ﴾[2] وقـال عـز وجـل : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم ﴾[3] .

وقال الشاعر :

عجبـاً للمسيـح بـين النصـارى　　حـيـث قـالوا : إنَّ الإلـهَ أبـوهُ

(١) سورة التوبة آية ٣٠
(٢) سورة المائدة آية ١١٦
(٣) سورة المائدة آية ١٧

ثـم قـالـوا : ابـن الإلـه إلـهٌ   ثـم قـامـوا بـجـهـلهـم عـبـدوه

وفي زمـاننا ـ هـذا ـ نجد المنشـورات الضالّـة التي ينشرهـا المبشّـرون المسيحيـون تُصرح بهـذه الاكـذوبـة ، كقـولهم : يسـوع الـرب . . الـرب يسـوع . . الإله المخلِّص . وامثـالهـا من كلمـات الكفـر . .تعـالى الله عـما يقولون علوا كبيراً .

فاذا سمع المسيحيون بأن عيسى بن مـريم (عليه السـلام) قد نـزل من السماء ، واقتدى بـالامام المهـدي (عليه السـلام) فهل تبقى في العـالم حكومة مسيحية او شعب مسيحي يُحارب الامام المهدي ؟ !

كلّا . . بل تجد المسيحيين يدخلون تحت راية الامـام المهدي (عليـه السـلام) ويعتنقون الـدين الاسلامي . وفيـما يلي نـذكـر بعض الاحـاديث التي تُشير الى هذا المعنى :

رُوي عن الامـام محمد البـاقـر (عليـه السـلام) انـه قـال ـ في خبرٍ طويل ـ : . . فاذا اجتمع عنده عشرة آلاف رجل ، فلا يبقى يهودي ولا نصراني الا آمن به وصدَّقه[١] .

ورُوي هـذ الحديث بصـورة اخـرى وهي : « . . . فاذا اجتمـع عنـده العقـد ـ عشرة آلاف رجـل ـ فلا يبقى يهـودي ولا نصـراني ولا احـد ممّن يعبد غير الله تعالى الا آمن به وصـدّقه ، وتكـون الملّة واحدة : ملّة الاسلام ، وكل ما كان في الارض ـ من معبـود سوى الله تعـالى ـ تنزل عليـه نار

---

(١) كتاب العرائس الواضحة لعبد الهادي الابياري ص ٢٠٩

من السماء فتُحرقه[1] .

ورُوي عن الامام علي امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: اذا بعث السفياني الى المهدي جيشاً فخُسف به بالبيداء، وبلغ ذلك اهل الشام قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته، والّا قتلناك، فيُرسل اليه بالبيعة.

ويَسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس ، وتُنقل اليه الخزائن ، وتدخل العرب والعجم واهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته ، من غير قتال ، حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية ومادونها . الى آخر كلامه (عليه السلام)[2] .

أقول : بناءاً على هذا . . سوف تتعطّل الاسلحة ـ بجميع انواعها ـ عن الاستعمال ، اذ تنتفي الحاجة الى استعمالها .

وأمّا اليهود . . فانهم يجتمعون عند الامام المهدي (عليه السلام) فيُخرج لهم ألواح التوراة المدفونة في بعض الجبال ، فيجدون فيها أوصاف الامام وعلائمه ، فلا يبقى يهودي الّا ويعتنق دين الاسلام .

رُوي عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال : « . . . وإنما سُمّي « المهدي » لأنه يُهدىٰ الى أمرٍ خفي ، ويستخرج التوراة والانجيل من أرضٍ يُقال لها انطاكية[3] .

---

(١) كتاب نور الأبصار للشبلنجي المصري باب ٢ ص ١٥٥

(٢) كتاب كنز العمال للمتقي الهندي ج ٢ ص ٢٦١

(٣) كتاب عقد الدرر

وفي بعض الروايات : وانما سمي (المهدي) لانه يُهدىٰ الى اسفارٍ من التوراة فيستخرجها من جبال الشام ، فيدعو اليها اليهود ، فيسلم ـ على تلك الكتب ـ جماعة كثيرة نحواً من ثلاثين الفاً[1] .

وفي كتب اسعاف الراغبين : وان المهدي يستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية ، وأسفار التوراة من جبل بالشام ، يُحاجُّ به اليهود ، فيُسلم كثير منهم[2] .

أقول : الظاهر ان الدفعة الاولى ـ التي تدخل في الاسلام من اليهود ـ هم ثلاثون ألفاً ، ثم تتوالى الدفعات ، حتى لايبقى يهودي الا ويدخل في الاسلام .

هذا بالنسبة الى اليهود والنصارى .

وأمّا سائر الأديان والمِلَل ، فمن الواضح أنَّ هذا التبدُّل المفاجىء العظيم الذي يحصل في الدول والشعوب سوف يترك أثراً كبيرا على الحكومات اللادينية ، كبلاد الصين والسوفيات وكثيرٍ من بلاد الشرق الأقصىٰ ، فهي لاتستطيع ان تتجاهل هذه الحقيقة التي تُغيِّر مجرى حياة اهلِ العالَم ، خاصة وان الامام المهدي (عليه السلام) يُرسل اليهم الدُعاة والمبلِّغين لكي يدعوهم الى الاسلام الصحيح الكامل الذي لا زيادة فيه ولا نقصان ، فلا تستطيع تلك الدول الا الخضوع والانقياد للحاكم الجديد القوي المقتدر ، وقد قرأت ـ في حديث مضى ـ انه لايبقى احد

(١) كتاب الفتن لنعيم بن حماد

(٢) كتاب إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار ص ١٢٧ .

ممن يعبد غير الله تعالى الا ويؤمن بالامام المهدي (عليه السلام) ويُصدِّقه .

وأمّا الشيعة ـ الذين يُقدَّر مجموعهم في العالَم بعدد نصف المسلمين ـ فمن الواضح أنهم سوف يكونون في طليعة الشعوب التي تلتفّ حول الامام المهدي (عليه السلام) وتندمج تحت لوائه .

وهكذا يسود الاسلام والسلام في كافّة بقاع الارض ، وترى الشعوب والحكومات تدخل في دين الله أفواجاً .

هذا اذا كان ظهور الامام المهدي (عليه السلام) قبل وقوع الحرب العالمية الثالثة المتوقّعة ، أمّا إذا وقعت الحرب العالمية الثالثة (لاسمح الله) وكان ظهور الإمام بعد الحرب ، فلا يمكن تقدير ما يَتبقّى من البشر على وجه الارض ، وخاصّة بعد استعمال القنابل الذرية والهيدروجينية وأمثاله من وسائل الابادة والاعدام .

ومعنى ذلك أنّ الامام (عليه السلام) يظهر بعد أن يهلك أكثر من ٦٠٪ من أهل الارض ، وتبقى البقيّة الباقية وقد دمّرها الإرهاب والإرعاب وحطّمها شبح الابادة ، وانقلبت الحياة الى جحيم لا يُطاق .

فعند ذلك يملّ البشر جميع الحضارات المزيّفة ، وجميع النظريات الفاشلة ، سواءً منها الاقتصادية او الاجتماعية او ما اشبه ذلك ، ويَتنفّر البشر من تلك الحياة السوداء التي يكون الموت أفضل منها وأشرف .

عند ذلك ينتظر الناس كلّهم ـ على إختلاف طبقاتهم ـ من ينقذهم من تلك الويلات ، ومن تلك الأنظمة والقوانين التي ما زادت الناس إلّا

خساراً .

ينتظرون مُصْلِحاً يُصلح مفاسد الحياة ويقضي على تلك التعاليم والأنظمة التي هي عصارة ادمغة الجبابرة الطغاة ، والظالمين القُساة ، الذي كانوا يتفكّرون ليلًا ونهاراً كيف يُضيّقون على الناس مجاري أنفاسهم ؟! وكيف يشدّون عليهم وثاق العبودية والرِقّ ؟! وكيف يَسلبون منهم حرياتهم التي منحهم الله !

حينما يشعر البشر أنْ لا كرامة له ، بسبب الضغط والكبت الذي يشاهده في جميع مجالات حياته ، فانه يَنتظر مَن يقوم باغاثة البشر وانقاذهم من تلك الحياة .

وفي هذا المجال رُويَ عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) انه قال : « دولتنا آخر الدول ولم يبق اهل بيت ـ لهم دولة ـ الا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا ـ اذا رأوا سيرتَنا ـ : اذا ملكنا سِرْنا مثلَ سيرة هؤلاء . وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَالعاقبة للمتقين ﴾ »[1] .

فاذا ظهر الامام المهدي (عليه السلام) خضع الجميع له ، وسلموا اليه زمام أُمورهم ، أَمَلًا في أن يكون خَلاصُهم على يديه .

هذا . . ويمكن أن يُسيطر الامام المهدي (عليه السلام) على الكرة الارضية وعلى الحكومات والشعوب بطرق اخرى ، ويمكن ان يقاوم تلك الاسلحة الفتّاكة بأسلحة اشدّ فتكاً وأكثر دماراً منها .

---

(١) كتاب الغيبة للطوسي ص ٣٨٢

وما المانع أنْ يُعَلِّم الله عز وجل الامامَ المهدي (عليه السلام) أن يصنع أسلحة مضادَة لجميع الاسلحة التي تستعملها حكومات اليوم ، فتكون اقوى تأثيراً ، وأسرع مفعولاً ، وأشد إبطالاً للمعدات الحربية التي تعتمد عليها الدول الكبرى ؟!

ولنا هنا مجال واسع للتحدُّث حول امكانية وقوع هذه التصوّرات ولكننا نكتفي بهذا المقدار رعايةً للاختصار .

هذا اذا تحدَّثنا عن الموضوع من زاوية مادية طبيعية .

وأمّا اذا تكلّمنا وتحدّثنا على الصعيد الديني والعقائدي وما وراء الطبيعة ، فان أمامنا آفاقاً واسعة مفتوحة للاحتمالات والتصوّرات .

فمنها : إلقاء الرُعْب في قلوب الكفار والمشركين والحكّام المعادين للإمام المهدي (عليه السلام) ، وقد صرَّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة وجعَلها من أسباب إنتصار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) على حكومات وشعوب ذلك العهد ، قال عز وجل :

﴿ سَنُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾[1] .

﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾[2] .

﴿ وقَذَفَ في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا ﴾[3]

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٢ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٦ .

﴿ فأتاهم الله من حيث لم يَحتسبوا وقذَفَ في قلوبهم الرعب ﴾[١] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نُصِرْتُ بالرعب مَسيرةَ شهر » .

وقال أيضاً : « أُعطيتُ خَمساً : . . . ونُصرتُ بالرعب » .

وبعد هذا . . فلا مانع من أن ينتصر الامام المهدي (عليه السلام) بالرعب ، اي : عن طريق القاء الرعب في القلوب ، قلوب ذوي القدرة واصحاب الامكانيات من رؤساء الدول ، كما صرّحت بذلك الاحاديث الكثيرة ، فقد رُويَ عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال : «إنَّ القائم منّا منصور بالرعب ، مؤيَّد بالنَصْر ، تُطوىٰ له الارض ، وتظهر له الكنوز كلها ، ويظهر الله به دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون »[٢] .

وقال (عليه السلام) ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أتىٰ أمْرُ الله فلا تستعجلوه ﴾ ـ : هو أمرنا ، امَرَ الله عز وجل أن لا نستعجل به حتى يؤيّده الله بثلاثة أجناد : الملائكة ، والمؤمنين ، والرعب[٣] .

وقال الامام الباقر (عليه السلام) : لو خرج قائم آل محمد (عليه السلام) لَنَصَره الله بالملائكة المسوّمين والمردفين والمنزلين والكروبيين[٤]

---

(١) سورة الحشر آية ٢ .

(٢) كتاب إثبات الرجعة .

(٣) كتاب الغيبة للنعماني .

(٤) الملائكة الكروبيون ـ بتخفيف الراء وتشديد الياء ـ :هم سادة الملائكة والمقربون منهم

يكون جبرائيل امامه وميكائيل عن يمينه ، وإسرافيل عن يساره ، والرعب يسير مَسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ، والملائكة المقربون حذاه . . »[١] .

وقال الامام الصادق (عليه السلام) : اذا قام القائم (صلوات الله عليه) نزلتْ ملائكة بَدْر ، وهم خمسة آلاف[٢] .

ومن التصوّرات والاحتمالات في هذا المجال : أنْ يُزوِّد الله تعالى الامامَ المهدي (عليه السلام) بما زَوَّد به أنبياءه ، كتسخير الريح ، كما سَخَّر ذلك لسليمان بن داود (عليهما السلام) وتسخير جوانب كثيرة من الطبيعة ، فالريح تصنع كلَّ شيء بأمر الله تعالى ، والعواصف التي تؤثِّر في الارض والهواء والبحار لا يمكن التغافل عنها ، وهكذا الصواعق التي لا يمكن ان تُقاس بمقياس خيالي او تصوّري .

وبالنتيجة : يمكن للامام المهدي (عليه السلام) أنْ يُهيمن ـ بإذن الله ـ على كافة مرافق الطبيعة ، ويتصرَّف فيها باذن الله وارادته .

وبعد هذه التصوّرات ـ التي ليست بعيدة عن الحقيقة ـ ليست هناك مشكلة حول استيلاء الامام المهدي (عليه السلام) على العالَم ، وتحدِّي القُدرات ، وإبطال المساعي والجهود التي يبذلها المناوئون .

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني . حذاه :

(٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٤٣ .

ما هي فائدة السيف؟

في هـذا المجـال . . يـأتي هـذا السؤال : اذا كـان الامـام المهـدي، يستعين بتلك الوسائل المذكورة ، فـما هي فائـدة السيف ؟ وما المقصـود من الاحاديث التي تقول : انه (عليه السلام) يقوم بالسيف ؟!

الجـواب : لقـد فَهِم بعضُ العلماء أنَّ المقصـود من السيف ـ هنـا ـ : القوَّة ، لأن السَيف هو رمز القوة .

وبعبـارة أُخرى : إنَّ المعنى أنَّ الامـام المهدي (عليـه السلام) ليس مأموراً بالمصانعة والمداراة مع الاعداء والصبـر على أذاهم ، بعكس مـا كان عليـه جدُّه الـرسول الاعـظم (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) حيث كـان مأموراً بالصبر على ما يُلاقيه من الاعداء ، وكانت الاوامر بالصبـر تأتيـه من عنـد الله ، كقـولـه عـز وجـل : ﴿ فـاصبـر كـما صبـر اولـوا العـزم من الـرسل ﴾[1] وقـوله تعـالى : ﴿ فاصبـر على مـا يقولـون ﴾[2] وغيرهـا من الآيات الآمرة له بالصبر .

إنَّ الامـام المهدي (عليـه السـلام) اذا ظهَـر لا يؤمَـرُ بـالصبـر ولا يحتـاج الى الصبر ، وانمـا عليه أنْ يـأتي بالاسـلام الصحيـح ويُـطبّقـه عـلى العـالَم ، وكلّ مَن خـالف الاسلام او حالَ دون تطبيقـه ، فمصيره واضـح في القانون الاسلامي .

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥

(٢) سورة ص آية ١٧ .

ويمكن لنا أن نقول : إنَّ المقصود من « السيف » ـ هنا ـ هو المعنى الحقيقي ، وهي الأداة الجارحه المعروفة ، فيكون المعنى أنَّ الامام المهدي (عليه السلام) يستعمل السيف في تطبيق قانون العقوبات ، فالذي يستحق القتل يُقتَل بالسيف لا بالرصاص ولا بالشنق ـ لأن الشنق يُعتبر خنقاً . . لا قتلاً ـ ولا بالاعدام بالكهرباء . . ولا بالسم . . ولا الموت تحت التعذيب ، ولا أي نوع من انواع التعذيب التي تمارسها الحكومات في العالَم ، اليوم وغير اليوم ، وانما بالسيف يُضرَب عنُق المجرم ، فتقطع أوداج رقبته فقط .

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر بقتل من يستحق القتل بالسيف وضرب الاعناق .

وعلى كل تقدير . . لا يبقى مجال للمناقشة حول الموضوع بعد هذا الشرح المتواضع .

الفصل العشرون

كَيفَ يحكم إذا ظهر ؟

كيف يحكم الامام المهدي (عليه السلام) اذا ظهر ؟

يُعتبر هذا السؤال من جملة الأسئلة المهمَّة في هذا المجال ، والاجابة عليه تستدعي ذِكْر مقدمة تمهيدية عن الحكم والقانون . . فنقول :

إنَّ مِن جملة العوامل التي لها كلُّ التأثير في سعادة الشعب وشقائه ، وإصلاحه وإفساده ، هي القوانين السائدة الحاكمة في المجتمع ، وخاصةً في حَقْل الحُكم والقضاء .

فالقوانين ـ بشتّى أقسامها وأنواعها ، وفي جميع جوانبها ومجالاتها ـ تُعتبر هي الاداة التوجيهية والجهاز التربوي الذي يُسيِّر المجتمع نحو الفضائل أو الرذائل ، ويسوقهم نحو الخير او الشر .

وبتعبير آخر : إنَّ مقدَّرات حياة المجتمع رهينة للقوانين السائدة في ذلك المجتمع ، فالقانون يُهيّىء وسائل الثقافة ، أو يُعرقِل وسائل الدراسة .

وبإمكان القانون أن يُعطي الحريات في أوسع نطاق ويفسح المجال لكلِّ انحراف ، وبامكانه أن يُحافظ على الاخلاق والقِيَم ، ويُكافح كلَّ ما يُنافي الوقار والحِشْمة .

والقانون يؤدّي الى الثروة والغنى والرخاء والرفاه ، او يُكوِّن الفقر والغلاء والمجاعة . . . وهكذا الى مئات الآلاف من الأمثلة التي يتحكَّم

فيها القانون .

وخلاصة القول : إنّ القانون هو الكُلُّ في الكُل ، وخاصةً في مجال الحكم والقضاء ، فالحاكم ـ او القاضي ـ بامكانه إغاثة المظلوم وإعانة الضعيف وانقاذ حقّه من الظالم ، وبامكانه إبطال الحق واحقاق الباطل وسحق الحقوق واهدار الدماء ، والتلاعب بأموال الناس وأعراضهم .

هذه كلمة موجزة عن الحكم والقانون بصورة عامة .

وفي الوقت الحاضر . . في عالَم اليوم . . ملايين القوانين التي تُطبَّق على المجتمعات البشرية ـ سواء في البلاد الاسلامية وغيرها . ـ

والجزء اليسير من هذه القوانين يُطابق العقل والعدل ، أمّا اكثرها فهي مناقضة لجميع المفاهيم والقيم والاخلاق والفضيلة والعدالة ، وحتى للأديان السماوية .

فالقانون يُعطي حريّة الدعارة والاستهتار وممارسة البغاء والانحراف الجنسي ، وتعاطي الخمور والربا . والقانون يمنع السفر او الاقامة ، والتجارة ـ من الاستيراد والتصدير ـ وبناء المساكن ، والزراعة ، وتربية الدواجن ، ولا يسمح بها إلاّ في شروط قاسية وضرائب جائرة .

هذا . . ولو أردنا ان نذكرمساوىء القوانين في البلاد ، والمصائب، التي تَصبُّها على البشر ، لابتعدنا عن الموضوع المقصود بالذات وهو : كيف يحكم الامام المهدي (عليه السلام) اذا ظهر .

ونكتفي ـ هنا ـ بما يَشعر به كلُّ انسان تُضايقه القوانين الظالمة ، وتَسلب منه حرية الانتفاع بالحياة . . فنقول : إنَّ جميع القوانين غير

الاسلامية ـ بمختلف أقسامها ـ تُلغىٰ في عهد الامام المهدي (عليه السلام) وتُطرَح في سَلَّة المهملات وبرميل القمامة ، ولا تكون لها ـ يومذاك ـ قيمة ولا كرامة .

ويكون المصدر الوحيد للقانون ـ الذي يحكم على الارض ـ هو القرآن الكريم والسُنَّة النبويَّة الصحيحة ، السليمة من التَلاعب والتزوير والاختلاق .

وعند ذلك . . يتخلَّص البشر من ويلات القوانين الكافرة الجائرة ، ويعيش تحت ظل القوانين الاسلامية العادلة ، التي تُحافظ على حقوق البشر ، وتوفِّر لهم كل خير ورفاه ، وتُوقِفُ كلَّ ظالم عند حَدِّه ، وتَسدّ أبواب الانحرافات ، بجميع أقسامها وانواعها.

ويجب أن لا ننسى بأن القوانين الاسلامية الصحيحة ، هي التي تضمن سعادة البشر في الدنيا و الآخرة .

وأما غيرها من القوانين ، فالأوضاع السائدة في العالَم ، تُعرِّف حقيقتها وهويَّتها : فالمفاسد والمظالم والمآسي والمشاكل وأنواع الحرمان والكبت والضغط . . انما هي من نتائج وآثار هذه القوانين الوضعيَّة ، التي جَرَّت كلّ هذه الويلات على المجتمعات البشرية .

ويَفهم كلامي هذا جيداً ، كلُّ مَن ابتُلِي بالوزارات الحكوميَّة والدوائر الرسمية والمحاكم القضائيَّة . . حيث أنَّه يرى ـ بكلِّ وضوح ـ كيف تُغدَر فيها الحقوق وكيف يَنتصِر الباطل ، وكيف تُهدَر الكرامات ، وكيف تموت العدالة ، وكيف تحكم الرشوة ، وكيف تؤثِّر الوساطات

والتوصيات الصادرة من الشخصيات الحكومية ؟!!

ولبعض المحامين دَورٌ مؤسِف مؤلم ، في إبطال الحق واحقاق الباطل وسحْق الحقوق ، وخاصةً اذا كان المدَّعي او المدَّعىٰ عليه ضعيفاً وعاجزاً عن الدفاعِ عن نفسه ، أو عن التَشبُّث بالوسائل الناجحة لانتصاره وتغلّبه على خصمه .

واني أعتقد أنَّ القوانين الاسلامية الصحيحة ، الأحكام الالهية ، لم تُطبَّق بكاملها إلاّ في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعهد الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) ثم صارت نَسْياً مَنسياً ، أو جُمِّدتْ وبقيتْ مكتوبة في بُطون الكُتُب فقط .

وأستطيع أن أُثبِت هذا المعنى في المجال المناسب ، ولكنَّني أُلَخِصُ البحث - هنا - في هذه الكَلمة : فأقول : إنَّ الذي يُراجع تاريخ الامويين والعباسيين والعثمانيين وأمثالهم مِن حُكّام السوء ، يَعرف هذا الموضوع بكلٍّ وضوح .

والواقع : إنَّ الهدف الالهي لم يَتحقّق بَعدُ . . فالله سبحانه خلق للبشر كلَّ ما يحتاج اليه، مِن الماء والهواء والأرض والمعادن، وجعل التراب صالحاً للزرع، مع تفاعل العناصر الأربعة مِن الشمس والهواء والماء والتراب، وسخَّر الطبيعة للبشر، كي يعيش سعيداً في حياته، بأن تتوفَّر له لوازم الحياة وضرورياتها، من المأكل والملبس والمسكن وغير ذلك.

ولكن الحُكّام - على طول التاريخ ، قبل الإسلام وبعده - هم الذين كانوا يستعبدون البشر ، ويحُولون بينه وبين الحياة السعيدة ، فكان الملايين

يعيشون في شقاء ويموتون في شقاء .

هذا من الناحية الدنيوية وحياة المعيشة .

وأمّا من الناحية العقائدية فالله تعالى بَعث الانبياء والمرسلين الى البشر ، لاصلاح عقائدهم ، وغرس الايمان في قلوبهم ، وايقاظ فِطْرتهم ، واثارة دفائن عقولهم ، واستخراج مواهبهم ، وتفجير طاقاتهم .

وخلاصة القول : إنَّ الله سبحانه بعث الانبياء لاصلاح حياة البشر ، من الناحية العقائدية والحيوية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية . . وكلِّ النواحي الأُخَر .

وأكثر أفراد البشر حاربوا هؤلاء المُصْلحين ، ولم يَقبلوا نصائحهم ، وأهانوهم واستهزؤا بهم وقتلوهم ، والقرآن الكريم : يُحدّثنا عن موقف بعض الأُمم تجاه أنبيائهم .

كانت هذه لمحة خاطفة عن تاريخ الانبياء والبشر .

وأمّا بالنسبة الى نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالقرآن الكريم ـ أيضاً ـ يُحدّثنا عن بعض ما قام به المشركون والكفّار ضدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) . والحروبُ والغزواتُ ـ التي حدَثتْ بعد الهجرة إلى وفاة رسول الله ـ كلُّها شواهد على تلك المواقف المخزية لبعض افراد البشر تجاه رسول الله ، ذلك النبي العظيم ، والمصلح الحكيم ، والأب العطوف .

وبعد اللّتيا والّتي . . استقرّ الإسلام وقويتْ أركانه ، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فأمَر الله رسولَه أن يَنصِب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفةً مِن بعده واماما على أُمّته ، ووليّاً للأمر

على الناس .

وامتثل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمْرَ الله وَنَفَّذ حُكمَه ، بعد أن رَجَع من حَجَّة الوداع ووصل الى أرض (خُم) وجمع الناس فكانوا مائة وعشرين ألفاً ـ وقيل أكثر من ذلك ـ وخطَبَ فيهم خطبة جليلة طويلة ، ثم أخذ بيَد الإمام علي (عليه السلام) وقال : « مَن كنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه » وأمَرَهم باتباعه واطاعته ، وحَذَّرهم من مخالفته ومُنابَذته ، ولكن اكثر المسلمين خالفوا أمَر الرسول ولم يَثبُت على طاعته إلاّ القليل .

فجاء الى الحكم أفراد اتّبعوا أهواءهم أكثر من اتّباعهم القانون الاسلامي النزيه ، فجرىٰ ما جرىٰ على الأجيال البشرية ـ في خلال هذه القرون ـ من أنواع المصائب والآلام والفجائع ، وما تجلّىٰ جمال القانون الاسلامي الكامل للبشر ، خلال هذه القرون ، فكان الناس يَظنّون أنّ الاسلام هو ما يُشاهدونه مِن الحُكّام والقوانين الصادرة منهم .

حُكْمُ الامام المهدي (عليه السلام)

عندما نتحدَّث عن حُكم الامام المهدي (عليه السلام) فانَّ الحديث يدور حول نقطتين :

النقطة الأُولىٰ : إصدار الأحكام ووضْع القوانين والتعليمات في مختلف المجالات .

النقطة الثانية : القضاء بين الناس ، سواء ترافَع اليه الخَصْمان أم لا .

بالنسبة الى النقطة الاولى . . ذكرنا ـ قبل قليل ـ أنَّ جميع القوانين غير الاسلامية تُلغى وتُهْمَل ولا يُعمَل بها أبداً ، وتأتي الاحكام الاسلامية

ـ المنبعثة عن القرآن الكريم والسُنّة النبوية الصحيحة ـ وتسود العباد والبلاد وتُطبّق على المجتمع . .

وخلاصة القول : إنَّ جميع الانجازات والأحكام التي طبّقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) ـ في شتّى الميادين وفي كافة المجالات ـ سوف يُطبّقها الإمام المهدي (عليه السلام) في عصْره .

ويقوم (عليه السلام) بانجازات أُخرى ـ وهي أيضاً من صميم الإسلام ـ كبناء الجسور والسدود ، وتوسيع الشوارع والطرق الرئيسية ، وحَفْر الأنهار ، ونَصْبِ المطاحن عليها ، والسماح للناس لاحياء الأراضي الموات والانتفاع ممّا خَلَق الله تعالى ، كالمعادن ـ على اختلاف انواعها ـ .

هذه كلمة موجزة عن حكم الامام المهدي (عليه السلام) بعد ظهوره وقيامه .

واما بالنسبة الى النقطة الثانية . . فنقول :

قضاء الامام المهدي (عليه السلام)

إنَّ قضاء الإمام المهدي (عليه السلام) بين الناس ، يمتاز عن قضاء أجداده الطاهرين (عليهم السلام) بمزيَّة خاصة وهي : أنَّه يحكم بعِلمه واطّلاعه بالحوادث والوقائع ، ولا ينتظر شهادة الشهود ، ولا الأدلّة التي تُثبِت الإدّعاء .

والكلام ـ هنا ـ في نقطتين :

النقطة الأولىٰ : لقد تكرَّر منّا ـ في هذا الكتاب ـ ذِكْر الحديث المشهور الصحيح المتواتر المرويّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)وعن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) : أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً .

والجدير بالذِكْر أنَّ هذا الحديث بالذّات ، مَرويٌّ في كُتُب الاحاديث مئات المرّات ، بطُرُق كثيرة وعديدة ، بحيث لا يبقىٰ مجال للشك في صحّته .

ومن الطبيعي أنَّ الإمام ـ الذي يُريد أن يقضي على كلِّ ظلم ، ويَقلع كلَّ جذور الجور في كل مكان وعن كل انسان ـ لا يُتوقَّع منه أن ينتظر حتى يرفع المظلوم اليه الشكوىٰ ، ويَطلب الإمام مِن المدَّعي إقامَةَ البيّنة ، وإبراز المستمسكات والمستندات وأمثال ذلك لإثبات مُدَّعاة .

كلّا . . إذ قد يمكن أنْ لا يجد المدَّعي الأدلَّة والبراهين لاثبات دعواه أو يعجز عن إثبات حقّه ، او لا يستطيع أن يُزيِّف إدّعاءات الظالم .

ومن الممكن أن يقع الظلم في كثير من بقاع العالم ، ولا يستطيع المظلوم أن يرفع أمْره الى الإمام المهدي (عليه السلام) ومن الممكن أيضاً أنَّ انساناً يُقتَل ظلماً وسرّاً ، ولا يَعلم أحدٌ بقتله ، ولا يعرف أحدٌ قاتلَه ، فيهدر دمه فكيف تملأ الأرض قسطا وعدلا ؟!

النقطة الثانية : لقد رُويَ أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إنّما أقضي بينكم بالأيمان والبيّنات » ولعلَّ المعنى الظاهري لهذا الحديث هو أنّ النبي لا يحكم بين الناس حسَب عِلْمه الشخصي

واطّلاعه الخاص ، فمثلاً :

لو أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عَلِمَ - بِعلْم النبوَّة - أنَّ فلاناً قد سرق ، فإنَّ النبي لا يُقيم عليه الحَدّ ، بل ينتظر شهادة الشهود ، فإن قامت البينة على السارق بالسرقة ، أقام النبيُّ عليه الحدّ .

هذا . . ولو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحكم بين الناس حسَب إطّلاعه الشخصي ، لصارَ عملُه سُنَّةً وحُجّة بين أُمّته .

إذن : لجاز لكلِّ قاضٍ وحاكمٍ أن يُقيم الحدّ على مَن شاء ، ويحكم على مَن يُريد بما يريد ، وبلا مبالاة بالبيّنة والشهود ، ويدَّعي أنه يحكم بعِلْمه الشخصي .

وبهذا يختلّ النظام ، ويتفشّىٰ الفوضىٰ في حقل الحكم والقضاء ، وتختلّ المقاييس الفقهية والعُرفية .

ولكن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) سَدَّ هذه الأبواب على قضاة السوء وحكّام الجور ، كيلا يستطيعوا أن يحكموا بين الناس حسَب ميولهم وأهوائهم ، ثم يَدَّعوا أنهم يحكمون حسب معلوماتهم الشخصية .

أمّا الإمام المعصوم العدل - الذي لا يُخشى منه أن يميل في حكمه وقضائه الى الهوى والباطل ، ولا يُتصوَّر في حقّه وشأنه أي إنحراف - فإنه يجوز له ان يحكم حَسَب عِلْمه الشخصي بالقضايا ، ولا ينتظر شهادة الشهود ولا اقامة البينة من المدَّعي ، ولا يُرتِّب أثراً على اليمين التي يأتي بها المدَّعي او المدَّعىٰ عليه ، سواء كانا صادقين أم كاذبين .

وانطلاقاً مِن هاتين النقطتين :

١ ـ أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

٢ ـ أنَّه يحكم حسب علمه الشخصي .

فإن الإمام المهدي (عليه السلام) يُقيم الحدَّ ، ويَقتصّ ويُعزِّر مَن صدر منه ما يوجب القصاص او التعزير ، حتى اذا لم يشهد الشهود ولم تَقُم البيِّنة .

ولتوضيح هذا المعنى نذكر مثالين :

١ ـ لو أنَّ إنساناً شرب الخمر في بيته ، ولم يره أحد حتى يشهد عليه ، فإن الإمام المهدي (عليه السلام) يَعلم ذلك ـ بعلم الإمامة ـ وله أن يُقيم عليه حَدَّ شارب الخمر .

٢ ـ ولو أنَّ إنساناً ارتكب جريمة يستحق عليها العقاب ، فإن الإمام المهدي (عليه السلام) له أن يُعاقبه على فعله . فعند ذلك يَعلم كلّ مَن سَوّلتْ له نفسُه أنْ يرتكب خطيئة أو جريمة ، بأنَّ الإمام يَطّلع على فعله ـ بعِلْم الإمامة ـ ويُطبّق عليه قانون العقوبات .

وسيكون هذا هو الرادع القوي لِكلِّ مَن يُريد ارتكاب الجرائم ، وبهذا يتورّع الناس عن كلّ إنحراف ، في جميع المجالات .

وممّا يؤيّد ذلك . . ما رُويَ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال : بينا الرجل على رأس القائم (عليه السلام)[1] يأمر وينهى ، إذْ

(١) أي : واقف بجنبه .

أمَرَ(الإمام)بضَرْب عُنقه، فلا يَبقىٰ بين الخافقين[١] شيء إلا خافه[٢].

وهذا الحديث صريح بأنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يُعاقب ـ مَن يستحقّ العقوبة ـ حسب علم الإمامة ، ولا ينتظر الترافع اليه .

وهكذا تمتلأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ولا يتجرَّأ أحدٌ على مخالفة القانون الإسلامي .

أمّا الاحاديث ـ التي تُشير الى هذا المعنىٰ ـ فهي كثيرة .. نَذكر منها ما يلي :

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : اذا قام قائم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حَكَمَ بحُكم داود ، ولا يسأل البيِّنة[٣] .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : لا تذهب الدنيا حتى يَخرج رجلٌ منّي ، يحكم بحكومة آل داود ، ولا يسأل البيِّنة ، يُعطي كلَّ نفسٍ حقَّها . وفي رواية : يُعطي كلَّ نفس حكمها[٤] .

وقال (عليه السلام) ـ في حديث له ـ : ... ثم يأمر مُنادياً يُنادي : هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان ،ولا يسأل على ذلك بيِّنة[٥] .

---

(١) الخافقان : المشرق والمغرب .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٣ رقم الحديث ٣٣ .

(٣) كتاب وسائل الشيعة . البينة : الدليل والحُجَّة .

(٤) كتاب بحار الانوارج ٥٢ .

(٥) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٠ .

وقال (عليه السلام) : إذا قام قائم آل محمد (عليه السلام) حَكَم بين الناس بحكم داود ، لا يحتاج الى بيِّنة ، يُلهمُه الله تعالىٰ ، فيحكم بعِلْمه ، ويخبر كل قوم بما إستبْطَنوه[١][٢] .

والسؤال الآن : ماهو المقصود من « حكم داود » ؟

الجواب : ليس المقصود من « حُكْم داود » شريعَته ، لأنَّ جميع الشرائع - التي كانت قبل الاسلام - نُسختْ ، وانما المقصود - والله العالم - هو أنّ الامام المهدي (عليه السلام) يحكم - في القضايا - حسب اطّلاعه بالواقع وعِلْمه بالحق ، ولا يَعتمد على الظاهر .

وهكذا كان النبي داود (عليه السلام) . لقد حكم داود - فترة من الزَمَن - بالواقع ، وكانت الحقائق تنكشف له باذن الله تعالى ،ولذلك لم يكن يُبالي بقول المدَّعي او المدَّعىٰ عليه .

وهنا سؤال يقول : كيف يستطيع الامام المهدي (عليه السلام) أن يُطبِّق هذه العدالة في كلِّ مكان وفي جميع البلدان ، مع العِلم أنَّه يعمل بعِلمه في القضايا والمرافعات التي تقع في بلده ؟؟

يمكن الجواب على هذا السؤال ، بقول الامام الصادق (عليه السلام) : اذا قام القائم بَعَثَ - في أقاليم الأرض ، في كلِّ إقليم - رجلاً . . يقول (له الإمام) : عَهْدُكَ في كَفّك ، فاذا ورَدَ عليك أمرٌ لا

---

(١) أي : بما أخفوه وأضمروه .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٩ .

تَفهمــه ولا تعرف القضاء فيه ، فانظُر الى كفّك ، واعمل بما فيها . . »[١] .

أقول : هذا الحديث له ثلاث احتمالات :

١ ـ إمّـا أن يُحمل عـلى الإعجـاز ، بـأن تَـظهـر الأحكـام الشـرعيـة مكتوبةً على أكفّ الحكام ، عند الحاجة اليها .

٢ ـ وإمّا أن يكون المقصود من قولـه (عليه السـلام) : « عهدُك في كفّـك » جهاز الـلاسلكي الـذي يحمله رجـال المخـابـرات ـ من الشـرطـة والجيش وغيـرهما ـ في كـلّ مكان ، ويتلقّـون الأوامـر من مـركـز القيـادة ، وتراهم يحملون هذا الجهاز بأيديهم ـ على الأكثر ـ .

٣ ـ وإمّـا أن يكون لـه معنى آخر يعلمـه الله تعالىٰ ، وسيكشف عنـه بعد ظهوره (عليه السلام) .

وخـلاصة القـول : إنَّ الإمام المهـدي (عليه السـلام) يكـون عـلى اتصال دائم مع الحكام الذين نَصَبهم ووزَّعهم في جميع الاقاليم .

والإقليم ـ عند العـرف ـ ما يختص بـاسم ، ويتميَّز بـه عن غيـره ، فمثلاً : مصر تُعتبر إقليماً ، وهكذا الشام واليمن ، وما شابه[٢] .

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢١ .

(٢) كتاب مجمع البحرين .

حياة المجتمع في عصر الإمام المهدي (عليه السلام)

يعتبر عصر الإمام المهدي (عليه السلام) - بعد ظهوره وقيامه - من افضل عصور الكرة الأرضية منذ خلق الله الأرض ، او منذ خلق الله آدم (عليه السلام) .

ومن الصحيح ان نسمي عصر الامام المهدي (عليه السلام) : عصر النور وعصر العلم ، لا العصور التي نحن نعيشها اليوم ، التي هي عصور ظلمات الجهل والفقر ، والانحراف والفجائع ، والجور والضلالة وأمثال ذلك .

وانطلاقا من الكلمة الحكيمة المشهورة : « تعرف الاشياء بأضدادها » يمكن لنا ان ندرك شيئا من ازدهار ذلك العصر ، وجمال الحياة في ذلك الزمان ، وحلاوة العيش في تلك السنوات ، بالقاء نظرة خاطفة الى الوضع المأساوي الذي نعيشه في الوقت الحاضر :

أُنظر الى المجتمع الذي نعيشه اليوم ، وانظر الى المكاره التي عكّرت الحياة على الناس ، وسلبتهم لذة العيش وحلاوة الحياة ، من انواع الحرمان : فهذا محرومٍ من المال ، والآخر محروم من دار يسكنها ، او حانوت يتجر فيه ، او مال يؤمّن به حياته وحياة عائلته ،او يداوي نفسه او من يتعلق به ،فترى المشاكل محيطة بالحياة . والأزمات تسد الأبواب على الناس ، مِن فقْد الحريات : حرية السكن ، او السفر ، او التجارة ، او العمل ، او الاقامة ،

او الخطابة ، او الكتابة والتأليف ، وابداء الرأي وغيرها !

ومن زوال الامن والأمان ، فالانسان يخاف على حياته وعلى امواله وعلى عائلته ، والضعفاء يخافون من الأقوياء ، والاغنياء يتجبرون على الفقراء ، وانتشار العقد النفسية التي لا تحصى مضاعفاتها ! .

ثم انظر الى الفقر والمجاعة التي يعيشها اكثر البشر في العالم ، والأمراض الناتجة من سوء التغذية ، وخاصة بين الاطفال . . . وهكذا وهلم جرا .

انظر الى الناس والى نواقص حياتهم ومحرومياتهم ، واهدار كراماتهم ، ومآسيهم ومصائبهم ومشاكلهم ، فالسجون مملوءة بالملايين ، والحروب تأكل وتسحق وتمزق وتدمر وتحرق .

بعد هذا العرض الخاطف . . . اقلب مظاهر الحياة كلها ـ مائة بالمائة ـ عند قيام الامام المهدي (عليه السلام) فالفقر يرحل عن المجتمع البشري والحرمان يزول عن الناس ، والعقد النفسية تنحل ، والأحزان تنقلب افراحا . وجحيم الحياة ينقلب نعيما ، والذبول المستولي على الوجوه تتبدل طراوة ونضارة ، والخوف يرتفع ، والأمان يسود العالم والعدالة تخيم على رؤوس البشر ، والظلم يتبخر ، فلا ترى ظالما ولا مظلوما ، والمسلمون تتحقق امنياتهم ، والسلام يشمل الكرة الارضية والاسلام ينتشر في كل بقعة من بقاع الأرض ، فلا يعيش على وجه الأرض الا من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن الإمام علياً وليُّ الله وحُجَّته .

كل ذلك .. ببركات نهضة الامام المهدي (عليه السلام) وقيامه

وانجازاته ، وخطواته الاصلاحية ، ومشاريعه العمرانية ، وتعاليمه القيمة ، وتطبيقه للقوانين الالهية .

وليس من السهل : الاحاطة بانجازات الامام المهدي (عليه السلام) والاطلاع عليها بصورة مفصلة ، حين قيامه ونهضته ، لأن المفاسد والمآسي والمصائب والمنكرات والانحرافات المنتشرة في المجتمعات البشرية عدد نجوم السماء ، لا تعد ولا تحصى !

ويجب ان نعلم ان أكثر الانحرافات انما تحدث بسبب القوانين الجائرة ، التي هي خلاصة ادمغة الهيئة الحاكمة الظالمة . . تلك القوانين التي سلبت من البشر الحرية والكرامة ، فكانت النتيجة : إنتشار الجهل والفقر ، والحرمان والمشاكل ، والذنوب والجرائم والفجائع ، وغيرها من مظاهر الشر ! !

نعم . . ان القوانين المنحرفة هي التي تسبب الفحشاء والسرقة والقتل والجوع وغير ذلك في المجتمعات، فاذا أزيلت تلك القوانين العوجاء وحلت مكانها الاحكام الالهية فان المجتمعات تنقلب الى الرخاء والرفاه والصلاح والاعتدال .

وينبغي أن لا ننسى ان مئات الاحاديث ـ الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) المذكورة في كتب الشيعة والسنة والتي قد تجاوزت حد التواتر ـ قد صرحت بان الامام المهدي (عليه السلام) يملأ الارض قسطا وعدلا بعد ان تملأ ظلما وجورا .

وهذه الكمية الكثيرة من الاحاديث تركز على نقطتين :

الأولى : ان الامام المهدي يملأ الارض قسطا وعدلا .

الثانية : بعد ان تملأ ظلما وجورا .

فيمكن لنا ان نقول : ان الجملة الثانية علة للجملة الاولى ،

وبعبارة اوضح : ان ظهور الامام المهدي (عليه السلام) يكون اذا امتلأت الارض بأنواع الظلم والجور ، فالحكام يظلمون الشعوب ، والأقوياء يظلمون الضعفاء ، والرجل يظلم زوجته وبالعكس ، والاولاد يظلمون الوالدين وبالعكس ، والجيران يظلم بعضهم بعضا ، والأجير يظلم من استأجره وبالعكس ، ويشمل الظلم الأرامل والايتام والضعفاء ، بل وحتى الحيوانات ، فلا ترى الا ظالما او مظلوما ، بل يتجاوز الظلم الى حد الجور ، فالبريء يقتل مظلوما ، ثم يمنع اهله من البكاء عليه ، او تشييع جنازته !! .

وقد حدَثَ في زماننا ـ في بعض البلاد ـ ان بعض الحكومات البائدة كانت تقتل الابرياء ظلما . فاذا جاء اهل المقتول لاستلام جنازة القتيل كانت الحكومة تأخذ منهم قيمة الطلقات النارية ـ التي قتلوا بها ذلك المسكين ـ بأضعاف قيمتها ، وذلك بعد ان يفتشوا جنازة القتيل لاحصاء مكان الطلقات النارية في جسده ، ثم كانوا يسلمون الجثة الى ذويها . !!

او كانوا يصادرون الاموال ظلماً وبغيا ، ثم لايسمحون لصاحب تلك الأموال ان يتكلم بكلمة واحدة ، او يتظلم الى احد ، او يشكو مصائبه الى احد !! .

ان هذه المآسي والضغوط ـ وملايين من أمثالها ـ هي التي تهيىء المجتمعات للانفجار والثورة ضد الطبقة الحاكمة الظالمة ، فاذا قام من يقود

الثورة فان الملايين من المظلومين يتبعونه ويؤيدونه بصدوررحبة- ويبدون استعدادهم لمؤازرته ، ويقفون الى جانبه ولو الى حد الموت ، لأن تلك الحياة التي يعيشونها تكون مكُروهة مبغوضة عندهم .

وهذه الامور تكون كمقدمة تمهيدية لنهضة الامام المهدي (عليه السلام) وقيامه بنشر العدل والقسط في جميع المجتمعات البشرية .

وليس معنى ذلك ان المسلمين يتكاسلون ويتقاعسون عن العمل وبذل النشاط فلا يتكلمون ولا يكتبون ولا يعملون شيئا ـ كهداية الناس ومكافحة الظلم ـ ظناً منهم ان ذلك يؤخر ظهور الامام المهدي (عليه السلام).

كلّا . . لأن هداية الناس ومكافحة الظلم واجبة ، من باب (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) ولا تؤثر في تأخير ظهور الامام (عليه السلام) . فنحن مكلفون بالعمل ولسنا مسؤولين عن تقدم ظهور الامام او تأخره .

بعد هذه المقدمة . . اعود الى حديثي عما يقوم به الامام المهدي من الانجازات والخطوات الاصلاحية فأقول :

ان حياة البشر لها جوانب عديدة ونواحي متعددة ، وجميع تلك النواحي والجوانب يمكن ان ينتشر فيها الفساد ، ولذلك فان الإمام المهدي (عليه السلام) يقوم بانجازات عامة واسعة النطاق ، لاصلاح جميع تلك الجوانب والنواحي .

ويستفاد من الاحاديث الكثيرة أن تطوراً عظيماً وتبدلا كبيراً سوف يحدث في المجتمعات البشرية كلها ـ في ارجاء الكرة الأرضية ـ وسوف

تتغير صُوَر الحياة الى صُوَر اخرى رائعة ، في جميع مظاهرها ومرافقها .

وفيما يلي نتحدث عن بعض نواحي الحياة وازدهارها في عصر الامام المهدي (عليه السلام) :

الحياة الثقافية في عصر الامام المهدي عليه السلام

تزدهر الحياة الثقافية في عصر الامام المهدي (عليه السلام) ازدهاراً لا مثيل له في تاريخ البشر ، وينتشر العلم والثقافة ، وخاصة العلوم الدينية والاحكام الشرعيَّة والمعارف الاسلامية ، وتدور عجلات الثقافة بصورة سريعة .

ومن الواضح ان تبدلا وتطورا عظيما سوف يحصل في هذا الحقل .
ويتبادر الى ذهني ـ والله العالم ـ ان كثيرا من كتب الفقه والحديث سوف يطرأ عليها التهذيب والتنقيح ، وكمية كبيرة من مواضيع كتب اصول الفقه ومباحثه سوف ينتهي دورها ويبطل مفعولها ، لأن الامام المهدي (عليه السلام) يبين القواعد العامة للمسائل الشرعية ، وبذلك يُستغنىٰ عن كثير من مباحث الاصول .

وكذلك الحال بالنسبة الى كتب الدراية والرجال وتراجم رواة الاحاديث وتقسيم الاحاديث ـ الى صحيح وضعيف وما شابه ذلك من الاصطلاحات ـ فان تلك الكتب يستغنى عنها ـ لأن اكثرها مبينة على الحدس والظن ، وانما كان يستفاد منها في عصر الغيبة وانقطاع الناس عن الإمام (عليه السلام) .

اما في عهد الامام المهدي (عليه السلام) فان الناس يجدون الاحكام الشرعية القطعية . . واكثر كتب التفسير يسقط عن الاعتبار ، اذ

لا يعبؤ الناس بالتفاسير المنبعثة من الآراء الشخصية او المتطرفة ، وتبقى - فقط - التفاسير المروية عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) .

وهكذا الحال بالنسبة الى القراءات المختلفة - التي ما انزل الله بها من سلطان - فان الناس يتعلمون القران من الامام المهدي (عليه السلام) كما انزله الله تعالى ، ويعرفون تفسيره كما قصده الله واراده ، ويطّلعون على معارف القرآن واسراره وعجائبه التي كانت - ولا تزال - مجهولة ومكتومة .

وهكذا يُستغنى عن كثير من العلوم المستحدثة التي جاءت نتيجة الفكر والخيال كأكثر مباحث الفلسفة .

والخلاصة : ان العلم الصحيح ينتشر في كل بيت ، وتتكون حلقات التدريس في المجتمعات ، للرجال والنساء .

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « ... تؤتَون الحكمة في زمانه (اي زمان الامام المهدي) حتى ان المرأة لتقضي - في بيتها - بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)»[1] .

إن هذا الحديث يدل على أن الناس يؤدَّبون في زمانه (عليه السلام) بالآداب الدينية وتعليم الاحكام الشرعية ، وترتفع مستوى الثقافة والحضارة فيهم الى درجةٍ تتمكن المرأة - وهي في بيتها - من الحكم بين المتنازعين ، بما يوافق كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني باب ١٣ حديث ٣٠

ويجب ان نعلم ان الامام المهدي (عليه السلام) يعمل بكتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا ينحرف عنهما قيد شعرة ، ولا بمقدار ذرة ، ولا يأتي بشريعة جديدة ، او دين يناقض الدين الإسلامي ، او يحلل ما حرمه الله ، او يحرم ما أحلّه الله سبحانه .

ولكن الشيء الذي يحصل هو ان جميع المذاهب المستحدثة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تتبخر وتلغى ، لأنها مذاهب مذاهب لاتجد لها موضعا في كتاب الله ولا في سنة رسوله .

ولم انفرد بهذا الرأي ، بل صرح به احد علماء المذاهب الأربعة وهو المعروف بابن العربي ، ـ المتوفي سنة ٦٣٨ هـ ، في كتابه الفتوحات المكية باب ٣٦٦ ـ حيث قال ـ في كلامه عن الامام المهدي ـ : . . . يُظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله حياً لحَكَم به ، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى الا الدين الخالص . . . الى آخر كلامه .

نعم . . ان الوحدة الاسلامية الكبرى سوف تتحقق في ذلك اليوم ، حين يتوحد المسلمون في اصول دينهم وفروعه وجميع المسائل الفقهية والاحكام الشرعية ، فلا قياس ولا استحسان ، ولا فتاوى تتولَّد حسب الظروف السياسية .

بل يكون الدين هو الإسلام . . ويكون المذهب هو مذهب التشيع ، مذهب اهل البيت الذي دعا اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في احاديث كثيرة ، ويعيش الجميع تحت راية : لا اله الا

الله ، محمدٌ رسول الله ، عليٌ ولي الله .

قال الامام علي امير المؤمنين (سلام الله عليه) ـ في حديثه عن عصر الامام المهدي ـ : « ... ويهلك الاشرار ، ويبقى الاخيار ، ولا يبقى من يُبغض اهل البيت ... » [١] .

وقال (عليه السلام) ـ في كلامه عن الامام المهدي ـ : « ... ولا نترك بدعة الا ازالها ، ولا سُنة الا اقامها ... »[٢] .

---

(١) عقد الدرر ليوسف بن يحيى الشافعي ـ باب ٧ ص ١٥٩ .
(٢) عقد الدرر ـ باب ٩ ص ٢٢٤ .

الحياة التربويّة في عصر الإمام المهديّ «عليه السلام»

إنَّ ممّا لا شك فيه أنَّ البشر قابل للتربية بصورة عامّة ، فإذا كانت التربية قائمة على الأُسس الأخلاقيّة الصحيحة ، كان البشر معتدل السلوك ، مَرضيَّ السِيرة ، محمود الطريقة .

واذا كانت التربية فاسدة وقائمة على أُسس لا أخلاقيّة فإن النتيجة ستكون بعكس الصورة الأُولىٰ . فالتربية تؤثّر على الفِطْرة والغريزة ، وعلى الميولات والرغَبات النفسيّة ، وعلى العادات والتقاليد ، وغيرها مما يتعلّق بالبشر .

واذا كانت الحيوانات ـ حتى الوحوش والسِباع المفترسة ـ قابلة للتربية ، فكيف بالبشر ؟ وهو الموجود المفضَّل على كثيرٍ مِن المخلوقات ، وذلك بما أنعم الله عليه مِن العقل والإدراك والبيان وغير ذلك .

وعلى أساس التربية يَصلُح المجتمع أو يَفسد ، ويَسعد أو يَشقىٰ ، ويَهتدي أو ينحرف .

وأجهزة التربية ووسائلها كثيرة :

فالبيت ـ الذي يَفتح الطفل فيه عينه ـ يُعتبر جهازاً تربويّاً ، وله كلُّ

التأثير في توجيه الطفل ، وبعد ذلك يأتي دور المدرسة ، والطفل يتلقّىٰ أوَّليات العلم والثقافة مِن المعلِّمين ، وكلّما انتقل مِن مرحلة دراسية الى أُخرى ، إرتفع مستوىٰ دراسته وثقافته ومعلوماته ، حتى يَصل الى الدراسات العُليا .

وفي جميع هذه المراحل يَندمج وينسجم ويتأثّر ، بل ويتكهرب بما يُلقىٰ عليه مِن العلوم ، مِن الحقائق أو الأكاذيب ، ومن الحق أو الباطل ، ومن الفضائل أو الرزذائل ، ومن الدين أو الكفر .

والجهاز الثالث ـ الذي يُرافق هذين الجهازين ـ هو المجتمع ، فالطفل الذي يعيش في مجتمع الكذب والغش ، والإستهتار والخلاعة ، والسرقة والخيانة ، أو في مجتمع الديانة والأمانة ، والحياء والفضيلة ، فمن الطبيعي أنْ يتكيَّف بجوِّ المجتمع : الصالح أو الفاسِد .

ومن أهم العوامل التي تؤثّر في إصلاح المجتمع أو إفساده : الوسائل الإعلامية ، مِن الصحف والإذاعة والتلفزيون والأفلام السينمائيّة .

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن التربية . . أقول : إنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) ـ الذي يريد أن يصلح المجتمع البشري كلَّه ، ويكوِّن مجتمعاً إسلاماً بجميع معنى الكلمة ـ لا بدَّ له مِن أن يَستعين بالوسائل التربويّة ، ويُصدر التعاليم المرتبطة بالتربية الصحيحة الشريفة عبْرَ هذه الوسائل وغيرها .

فالمدارس تَسودُها التعاليم الإسلامية ، ومناهج التعليم تكون

إسـلامية في جميـع مراحلهـا ، والوسـائل الإعـلامية تكـون صالحـة ونافعـة ومفيدة ، ولا تتعدى الإطار الإسلامي .

وقد مرَّ عليك ما رُويَ عن الإمام الباقـر (عليه السـلام) أنّه قـال : « ... تُؤتَـون الحِكْمـة في زمـانـه ، حتى أنَّ المـرأة لَتقضي - في بيتهـا - بكتاب الله وسُنَّة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الحياةُ الاقتصاديّة في عصر الإمام المهدي "عليه السلام"

لعل من اهم مشاكل الحياة هي مشكلة الاقتصاد وما يدور حوله ، من الفقر والغلاء وتحديد التجارة ، والتضخم المالي والعجز المالي وقلة الانتاج وكثرة الطلب ، وأشباه ذلك مما هو من نتائج الاقتصاد الكافر السائد في العالم ، وخاصة في البلاد الاسلامية .

نعم . . ان الاقتصاد الكافر الجائر هو الذي ادى الى هذه الازمات الاقتصادية في المجتمعات البشرية ، وذلك بسبب كبت الحريات ، وسد طرق المعيشة على الناس ، واستيفاء الضرائب - وخاصة التصاعدية منها - وحرمان الناس من بركات الحياة التي خلقها الله تعالى لعباده وأباحها لهم .

وينبغي ان لا ننسى بأن أكثر الجرائم - التي تقع في العالم - منشأها الفقر والحاجة الى المال ، واكثر الخصومات الحادثة في المجتمعات البشرية يعود سببها الى الناحية المالية ، وكثير من النزاعات العائلية انما هو من نتائج الفقر ، واكثر الامراض ، انما هو بسبب سوء التغذية الذي هو من آثار الفقر ايضا .

واكثر الشباب لا يتزوجون بسبب الفقر ، والكثير من المتزوجين يُحدِّدون نسلهم لهذا السبب ، ولا ابالغ اذا قلت : إن كثيراً من الناس يموتون ضحايا للفقر ! .

هـذا . . ولو اردنـا استيعـاب المضـاعفـات ـ النـاتجـة عن الفقـر في المجتمع البشري ـ لطال بنا الكلام وتبدّل طابع الكتـاب . وهكذا لـو اردنا ان نتحـدث عن الاقتصاد وجـوانبه ونواحيه لخرج الكتـاب عن مـوضـوعـه الأصلي ولكننا نلخص الكلام فيما يلي :

ان من جملة الاصلاحات الـواسعة النـطاق ، والانجازات الضخمـة التي يقوم بها الإمام المهدي (عليـه السلام) هـو حل المشـاكل الاقتصـادية في المجتمعـات البشريـة ، وذلك عن طـريق تطبيق الاقتصـاد الاسلامي في المجتمع ، ومن اهم بنود ذلك :

١ ـ اباحة الانتفاع بما خلق الله تعالى .

٢ ـ اعطاء الحريات للناس في اطارها الاسلامي .

٣ ـ استثمـار المـواهب والـطاقـات ، وافســاح المجـال ـ في حــدوده المعقـولة ـ لـلأيدي العـاملة .

ولتوضيح هذا الموضوع . . اليك بعض الأمثلة :

تعيش ـ في البحــار والانهار والشــطوط ـ مــلايــين المليــارات مـن الاسماك التي يحلّ اكلها ، وقد رأينـا نهري دجلة والفرات والسمـك يجري فيهما كالماء !

ويعتبـر السمك طعاماً لذيذاً ،ودواءاً لكثير من الامـراض الفتاكـة ، ويتكاثر السمك بكمية مدهشة ، فـلا يُخشى عليه من النفـاد والانقراض ، فالأنهار متصلة بالبحار ، والبحار متصل بعضها ببعض .

ولكن .. بالرغم من توفر هذه المادة الغذائية والدوائية والسلعة التجارية ، فان الحكومات وضعت قيوداً وشروطاً لصيد السمك ، مما سبَّب قلّة الانتفاع من هذه المنابع الغذائية ، وأدى الى ارتفاع اسعارها .

فالحكومات تسمح لأفراد معيَّنين بصيد الاسماك ، وذلك في مقابل رخصة رسمية وضرائب مستوفاة ، وشروط وقيود .

ولهذا تجد اسعار السمك باهضة حتى في البلاد الساحلية او البلاد الواقعة على ضفاف الانهار والشطوط . واكثر الفقراء محرومون عن هذه النعمة الالهية مع العلم ان الله تعالى خلقها لعباده وأباحها لهم .

قال سبحانه :

﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ﴾[١] .

﴿ وسخر لكم الانهار ﴾[٢] .

﴿ وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طرياً ﴾[٣] .

﴿ وما يستوي البحران : هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريّا ، وتستخرجون حِلية تلبسونها ﴾[٤] .

---

(١) سورة الجاثية آية ١٢ .

(٢) سورة ابراهيم آية ٣٢ .

(٣) سورة النحل آية ٤ .

(٤) سورة لقمان آية ١٢ .

﴿أُحل لكم صيد البحر وطعامه، متاعاً لكم وللسيارة﴾[١][٢].

فلو كانت الحكومات تبيح للناس الانتفاع من هذه المنابع الحيويَّة ، لكانت اسعار اللحوم تنخفض ، وكان الكثير من الناس ينتفعون من هذا الطريق ، وما كانت الحكومات تحتاج الى استيراد اللحوم المثلَّجة من الخارج .

امّا في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) فإن الخيرات والبركات تنهمر على الناس وتشمل جميع الطبقات ومن جملة ذلك : يرفع الإمام المهدي (عليه السلام) المنع ويبيح للناس ان يستفيدوا من هذه الذخائر التي خلقها الله لعباده .

وخلاصة القول : إن الإمام المهدي (عليه السلام) : يفسح المجال امام الناس ليستثمروا الارض وما فيها من المعادن ، وما عليها من المزارع ، فتكثر الاموال بين البشر ، وتتضاعف البركات ، فلا فقر ولا حرمان ولا مجاعة .

ولا تسأل عن انخفاض نسبة الجرائم التي تقع يوميا في العالم بسبب الفقر والحرمان والبطالة .

واليك الآن بعض الأحاديث التي تشرح الحياة الاقتصادية في عصر

---

(١) قوله تعالى : « وطعامه » هو السمك المملوح « ومتاعا لكم وللسيارة » أي : منفعة للمقيم والمسافر .

(٢) سورة المائدة آية ٩٦ .

الامام المهدي (عليه السلام) :

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : « أَبشروا بالمهدي . . . ويقسّم المال صحاحاً بالسويّة[١] ويملأ قلوب امة محمد غنى ، وَيَسعهم عدله ، حتى انه يأمر مناديا ينادي : من له حاجة اليَّ[٢] ؟ .

فما يأتيه احد الا رجل واحد يأتيه فيسأله ، فيقول له المهدي : إئت السادن[٣] حتى يعطيك . فيأتيه ، فيقول : انا رسول المهدي اليك لتعطيني مالا . فيقول : أحث[٤] فيحثي ما لا يستطيع ان يحمله[٥] فيُلقي منه حتى يكون قدر ما يستطيع ان يحمله ، فيخرج به ، فيندم ويقول : انا كنت اجشعَ امة محمد نفْسا[٦] كلهم دُعي الى هذا المال فتركه ، غيري ، فيردُّ عليه[٧] فيقول (السادن) : إنا لا نقبل شيئاً اعطيناه . . . »[٨] .

وروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : « . . . فيجيء

---

(١) صحاحا : أي بالسوية بين الناس ، كما صرح النبي بمعنى هذه الكلمة في حديث آخر .

(٢) وفي نسخة اخرى : من له في المال حاجة ، او : من له حاجة الى المال يأتيه .

(٣) السادن : الذي بيده مفاتيح بيت المال .

(٤) أي : صب وخذ ماتريده من المال .

(٥) وفي نسخة اخرى : فلا يستطيع ان يحمله .

(٦) أجشع : احرص ، اكثر حرصاً .

(٧) أي : يرد الرجل المال على السادن .

(٨) كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٠٢ .

اليه الرجل فيقول : يـا مهدي أعـطني أعطني أعـطني ، فيحثي له في ثـوبه ما استطاع ان يحمله »[١] .

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي

الحياة الزراعية في عصر الإمام المهدي "عليه السلام"

كلنا نعلم ان الزراعة تعتبر من مصادر الثروة وموارد الأرزاق العامة ، ومن وسائل تأمين المواد الغذائية للبشر والحيوانات ، وقد جعل الله الماء والتراب تحت تصرف البشر ليستفيد من بركات الأرض، فالماء موجود في كل مكان ، فوق الارض او تحتها ، وانما على البشر ان يستخرج الماء ويحرث الارض ويغرس ، او ينثر الحبوب فيها ، ويسقي الأرض .

وأما التفاعلات ـ التي تحدث بين الشمس والهواء والماء والتراب وبين النباتات ـ فهي خارجة عن مسؤولية البشر ، وانما هي بقدرة الله تعالى الذي اودع في هذه العناصر الأربعة تلك الخواص ، قال تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون ﴾[1] ؟ !

وبالرغم من البركات الكثيرة والفوائد العظيمة التي يمكن ان تستفاد من الزراعة ، فان ملايين البشر يشكون من سوء التغذية . . ولا تسأل عن الأطفال الذين يموتون جوعاً ، وخاصة في القارة السوداء ! !

ونتساءل : هل ان الارض ضيقة لا تسع للزراعة ؟ ؟

الجواب : كلّا . . ان ارض الله واسعة .

---

(١) سورة الواقعة ـ الاية ٦٤ .

وهل ان الماء لا يكفي لسد حاجات البشر ؟

الجـواب : كلّا . . ان مليـارات الأطنان من الميـاه تـذهب هـدراً في كل يوم !!

إذن : فما هو سبب المجاعة وقلّة الارزاق وغلاء الأثمار ؟!

الجواب : ان السبب الوحيد هي الحكومـات الجائـرة التي تحُول بـين البشر وبين ان ينتفع مما خلق الله لـه من مصادر الارزاق ، وتكـون النتيجة ما يعانيه البشر من الويلات والفقـر والحرمـان ، والمجاعـة والغلاء والنقص في الاموال والانفس والثمرات ! .

فاذا قام الامـام المهدي (عليـه السلام) فـان الحياة الـزراعية تتبـدل الى احسن المظاهر وأجملها ، واليك نبـذة مختصرة من الاحـاديث التي تتعلّق بهذا الموضوع :

قال الإمام الباقر(عليه السلام) - في حديث طويل - . . . . : ثم يأمر مَن يحفـر مِن خلف مشهـد الحسـين (عليـه السـلام) نهراً يجـري الى الغـريـين[1] حتى ينـزل المـاء في النجف ، ويعمـل عـلى فـوهتـه القنـاطـر والأرحاء في السبيل[2] وكـأني بالعجـوز وعلى رأسهـا مَكْتَل فيـه بُر[3] فتـأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كِراء[4] .

---

(١) الغريان : بناءان مشهوران كانا بالقرب من الحيرة في ضواحي الكوفة .

(٢) الأرحاء - جمع رحى - : ما يطحن فيها الحبوب كالحنطة والشعير . السبيل : الطريق .

(٣) المكتل : وعاء من خوص النخل ، يحمل فيه التمر وغيره ، ويقال له : زنبيل . البرُ : الحنطة .

(٤) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي - الفصل الأخير من الكتاب ص ٢٨١ .

يستفـاد من هذا الحـديث ان الامام المهـدي (عليه السـلام) يـأمـر بحفر الانهار وبناء الجسـور والسدود عـلى الأنهار والشطوط ، وخـاصة بـين كـربلاء والنجف ، وينصِب عليهـا المطاحن التي تـطحن الحبـوب ، ويمكن لكل احد ان يستفيد من تلك المطاحن مجانا وبلا عوض .

حتى ان المـرأة تضع الحنـطة في المطحنـة ـ التي تـدور دواليبهـا بسبب ضغط الماء ـ فتطحن الحنـطة وغيرهـا من الحبوب مجـانا وبـلا كراء ، أي : بلا أُجرة .

أقول : لعل الامـام المهدي (عليـه السلام) يـأمر بحفـر النهر بـين كـربلاء والنجف لأن تلك المنـطقة تتصـل بالصحـاري والبـوادي ، والآفِ الكيلومتـرات من الأراضي شـرقـاً وغـربـاً وجنـوبـاً ، مثـل بـاديـة الشـام وحـدُودهـا : العـراق والاردن والشـام ، وصحـراء النفـود وحـدودهـا : الكويت والحجاز ، والربع الخالي وحدودها : مسقط واليمن .

وهذه البوادي والصحاري ـ الا القليل منها ـ قاحلة جرداء ، لا مسكونة ولا مأهولة ولا مزروعة لعدم وجود الماء فيها . وبناءاً على هذا سـوف ترتوي تلك البوادي من النهر الذي يحفره الإمام المهدي (عليه السلام) .

ومن الواضح ان ذلك النهر متشعب من شط الفرات الطويل العريض العميق ، الذي تجري فيه ملايين الاطنان من المياه في كل دقيقة و ـ اخيرا ـ تنـصبُّ في الخليج وتذهب هدراً .

فهل يمكن ان نتصور مدى الخيرات والبركات والرخاء والرفاه الذي سيكون من نصيب مئات الملايين من البشر الذين يسكنون في هذه الارجاء الواسعة ،

ويحيونها بالزرع وغرس الأشجار وبناء المساكن ؟ !

وكم يتلطف الجو ، ويتبدل الطقس ، وتقل الأمراض ، ويرتفع اكثر مشاكل الحياة ، وتقل نسبة الجرائم ، ان لم نقل : ترتفع الجرائم بصورة كلية !! وسوف يستغني الناس ، وتزول البطالة ، وتظهر المواهب . . الى غير ذلك مما لا تدركه العقول في الحال الحاضر ، مـن نتائج تلك الحياة المزدهرة .

أقول : هذه منطقة واحدة من مناطق العالم التي تدبُّ فيها الحياة ، ونفس هذه العملية تجري في بقية الاراضي الموات والصحاري والبوادي المعطلة عن الاستثمار .

ومن الواضح ان الامام المهدي هو المخطط لهذه المشاريع ، وهو الآمر بتنفيذ هذه الأمور ، لا انه يباشر هذه الأعمال بنفسه ، اذلا حاجة الى ذلك ، وانما يكفي ان تصدر منه الأوامر والتعليمات وتُنفّذ فوراً ، بلا حاجة الى التشريفات او العراقيل الموجودة في الوزارات ـ امثال : (كتابنا وكتابكم) ـ وتوقف اعمال الناس على توقيع الموظف الفلاني وموافقة اللجنة الفلانية ، وأمثال ذلك من العقبات او السلاسل والأغلال المسماة بالروتين ، التي كونت للناس آلاف المشاكل في مسيرة الحياة .

ولا ينحصر إحياء الأراضي عن طريق سقيها بمياه الأنهار ، بل ان الله تعالى يفتح أبواب السماء بالخيرات والبركات .وبهذه الاحاديث يتضح لنا بعض ذلك .

١ ـروى ابو سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) انه قال : « تتنعم امتي ـ في زمن المهدي ـ نعمة لم يتنعموا مثلها قط ، ترسل السماء

عليهم مدرارا ، ولا تدع الارض شيئا من نباتها إلا اخرجته »[١] .

٢ ـ وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يخرج ـ في آخر امتي ـ المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحا ، وتكثر الماشية ، وتعظم الامة . . . »[٢] .

٣ ـ وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « . . . وتزيد المياه في دولته ، وتمد الانهار ، وتضاعف الارض أُكُلها . . . »[٣] .

٤ ـ وقال مولانا علي امير المؤمنين (عليه السلام) ـ في ضمن حديث طويل ـ : « . . ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ، ولأخرجت الارض نباتها . . . حتى تمشي المرأة بين العراق والشام ، لاتضع قدميها الا على النبات . . . »[٤] .

٥ ـ وقال (سلام الله عليه) ـ في حديثه عن عصر الامام المهدي ـ : « ويزرع الانسان مُدّاً يخرج له سبعمائة مد[٥] كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سُنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾[٦] . »[٧] .

---

(١) كتاب الرسالة للشافعي ، ورواه الطبراني في معجمه الأكبر . ويوسف بن يحيى في (عقد الدرر) الباب السابع .

(٢) عقد الدرر ليوسف بن يحيى الشافعي ـ الباب السابع ـ ص ١٤٤ .

(٣) عقد الدرر ـ باب ٧ ص ١٤٩ .

(٤) بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣١٩ ـ نقلا عن كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق .

(٥) المد : ثلاثة أرباع الكيلو .

(٦) في الآية الكريمة : ﴿ مَثل الذين يُنفقون أموالَهم في سبيل الله كَمَثل حَبة انبتتْ سَبع سنابل في كل سُنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ سورة البقرة ـ آية ٢٦١ .

(٧) عقد الدرر باب ٩ ـ ص ٢٠٠ .

لقد اتضح لنا ـ من هذه الاحاديث ـ ان الصحاري الخالية والبراري القاحلة والأراضي الجرداء ـ التي لا زرع فيها ولا كلاء ـ سوف تتبدل الى مزارع خضرة ، تنبت من كل زوج بهيج ، بسبب كثرة الامطار والانهار ، وانتعاش الاراضي بها .

ويكون نزول الامطار بصورة تنتفع بها الأرض ، لا كالأمطار التي تتكون منها السيول وتهدم المساكن وتُغرق المزارع ، وتهلك الانسان والحيوان ، كما يحدث ذلك ـ بين مدة واخرى ـ في بعض البلاد .

ومن الواضح ان الناس سيكونون احراراً في الزرع وغرس الاشجار ، ولا توضع أمامهم الموانع والعقبات ـ كالضرائب الجائرة والقوانين الكافرة ـ لأن الاسلام يعطي الحرية للانسان بان يختار الارض الموات ـ وهي التي لا زرع فيها ولا بناء ـ ويحييها بالزرع او بالبناء .

كما روي ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : « من احيىٰ ارضاً مواتاً فهي له »[1] .

وقال : (صلى الله عليه وآله وسلم) : « مَن غَرَسَ شَجراً او حفَر واديا لمْ يسبقه اليه احد ، او احيىٰ ارضا ميتة فهي له ، قضاء من الله ورسوله »[2] .

وقال الامام الباقر (عليه السلام : « أيمَّا قوم احيوا شيئا من الارض وعَمَروها ، فهم احق بها ، وهي لهم »[3] .

---

(١) كتاب وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٣٢٧ .
(٢) كتاب وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٣٢٨ . قوله ﴿ قضاء من الله ورسوله ﴾ : أي هذا هو حكم الله ورسوله .
(٣) كتاب وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٣٢٧ .

لضيق المكان الذي يعيش فيه اهل الدار .

والأطفال يُحرَمون من اللعب والركض والرياضة في ساحة الدار ، ويضطرّون للخروج الى الشوارع والطرقات او المنتزهات والحدائق العامة لنفس الهدف .

وكثيراً ما يؤدّي ـ خروجهم الى المنتزهات ـ الى الانحراف الفكري او السلوكي ، فهناك المنحرفون ـ من اهل الفساد أو الاحزاب ـ الذين يترصّدون بالشباب الأبرياء ، وينصبون لهم الاشراك والمصائد ، لكي يوقعوهم في مستنقعات الفساد او الأحزاب .

الى غير ذلك من عشرات المشاكل والمآسي والجرائم التي تقع نتيجةً لأزمة المسكن .

أمّا في عصر الامام المهدي (عليه السلام) فان هذه المشكلة تنحلّ بصورة كاملة . . كما انها انحلت ـ بالفعل ـ في عصر حكومة الامام علي امير المؤمنين (سلام الله عليه) فقد جاء في التاريخ : ان كل انسان كان يملك لنفسه دارا مستقلة ، ببركة حكومة الامام امير المؤمنين (عليه السلام)[1] .

والسؤال الآن : كيف يحلّ الامام المهدي (عليه السلام) هذه المشكلة ؟

الجواب : بتطبيق الاسلام .

إن القانون الاسلامي يقول : « الارض لله ولمن عَمَّرها» فكل ارض

---

(١) كتاب الغارات .

ـ لم تكن مِلكا لأحد ـ يحق للانسان ان يحييها بالعمران والبناء ، وتكون ملكا له ، ولا يحق لأية جهة ـ كالبلدية وغيرها ـ الاعتراض عليه او اخذ الضرائب منه ، لأنه لا ضرائب في الاسلام ، سوى ما نَصَّ عليه القرآن والاحاديث الشريفة ، كالخمس والزكاة وما شابه ذلك .

وهنا نذكر حديثا واحداً يشير الى حلٍّ مشكلة المسكن في عصر الامام المهدي (عليه السلام) ـ وقد ذكرناه سابقا ـ :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « اذا قام قائم آل محمد . . . اتصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء »[١] وهذا الحديث يدل على أن النّاس يستثمرون الأراضي القاحلة والصحاري الخالية ، بالبناء والعمران ، حتى تَصِلْ ـ كنموذج من ذلك ـ بيوت الكوفة بنهر كربلاء ، بالرغم من المسافة البعيدة بينهما .

---

(١) بحار الأنوار .

حَلّ مُشكِلَة البطالة في عصر الإمام المهدي «عليه السلام»

البطالة ظاهرة مؤسفة منتشرة في جميع البلاد . . وهي أيضا من المشاكل المعقّدة التي يعاني منها كثير من الناس . وإحصائيات البطالة ترتفع ارقامها بصورة غريبة .

وهذه المشكلة تترك آثاراً سيئة ونتائج وخيمة في المجتمع : ففي احضان البطالة تتكوّن آلاف الرذائل . . والانحرافات العقائدية ، والعقد النفسية ، وجرائم السرقة والسلب والنهب . وغير ذلك . .

فبسبب البطالة ، يضطر كثير من الناس الى قضاء اوقاتهم في الأسواق والمقاهي ، والنظر الى نساء الناس ومغازلة الفتيات ، والتحدث في امورٍ تضر ولا تنفع ، كاغتياب الناس وهتك اسرارهم ، وغير ذلك .

وبالرغم من ان الاسلام يكره البطالة والكسل اشد الكراهية ، ويدعو الى العمل والنشاط ، فان هذه الظاهرة موجودة في البلاد الاسلامية أيضاً . . وما ذلك الا بسبب القوانين غير الاسلامية التي تحكم في هذه البلاد ، مِن كبْت الحريات ، وعدم السماح بالعمل والتجارة إلا بشروط قاسية وضرائب باهظة وما شابه ذلك .

وفي بعض الدول . . لا يُسمح لاحد بالعمل إلا اذا كان حاملاً لجنسية تلك الدولة !! وكأنَّ مَن لا يحمل جنسية تلك الدولة ، لا يُعتبر

انساناً له حق الحياة والعمل ؟ !!

وفي بعض البلاد .. لا يُسمح لأحد بالعمل الا بعد الخدمة العسكرية ، او بلوغ مرحلة خاصة من العمر !! وعلى كل حال .. فان أسباب البطالة وعواملها كثيرة .. ولا نريد التحدث عن ذلك بالتفصيل ..

أمّا في عصر الامام المهدي (عليه السلام) فان ظاهرة البطالة تختفي عن المجتمع بصورة نهائية ، لأنه (عليه السلام) يقضي على جذور البطالة وأسبابها .

فحرية العمل والسفر والتجارة تُمنح لجميع الناس ، والضرائب تُلغىٰ ، والجنسيات تسقط عن الاعتبار ، لأن الإسلام لا يؤمن بالجنسيات ، ويعتبر الجميع متساوين في الحقوق والحرية ، كما قال الإمام علي امير المؤمنين (سلام الله عليه) ـ في عهده الى مالك الأشتر يوم جعله واليا على مصر ـ : « ... الناس صِنفان : إما اخ لك في الدين ، او نظير لك في الخلق »[1] .

ولهذا فان جميع طبقات الشعب يعيشون حالةَ النشاط والعمل والثروة ، وذلك ببركة الاسلام وحكومة الامام المهدي (عليه السلام) .

---

(١) نهج البلاغة : باب كتبه عليه السلام .

الأمنُ والأمانُ في عصرِ الإمامِ المهديّ (عليه السلام)

تعيش المجتمعات البشرية ـ اليوم ـ حالةً عصيبة من فقدان الامن والأمان في مختلف المجالات : فسرقة الأموال من البيوت والمحلات ، وسرقة السيارات ، بل وسرقة البنوك التي تقوم بها العصابات . . والجرائم التي يقوم بها قُطّاعِ الطُرق ، مِن سلْب الناس ونهب اموالهم . . واختطاف النساء والأطفال . . وغير ذلك . . ما هي الا مظاهر من فقدان الامن والأمان في المجمعات البشرية .

وفي بعض البلاد يُسيطر الخوف والرعب على المجتمع ، ويبلغ اقصاه في الليل . . فاذا طُرق باب بيت من البيوت ، استولى الارتباك والذعر على صاحب البيت وعائلته . . قبل ان يعرف مَن ألذي طرق الباب !!

أمّا في عصر الامام المهدي (عليه السلام) فان جميع هذه المخاوف تزول عن الناس ، ويسود الامن والامان جميع الكرة الارضية ، ويعيش البشر في جَوٍّ من السلام والاطمئنان ، والراحة وهدوء البال .

والسؤال الآن : كيف يتحقق ذلك ؟

الجواب : علينا ان نعرف ـ اولاً ـ العوامل التي تؤدي الى فقدان الأمن والأمان ، حتى نعرف ـ بعد ذلك ـ كيف يتحقق الأمن في عصر الامام .

ان فقدان الامن يعود الى احدى الاسباب التالية :

١ ـ الفقر والحرمان . . بان يرتكب شخصٌ جريمة السرقة ـ وما شابهها ـ لأنه فقير محروم يريد أنْ يؤمِّن حياة نفسه وأهله عن هذا الطريق القذر .

٢ ـ ضعف الايمان بالله ، بأن لا يكون سبب السرقة هو الفقر . . بل الطمع في المزيد من المال او خُبث النفس وانحراف السلوك .

٣ ـ ضَعْف الحكومة ، بأن تكون عاجزة عن ملاحقة المجرمين ومعاقبة العصابات المفسدة .

أمّا في عصر الامام المهدي (عليه السلام) فتزول جميع هذه الاسباب : فالفقر ينتفي من المجتمع ويعيش الجميع في رفاه ورخاء ورغَدٍ من العيش ، حتى أنَّ منادي الامام المهدي (عليه السلام) ينادي : مَن له حاجة الي ؟ فما يأتيه الا رجل واحد يريد المزيد من المال . . لا انه فقير محروم .

والايمان بالله يتركّز في القلوب ، على أَثر المناهج التربوية التي يُطبقها الامام في المجتمع ، وبذلك تنتفي الجرائم التي تقع بسبب ضعف الايمان بالله تعالى .

وحكومة الامام المهدي (عليه السلام) سوف تكون اقوى حكومة جاءت على وجه الارض ، فالسماء والأرض تشتركان في دعمها وإرساء قواعدها . . وسوف تكون حكومة الامام (عليه السلام) هي الحكومة الوحيدة في الارض كلها . . ولهذا لا تتشكّل عصابات قطع الطريق وما

شابه ذلك . . لأن يد العدالة تقضي عليها وهي في المهد . .

هذا . . بالاضافة الى ان الناس يصلون الى مراتب عالية من التكامل وعلو النفس والشرف ، بحيث يُجِلُّون انفسهم ويترفعون عن ارتكاب جريمة السرقة .

بعد هذا التوضيح . . نعرف كيفية تحقق الامن والأمان في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) .

والجدير بالذكر : ان الأمن والأمان لا يختص بالبشر ، بل يشمل البشر مع الحيوان ، والحيوانات بعضها مع بعض ، فالانسان لا يخاف من الحيوان ، والحيوانات الضعيفة لا تخشى من الحيوانات القوية ، ويسود بينها روح التآلف والمحبة .

وفيما يلي نذكر بعض الاحاديث المروية حول هذه النقاط :

قال الامام الباقر (عليه السلام) ـ في حديثه عن الامن والامان في عصر الامام المهدي عليه السلام ـ : « . . . وتخرج العجوزة الضعيفة من المشرق ، تريد المغرب ، لايؤذيها احد . . . »[١] .

وقال الامام علي امير المؤمنين (سلام الله عليه) : « . . . حتى تمشي المرأة بين العراق والشام ، لاتضع قدميها الا على النبات ، وعلى رأسها زينتها ، لا يُهيِّجها سَبُع ، ولا تخافه[٢] .

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ص ٤٢٣

(٢) بحار الأنوارج ٥٢ ص ٣١٩ ـ نقلا عن كتاب الخصال للشيخ الصدوق .

وقال (عليه السلام) : « لو قد قام قائمنا ... ولذهبت الشحناء من قلوب العباد ، واصطلحت السباع والبهائم ... »[٢] .

وقال الامام علي امير المؤمنين (عليه السلام) : « ... وترعى الشاة والذئب في مكان واحد ، ويلعب الصبيان بالحيّات والعقارب ، لا يضرُّهم شيء ، ويذهب الشرُّ ، ويبقى الخير ... »[٢] .

وتسأل : كيف تصطلح السباع .. مع العلم أن غريزتها وطبيعتها الافتراس ؟

الجواب : لعل ذلك يتحقق عن طريق المعجزة ، فان الله تعالى الذي خلق تلك السباع وأوجد فيها الغرائز والطباع ، يسلبها غريزة الافتراس ويجعلها كسائر الحيوانات الاليفة التي لا يخشى منها احد .

وتسأل ثانياً : كيف يمكن ذلك .. مع العلم ان بعض السباع والوحوش ينحصر طعامها في اللحوم ؟

الجواب : لقد صرح علماء الحيوان بأنَّ طعام السباع والوحوش لا ينحصر في اللحوم ، بل إن اللحوم تعتبر مِن ألذّ الأطعمة عندها ، وفي صورة عدم حصولها على اللحم ، تكتفي بغيره كأوراق الشجر وما شابه ذلك .

وقد ذكرنا كلمة موجزة حول هذا الموضوع في هامش فصل

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٩ .

(٢) عقد الدرر باب ٧ ـ ص ١٥٩ .

(البشائر في الاحاديث النبوية) من هذا الكتاب .

وهكـذا يكون عصـر الامام المهـدي (عليـه السـلام) عصـر السلم والسلام والامن والأمان ، بجميع معنى الكلمة .

الإصلاحات العامة في عصر الإمام المهدي عليه السلام

لقد ذكر الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) ـ في كتاب الغيبة ـ بعض الاصلاحات العامّة التي تحدث في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) وجميع هذه الاصلاحات لها علل وأسباب حكيمة تدعو الى ذلك .

وفيما يلي نذكر بعض تلك الاصلاحات :

١ ـ حَل مَشكلة الطُرق والمرور ، ومن ذلك : توسعة الطرق العامة الى ستين ذراعاً .

٢ ـ القضاء على النوافذ المُطلّة على الطريق ، ومنْع إحداثها من جديد ، لأن للنوافذ المُطلَّة على الطريق دوراً كبيراً في الفساد والخيانة الزوجية وما شابه ذلك ، اذ أنها تكشف عمّا في البيت ، وخاصة في موسم الصيف ، حيث تكون مفتوحة .

٣ ـ هَدْم كل جناح وشُرفة خارجة من البيوت ، ولعل السبب في ذلك أن فضاء الطريق عامٌ لجميع الناس ، والجناح والشرفة تَصَرفٌ في هذا الحق .

٤ ـ منْع وضْع الميزاب الذي يَنصبُّ منه الماء من السطوح في الطريق ، وهذا من الاجراءات الضرورية للمحافظة على نظافة الطريق ،

وعدم انصباب الماء على رؤوس المارَّة - كما يحدث كثيراً - ولسلامة الطريق من الأخطار المحتملة ، كالعثرة والتدحرج ، وخاصة للشيوخ الطاعنين في السِن .

ولذلك فإن الكثيرين - اليوم - يَنصِبون الميزاب في ساحة بيوتهم ، كي لا ينصبَّ الماء في طريق الناس .

٥ - منْع ان تكون البالوعة في الطريق[١] .

وغير ذلك من الاصلاحات المختلفة[٢]

أيها القاريء الكريم : إعلم ان جميع ما ذكرناه حول حياة المجتمع في عصر الامام المهدي (عليه السلام) انما هو قليل من كثير ، وغيض مِن فَيض ، مما يتمتع به المجتمع في عصره ، لأن الاحاديث التي تتحدَّث عن تلك الحياة السعيدة ، قليلة بالنسبة الى الواقع ، ويعلم الله تعالى عدد الاحاديث التي تحدَّثت عن ذلك العصر المشرق ، ولم تصِلْ بأيدينا ، بسبب الاحراق او الاتلاف ، عدا مالم يتفوَّه به ائمة اهل البيت (عليهم السلام) رعايةً لعقول الناس ومستوياتهم الفكرية .

وخلاصة الكلام : إن البشر سوف يتمتع بأسعد حياة وارغد عيش في عصر الامام المهدي (عليه السلام)

---

(١) البالوعة : حفيرة تجتمع فيها الأوساخ والقذارات ، وقد تعارف في كثير من البلاد ، ان يحفروها في الطريق ، وينصبوا لها قناة تجري فيها الأوساخ من داخل الدار الى البالوعة .

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٨٣ - وبحار الأنوار للمجلسي ج٥٢ ص ٣٣٩ . والحديث مروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) .

الشيعة في عصر الامام المهدي "عليه السلام"

كـان الشيعة ـ ولا يـزالون ـ يتعـرّضون للضغط والاضـطهـاد ، منـذ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى يومنا هذا .

وبسبب ذلك ، فان تاريخ الشيعـة مليء بـالضحايـا والشهداء الـذين كانوا يُقتلون ويُطارَدون . . لا لشيء ، سوى انهم « شيعة الامام علي » !!

وقد كان التشيع ـ ولا يزال ـ هـدفا لـلأقلام المسمـومة في كـل عصر ومصـر ، وكـانت الحكـومـات ـ التي استـولت عـلى الحكم خـلال هـذه القرون ـ تحارب الشيعة بكل ما تملك من قوة .

راجِع كُتب التاريـخ واقرأ مـا جرى عليهم من المصـائب والمحن . . بدءاً بسلمان الفارسي ، وعمار بن يـاسر ، وعبـدالله بن مسعود ، وابي ذر الغفاري ، ومالك بن نويرة . . ومروراً بحرب الجمل وصفين والنهروان ، والغـارات التي شُنَّتْ ـ في عهد معـاوية ـ عـلى بلاد الشيعـة ، الى استشهاد الامـام عـلي أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) ودسّ السُم الى ولـده الامـام الحسن (عليـه السلام) . . الى فـاجعة كـربـلاء وتـوابعهـا . . الى شهـادة ثمانية من أئمـة اهل البيت (عليهم السـلام) واحداً بعـد الآخر . . . الى غيرها من آلاف الأمثال والشواهد التي تدلُّ على صحَّةَ ما نقول .

فـالأمويـون والعباسيـون والعثمانيـون ونظراؤهم ـ من حُكّـام الجـور والفساد ـ بذلوا جهودهم للقضاء على الشيعة والتشيُّع .

والفتاوى صدرت من فقهاء السوء تحكم باهدار دماء الشيعة واباحة اموالهم وأعراضهم ، ونسبتْ اليهم الكفر والشرك . . وغير ذلك من انواع التهم والافتراءات والأكاذيب .

نعم . . إنتعش الشيعة في عهد البُويهيين والحمدانيين والفاطميين والصَفويين . . وعاد اليهم شيء من الحياة والحرية .

لكن هذه الفترات كانت محدودة . . وكانت المآسي تحلّ بالشيعة عند انقراض احدى هذه الحكومات ، فالمكتبات تُحرق ، والمساجد تُهدم ، والدماء تُراق ، والأموال تُنهب وتُستباح ، والملايين يُشرَّدون ويُهاجرون من اوطانهم الى بلاد نائية غير اسلامية ، وتنقطع آثارهم وأخبارهم .

وفي ظل الحكومات غير الشيعية ، كان الشيعة ـ ولا يزالون ـ يتعرَّضون للمعاملة السيّئة من بعض السلطات ، فالضغط والرقابة المشددة على المطبوعات الشيعيَّة ، وعلى المجالس الحسينية ، والمدارس والمساجد والمكتبات والشخصيات . . كلها من مظاهر سوء المعاملة مع الشيعة .

وحين كتابة هذه السطور . . نسمع بالمآسي والمصائب والفجائع التي تتراكم على الشيعة في جنوب لبنان وباكستان والهند والعراق وكثير من بلاد الشرق الأوسط .

فالسجون مملوءة بهم رجالا ونساءاً وشيباً وشبانا ، فالأطفال يولدون في السجون ، والكبار يموتون في السجون ، والأموال صودرت ونهبت ، والمساكن ـ بما فيها من الأثاث والمتاع ـ أُخذتْ منهم قسراً وقهراً وظلماً وجورا .

وبين كل آونة وأخرى . . يُقدَّمون الى المشانق جماعات جماعات ، كأنهم اغنام تساق الى المجازر ، والدول والحكومات تتخذ موقف المتفرِّج على هذه الفجائع والكوارث . . بل ولعلها ترضى بكل ذلك وتوافق عليه .

وعلى كلٍ حال . . فالأفضل ان اترك هذا الحديث المُرّ المزعج المؤلم ، الذي يُنغص الحياة على كل ذي غيرة وحمية ، وأنتقل الى التحدث عن الشيعة في عهد ظهور الامام المهدي (عليه السلام) .

ينبغي أن لا ننسى ان الشيعة الاثني عشرية ـ الذين يعتقدون بالامام المهدي (عليه السلام) . يبلغ عددهم مئات الملايين ، فاذا ظهر الإمام المهدي يكون الشيعة في طليعة اصحابه وأنصاره .

ومن البديهي انَّ الشيعة سيبلغون قمَّة العظمة وذروة القدرة والاستطاعة حين ظهور الامام ، فليست هناك حكومة منحرفة يخشون منها ، ولا قدرة شاذة ، يحذرونها ، فلا عجب اذا حصَل تَحوُّلٌ في نفسيّاتهم ومعنوياتهم .

ولا شك أنَّ الروح تؤثّر في البدن كل التأثير ، فاذا كانت الروح قوية كان البدن قوياً ، والعكس بالعكس .

فممّا لا شك فيه أنَّ معنويات الشيعة سترتفع الى اعلى درجة من الامكانيات والقوة واستلام الحكم في الكرة الارضية ، وخاصة اذا شملتهم العناية الخاصة من الامام المهدي (عليه السلام) فان الوضع سوف يتبدَّل الى اجمل صورة .

والآن . . اليك بعض الاحاديث التي تشير الى ذلك :

قال الامام الصادق (عليه السلام) : يكون شيعتنا في دولة القائم (عليه السلام) سَنام الارض وحُكّامها يُعطى كل رجل منهم قوة اربعين رجلا »[1] .

وقال الامام الباقر (عليه السلام) - في حديثه عن الشيعة في عصر الامام المهدي (عليه السلام) - : « اذا وقع امرنا ، وخرج مهديّنا كان احدهم إجرأ من الليث ، وامضى من السنان ، يطأ عدوّه بقدميه ، ويقتله بكفّيه »[2] .

وقال الامام الصادق (عليه السلام) - في هذا المجال أيضا - : « إن الله نزع الخوف من قلوب شيعتنا وأسكنه قلوب اعدائنا ، فواحدهم امضى من سنان ، واجرأ من ليث ، يطعن عدوّه برمحه ، ويضربه بسيفه ، ويدوسه بقدميه »[3] .

وقال الامام علي امير المؤمنين (سلام الله عليه) : « كأني انظر الى شيعتنا بمسجد الكوفة ، قد ضربوا الفساطيط[4] يُعلِّمون الناس القرآن . . . »[5] .

---

(١) بحار الانوارج ٥٢ ص ٣٧٢
(٢) بحار الأنوارج ٥٢ ص ٣٧٢
(٣) بحار الأنوارج ٥٢
(٤) الفساطيط - جمع فسطاط - : البيت من شعر ، وتُطلق على الخيمة ، ولعل المعنى ان كل واحد من الشيعة يتخذ لنفسه زاوية او بقعة في المسجد ، لتعليم القرآن العظيم .
(٥) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢١ حديث ٣

وقال الامام الباقر (عليه السلام) : « من ادرك قائم اهل بيتي ، مِن ذي عاهة بَرِأَ ، ومن ذي ضعفٍ قَوِيَ »[١] .

وقال (عليه السلام) : « . . . إذا قام قائمنا ، وضَع يده على رؤ وس العباد ، فجمع بها عقولهم »[٢] .

وقال (عليه السلام) : « . . . انه لو كان ذلك - اي : ظهور الامام المهدي - أُعطي الرجل منكم قوة اربعين رجلا ، وجعل قلوبكم كزبر الحديد ، لو قذفتم بها الجبال فَلقتْها[٣] وانتم قُوّام الارض وخُزّانها[٤] .

فيما يلي نقدم بعض الشرح والتحليل لهذه الأحاديث :

إن المذهب الشيعي - بأصله وأصوله ومبادئه وتعاليمه - هو مذهب الاستقلال والجِدّ والجُهد والجهاد والتضحية والنشاط في العمل في أوسع الحدود .

والثروة العلمية والفكرية التي يمتاز بها المذهب الشيعي ، إذا استُغلتْ واستُثمرتْ ، فان النتيجة ستكون ايجابية في أعلى مستوى ، وبصورة مدهشة .

ويؤسفني ان اقول : إن المواهب والمؤهّلات - التي كانت الشيعة

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ .
(٢) إكمال الدين للصدوق .
(٣) وفي نسخة : لقلعتها .
(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ .

تتمتع بها خلال هذه القرون ـ كانت مكبوتة ومجمدة . . بل ومخنوقة .

وعند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ستظهر المواهب ، وتنمو المؤهّلات وتَحيى النشاطات ، وتتولّد الابتكارات ، فلا عجب اذا عادت الشجاعة الى الشيعة تحت قيادة إمامهم الثائر المقدام الذي يريد أن يقلع جذور كل ظلم وفساد ، وأن ينشر العدل والفضيلة والسعادة في جميع ارجاء العالم .

فعند ذلك . . يكون الشيعي اكثر جرأة وإقداماً وشجاعة من الأسد ، وقوة روحه تؤثّر في عَضَلاته ، فيمكن له أن يقتل عدوّه باللّكم والوَكْز ، كما قال تعالى : ﴿ فَوكَزه موسى فقَضَى عليه ﴾[1] .

والضعفاء من الشيعة ـ سواء كان الضعف في الجسم او النفس ـ ينقلب ضعفهم الى قوة وبسالة ، وبطولة واقتدار .

وجميع الامراض تزول عن الشيعة ، ويتمتعون بالصحة والسلامة في ابدانهم .

وأما وضع الامام المهدي (عليه السلام) يده على رؤوس العباد ففيه احتمالان :

الأول : ان يكون ذلك حقيقة : بان يضع الامام (عليه السلام) يده على رأس من يريد من عباد الله ، فيكمل عقله وينضج فكره عن طريق الاعجاز ويرتقي الى مدارج الكمال .

---

(١) سورة القصص آية ١٥ .

الثاني : ان يكون ذلك رمزاً الى تصرُّف الامام (عليه السلام) في أفكار الناس ، وكأنه يقوم بعملية غَسْل المخ ، ويتحقق ذلك عن طريق بثّ النصائح الحكيمة والمواعظ البليغة . . والله العالم .

وعلى كل حال : فان المجتمع الشيعي يتبلور فكرياً وعقائدياً وثقافياً .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : ان قائمنا اذا قام مد الله لشيعتنا في اسماعهم وأبصارهم ، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد[1] يُكلّمهم فيسمعون ، وينظرون اليه وهو في مكانه[2]

وقال (عليه السلام) : إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى اخاه الذي في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي بالمشرق[3] .

إن هذين الحديثين ينطبقان في عصرنا هذا على جهاز التلفزيون ـ حسب الظاهر ـ فالامام المهدي (عليه السلام) يظهر على شاشة التلفزيون ليوجّه ارشاداته التربوية وتعاليمه الاسلامية الى جميع اهل العلم ، فيراه اهل المشرق والمغرب ، ويسمعون كلامه ، وهو في مكانه ، كما هو الحال الآن ، وهكذا الشيعة ـ الذين هم في ذلك العصر يشكلون المجتمع

---

(١) البريد : الرسول الذي يسلم الرسائل الى أهلها . والمعنى ان الامام المهدي على اتصال مباشر بهم .

(٢) الكافي / كتاب الروضة .

(٣) كتاب حق اليقين .

البشـري في كـل مكـان ـ يـرى بعضُهم البعض الآخـر عـلى شـاشـة التلفزيون .

وقـال الامـام البـاقـر (عليـه السـلام) : « ... ويُخـرِج النـاس خَـراجهم عـلى رقابهم الى المهـدي ، ويُـوسِّـع الله عـلى شيعتنـا ، ولـولا ما يُدركهم من السعادة لَبغَوا » .

أقـول : يدل هـذا الحديث عـلى مـا يتمتـع بـه الشيعـة من تكـامـل العقول ، والرزانة وادراك الوقـائع ، فـان طبيعة الانسـان أن يطغى ، أن رآه استغنى .

فمثلا : العامل والفلاح اذا توفَّرتْ لهـما وسائـل المعيشة فمن الممكن ان يتـرك العامـل العمل ، ويتـرك الفلاح الـزراعة ، لاستغنـائهما بـالمال ، ومعنى ذلـك ان يختـلَّ النـظام الاجتمـاعي ، اذ يتـرك اصحـاب الحـرف والمهن اعمالهم ، لتوفّر المال لديهم .

ولكن الامـام محمـد البـاقـر (عليـه السـلام) يتـدارك هـذا المعنى فيقول : « ولولا مايدركهم من السعـادة لَبغَوا » فلعـل المعنى : انهم ـ بالرغم من تـوفر المـال لديهم ـ يحـافـظون عـلى النـظام الاجتمـاعي وعـلى التحَـلّي بـالاخلاق الفـاضلة وعدم الـطغيان ، ويمـارسـون اعمـالهم كـما لـو كـانـوا محتاجين الى المال .

الفصل الثاني والعشرون

كم سنة يحكم ؟

من الواضح اننا لا نستطيع ان نعرف المدة التي يحكم فيها الامام المهدي (عليه السلام) إلا عن طريق الاحاديث الشريفة التي تُحدِّدها .

والأحاديث الواردة في مدَّة حُكم الامام المهدي (عليه السلام) بعد الظهور مختلفة ، فبعضها تُحدِّدها بسبع سنين ، وبعضها بعشرين سنة تقريبا وبعضها بسبعين سنة ، وبعضها بأعداد أخر .

ولكن الاحاديث التي تُحدِّد مدة حكومته (عليه السلام) بحوالي عشرين سنة كثيرة ومشهورة ، والاعتماد عليها اولى ، لأنها مرويَّة عن ائمة اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرا .

وفيما يلي نذكر بعض تلك الاحاديث :

قال الامام جعفر الصادق (عليه السلام) : «مُلكُ القائم مِنّا تسع عشرة سنة واشهراً »[1] .

وفي حديث آخر : « يملك القائم (عليه السلام) تسع عشرة سنة وأشهراً »[2] .

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٦ الحديث الثاني .

(٢) كتاب الغيبة للنعماني باب ٢٦ الحديث الأول .

وسأل جابر بن يزيد الجعفي من الامام الباقر (عليه السلام) : كم يقوم القائم في عالَمه حتى يموت ؟

فقال الامام : تسع عشرة سنة ، من يوم قيامه الى يوم موته[1] .

أقول : لا تناقض ولا تنافي بين هذا الحديث والحديث الذي سبَقه ، في تحديد مدة حكومة الامام ، لأن ظهوره (عليه السلام) يكون قبل قيامه ونهضته بعدة أشهر ، كما يظهر ذلك من بعض الاحاديث .

---

(١) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٢ .

كَيْفَ تَنتَهِي حَيَاتُه ؟

لقـد اشتهر بـين علماء الشيعة ومحـدِّثيهم كلام رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال : « إن امـر الخلافـة يملكه أَحَـد عشر إمـاماً مِن صُلْب علي وفاطمة ، ما مِنّا إلا مسموم او مقتول »

فقـد روي هذا الحـديث عن الامام الحسن المجتبى (عليـه السلام) حيث قال ـ لجنادة بن أبي اميـة ـ : « واللهِ لقد عَهِـد الينا رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم) إنّ هذا الامـر يملكه احـد عشر إمـاماً من وُلـد علي وفاطمة (عليها السلام) ما منا الا مسموم او مقتول » .

وروي عن الامـام الصادق (عليـه السلام) تصـديق هـذا الحـديث وتفصيله ، كما في كتاب (الفتن والمحن) من بحار الانوار .

هـذا من نـاحيـة الحـديث . . وأمّـا من النـاحيـة التـاريخيـة : فـان التـواريخ تؤيِّـد هذا الحـديث ، فقد قُتـل الامام عـلي امير المؤمنـين (عليه السـلام) بالسيف ، وقُتـل وَلـده الامـام الحسن المجتبى (عليـه السـلام) بـالسم ، واستُشهـد الامـام الحسـين (عليـه السـلام) بـالسيف . وبقيـة الائمـة ـ من الامام زين العـابـدين الى الامـام الحسن العسكـري (عليهم السـلام) ـ قُتلوا بالسم ، وهـذه كُتب الحديث والتـاريخ تشهـد بذلـك ، ولا أراني ـ الآن ـ بحـاجة الى ذِكـر كـل واحـد من الأئمـة الـذين دُسَّ لهم

السم ، من حُكّام زمانهم ، من الأمويين والعباسيين .

واني اعتقد ان التشكيك في هذه الامور انما هو تشكيك في الحقائق الثابتة والقضايا الواقعة ، وكل من يَشكّ في هذه الحقائق فهو مُبتلىٰ بالشذوذ الفكري ولا علاج له .

اعود الى حديثي عن الامام المهدي (عليه السلام) فأقول :

ان الامام المهدي هو احد ائمة اهل البيت وخاتمهم ، فيشمله هذا الحديث ، فانه ـ ايضا ـ لا يموت حَتْف انفه ، بل يفارق الحياة بسبب خارجي ، إما القتل وإما السم .

أما القتل فلم نجد في المصادر الموجودة ـ عندنا ـ شيئا يدل على ذلك سوى ما ذكره اليزدي في كتابه (الزام الناصب) ص ١٩٠ من الطبعة الاولى قال :

« فاكهة : ملخَّص الاعتقاد في الغيبة والظهور ورجعة الأئمة . لبعض العلماء : ومما ينبغي اعتقاده : رجعة محمد واهل بيته . .

الى ان يقول : « فاذا تمَّت السبعون سنة ، أتىٰ الحجَّةَ الموتُ ، فتقتله امرأة من بين تميم ـ إسمها سعيدة ، ولها لحية كلحية الرجال ـ بِجاون صخرٍ من فوق سطحٍ ، وهو متجاوز في الطريق ، فاذا مات تولّى تجهيزَه الحسين . . وما ذكرنا هنا ملتقَط من روايات الأئمة الأطهار . . . » إلى آخر كلامه .

أقول : ياليت ذلك العالم ذكر تلك الروايات التي التقط منها كيفية

شهادة الامام المهدي (عليه السلام) حتى يتضح لنا هذا الكلام .

وياليت المؤلف صرح باسم ذلك العالم الذي ذكر هذه الخلاصة .

وعلى كل حال . . فالكلام لايخلو من الغموض والاجمال .

وأما السُم : فلم اجد ـ في الأحاديث ـ تصريحا بدَسِّ السُم الى الإمام المهدي (عليه السلام) وعلى كل تقدير . . فان الإمام المهدي (روحي له الفداء) يفارق الحياة بسببٍ يعلمه الله تعالى .

الإمام لا يصلّي عليه الا الإمام .

ومن جملة معتقدات الشيعة ـ قديما وحديثا ـ ان الإمام المعصوم لا يغسِّله الا الإمام المعصوم ، ولا يصلّي عليه الا الإمام المعصوم ، حتى ان الواقفية ـ في عصر الإمام الرضا (عليه السلام) ـ احتجّوا على الإمام بمثل هذا . . فقد روي ان علي بن ابي حمزة البطائني قال للإمام الرضا (عليه السلام) : إنا قد روينا عن آبائك أن الإمام لا يلي امره إلا إمام مثله .

فقال الامام الرضا : فأخبِرني عن الحسين بن علي (عليهما السلام) كان إماما او كان غير امام ؟!

قال : كان إماماً .

فقال الامام : فمَن وَليَ امره ؟

قال البطائني : علي بن الحسين (زين العابدين) .

فقال الامام : وأين كان علي بن الحسين ؟! كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد .

قال البطائني : خرج .. وهم كانوا لا يعملون ، حتى ولي امر ابيه ثم انصرف .

فقال الامام الرضا : إنْ هذا امكَنَ علي بن الحسين (عليهما السلام) أنْ يأتي كربلاء فيلي امر ابيه ، فهو يُمكِّن صاحب الأمر[1] ان يأتي بغداد ، فيلي امر أبيه ثم ينصرف ، وليس في حبس ولا أسار . . . »[2] .

ان هذا الحديث بحاجة الى بعض الشرح والتوضيح فنقول :

بعد وفاة الامام موسى الكاظم (عليه السلام) توقَّف جماعة من الاعتراف بامامة علي الرضا (عليه السلام) من بعده ، وسُمي هؤلاء بـ (الواقفية) وقد تكوَّن هذا المذهب بعد وفاة الامام موسى الكاظم (عليه السلام) ثم انقرض بعد سنوات . والحديث طويل يحتاج الى مجال اوسع .

وخلاصة القول : ان علي بن أبي حمزة البطائني ـ وكان من رؤساء الواقفية ـ قال للامام الرضا (عليه السلام) ان المروي عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) ان الامام لا يلي امره ، أي : لا يُغسِّله ولا يُصلّي عليه إلا الامام ، وكان الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قد فارق الحياة في سجن هارون الرشيد في بغداد ، وكان ابنه الامام الرضا (عليه

---

(١) صاحب الأمر : يقصد الامام الرضا نفسه من هذه الكلمة ، إذ انه كان صاحب الامر بعد وفاة أبيه الامام الكاظم (عليهما السلام) .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٦٩ ، باب رَدّ مذهب الواقفية .

السلام) حينذاك في المدينة المنورة ، ولهذا سأله رئيس الواقفية عن كيفية حضوره في بغداد لتغسيل والده الامام الكاظم والصلاة عليه ؟

فكان جواب الامام الرضا (عليه السلام) أنْ سألهم عن كيفية حضور الامام زين العابدين لدفن والده الامام الحسين والصلاة عليه ، مع العلم ان الإمام زين العابدين كان محبوساً في سجن ابن زياد في الكوفة .

فأجابه البطائني بأن الامام زين العابدين حضر كربلاء بطريق المعجزة ، من حيث لا يراه أحد من السجّانين في الكوفة .

فكان جواب الامام الرضا (عليه السلام) انه أيضاً حضَر من المدينة الى بغداد لتغسيل والده الامام الكاظم ، بطريق المعجزة .

والمقصود من هذا الحديث هو ان الاعتقاد ـ بأن الامام لا يغسله ولا يصلّي عليه الا الامام ـ كان مشهوراً عند الشيعة ، والامام الرضا (عليه السلام) لم يُزيِّف هذا الاعتقاد ، بل نراه يُقِرُّه ، وتقرير الامام حُجَّة ودليل .

وبناءاً على هذا . . فانه لا محيص لنا من القول : إن إماماً معصوماً سوف يقوم بتغسيل الامام المهدي (عليه السلام) والصلاة عليه .

وسنذكر ـ في الفصل القادم ـ بعض الأحاديث التي تُصرِّح بأن الامام الحسين (عليه السلام) هو أول من يرجع الى هذه الحياة الدنيا ، وأنه (عليه السلام) هو الذي يتولّى تغسيل الامام المهدي (عليه السلام) وتحنيطه والصلاة على جنازته .

وقد ذكرنا ـ في فصل وجه الانتفاع بالامام الغائب ـ حديثاً عن الامام

الصادق (عليه السلام) انه قال : لم تخل الارض ـ منذ خلق الله آدم ـ من حُجَّة لله فيها ، ظاهر مشهور او غائب مستور ، ولا تخلو ـ الى أنْ تقوم الساعة ـ من حجة لله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله .

وهذا الحديث ـ بالذات ـ يُعتبر من الأحاديث المتواترة الصحيحة ، وعلى هذا . . إذا تُوفي الامام المهدي (روحي له الفداء) فمَن الامام والحجة من بعده ؟ ولهذا لا بد لنا من القول بالرجعة كما ستقرأ ذلك في الفصل القادم .

الفصل الرابع والعشرون

ثُمَّ مَاذَا يكُون ؟

لقد وصَلْنا ـ ونحن في خاتمة المطاف ـ الى بحثٍ يُعتَبر ـ عند بعض البُسَطاء والمتطرِّفين ـ موضوعاً يَشبه الخرافة . . وكثيرٌ مِن الحقائق يَعتبره بعض الناس خرافة وضلالة . . فهل يؤثِّر ذلك في حقيقة ذلك الموضوع وواقعيَّته ؟ !

طبعاً . . لا . . لأنَّ الحقيقة ثابتة ، وإنْ أنكرَها الناس .

إنَّ الملاحدة والزنادقة يَعتبرون وجود الله خرافة ، فهل يؤثِّر ذلك في حقيقة وجوده سبحانه ؟

طبعاً . . لا .

إنَّ هذا الموضوع الذي نُريد التحدُّث عنه الآن . . هو موضوع الرَجْعة .

قبل كلِّ شيء . . لا بدَّ لنا أنْ نعرف : ما هي الرجعة ؟

(الرَجْعة) معناها : أنَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وطوائف كثيرة من الأموات ، سوف يَرجعون الى هذه الحياة الدنيا ، وتبدأ الرجعة بعد ظهور الامام المهدي (عليه السلام) وقبل شهادته ، ويكون ابتداؤ ها برجوع الامام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم الأئمة الآخرون واحداً بعد واحد . وتمتدّ فترة الرجعة قروناً طويلة جداً .

هذه خلاصة البحث وعصارة القول .

وقد وَرَدَتْ أحاديث تتجاوز الأربعين والخمسين ـ بل أكثر من ذلك ـ عن أئمة اهل البيت (عليهم السلام) حول الرجعة وتفاصيلها .

وقد مضىٰ حينٌ مِن الدَهْر . . كان القول والاعتقاد بالرجعة ذنباً لا يُغفر ، وجريمة لا يمكن السكوت عليها .

والجدير بالذِكْر : أنَّ الذين كانوا يُحاربون عقيدة الرجعة ـ ويَشُنُّون الغارات عليها ويُهرِّجون ضِدَّها ـ ما كانوا يُحاربون الالحاد والزندقة !!

والآن . . لا بأس أنْ نَضَع هذه العقيدة على طاولة التشريح ، لِنطَّلع على أبعادها وحقيقتها ، ونعرضها على كتاب الله وسُنّة رسوله والعقل ، لِننظر موقف القرآن والسُنَّة والعقل من هذه العقيدة ، وهل أنَّ فيها شيئاً يدعو الى التهريج والاستهزاء ؟!

النقاط التي ينبغي التحدُّث عنها ـ في هذا الفصل ـ هي كالتالي :

١ ـ إحياء الموتى يوم القيامة

٢ ـ هل أحيىٰ الله احداً قبل يوم القيامة ؟

٣ ـ هل في القرآن دليل على الرجعة ؟

٤ ـ هل في الاحاديث دليل على الرجعة ؟

٥ ـ لمن تكون الرجعة ؟

إحياء الموتى يوم القيامة

يُعتَبر الاعتقاد بالمعاد يومَ القيامة أصلا من اصول الدين ، ولا أظنُّ أنَّ هناك مُسلماً يؤمن بالقرآن والإسلام ثم لا يؤمن بالمعاد وإحياء الموتى في يوم القيامة ، مع تصريح مئات الآيات ومئات الأحاديث ، والأدلة العقلية على ذلك .

ولا نُريد أنْ نتحدَّث ـ الآن ـ حول المعاد بالتفصيل ، ولكنّنا نُلخّص الحديث حوله فيما يأتي :

إنَّ المسلمين ـ بكافَّة مذاهبهم ـ مُتّفقون على أنَّ الله تعالى يُحيي الأولين والآخرين مِن عباده يوم القيامة ، حتى الجنين الذي سَقَط مِن بطن أمّه ميتاً ، يُحييه الله تعالى .

قال عزَّ وجل : ﴿ **وحشَرناهم فلم نُغادر منهم أحداً** ﴾[1] .

ولعلَّ الكثيرين مِن أهل الأديان والشرائع والمِلَل يُشاركون المسلمين في هذه العقيدة .

إذن : إحياء الأموات ـ يوم القيامة ـ يعتبر من الأمور المسلَّمة القطعية عند المسلمين ـ وعند غيرهم احتمالا ـ ولا يستبعد احد من المسلمين ذلك .

نعم . . كان المشركون والملاحدة يُنتكرون البعث في يوم القيامة ،

---

(١) سورة الكهف آية ٤٧ .

ويقـولـون : ﴿ ءَإذا مِتْنـا وكُنّـا تُـراباً وعِـظامـاً ءإنّـا لَمبعـوثـون أوَ آبـاؤنـا الأولون ﴾(١) ولَسْنا الآن في مقام الرد على هؤلاء ، وانما السؤال هو :

هل أحيىٰ الله أحداً قبل يوم القيامة ؟

ان كلَّ مَن يؤمن بالمعاد ، ويؤمن بأنّ الله تعالى يُحيي الخلائق اجمعين في يوم القيامة ، لا يَصعب عليه أَنْ يؤمن بأن الله على كل شيء قدير ، وأنه سبحانه قادر على إحياء بعض عباده ، كما أنَّه تعالىٰ قادر على إحياء جميع عباده ، فلا مانع عند العقل مِن قبول هذا المعنى وأنَّه ممكن غير مستحيل .

أمّا القرآن الكريم فقد أخبر عن قوع إحياء الموتى ، مرّات عديدة ، وفيما يَلي نُشير الى بعض تلك الآيات ، وفيها الكفاية للمُنْصِفين . . أمّا المعاندون ﴿ وانْ يَروا كلَّ آية لا يؤمنوا بها ﴾ .

الآية الأُولىٰ : ﴿ وإذ قَتلتم نفساً فادّارأتُم فيها ، والله مُخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويُريكم آياته لعلّكم تعقلون ﴾(٢) .

التفسير :

﴿ وإذ قتلتم نفساً ﴾ الخطاب موجَّه الى بَني اسرائيل ، لأنَّ أحدهم كان قد قتل أحد أقربائه ، ثم طرَحَ جُثَّة القتيل على طريقِ سبطٍ من أسباط بَني اسرائيل ، ثم جاء القاتل يُطالب بدمه ، وسألوا موسى بن

(١) سورة الصافات آية ١٦ ـ ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٧٣ .

عمران (عليه السلام) عن القاتل مَن هو ؟ وهذا معنى قوله : ﴿ **فادّارأتم فيها** ﴾ أي : اختلفتم في تلك النفس المقتولة وقاتلها . فأمرهم موسى بن عمران (عليه السلام) أن يذبحوا بقرة ، وأخيراً . . ذبحوا البقرة . ﴿ **فقلنا اضربوه ببعضها** ﴾ أي : إضربوا القتيل ـ وهي الجثّة ـ ببعض أعضاء تلك البقرة المذبوحة ـ على اختلاف بين المفسّرين حول ذلك العضو ـ فضربوا القتيل بعضوٍ من أعضاء البقرة ، فقام القتيل حيّاً وقال : قتلني فلان ، ثم عاد ميّتاً : ﴿ **كذلك يُحيي الله الموتىٰ ويُريكم آياته لعلّكم تعقلون** ﴾[1] .

والمقصود أنَّ الله تعالى قد أحيى ذلك القتيل الاسرائيلي في هذه الدنيا وقبل يوم القيامة .

الآية الثانية : ﴿ **ألم تَرَ الى الذين خرجوا مِن ديارهم ـ وهم أُلوف ـ حذرَ الموت ، فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم ، إن الله لَذو فَضْلٍ على الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يَشكرون** ﴾[2] .

التفسير :

هذه الآية تتحدَّث عن قوم مِن بَني اسرائيل ، فَرُّوا مِن طاعون وقَع بأرضهم ، وقد اختلف المفسّرون في عددهم فقيل : كانوا ثلاثة آلاف ، وقيل : أربعين ألفاً ، وقيل سبعين ألفاً . خرجوا من بلدتهم فراراً وحذراً من الطاعون والوباء ، فأماتهم الله تعالىٰ وأمات دَوابَّهم ، وتفسختْ أبدانهم وتلاشتْ أعضاؤهم .

---

(١) تفاصيل القصة مذكورة في تفسير الآية من سورة البقرة . .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٣ .

وذات يوم .. مرَّ عليهم نبيُ الله حِزقيل ، وسأل مِن الله تعالىٰ أن يُحييهم ، فأحياهم الله تعالى ، كما صرَّحت بذلك الآية الشريفة .

الآية الثالثة : ﴿ أو كالذي مَرَّ على قريةٍ وهي خاويةٌ على عُروشِها ، قال : أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ، ثم بَعثَه ، قال : كم لَبِثتَ؟ قال : لبثتُ يوماً أو بعضَ يوم ، قال : بل لبثتَ مائة عام ، فانظرُ الى طعامك وشرابك لم يَتَسنَّه ، وانظر الى حِمارك ، ولنجعلَك آيةً للناس ، وانظر الى العظام كيفَ نَنشُزها ثم نَكْسُوها لحماً ، فلما تَبيَّنَ له قال : أعلم أنَّ الله على كلِّ شيء قدير ﴾[١] .

التفسير :

ليس المقصود ـ هنا ـ تفسير الآية بكاملها ، بل هو بيان الموارد التي أحيىٰ الله تعالى بعضَ عباده ، وردَّهم الى هذه الدنيا . فهذا نبي من الأنبياء ـ مع الاختلاف في إسمه ـ مَرَّ على قرية خاوية على عروشها ، أي : سقط بناؤ ها وخربتْ مساكنها بسبب خُلوِّها مِن الساكنين .

وقيل : هي القرية التي خرج منها أهلُها وهم الوف حذر الموت .

وقيل : المقصود من قوله تعالى : ﴿ قرية ﴾ هو أهل القرية ، أي : مرَّ على أهل القرية وعظامهم مُتفرِّقة متلاشية .

« فقال : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » أي : أنه تساءل سؤال تعجُّب .. لا سؤال إنكار .. قال : كيف يحيي الله هذه الأموات ؟!

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

﴿ **فأماته الله مائة عام** ﴾ وبقي ميّتاً مائة سنة ﴿ **ثم بعَثَه** ﴾ وأحياه الله تعالى ، فسمع نداءاً من السماء ـ كما قيل ـ : ﴿ **كم لبثتَ** ﴾ أي : كم هي المدَّة التي نُمتَ في هذا المكان ؟ ﴿ **قال : لبثتُ يوماً أو بعض يوم** ﴾ لأنه مات أول النهار وأحياه الله آخر النهار ، بعد مائة سنة ، ولهذا قال : أو بعض يوم .

الآية الرابعة : ﴿ **وإذْ قُلتُم : يا موسى لَنْ نؤمنَ لك حتى نَرىٰ الله جَهْرةً ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم مِن بعد موتكم لعلّكم تشكرون** ﴾(١) .

التفسير :

لقد ورَد ذِكْر هذه القصّة في موضعين من القرآن الكريم : الأول في سورة البقرة ـ وقد تقدَّم ـ والثاني في سورة النساء آية ١٥٣ بقوله تعالى : ﴿ **فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾ .

وخلاصة القصّة : أنَّ اليهود قالوا لموسى بن عمران (عليه السلام) : ﴿ **لن نؤمن لك** ﴾ أي : لا نُصدِّقك في نبوَّتك ﴿ **حتى نرىٰ الله جَهْرة** ﴾ أي : عياناً وعلانية ﴿ **فأخذتْهم الصاعقة وهم ينظرون** ﴾ الى النار التي أحرقَتْهم .

﴿ **ثم بعثناكم** ﴾ أحياهم الله تعالى بعد موتهم ، ـ وكانوا سبعين رجلاً ـ فرجعوا الى هذه الحياة الدنيا وعاشوا فترة اخرى .

---

(١) سورة البقرة آية ٥٥ .

وهـذه الآية أيضاً تحكي لنا قصّـة قوم ٍ مـاتوا ، ثم أحيـاهم الله قبل يوم القيامة .

الآية الخامسـة : **﴿ ورسولاً الى بَني اسـرائيل ، أني قـد جئتُكم بآيـة مِن ربكم ، أني أخلُق لكم من الـطين كهيئة الـطير ، فـأنفـخ فيـه فيكـون طيراً باذن الله ، وأُبرىء الأكمة والأبرص وأُحيي الموتىٰ باذن الله ﴾** .

التفسير :

لقد ورَدَ ذِكْر إحياء عيسى بن مريم المـوتى ، في موضعـين من القرآن الكـريم : الأول في سورة آل عمـران آية ٤٩ وقـد ذكـرنـاهـا ، والشـاني في سـورة المائـدة آية ١١٠ وهي قـوله تعـالى : **﴿ وإذ تَخلُق من الـطين كهيئـة الـطير فتَنفخ فيهـا فتكون طيـراً باذني ، وتُبـرىء الأكمة والأبـرص بإذني ، وإذ تُخرج الموتىٰ بإذني ﴾** .

في هـاتين الآيتـين تجد بـأن عيسى بن مـريم كـان يُحيي المـوتىٰ بـإذن الله ، حتى قيـل : إنـه أحيىٰ سـام بن نـوح ، بـالـرغم مِن مـرور القـرون الكثيرة على وفاته .

والمقصود هو أنَّ الله سبحانه أحيىٰ عـدداً من الأموات بـدعاء عيسى (عليه السلام) قبل يوم القيامة الذي يحيي فيه جميع الأموات .

أيهـا القارىء الكـريم : هذه آيـات بيّنات ، ذكـرناهـا كنماذج عـلى وقـوع إحياء المـوتى قبل يـوم القيـامـة ، ولا أظنّ أنّ أحـداً يَشـكُّ في هـذه الآيات الصريحة حول هذا الموضوع .

وأمّا الروايات والأحاديث الصحيحة ـ التي تتحدَّث عن إحياء الموتى على أيدي الأنبياء السابقين ـ فكثيرة .

وتوجد أيضاً طائفة من الأحاديث تُصرِّح باحياء الموتى بدعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعاء بعض الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ولولا رعاية الاختصار لذكرنا بعض النماذج منها . كلّ ذلك دليل على إمكانية إحياء الموتى قبل يوم القيامة وتحقُّق ذلك .

هل في القرآن دليلٌ على الرجعة ؟

أيها القارىء : كان الهدف الأصلي من ذِكْرنا الآيات ـ التي تُخبر عن إحياء بعض الموتى وكذلك الأحاديث المرويّة في هذا المجال ـ هو التمهيد لهذا السؤال :

هل في القرآن دليلٌ على الرجعة ؟

الجواب : نعم . . في القرآن الكريم آيات متعددة فَسَّرها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالرجعة ، ومن الواضح أنَّ الأئمة الطاهرين هم تراجمة وحي الله ، وقد نَزل القرآن في بيوتهم ، وأهل البيت أدرى بالذي فيه .

وقبل أنْ نَذكر نماذج من تلك الآيات ، نُنبِّه القارىء الى أنَّ بعض العلماء المعاصرين جمع ستاً وسبعين آية ، من الآيات المأوَّلة بالرجعة ـ عدا الأحاديث التي سوف نتحدَّث عنها قريباً ـ .

ولا عَجَبَ مِن ذلك ، لأنَّ موضوع الرجعة يُعتبر من المواضيع العقائدية الهامَّة ، والتأكيد عليه ضروري طبعاً .

أما الآيات فاليك نماذج منها :

١ ـ قوله سبحانه : ﴿ ويوم نَحشر مِن كلّ أُمَّة فَوجا ﴾[١] .

لقد وَرَدَتْ أحاديث متعدِّدة عن الامام الصادق (عليه السلام) في تأويل هذه الآية بالرجعة .. منها : رُوِيَ أنَّ رجلاً قال للإمام الصادق (عليه السلام) : إنَّ العامَّة تَزعم أنَّ قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشر من كلّ أُمَّة فوجاً ﴾ عنى يوم القيامة .

فقال (عليه السلام) : أفيحشر الله يوم القيامة مِن كلٍّ أُمَّة فوجاً وَيَدَع الباقين ؟ ! لا .. ولكنّه في الرجعة ، وأما آية القيامة : ﴿ وحشرناهم فلم نُغادِر منهم أَحَداً ﴾[٢] .

وقال (عليه السلام) ـ في قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشر من كلّ أُمة فوجاً ﴾ ـ : ليس أحد من المؤمنين قُتل إلّا ويرجع حتى يموت ، ولا يَرجع إلّا مَن محضَ الايمان محضاً ، ومَن محض الكفر محضاً .

وقد جرى حوار لطيف بين السيد إسماعيل الحِمْيَرى ـ الشاعر ـ وبين سوار القاضي ، في مجلس المنصور العباسي ، نذكره بصورة ملخّصة :

قال القاضي ـ للمنصور ـ : إنه ـ أي الحِمْيَري ـ قائلٌ بالرجعة .

---

(١) سورة النمل آية ٨٢ .

(٢) تفسير البرهان ج ٣ ص ٣١٠ .

فقال السيد الحميري : أمّا قوله إني قائل بالرجعة ، فاني أقول بذلك على ما قال الله تعالى : ﴿ **ويوم نحشر من كل امة فوجاً** ﴾ وقد قال في موضع آخر : ﴿ **وحشَرْناهم فلم نغادر منهم أحداً** ﴾ فعلِمْنا أنَّ ها هنا حَشْرين : أحدهما عام والآخر خاص . . الى آخر كلامه .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ إنَّا لَننصُر رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوَم يقوم الأشهاد ﴾[١] .

سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الآية . . فقال : ذاك ـ والله ـ في الرجعة ، أما علمت أنّ أنبياء الله كثيراً لم يُنصَروا في الدنيا وقتلوا ، وأئمة قُتلوا ولم يُنصَروا ؟! فذلك في الرجعة[٢] .

٣ ـ قوله عزّ وجل : ﴿ ربّنا أمتَّنا اثنتين وأحْيَيْتَنا اثنتين ﴾[٣] .

قال الإمام الباقر (عليه السلام) هو ـ أي : قوله تعالى ـ خاصٌّ لِأقوامٍ في الرجعة بعد الموت[٤] .

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) : والله ما هذه الآية إلّا في الكَرّة . (أي الرجعة)[٥] .

---

(١) سورة المؤمن آية ٥١ .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ . قوله « فذلك في الرجعة » أي : انتصار الأنبياء والأئمة على اعداء الله سيكون عندما يرجعون الى الدنيا .

(٣) سورة المؤمن آية ١١ .

(٤) تفسير البرهان ج ٢ ـ في تفسير الآية .

(٥) نفس المصدر .

هـذه بعض الآيـات التي استدلّ بهـا أئمـة أهـل البيت (عليهم السلام) على الرجعة بصـورة عامّـة . . وأمّا تفصيـل الحديث عن الـرجعة فسوف يأتيك قريباً .

هل في الاحاديث دليل على الرجعة ؟

نعم . . الأحـاديث حـول الـرجعـة كثيـرة ، ويمكن تقسيمهـا الى قسمين :

١ ـ الأحاديث الصريحة بالرجعة .

٢ ـ الـزيارات التي يُـزار بها الأئمـة (عليهم السلام) والأدعيـة التي يُـدعىٰ بهـا في المنـاسبـات ، وكِـلا القسمـين يَصْلُحـان لـلإستـدلال عـلى الرجعة ، أمّا الأحاديث فـواضح ، وأمّـا الزيـارات والأدعية فـلأنّها مرويّـة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) فهي أحاديث أيضاً .

وفيما يلي نَذكر بعض الأحاديث المرويَّة في أصل الرجعة :

سَـأل المأمـون العباسي من الامـام الرضـا (عليه السـلام) : يا أبـا الحسن ما تقول في الرجعة ؟

فقال (عليه السـلام) : إنّها الحق ، قد كـانت في الأُمم السالفـة ، وَنَطَق بها القـرآن ، وقد قـال رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) : يكـون في هـذه الأُمَّـة كـلّ مـا كـان في الأُمَم السـالفـة ، حَـذْو النَعْـل بالنعل . . . »[١]

---

(١) كتاب بحار الأنوارج٥٣ ص ٣٩ ، نقلاً عن كتاب عيون اخبار الرضا .

وقال الامام الصادق (عليه السلام) : أيام الله ثلاثة : يوم يقوم القائم ، ويوم الكَرّة (أي الرجعة) ويوم القيامة .[١] .

لمن تكون الرجعة ؟

بعد أنْ ثَبَت لنا ـ على ضوء القرآن والأحاديث الشريفة والعقل ـ أنَّ الرجعة حقيقة لا ريب فيها . . يأتي دور هذا السؤال : لمن تكون الرجعة ؟ ومَن هو الذي يرجع الى الحياة الدنيا ؟

الجواب : المقصود من الرجعة هو :

١ ـ رجوع بعض الأموات وخروجهم من قبورهم ، عند ظهور الامام المهدي (عليه السلام) .

٢ ـ رجوع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

أمّا رجوع بعض الأموات ، فقد سبقت الاشارة اليه عند التحدُّث عن (الفَرق بين الأصحاب والأنصار) وهنا نذكر المزيد من ذلك :

قال الامام الصادق (عليه السلام) : . . إن الرجعة ليست بعامّة ، وهي خاصّة ، لا يرجع الى الدنيا إلا مَن محض الايمان محضاً ، او محض الكفر محضاً [٢] .

وعن المفضَّل بن عمر قال : ذَكرنا القائم ومَن مات مِن أصحابنا يَنتظره .

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٣ .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٩ .

فقال لنا الإمام الصادق (عليه السلام) : إذا قام أُتِيَ المؤمن في قبره ، فيقال له : يا هذا ، إنّه قد ظهر صاحبُك ، فإنْ تشأ أنْ تلحَق به فالحق ، وإن تشأ أنْ تُقيم في كرامةِ ربك فأَقِم[1] .

وقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يأمرون شيعتهم بالدعاء والتوسل الى الله تعالى ، كي يعيدهم الى الحياة بعد ظهور الامام المهدي (عليه السلام) حتى يُدركوا أيامه المباركة وحكومته الميمونة .

وكان الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) يُعلّمون شيعتهم الدعاء الذي يُدعىٰ به لهذا الهدف السامي . . وفيما يلي نذكر مقتطفات ممّا أُشير الى رجوع بعض الأموات ، عن ظهور الإمام (عليه السلام) :

١ ـ في دعاء العهد المروي عن الامام الصادق (عليه السلام) تقول : . . . اللهم إنْ حالَ بيني وبينه (أي الإمام المهدي) الموت ـ الذي جعلتَه على عبادك حتماً مقضياً ـ فأخرجني من قبري مُؤتزِراً كَفَني ، شاهراً سيفي ، مُجرِّداً قناتي ! مُلبِّياً دعوة الداعي . . . » .

٢ ـ وتقول في زيارة الإمام الهادي والإمام العسكري (عليهما السلام) في سامراء ـ العراق ـ : « . . . وإنْ حال بيني وبين لقائه الموت ـ الذي جعلتَه على عبادك حتماً ، وأقدرت به على خليقَتك رغماً ـ فابعثني عند خروجه ظاهراً من حُفرتي ، مُؤتزراً كفني ـ حتى أُجاهد بين يديه ، في الصَفّ الذي أثنيتَ على أهله في كتابك ، فقلتَ : ﴿ كأنَّهم بُنيان

---

(١) حق اليقين للسيد عبدالله شبر ج ٢ ص ١٤ .

مَرْصوص ﴾[١] .

اللهم إني ادينُ بالرجعة ، بين يدَي صاحب هذه البقعة . . . » .

٣ ـ وتقول في زيارة الإمام المهدي (عليه السلام) : « . . . وإنْ أدركني الموت قبل ظهورك ، فأتوسَّل بك الى الله سبحانه أنْ يصلّي على محمد وآل محمد وأنْ يجعل لي كَرّةً في ظهورك[٢] ورجعة في أيامك . . . » .

هذا بعض ما ورَدَ في رجوع بعض الاموات عند ظهور الامام المهدي (عليه السلام) .

وأمّا رجوع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) فقد أُشير اليه في القرآن والاحاديث الشريفة المرويّة ، والزيارات المرويّة .

أمّا في القرآن الكريم فمِن ذلك قوله تعالى : **﴿ إنّ الذي فَرض عليك القرآن لَرادُّكَ الى معاد ﴾[٣]** فقد رُويَ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنّه قال ـ في تأويل هذه الآية ـ : « يرجع اليكم نبيُّكم وأمير المؤمنين والأئمة »[٤] .

وأمّا الأحاديث الشريفة . . فاليك نماذج منها :

قال الامام الصادق (عليه السلام) : أول مَن تنشقّ الأرض عنه

---

(١) سورة الصف آية ٤

(٢) الكرة : الرجعة ، وهي على وزن المرة ، والجمع كرات مثل مرّة ومرّات .

(٣) سورة القصص آية ٨٥ .

(٤) تفسير البرهان في تفسير الآية .

ويرجع الى الدنيا : الحسين بن علي (عليهما السلام)[١] .

وقال (عليه السلام) : إنَّ أول مَن يكرُّ في الرجعة : الحسين بن علي (عليهما السلام) ويمكث في الأرض أربعين سنة ، حتى تسقط حاجباه على عينيه[٢] .

وسُئل الامام الصادق (عليه السلام) عن الرجعة . . أحقٌّ هي ؟

فقال : نعم .

فسُئل : مَن أول مَن يخرج ؟

قال (عليه السلام) : . . . الحسين . . يخرج على أثر القائم[٣] .

وقال (عليه السلام) : . . . ويُقبل الحسين (عليه السلام) . . . فيدفع اليه القائم (عليه السلام) الخاتم[٤] ، فيكون الحسين هو الذي يَلي غُسْله وكفْنه وحنوطه ، ويُواريه في حُفْرته[٥] .

وقال (عليه السلام) : ـ في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثم رَدَدْنا لكم

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٩ .
(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ .
(٣) منتخب الأنوار المضيئة للفقيه السيد علي بن عبد الكريم النيلي ـ من علماء القرن التاسع الهجري .
(٤) لعل المقصود من « الخاتم » ـ هنا ـ : هو خاتم النبي سليمان ، باعتباره من مواريث الأنبياء .
(٥) بحار الأنوار ج ٥٣ .

الكَـرَّة عليهم ﴾[١] ـ : . . . خـروج الحسـين في سبعـين مِن أصحـابـه ، عليهم البيض المـذهَّبـة . . . يؤدّون الى النـاس : إنَّ هـذا الحسـين قـد خـرج ، حتى لا يشكّ المؤمنـون فيه . . . والحجـة القائم بـين أظهـرهم ، فإذا استقرَّت المعـرفة في قلوب المؤمنـين أنّه الحسـين ،جاء الحُجَّـةَ الموتُ ، فيكون الذي يُغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحده في حفرتـه : الحسين بن عـلي ، ولا يَلي أَمْرَ الوصي إلّا الوصي[٢] .

هذه بعض الأحاديث المروية في هذا المجال .

وأما الزيـارات المأثـورة المرويّـة عن الأئمة (عليهم السـلام) فاليـك بعض المقتطفات منها :

١ ـ في الزيارة الجامعة المـرويَّة عن الإمـام الهادي (عليـه السلام) ـ والتي يُـزار بهـا كـلّ إمـامٍ من أئمـة اهـل البيت ـ تقـول : « . . . مؤمنٌ بإيابكم ، مُصدِّقٌ برجعتكم ، منتظرٌ لأمركم ، مُرتَقِب لِدَولتكم . . . » .

٢ ـ وفي زيـارة الإمام المهـدي (عليه السـلام) ـ والتي صـدرتْ من ناحيته المقدسة ـ تقول : « . . . وانَّ رجعتكم حقٌ لا ريب فيها . . » .

٣ ـ وعنـد الانصـراف من زيـارة كـلّ إمـام مِن الأئمـة الـطاهـرين ووداعـه . . تقـول : « . . . وحَشَـرني الله في زُمـرتكم . . . ومَكَّنَني في دولتكم ، وأحياني في رجعتكم ، وملَّكني في أيامكم . . » .

---

(١) سورة الاسراء ـ آية ٦ .

(٢) تفسير البرهان للسيد البحراني .

هذه خلاصة الحديث عن الرجعة ، وقد عرفنا أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) لا يُفارق الحياة إلّا بعد أنْ يرجع الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) الى هذه الدنيا ، ويُسلِّم الإمام المهدي اليه الحكم والقيادة .

واعلمْ أنَّ الحديث عن الرجعة حديث مفصَّل ، وأنّ بعض علمائنا قد كتَب الكتُب المستقلّة عنها ، وقد اختصرنا البحث رعايةً لأُسلوب الكتاب ..

كلام الشيخ المجلسي حول الرجعة

ولشيخنا المجلسي (رضوان الله عليه) كلام حول هذا الموضوع ، نَذكره تتميماً للبحث . . قال : (إعلم يا أخي أني لا أظنّك ترتاب (أي : تَشكّ) بعدما مهَّدتُ وأوضحتُ لك في القول بالرجعة التي اجتمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار ، واشتهرتْ بينهم كالشمس في رابعة النهار ، حتى نظموها في أشعارهم ، واحتجّوا بها على المخالفين في جميع أعصارهم ، وشنَّع المخالفون عليهم في ذلك . . .

الى أنْ قال : وكيف يشكّ مؤمنٌ بحقيَّة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فيما تواتر عنهم في قريب مِن مائتي حديث صحيح ، رواها نيِّف وأربعون مِن الثِقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلَّفاتهم ؟! كثقة الإسلام الكليني ، والصدوق محمد بن بابويه ، والشيخ

ابي جعفر الطوسي ، والسيد المرتضى ، والنجاشي[١] والكشي[٢] والعيّاشي[٣] وعلي بن ابراهيم[٤] وسليم الهلالي[٥] والشيخ المفيد ، والكراجكي[٦] والنعماني[٧] والصفّار[٨] وسعد بن عبد الله[٩] وابن

(١) النجاشي : أحمد بن علي بن العباس ، صاحب كتاب الرجال المعروف ، وهو شيخ ثقة ، مسلّم عند الكل ، غير مخدوش فيما كتب بوجه ، مطمئن اليه سيّما في الرجال ، يُقدَّم قوله ـ عند التعارض ـ على قول غيره ، يروي عن الشيخ المفيد . توفي سنة ٤٦٠ من الهجرة ، ذكر ذلك المامقاني في (تنقيح المقال) .

(٢) الكشي : محمد بن عمر بن عبد العزيز ، صاحب كتاب الرجال ، كان من غلمان العياشي وقيل من أصحابه ، هو ثقة بصير بالرجال والأخبار ، مستقيم المذهب .

(٣) العياشي : محمد بن مسعود بن محمد بن عياش ، ثقة صدوق ، اكثر اهل المشرق علما وأدبا وفضلا ونُبلا ، جليل القدر ، واسع الأخبار ، بصير الرواية ، مطلع عليها ، له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف ، وقد ورث من ابيه ثلاثمائة الف دينار ، فأنفقها على العلم والحديث .

(٤) هو علي بن ابراهيم بن هاشم القمي ، ثقة في الحديث ، معتمد صحيح المذهب ، له مؤلفات كثيرة ، كان يعيش في سنة ٣٠٧ .

(٥) سليم الهلالي : كان من اصحاب الإمام علي امير المؤمنين والامام الحسن والامام الحسين (عليهم السلام) وقيل : مَن اصحاب الامام زين العابدين والامام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) أيضا .

(٦) الكراجكي : محمد بن علي ، كان من تلاميذ الشيخ المفيد والسيد المرتضى . له مؤلفات عديدة .

(٧) النعماني : محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب ، صاحب كتاب الغيبة ، هو شيخ عظيم القدر ، شريف المنزلة ، صحيح العقيدة ، كثير الحديث ، له كتب عديدة ، قدم بغداد ومات بالشام . كان من علماء القرن الرابع الهجري .

(٨) الصفار : محمد بن الحسن بن فروخ القمي ، هو ثقة عظيم القدر ، له كتب عديدة، منها : كتاب الرجعة . توفي سنة ٢٩٠ من الهجرة .

(٩) سعد بن عبدالله الأشعري القمي : الفقيه الوجيه ، من أصحاب الامام الحسن =

قولويه[١] وعلي بن عبد الحميد[٢] والسيد علي بن طاوس[٣] ومؤلف كتاب التنزيل والتحريف ، وأبي الفضل الطبرسي ، وابراهيم بن محمد الثقفي ، ومحمد بن العباس بن مروان ، والبرقي ، وابن شهر آشوب ، والحسن بن سليمان ، والقطب الراوندي ، والعلامة الحلّي ، والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم ، واحمد بن داود بن سعيد ، والحسن بن علي ، وعلي بن ابي حمزة ، والفضل بن شاذان ، والشيخ الشهيد محمد بن مكي ، والحسين بن حمدان ، والحسن بن محمد بن جمهور العمّي مؤلف كتاب (الواحدة) والحسن بن محبوب ، وجعفر بن محمد بن مالك الكوفي ، وطهر بن عبد الله ، وشاذان بن جبرئيل ، وصاحب كتاب الفضائل ، ومؤلف كتاب (العتيق) ومؤلف كتاب (الخطب) وغيرهم من مؤلّفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلّفيها على التعيين ، ولذا لم ننسب الأخبار اليهم ، وإن كان بعضها موجوداً فيها .

واذا لم يكن مثل هذا متواتراً ، ففي أيّ شيء يمكن دعوىٰ التواتُر مع

= العسكري (عليه السلام) وتشرف بلقاء الامام الحجة المهدي (عليه السلام) في عهد والده الامام العسكري ، له كتب كثيرة ، توفي سنة ٢٩٩ او ٣٠٠ هـ .

(١) ابن قولوية : جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى ، من ثقاة المحدثين والفقهاء ، وعظمائهم ، له مؤلفات كثيرة جدا . توفي في قم سنة ٣٦٨ هـ .

(٢) علي بن عبد الحميد الضبي : من أصحاب الامام موسى الكاظم (عليه السلام) .

(٣) علي بن طاوس : علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ، صاحب الكرامات والمؤلفات الكثيرة . توفي سنة ٦٦٤ هـ .

ما رَوتْه كافة الشيعة خَلَفا عن سَلَف ؟!!

وظني أنَّ مَن يَشُكّ في أمثالها فهو شاكٌّ في أئمة الدين ، ولا يُمكنه إظهار ذلك بين المؤمنين ، فيحتال في تخريب الملة القويمة بالقاء ما تتسارع اليه عقول المستضعفين ، وتشكيكات الملحدين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمُّ نوره ولو كره المشركون » .

ولنذكر ـ لمزيد التشييد والتأكيد ـ أسماء بعض مَن تعرَّض لتأسيس هذا المدَّعىٰ وصَنَّف فيه ، او احتجَّ على المنكرين ، او خاصَم المخالفين ، سوى ما ظهر مما قدَّمناه في ضمن الأخبار ، والله الموفق :

فمنهم : احمد بن داود بن سعيد الجرجاني . قال الشيخ (الطوسي) في كتاب الفهرست : له كتاب : (المتعة والرجعة) .

ومنهم : الحسن بن أبي حمزة البطائني ، وعدَّ النجاشي من جملة كتبه : كتاب الرجعة .

ومنهم : الفضل بن شاذان النيسابوري . ذكر الشيخ (الطوسي) في كتاب الفهرست والنجاشي أنَّ له كتاباً في إثبات الرجعة .

ومنهم : الصدوق محمد بن علي بن بابوية ، فانه عدَّ النجاشي من كتبه (كتاب الرجعة) .

ومنهم : محمد بن مسعود العياشي : ذكر الشيخ والنجاشي في الفهرست كتابه في الرجعة . .) . . الى آخر كلامه .

ختام واعتذار

معذرةً الى الله تعالى والى رسوله والى الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) سيّما الى مولانا بقيّة الله في أرضه وحُجّته على عباده : الامام الحجة بن الحسن المهدي (عليه السلام) عن كل قصورٍ أو تقصير ، او خطأ غير مُتعمَّد ، أو سهو غير مقصود في تأويل بعض الأحاديث . . وكلّي أمل ورجاء في أن يَنال هذا الجهد الضئيل والخدمة المتواضعة شرف القبول مِن الله عز وجل ـ الذي يَقبل اليسير ويعفو عن الكثير ـ وأنْ ينال رضا رسوله والأئمة الكرام البررة (سلام الله عليهم) .

ووداعاً مع القرّاء الكرام الذين قضينا معهم ساعات وساعات ، في رحاب مولانا صاحب الزمان (عليه السلام) وكأننا كُنّا نعيش تلك القرون التي صَدَرتْ فيها البشائر والاخبارات عن الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) والفترات التي سبقتْ ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) والسنوات التي قضاها تحت ظل والده العظيم الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .

وهكذا فترة الغيبة الصغرى وأحداثها ، والغيبة الكبرى وبعض حوادثها .

وكأننا أدركنا سَنة ظهوره ، وشاهدْنا العلائم المحتومة وغيرها ،

حتى أدركنا ظهوره وقيامه ونهضته المباركة ، ورأينا بعضَ إنجازاته (عليه السلام) وتصرُّفاته في المجتمعات البشرية .

ورأينا كيف تجاوبت معه الكائنات السماويَّة والأرضية ، وساندَتْه القوى المحسوسة والمعنوية ، وكيف استولى على منصَّة الحكم والقيادة العامة للبشر ؛ يحكم على كلّ شِبرٍ من أرض الله الواسعة .

وفي الختام . . أقول : لقد عثرتُ ـ خلال تأليف هذا الكتاب ـ على مئات الأحاديث المتعلِّقة بالإمام المهدي (عليه السلام) المذكورة في موسوعات الأحاديث ، ولكنّي صَرَفْتُ النظر عن ذِكْرها ، لا شَكّاً مِنّي في صِحَّة تلك الاحاديث ، بل لم أجد ضرورةً في ذِكْرها ، وكان بعضها معارِضاً للأحاديث الصحيحة القوية السَند ، وبعضها يَصعب ـ على بعض الناس ـ قبوله ، ويعسر تحمّله ، ولا يَتّضح معناه إلاّ بعد ذِكْر مقدّمات طويلة عريضة . . فرأيتُ أنَّ الأفضل ترك ذِكْر تلك الأحاديث ، وتفويضها الى مَن يكتُب الموسوعات المفصَّلة في هذا المجال .

وأسأل الله عز وجل أن يمنَّ علي بالمزيد من التوفيق لما يُحبّ ويرضى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمّد كاظم القزويني الموسوي — صفر الخير / ١٤٠٤ هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع ـــــــ الصفحة

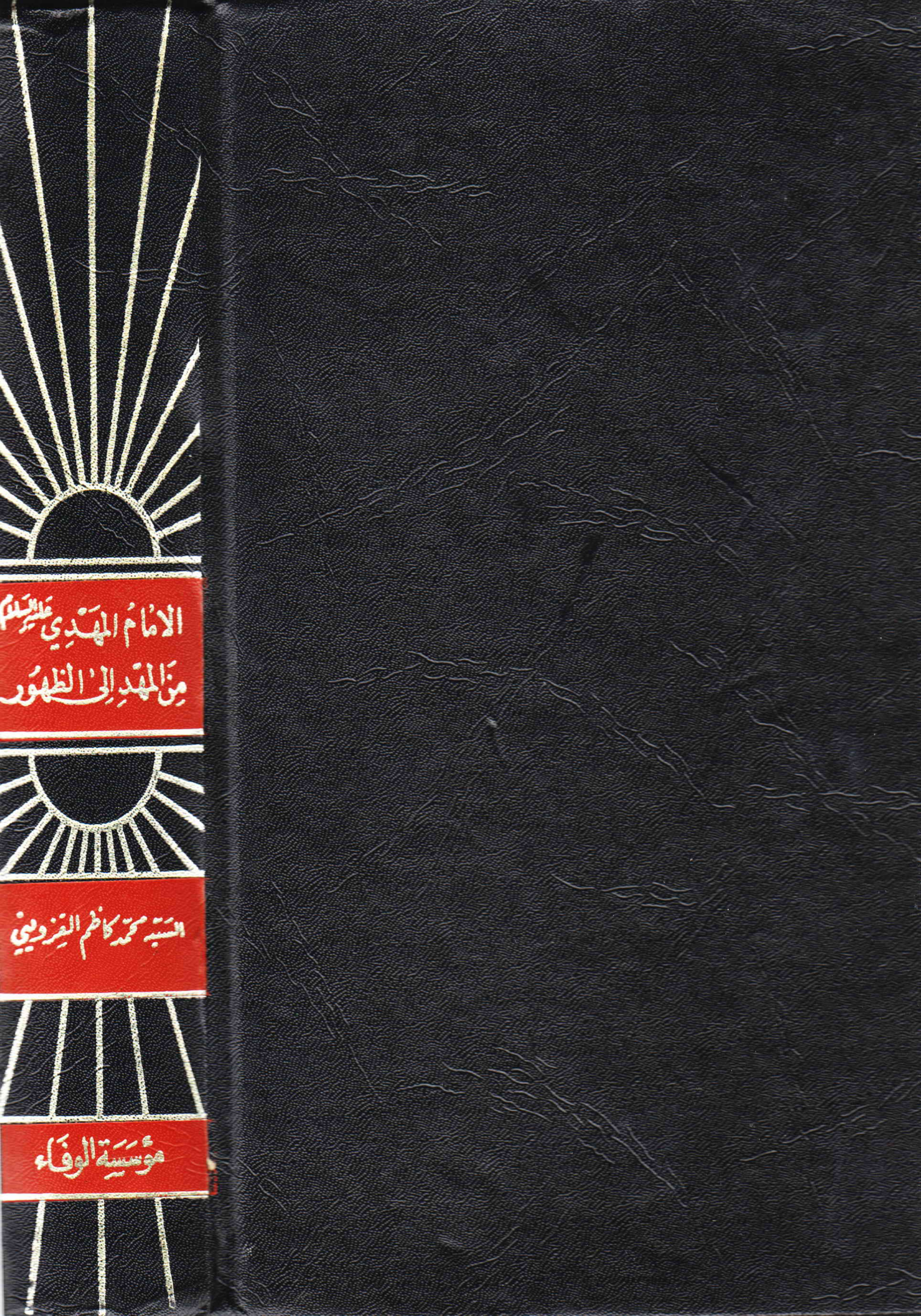
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة


الامام المهدي عليه السلام
من المهد إلى الظهور
السيد محمد كاظم القزويني
مؤسسة الوفاء